



Wasit University
Repository

Wasit University Repository

repository.uowasit.edu.iq

البناء اللغوي في كتاب حكم النبي الأعظم لمحمد الرشدي

The linguistic structure in the book "The General Wisdom of the Prophet" by Muhammad al-Rishahri

الزبيدي، محمد علي كامل فزع

إشراف: أ. د. جاسم فريح دايح الترابي

جامعة واسط — 2026

<https://repository.uowasit.edu.iq/handle/123456789/207>

<https://doi.org/10.31185/uowasit-51>

حمّل هذا الملف من مستودع جامعة واسط

Downloaded from the Wasit University Repository — repository.uowasit.edu.iq



جُمْهُورِيَّةُ الْعِرَاقِ
وِزَارَةُ التَّعْلِيمِ الْعَالِيِ وَالنَّبَحْثِ الْعِلْمِيِّ
جَامِعَةُ وَاسِطٍ - كُلتِيَّةُ التَّرْبِيَةِ لِلْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ
قِسْمُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

الْبِنَاءُ اللُّغَوِيُّ فِي كِتَابِ حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ مُحَمَّدٍ الرِّيشَهْرِيِّ

رِسَالَةٌ قَدَّمَهَا الطَّالِبُ
مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ كَامِلٌ فِرْعَ الزُّبَيْدِيِّ

إِلَى مَجْلِسِ كُلتِيَّةِ التَّرْبِيَةِ لِلْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ - جَامِعَةُ وَاسِطٍ، وَهِيَ
جُزْءٌ مِنْ مُتَطَلِّبَاتِ نَيْلِ شَهَادَةِ الْمَاجِسْتِيرِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ/ لُغَةٌ

بِإِشْرَافِ

أ. د. جَاسِمُ فَرِيحِ دَايَخِ التُّرَابِيِّ

أ. د. سَعَادُ بَدِيْعِ مَطِيرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ
وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾

(آل عمران: ١٦٤)

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

إقرار المشرف

نشهدُ أنَّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ (البناء اللغوي في كتاب حكم النبي الأعظم لمحمد الرشدي) لطالب الماجستير (محمد علي كامل فزع) أعدت بإشرافنا في قسم اللغة العربية بكلية التربية/ جامعة واسط، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها/ لغة.



إمضاء المشرف الثاني

أ. د. سعاد بديع مطير

التاريخ: ٢٠٢٦ / ٥ / ٣١

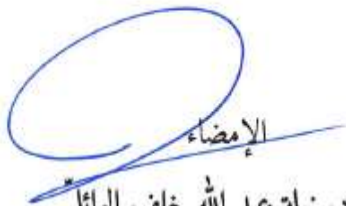


إمضاء المشرف الأول

أ. د. جاسم فرج دايج

التاريخ: ٢٠٢٦ / ٥ / ٣١

بناءً على التوصيات المتوافرة أرفق هذه الرسالة للمناقشة



أ. د. نهلة عبد الله خلف الوائلي

رئيس قسم اللغة العربية

التاريخ: ٢٠٢٦ / ٥ / ٣١

بسم الله الرحمن الرحيم
(إقرار لجنة المناقشة)

نحن أعضاء لجنة المناقشة الموقعين أدناه: نشهد أننا أطلعنا على الرسالة الموسومة بـ (البناء اللغوي في كتاب حكم النبي الأعظم لمحمد الرشدي) التي أعدها الطالب (محمد علي كامل فزع)، وناقشناه في محتوياتها، وفيما له علاقة بها، فوجدناها جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية / لغة بتقدير (جميعاً جداً عالٍ).

الإمضاء

أ.م.د. ميعاد متي فيصل
(عضواً)

التاريخ: ٢٠٢٦/٨/٨٩

الإمضاء

أ. د غازي مطشر حمزة
(عضواً)

التاريخ: ٢٠٢٦/٨/٢٣

الإمضاء

أ. د أحمد جعفر داود
(رئيساً)

التاريخ: ٢٠٢٦/٨/٢٣

الإمضاء

أ. د. سعاد بديع مطير
عضواً ومشرفاً ثانياً

التاريخ: ٢٠٢٦/٨/٢٣

الإمضاء

أ. د. جاسم فريخ دايج
عضواً ومشرفاً أولاً

التاريخ: ٢٠٢٦/٨/٢٣

الإمضاء

أ. د. محمود حمود عزراك
عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية

التاريخ: ٢٠٢٦/٨/٢٤

أصادق على ما جاء في قرار لجنة المناقشة:

الإهداء

إلى حضرة النبي الأعظم محمد 

لعلي أفوز بشفاعته يوم الورود

إلى الإمام الموعود بدولة العدل الإلهية القائم المنتظر

لعلي أكحل ناظري بنظرة مني إليه

إلى من مثني أن يراني في هذا المكان، فقطفني يد المنون

وتركي صغيراً للذاريات الزمان قدسني

أبي رحمه الله تعالى

إلى من أحرقت سنين عمرها وأنا رت لي عنمتي، الأمر الرؤومر

التي تعلمت من ملاح وجهها تقاسير الحياة ومن صدى كلامها فهمت لغة الكلام

أمي العزيزة

أهدي عملي هذا

شكرٌ وعرْفانٌ

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ الأنبياء والمرسلين، سيِّدنا محمَّدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمَّا بعد:

أتقدَّمُ بخالصِ الشُّكرِ والتَّقديرِ إلى الأستاذين الدَّكتور (جاسم فريح التَّرابي) والدَّكتورة (سعاد بديع مطير)، بوصفهما مشرفين على هذه الرِّسالة، لما قدَّماه من توجيهٍ علميٍّ رصينٍ، ومتابعةٍ دقيقةٍ، ودعمٍ مستمرٍّ كان له الدورُ الكبيرُ في إنجازِ هذه الدِّراسة.

وأَتقدَّمُ بوافرِ الشُّكرِ والامتنانِ والتَّقديرِ إلى قسمِ اللُّغة العربيَّة، متمثلاً برئيسِ القسمِ الدَّكتورة (نهلة عبدالله خلف)، وأساتذته الأفاضل، الذين أحاطوني بالرِّعاية والاهتمامِ في السَّنة التَّحضيرية من رحلتي الدِّراسية في كُليَّة التَّربية للعلوم الإنسانيَّة.

وشكراً مُفعماً بالحبِّ والعرْفانِ الجميلِ أقدِّمه إلى عائلتي الحبيبة المتمثِّلة بـ(والدتي الغالية) التي دعمتني وساندتني منذُ بدايةِ مشواري الدِّراسيِّ إلى مرحلتي هذه، فلولاها ما وصلتُ إلى ما أنا عليه.

فلا يسعُنِي - بعد أن وفَّقني اللهُ لإتمامِ هذه الرِّسالة - إلا أن أتقدَّم بخالصِ الشُّكرِ والتَّقديرِ لكلِّ من أسهم في إنجازِ هذه الدِّراسة، سواءً برأيٍّ، أم توجيهٍ، أم دعمٍ.

محمد عليّ كامل

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٥-١
التمهيد: (اللغة النبوية، ترجمة المصنف الشيخ محمد الرشدي) أولاً: اللغة النبوية (خصائصها البلاغية وسماتها الأسلوبية) ثانياً: ترجمة المصنف الشيخ محمد الرشدي	٢٧-٦ ٢٤-٧ ٢٧-٢٤
الباب الأول: بناء الكلمة في حكم النبي الأعظم	١٣٤-٢٨
الفصل الأول: أبنية الأفعال ودلالاتها	٧٨-٢٩
المبحث الأول: أبنية الفعل الثلاثي المجرد ودلالاتها أولاً: بناء (فعل) ودلالاته ثانياً: بناء (فعل) ودلالاته ثالثاً: بناء (فعل) ودلالاته	٤٤-٣١ ٣٩-٣٢ ٤١-٣٩ ٤٤-٤١
المبحث الثاني: أبنية الفعل الثلاثي المزيد بحرف واحد ودلالاتها أولاً: بناء (أفعل) ودلالاته ثانياً: بناء (فعل) ودلالاته ثالثاً: بناء (فاعل) ودلالاته	٥٦-٤٥ ٤٩-٤٥ ٥٣-٤٩ ٥٦-٥٣
المبحث الثالث: أبنية الفعل الثلاثي المزيد بحرفين ودلالاتها أولاً: بناء (افتعل) ودلالاته ثانياً: بناء (انفعل) ودلالاته ثالثاً: بناء (افعل) ودلالاته رابعاً: بناء (تفعل) ودلالاته خامساً: بناء (تفاعل) ودلالاته	٧٠-٥٧ ٦١-٥٧ ٦٣-٦٢ ٦٤-٦٣ ٦٨-٦٤ ٧٠-٦٨
المبحث الرابع: أبنية الفعل الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف ودلالاتها أولاً: بناء (أفَعول) ودلالاته ثانياً: بناء (استفعل) ودلالاته	٧٤-٧١ ٧١ ٧٤-٧٢
المبحث الخامس: أبنية الفعل الرباعي المجرد والمزيد ودلالاتها أولاً: بناء الفعل الرباعي المجرد ودلالاته ثانياً: بناء الفعل الرباعي المزيد ودلالاته	٧٨-٧٥ ٧٧-٧٥ ٧٨-٧٧
الفصل الثاني: أبنية الأسماء ودلالاتها	١٣٤-٧٩
المبحث الأول: أبنية الأسماء المجردة والمزيدة أولاً: أبنية الاسم الثلاثي المجرد ثانياً: الاسم الثلاثي المزيد	٨٦-٧٩ ٨١-٨٠ ٨٤-٨١

٨٥-٨٤ ٨٦-٨٥	ثالثاً: أبنية الاسم الرباعي المجرد رابعاً: أبنية الاسم الرباعي المزيد
١٠٦-٨٧ ٩١-٨٨ ٩٤-٩١ ٩٨-٩٤ ١٠١-٩٨ ١٠٣-١٠١ ١٠٥-١٠٣ ١٠٦-١٠٥	المبحث الثاني : أبنية المشتقات دلالاتها أولاً: أبنية اسم الفاعل ثانياً: أبنية اسم المفعول ثالثاً: أبنية الصفة المشبهة رابعاً: أبنية المبالغة خامساً: بناء اسم التفضيل سادساً: أبنية اسم الآلة سابعاً: أبنية اسمي الزمان والمكان
١١٦-١٠٧ ١١٠-١٠٩ ١١٤-١١٠ ١١٦-١١٤	المبحث الثالث : أبنية جموع التكسير ودلالاتها أولاً: أبنية جموع القلة ثانياً: أبنية جموع الكثرة ثالثاً: أبنية منتهى الجموع
١٣٠-١١٧ ١٢٢-١١٨ ١٢٥-١٢٣ ١٢٩-١٢٦ ١٣٠-١٢٩ ١٣٠	المبحث الرابع: أبنية المصادر ودلالاتها أولاً: أبنية مصادر الأفعال الثلاثية ثانياً: أبنية مصادر الأفعال الزائدة على ثلاثة أحرف ثالثاً: أبنية المصدر الميمي رابعاً: مصدر المرة خامساً: مصدر الهيئة
١٣٤-١٣١ ١٣٣-١٣١ ١٣٤-١٣٣	المبحث الخامس: النسب والتصغير أولاً: النسب ثانياً: التصغير
٢٤٤-١٣٥	الباب الثاني: بناء الجملة في حكم النبي الأعظم
٢٠٦-١٤٠	الفصل الأول: بناء الجملة الخبرية
١٤٨-١٤٠ ١٤٣-١٤٠ ١٤٨-١٤٣	المبحث الأول الجملة الخبرية المثبتة أولاً: الجملة الاسمية المثبتة ثانياً: الجملة الفعلية المثبتة
١٦٠-١٤٩ ١٥٢-١٥٠ ١٥٥-١٥٢ ١٦٠-١٥٥	المبحث الثاني الجملة الخبرية المنفية أولاً: ما ينفي الجملة الاسمية فقط (ليس) ثانياً: ما ينفي الجملة الفعلية فقط (لن، لم) ثالثاً: ما ينفي كلتا الجملتين: (ما، لا)
١٧٠-١٦١ ١٦٨-١٦٣ ١٧٠-١٦٨	المبحث الثالث: الجملة الخبرية المنسوخة أولاً: الجملة الاسمية المنسوخة بالحرفين (لكن، كأن) ثانياً: الجملة الاسمية المنسوخة بالأفعال الناقصة (كان وأخواتها)

١٨٧-١٧١ ١٧٦-١٧٢ ١٧٩-١٧٦ ١٨٧-١٧٩	المبحث الرابع: الجملة الخبرية المؤكدة أولاً: ما يؤكد الجملة الاسمية ثانياً: ما يؤكد الجملة الفعلية ثالثاً: ما يؤكد كلتا الجملتين
١٩٣-١٨٨ ١٩١-١٩٠ ١٩٢-١٩١ ١٩٢ ١٩٢ ١٩٣	المبحث الخامس: بناء الجملة الشرطية أولاً: الأداة تليها جملتان فعليتان ماضويتان ثانياً: الأداة تليها جملة فعلية مضارعية ثم جملة فعلية ماضوية ثالثاً: الأداة تليها جملة فعلية ماضوية ثم جملة طلبية مقترنة بالفاء رابعاً: الأداة تليها جملة فعلية مضارعية ثم جملة اسمية مقترنة بالفاء خامساً: الأداة تليها اسمية ثم جملة فعلية ماضوية
٢٠٦-١٩٤ ٢٠٠-١٩٤ ٢٠٦-٢٠٠	المبحث السادس: التقديم والتأخير والحذف في الجملة الخبرية أولاً: التقديم والتأخير ثانياً: الحذف
٢٤٤-٢٠٧	الفصل الثاني: بناء الجملة الطلبية
٢١٥-٢٠٨ ٢١٢-٢٠٩ ٢١٥-٢١٢	المبحث الأول: جملة النداء أولاً: حروف النداء بين الذكر والحذف ثانياً: أنماط المُنَادَى
٢٢٧-٢١٦ ٢٢١-٢١٨ ٢٢٢-٢٢١ ٢٢٧-٢٢٢	المبحث الثاني: جملة الاستفهام أولاً: الجملة المُصَدَّرَة بالهمزة ثانياً: الجملة المُصَدَّرَة بـ (هل) ثالثاً: الجملة المُصَدَّرَة باسم استفهام
٢٣٤-٢٢٨ ٢٣١-٢٢٩ ٢٣٢-٢٣١ ٢٣٤-٢٣٢ ٢٣٤	المبحث الثالث: جملة الأمر أولاً: صيغة فعل الأمر ثانياً: صيغة لام الأمر المُتَّصِلَة بالفعل المضارع ثالثاً: صيغة اسم فعل الأمر رابعاً: المصدر النائب عن فعل الأمر
٢٤٤-٢٣٥ ٢٣٦-٢٣٥ ٢٣٧-٢٣٦ ٢٤٣-٢٣٨ ٢٤٤-٢٤٣	المبحث الرابع: جمل طلبية أخرى أولاً: جملة النهي ثانياً: جملة العرض والتَّحْضِيز ثالثاً: جملة التَّمَنِّي والتَّرجِي رابعاً: جملة الإغراء والتَّحْذِير
٣٩٩-٢٤٥	الباب الثالث: بناء النَّصِّ في حِكْمِ النَّبِيِّ الأعظم
٢٩٨-٢٥٠	الفصل الأول: معياري الاتِّساق والانسجام
٢٨٧-٢٥٠ ٢٥١-٢٥٠ ٢٨٧-٢٥٢ ٢٥٨-٢٥٢	المبحث الأول: معيار الاتِّساق أولاً: مفهوم الاتِّساق النَّصِّي ثانياً: وسائل الاتِّساق النَّصِّيَّة ١- الاتِّساق الصَّوْتِي (السَّجْع، الجناس)

٢٧٤-٢٥٨ ٢٦٩-٢٥٩ ٢٧٤-٢٧٠ ٢٨٠-٢٧٤ ٢٨٧-٢٨٠ ٢٨٥-٢٨١ ٢٨٧-٢٨٥	٢- الاتّساق التّحويّ أ- الإحالة ب- الحذف ج- الرّبط ٣- الاتّساق المعجميّ أ- التّكرار ب- التّضام (المصاحبة المعجميّة)
٢٩٨-٢٨٨ ٢٨٩-٢٨٨ ٢٩٨-٢٨٩ ٢٩١-٢٩٠ ٢٩٢-٢٩١ ٢٩٣-٢٩٢ ٢٩٤-٢٩٣ ٢٩٥ ٢٩٦-٢٩٥ ٢٩٧-٢٩٦ ٢٩٨-٢٩٧	المبحث الثّاني: معيار الانسجام أولاً: مفهوم الانسجام النّصّي ثانيًا: العلاقات الدّلاليّة ١- علاقة الشّروط والجزاء ٢- علاقة السّؤال والجواب ٣- علاقة التّفصيل بعد الإجمال ٤- علاقة السّبب والنّتيجة ٥- علاقة الاستثناء ٦- علاقة الإضافة ٧- علاقة المقابلة ٨- علاقة التّمثيل
٣٦٨-٢٩٩	الفصل الثّاني: القصديّة والمقاميّة والمقبوليّة
٣١١-٢٩٩ ٣٠٣-٢٩٩ ٣١١-٣٠٣ ٣٠٧-٣٠٣ ٣١١-٣٠٧	المبحث الأوّل: معيار القصديّة أولاً: مفهوم القصديّة ثانيًا: أشكال القصد وأنواعه ١- المقاصد المباشرة ٢- المقاصد غير المباشرة
٣٢٠-٣١٢ ٣١٤-٣١٢ ٣٢٠-٣١٥	المبحث الثّاني: معيار المقاميّة (السياق) أولاً: مفهوم المقاميّة ثانيًا: الخصائص التي تتعلّق بتحديد السياق
٣٢٦-٣٢١ ٣٢٦-٣٢١	المبحث الثّالث: معيار المقبوليّة مفهوم المقبوليّة والعوامل التي تخضع إليها
٣٦٥-٣٢٧	الفصل الثّالث: معياري التّناصّ والإعلاميّة
٣٥٤-٣٢٧ ٣٣٠-٣٢٧ ٣٥٤-٣٣٠ ٣٧٢-٣٣٢ ٣٤٢-٣٣٢ ٣٥٠-٣٤٢ ٣٥٤-٣٥٠	المبحث الأوّل: معيار التّناصّ أولاً: مفهوم التّناصّ ثانيًا: أشكال التّناصّ وأنواعه أ- تناصّ غير مباشر ١- تناصّ غير مباشر مع الكتب السّماويّة ٢- تناصّ غير مباشر مع النّصّ القرآنيّ ب- تناصّ مباشر

٣٦٥-٣٥٥ ٣٥٩-٣٥٥ ٣٦٨-٣٥٦ ٣٥٧-٣٥٦ ٣٥٧ ٣٦٥-٣٥٧	المبحث الثاني: معيار الإعلامية أولاً: مفهوم الإعلامية ثانياً: مستويات الإعلامية ١- إعلامية الدرجة الأولى (المنخفضة) ٢- إعلامية الدرجة الثانية (المتوسطة) ٣- إعلامية الدرجة الثالثة (المرتفعة)
٣٦٩-٣٦٦	الخاتمة ونتائج الدراسة
٣٩٩-٣٧٠	فهرس المصادر والمراجع
A	Absferact



المقدمة^{١٤}



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

وبه نستعين

الحمد لله الذي جلت آلاؤه عن أن تُحاطَ بعدد، وتعالى كبرياؤه عن أن تشتملَ بحد، تاهت في موامي معرفته سابلَةُ الأفهام، وغرقت في بحار عزّته سابعةُ الأوهام؛ كل ما يخطرُ ببالي ذوي الأفكار فبمعزلٍ عن حقيقة ملكوته، وجميع ما تعقد عليه ضمائر أولي الأبصار فعلى خلاف ما ذاته المقدسة عليه من نعوت جبروته.

والصلاة على من تبوأ من الفصاحة ذروتها، واقتعد من البلاغة مكانَ صهوتها، حتّى ظهرت من جبهته أسرارُ طلعتها، وتبلّجت من بهجته أنوارُ زهرتها. وعلى آله الطيّبين أطواد العلم الراسخة، ومثاقيل الحكم الرّاجحة. صلاةٌ تُقيم، ولا تريم، إنّهُ مُنعمٌ كريمٌ. أمّا بعدُ

فبعدُ الحديث النبوي الشريف المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن الكريم؛ إذ يمثل هذا المصدر إرثاً دينياً، ومنهجاً روحياً وأخلاقياً في ديننا الحنيف. فضلاً عن ذلك فإنّ كلامه عليه الصلاة والسلام يمثل منجماً لغوياً، وإرثاً أدبياً، ندُر نظيره في الكلام، فهو دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين؛ إذ لا يخفى لعربيٍّ أو لمسلم ما للرّسول (ﷺ) من فصاحةٍ وبيانٍ، فلم ينطق فصيحٌ بالضّاد غيره، ولم يتأتّى لأحدٍ جوامع الكلم سواه، فحديثه يتربّع على القمّة العلا في فصاحة العرب وبلاغتهم.

ولمّا كان الحديث النبوي أعلى مراتب البيان في العربيّة بعد القرآن الكريم، اتخذت من حكمه العظيمة ميداناً للدراسة اللّغويّة، محاولاً أن أقنفي الجواهر اللّغويّة القيّمة من هذا الكنز اللّغويّ، وأن أسلّط الضّوء على ما تضمّنه هذا الثّراء اللّغويّ من طاقةٍ تعبيرية، وخصائص بلاغيّة، وسمات أسلوبية، زيادة على معرفة ما استعمله الرّسول (ﷺ) في كلامه من تراكيب نحويّة، وأساليب إنشائيّة، وعبارات قرآنيّة.

فاخترت لهذه الدّراسة كتاب (جُكُمُ النَّبِيِّ الْأَعْظَمُ) لمحمّد الرّيشهري (ت ١٤٤٤هـ)؛ إذ جمع هذا الشّيخ الجليل في مصنّفه هذا، جُكُمُ الرّسول (ﷺ) من كتب الحديث المعتمدة، فلم يترك حديثاً حكماً إلّا وضّمّنه في هذا المصنّف. فكان من لطائف الله عزّ وجلّ التي تُستحق الشّكر، أن أكرمني لتكون دراستي في رحاب الحديث النبوي الشريف، فكان الشّرف العظيم أن يكون عنوان الدّراسة (البناء اللّغويّ في كتاب جُكُمُ النَّبِيِّ الْأَعْظَمُ لمحمّد الرّيشهري).

وتسمية هذه الدراسة بـ(البناء اللغوي)، ليست ببدعة في حقل الدراسات اللغوية؛ إذ إنَّ دراساتٍ كثيرةً اتخذت هذه التسمية عنواناً لها، منها (البناء اللغوي في ديوان الأعشى الكبير)، وهي رسالة ماجستير للباحث نائر محمد عبد الأئمة الدبّاغ، و(البناء اللغوي للشعر العربي الأصمعيّات أنموذجاً) وهي أطروحة دكتوراه للباحث عصام كاظم الغالبي، و(البناء اللغوي في شعر الحطيئة)، وهي رسالة ماجستير للباحث محمد جبار حدّاد السّاعدي.

وتقييداً بلفظ (البناء اللغوي) فإنَّ هذه الدراسة اشتملت على دراسة (بناء الكلمة)، و(بناء الجملة)، و(بناء النّص)، فكان البناء اللغوي في هذه الدراسة مفهوماً تدريجياً ينطلق من أصغر وحدة لغوية وهي (الكلمة)، إلى أكبر وحدة لغوية وهو (النّص). وتناول البنية النّصّية في هذه الدراسة، مختلفٌ عن الدراسات السابقة التي عنوانها (البناء اللغوي)؛ إذ اقتصرَت تلك الدراسات على دراسة (بنية الكلمة) و(بنية الجملة) فقط.

ولم يكن تناول البنية النّصّية في هذه الدراسة تناولاً اعتباطياً، وإنّما هو نظرة لغوية ينظر فيها الدرس اللغوي الحديث إلى النّصّ بأنّه كيانٌ لغويّ مستقلٌّ يمثّل الوحدة اللغوية الأكبر، علاوة على ذلك أنّ الانتهاء من تناول الجملة وتحليلها النّحوي، يمهد الطريق لبداية جديدة، وهي تناول وتحليل النّصّ؛ كونه يمثّل وحدة لغوية أكبر من الجملة، يشمل الكلمة والجملة معاً، ويبحث كيفية انتظام الجمل وتماسكها داخل النّصّ، فكلّ مستوى لغويّ يقوم على المستوى السابق له.

ولكلّ ما تقدّم، ومن أجل التّقيّد بلفظ (البناء) في عنوان الدراسة، قُسمت هذه الدراسة على ثلاثة أبوابٍ تسبقهما مقدّمةٌ وتمهيدٌ.

درست في الباب الأوّل (بناء الكلمة) في جُكَمِ النّبيّ الأعظم، مُقسّماً إيّاه على فصلين، كان عنوان الفصل الأوّل (أبنية الأفعال ودلالاتها)، درست فيه أبنية الفعل الثلاثيّ المجرّد والمزيد جميعها، فضلاً عن أبنية الفعل الرباعيّ المجرّد والمزيد، أمّا الفصل الثّاني من هذا الباب، فكان عنوانه (أبنية الأسماء ودلالاتها)، تناولت فيه أبنية الأسماء الثّلاثيّة والرّباعيّة مجرّداً كان الاسم أو مزيداً، وأبنية المشتقات وجموع التّكسير والمصادر والنّسب والتّصغير.

أمّا الباب الثّاني، فخصّص لـ(بناء الجملة) في جُكَمِ النّبيّ الأعظم، وجاء هذا الباب على فصلين، خصّص الأوّل منهما لدراسة (بناء الجملة الخبريّة) درست فيه الجملة

المُنبَتَّة والمنفِيَّة والمنسوخة والمؤكَّدة، فضلاً عن جملة الشَّرط، والتَّقديم والتَّأخير والحذف فيها، وعُقد الفصل الثَّاني في (بناء الجملة الطَّلبيَّة) ، ضمَّ جُملة النَّداء، وجُملة الاستفهام، وجُملة الأمر، وجُملاً طَلبيَّةً أُخَر.

وجاء الباب الثَّالث والأخير مخصَّصاً لدراسة (بناء النَّصِّ) في حِكم النَّبِيِّ الأعظم؛ إذ اعتمدتُ فيه على المعايير النَّصِّيَّة لروبرت دي بوجراند، فكان الباب مُقسِّماً على ثلاثة فصولٍ، خُصَّص الفصل الأوَّل لمعياري (الاتِّساق والانسجام)، والفصل الثَّاني للمعايير النَّصِّيَّة المحيطة بعالم النَّصِّ وهي (القصدية والمقبولية والمقامية)، والفصل الثَّالث من هذا الباب عُقد لتناول معياري (التَّنَاصُّ والإعلامية) في حِكم النَّبِيِّ الأعظم.

وأما المنهج المتَّبَع في هذه الدِّراسة، فهو المنهج التحليلي؛ إذ اعتمدتُ فيه على استقراء المادَّة العلميَّة أوَّلاً، ثُمَّ تقسيمها وفق الخطَّة الموضوعية لهذه الدِّراسة، وبعد ذلك تناولتُ الموضوعات داخل تضاعيف الرِّسالة بالمُدارسِ والتحليل للشواهد المُنتقاة من حِكمه المباركة .

وقد اعتمدتُ في هذه الدِّراسة على مجموعةٍ من المصادر ذوات العلوم النَّافعة، على رأسها كتاب سيبويه، والمقتضب، وشرحي الرِّضِيِّ على الشَّافية والكافية فنعماً هما من شرحين شافيين وكافيين لباحث العلم. أمَّا في معرفة بعض المعاني، فكان كتابي الطِّراز المتضمَّن لأسرار البلاغة، والمجازات النَّبويَّة، بمثابة السِّراج الَّذي أُسِيرُ به للتمييز بين المعاني الحقيقيَّة والمجازيَّة في حِكمه . وفي معرفة معاني أبنية الأفعال كان كتاب أوزان الأفعال ومعانيها حاضراً. فضلاً عن المراجع الحديثة النَّحويَّة والصِّرفيَّة واللِّسانيَّة، وغيرها ممَّا احتواه الفهرس الخاصَّ بذلك.

وبمَنِّ الله عزَّ وجلَّ وفضله، وببركة نبيه الكريم وآل بيته الغرِّ الميامين استطعت تجاوز ما واجهني من صعوباتٍ متعددة، كان أبرزها صعوبة التَّطبيق في بعض مواضع الدِّراسة، فضلاً عن التَّطبيق في الدِّراسة النَّصِّيَّة، كوني جديداً عهدٍ لركوب البحر اللِّساني.

وقد حرصتُ في هذه الدِّراسة ألاَّ أكرِّر الحديث في أكثر من موضعٍ إلاَّ اضطراراً، فجاءت الدِّراسة مشتملةً على ما يزيد عن خمسةٍ وسبعين وأربعمئة حديثٍ نبويٍّ من حِكمه . إنَّ هذه الدِّراسة ما هي إلاَّ خدمةٌ لحديث النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ، أسأل الله أن أنالَ بها شفاعته يوم الورود، ولا أحسبُها سوى تمهيداً لبناء دولة الإمام الموعد بالعدل الإلهي.

ولا يفوتني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى السّيدين المشرفين أ. د. جاسم فريّح التّرابيّ، و أ. د. سعاد بديع مطير؛ إذ كانا نعم من أخذ بيدي إلى نور العلم الوهاج، فلهما سبق الفضل في اختيار الموضوع خدمةً لحديث النّبيّ محمّد ﷺ، ولهما الفضل الكبير في مراجعة مسودات هذه الدّراسة وتقويم ما جانب الصّواب فيها بالرّأي السّديد والنّصح الكريم، فكانا بذلك أبوين قبل أن يكونا أستاذين. كما أتوجّه بالشكر إلى مكتبة العتبة العبّاسيّة المقدّسة؛ لإتاحتها لي ولكلّ الباحثين المصادر العلميّة القيّمة وبشكل مجّانيّ.

وحسبي أنني بذلت في هذا البحث وسعي فإن أصبت فبتوفيقٍ ومنّةٍ من الله جلّ وعلا، وبما بذله معي الأستاذان المشرفان، وإن أخطأت فالكمال لله وحده، والعصمة لأهلها، وما أنا إلا طالبٌ علمٍ.

وختامًا أدعو البارئ عزّ وجلّ، قائلًا: "اللّهُمَّ إِنَّا نَرْغِبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ، تُعِزُّ بِهَا الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، وَتُذِلُّ بِهَا النِّفَاقَ وَأَهْلَهُ، وَتَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى طَاعَتِكَ وَالْقَادَةِ إِلَى سَبِيلِكَ، وَتَرْزُقُنَا بِهَا كَرَامَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ".

الباحثُ



التّمهيد
اللُّغة النّبويّة، وترجمة
المصنّف الشّيخ محمّد
الرّيشهريّ



التمهيد

اللغة النبوية، وترجمة المصنف الشيخ محمد الرিশهري

أولاً : اللغة النبوية (خصائصها البلاغية وسماتها الأسلوبية)

لم تكن لغة الرسول الكريم محمد (ﷺ) مجرد ألفاظ أو عبارات تُتلى على مسامع الآخرين، وإنما كانت لغةً عُلّا ذات بناءٍ مُحكمٍ ومتجانسٍ، تتألف فيها الأفكار مع الألفاظ، وتتجانس فيها المعاني مع الإيقاع، فتصل الكلمة إلى نفس السامع وتؤدي المعنى دون كدرٍ أو عي. ولا جرم في ذلك فقد مثلت اللغة النبوية انعكاساً لمرآة الوحي وامتداداً لنور المشكاة الإلهية، فجاءت لغته (ﷺ) ممتزجةً بين الفطرة الإنسانية وصفاء الإعجاز الإلهي، ممّا أضفى عليها دقةً في التعبير، وقوةً في التأثير، حتّى غدت لغته (ﷺ) تمثّل القمّة العُلا في بيان اللسان العربي، لا يترفع عليها في البلاغة والفصاحة والروعة سوى كلام الله عزّ وجلّ.

وإذا كان القرآن الكريم شكّل في لغته المعجزة البيانية الخالدة التي عصت على أرباب الفصاحة والبلاغة، وخرقت قراطيس أسماهم، فإنّ الحديث الشريف مثل امتداداً لتلك اللغة الإعجازية، فكان كلامه (ﷺ) متمّماً ومثبّثاً لمعاني القرآن الكريم، ممّا جعله في قمّة البيان والبلاغة البشرية، فكلام الخلق كلّهم دون كلامه (ﷺ)، وقاصرين عن بلوغ بيانه، وعاجزين عن إدراك جوامع كلمه^(١). "ثمّ إنّ هذا البيان العربيّ كأنّ الله عزّرت قدرته مخضه وألقى زبدته على لسان محمّد عليه أفضل صلاة وأوفر سلام فما من خطيبٍ يقاومه إلّا نكص متفكك الرّجل وما من مصقع يناهزه إلّا رجّع فارغ السّجل، وما قرن بمنطقه منطقٌ إلّا كان كالبرذون مع الحصان المطهم، ولا وقع من كلامه شيءٌ في كلام النّاس إلّا أشبه الوضع في نقبة الأدهم"^(٢).

إنّ لغة الرسول محمد (ﷺ) تحمل خصائص وسماتٍ خاصّة تميّز أسلوبه وطرائق أدائه وتراكيبه اللّغوية وصوره الحسيّة؛ إذ إنّ كلام النّبي (ﷺ) خطابٌ متنوّعٌ بحسب المقام الذي يُقال فيه، فتارة يخاطب العقل بالحجّة البينة، والنفس بالترغيب أو الترهيب،

(١) ينظر: المجازات النبوية، مقدّمة المحقّق: ٧، والطراز المتضمّن لأسرار البلاغة: ٥٠١-٥٠٣.

(٢) الفائق في غريب الحديث: ١ / ١١

وتارة يخاطب القلب بالعاطفة، مستعملاً في كل خطابٍ يوجهه (ﷺ) للفرد المسلم تراكيب وأساليب متنوعة، فيها لغة عالية، ودقة متزنة^(١).

ومن هنا فإن دراسة اللغة النبوية لا تقف عند المستوى الديني فحسب، وإنما تتجاوز ذلك إلى تسليط الضوء على الثراء اللغوي وما يتضمنه من طاقة تعبيرية، وسمات أسلوبية، وقوة تأثيرية تسهم في ترسيخ الأفكار والمعاني في أذهان المتلقين؛ لذا سنحاول أن نقف عند أبرز خصائص وسمات كلامه (ﷺ)، ونكشف عن عمق وجمال هذه اللغة التي هي امتداداً للغة القرآن الكريم.

وأولى تلك السمات هي تميز كلامه (ﷺ) بالفصاحة والبلاغة؛ ونقصد بالفصاحة خلو الكلام من "ضعف التأليف، وتنافر الكلمات، والتعقيد، مع فصاحتها"^(٢)، وأمّا البلاغة، فهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع شرط فصاحة الألفاظ المستعملة في الكلام، أو هي حسن التعبير عن المعاني، مع تمكّن المتكلم من استعمال التراكيب المناسبة والأساليب البلاغية المختلفة استعمالاً دقيقاً في سياقات ملائمة لها، مع الحفاظ على جوهر المعنى ووضوحه^(٣)، وهاتان الميزتان في حديثه (ﷺ) المبارك يفوقان ما عُرف عن بلغاء العرب، فهم "إن هذبوا الكلام وحذّوه وبالغوا في إحكامه وتجويده، إلّا أنّ ذلك قد كان منهم عن نظرٍ متقدّم، ورؤية مقصودة، وكان عن تكلفٍ يُستعان له أسباب الإجابة التي تسمو إليها الفطرة اللغوية فيهم"^(٤).

فالفصاحة في كلامه (ﷺ) لم تكن عن تكلفٍ، أو قصدٍ من ورائه تزيين، وإنما عن فطرةٍ وسرٍ رباني، فهي مطبوعة في كلامه انطباعاً، لا يشوبها كدرٌ ولا عيٌّ؛ إذ انقادت الفصاحة إليه انقياداً، واجتمعت إليه دون غيره اجتماعاً، حتّى صار كلامه مثال الفصاحة، وجوهر البلاغة، وصار العلامة التي يعرف بها حسن البيان، والعنوان الدال على الاتزان^(٥).

(١) ينظر: معالم البيان في الحديث النبوي (بحث منشور): ٨٦.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة: ٧٤.

(٣) ينظر: مفتاح العلوم: ٦٥٢ - ٦٥٣، والتلخيص في علوم البلاغة: ١٠.

(٤) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ٢٨١.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢٨٢.

فما أروع ما قاله الجاحظ (٢٥٥هـ) في وصف كلامه (ﷺ): "هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجلَّ عن الصنعة، ونَزَّه عن التكلف... فكيف وقد عاب التشديق، وجانب أصحاب التّعيب، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهَجَرَ الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي" (١).

إن فصاحة النبي الأعظم وبلاغته، وما يحتويه كلامه من لغة عالية، ومعاني سامية، لم يتفوّه بها أحد من قبله أو بعده سواء أكان من العرب أم من العجم، فلم يستطع أحد من بلغاء العرب أن يبلغها، بل كل أرباب الفصاحة والبلاغة عاجزون عن بلوغها وإن تكلفوا ذلك فهم في محطّ التناقص، وكل ما يُقال من فصاحة في غيره (ﷺ) تقل عن بلوغ الكمال (٢). يقول يونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ): "ما جاءنا عن أحد من روائع الكلم ما جاءنا عن رسول الله" (٣).

إن فصاحة الرسول (ﷺ) لم تقتصر على أسلوبه العالي، ومعانيه السامية، وتوظيفه الألفاظ لتؤدي المعاني المناسبة للمقام، وإنما تجاوزت فصاحته كل ذلك إلى طريقة أدائه؛ إذ كانت على درجة من الكمال، والخلو من العيوب، فكان (ﷺ) ضليع الفم، لا يقتصر على تحريك الشفتين فحسب، وإنما يستعمل فمه كله إذا تكلم. يغلب عليه السكوت الطويل، لا يتكلم إلا لحاجة، وإن تكلم فلا يسرد في كلامه؛ بل يتمهل ليفصل ويبين (٤)، كأن "منطقه خرزات نضمن" (٥). فضلاً عن ذلك فقد كان (ﷺ) "جَهير الصوت، حسن النغمة" (٦).

وقد وصفت السيدة عائشة فصاحة نطقه بقولها: "ما كان رسول الله (ﷺ) يسردُ سرّكُم هذا، ولكنّه كان يتكلم بكلام يُبينه فصل، يحفظه من جلس إليه" (٧). فلا جرم بأن يكون "منطقه (ﷺ) على أتم ما يتفق في طبيعة اللغة وينتهي لها إحكام الضبط

(١) البيان والتبيين: ١٣ / ٢.

(٢) ينظر: البيان المحمدي: ٧.

(٣) البيان والتبيين: ١٤ / ٢.

(٤) ينظر: التصوير الفني في الحديث النبوي: ٢٢، والحديث النبوي مصطلحه، بلاغته، كتبه: ٥٦.

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ١٢٥.

(٦) المصدر نفسه: ١٢٥.

(٧) سنن الترمذي: ٢٣١ / ٦.

وإتقان الأداء: لفظ مشبع، ولسان بليغ، وتجويد فخم، ومنطق عذب، وفصاحة متأدية، ونظم متساوق، وطبع يجمع ذلك كله، مع تثبت وتحفظ وتبيين وترسل وترتيل" (١).

وهذه الفصاحة التي هي من أعذب صور البيان الإنساني هي توفيق وإلهام من عزيز مقتدر^(٢)؛ إذ كانت فصاحته (عليه السلام) بذلك الإلهام الإلهي "غاية لا يدرك مداها، ومنزلة لا يداني منتهاها، وكيف لا يكون ذلك وقد جعل الله تعالى لسانه سيفاً من سيوفه يبين عنه مراده ويدعو إليه عباده" (٣).

فضلاً عن عوامل أخرى أسهمت في علو فصاحته، منها استرضاعه (عليه السلام) في قبيلة سعد بن بكر^(٤)؛ إذ قال: (عليه السلام) "أنا أعرب العرب، ولدتني قريش، ونشأت في بني سعد بن بكر"^(٥). ومنها تشربه بلغة القرآن الكريم ومعانيها، تلك اللغة الإعجازية التي أعجزت العرب عن بلوغ فصاحتها وبلاغتها.

إن من حكمة الله تعالى أنه خصَّ رسوله الكريم (عليه السلام) برسالته السماوية السمحاء، وأنعم عليه بالبيان المحض، والفصاحة الغلا، والمنطق البين، والعصمة من الزلل والخل؛ إذ إن "من لوازم هذه الصورة البيانية في هذه الرسالة أن يكون رسول الله (عليه السلام) أفصح العرب وأبلغ من نطق بالضاد. وأن يكون في الذروة العليا من البيان الإنساني، فيعطيه الله تعالى جوامع الكلم ويختصر له الكلام اختصاراً"^(٦)، والله تعالى أعلم حيث يضع الفضل كله.

إن جوامع الكلم التي خصَّ بها الله تعالى رسوله الأمين، تتمثل بالإيجاز الذي يُعدُّ المظهر البلاغي لجوامع الكلم، فهو الخصيصة الأسلوبية التي يتميز بها كلامه (عليه السلام)، فهذه الخصيصة تعكس لنا عبقرية البيان النبوي؛ كونها الأداة التي امتلك بها الرسول (عليه السلام) ناصية اللغة، حيث تأديته للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، والتراكيب الموجزة،

(١) إيجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية: ٢٩٦-٢٩٧.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٨٣.

(٣) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، القسطلاني: ١٨-١٩.

(٤) ينظر: سيد المرسلين، جعفر سبحاني: ١/ ٢١٦.

(٥) المعجم الكبير، للطبراني: ٦/ ٣٦.

(٦) البيان النبوي سمات ونصوص: ٤٩.

المشبعة بالدلالات الموسعة، والوافية للغرض المقصود، وكل ذلك من غير كدرٍ أو تكلفٍ^(١).

ولا يؤتى كل ذلك إلا لذوي الحدة في الذهن، والإحساس المرهف في البيان، والإدراك الواعي والحسن لأحوال المخاطبين، وللمقام الذي يُقال فيه الخطاب. وهذا مما اجتمع في كلامه (ﷺ) اجتماعاً على أتم ما يكون^(٢)، فلم يُعرف عن النبي الأعظم إلا "اجتماع الكلام وقلة ألفاظه، مع اتساع معناه وإحكام أسلوبه في غير تعقيدٍ ولا تكلفٍ، ومع إبانة المعنى واستغراق أجزائه"^(٣).

ومن الأحاديث المباركة التي جاءت بعبارة موجزة حملت دلالاتٍ موسعة، ومعاني جمّة، قوله (ﷺ): "كل معروف صدقة"^(٤). فالحديث المبارك "سهل المأخذ، قريب المتناول، موجز العبارة، لو عدّه العاد... لأحصاه"^(٥)؛ إذ إنّ هذه العبارة الموجزة حملت تكثيفاً دلاليّاً، فقد دلّت ألفاظها المحدودة على معانٍ واسعة، ومثل هذا وغيره كثيراً من أحاديثه المباركة قلّ نظيرها في كلام باقي البشر^(٦)، ولو أراد غير النبي الكريم (ﷺ) أن يعطي ما أعطاه هذا الحديث من معنى لاحتاج أن يبسط الكلام حتّى يفي ما يحمله هذا الحديث من معانٍ واسعة، وهذا هو جوامع الكلم، الذي خُصّ به الرسول الكريم (ﷺ) من دون غيره.

ومنها قوله (ﷺ): "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى"^(٧). فالحديث المبارك جاء بعبارة موجزة، أحاطت بالمعاني البليغة، والألفاظ الفصيحة، يعجز فصحاء العرب وبلغائها عن الإتيان بها أو الإحاطة بمحاسن لطائفها.

فالحديث لم يقتصر على اختصار الكلام فحسب؛ وإنما جاء مكثفاً دلاليّاً، وهذا هو فحوى (جوامع الكلم) وجوهره، أي الجمع بين اختصار الكلام وبين المعاني الموسعة

(١) ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة: ٥٤٨، والبلاغة النبوية: ٢١٩، وجواهر البلاغة: ١٩٧.

(٢) ينظر: الحديث النبوي مصطلحاته، بلاغته، كتبه: ١٠٦.

(٣) إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية: ٣٠٠.

(٤) صحيح مسلم: ٦٩٧/٢.

(٥) البلاغة النبوية: ٢٥٥.

(٦) ينظر: البيان المحمدي: ٧١٦-٧١٨.

(٧) حكم النبي الأعظم: ١٥٥/٥، وينظر: سنن الترمذي: ٤٥٧/٣.

والدَّلالات المكتنفة، فهذا الحديث يدخل في أبواب كثيرة من أبواب الفقه؛ نتيجة للتّساع الدَّلالي الذي تضمّنه^(١).

قال أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ) بعد أن أورد أحاديث مباركة تحمل إيجازاً بليغاً: "فمعاني هذا الكلام أكثر من ألفاظه، وإذا أردت أن تعرف صحّة ذلك فحلّها وابنها بناءً آخر؛ فإنّك تجدها في أضعاف هذه الألفاظ"^(٢).

بيد أنّ الرّسول (ﷺ) كان في بعض المواضع يسلك طريق الإطناب، فيطيل الكلام إذا رأى المقام يتطلّب إطالةً أكثر وتوضيحاً أدق؛ ولكنّ إقلال الكلام وإيجازه هو السّمة المطردة على حديثه (ﷺ)^(٣).

ولأنّ الرّسول (ﷺ) "لم يتكلّم إلّا بكلامٍ قد حُفّ بالعصمة"^(٤) فقد خلا كلامه (ﷺ) من الحشو، والزيادة، والتّكرار الذي لا فائدة له؛ لأنّ كلّ ذلك يؤدّي إلى ركافة الكلام.

أمّا التّكرارات التي عمد إليها الرّسول الأعظم (ﷺ)، فقد جاء بها ليدلّ على التّوكيد والتّحقيق، وليقطع بها الطّريق إلى التّأويل، والاختلاف والتّضليل. وهذا التّكرار إنّما يعتمد إليه في الموضوعات أو الأحداث الخطيرة، أو عمل يكون له شأنٌ عظيم؛ ليحفظ عنه الكلام ويُعقل، ويكون أكثر توضيحاً عن طريق تكراره^(٥).

ويبيّن لنا الخطابي (٣٨٨هـ) الفائدة من التّكرار بقوله: "وإنّما يحتاج إليه ويحسن استعماله في الأمور المهمّة التي تعظم العناية بها ويخاف بتركه وقوع الغلط والنّسيان فيها والاستهانة بقدرها"^(٦).

ومن ذلك التّكرار ما ورد في قوله (ﷺ): "أَلَا أُنبِئُكُمْ بِأكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ (ثَلَاثًا) الْإِشْرَاكُ بِاللّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، (أَوْ قَوْلُ الزُّورِ) وَكَانَ رَسُولُ (ﷺ) مُتَكَبِّراً فَجَلَسَ. فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ"^(٧).

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ابن رجب الحنبلي: ١ / ٥٠.

(٢) الصّناعتين (الشّعر والنثر): ١٧٨.

(٣) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة: ٣٠٢.

(٤) البيان والتبيين: ١٣ / ٢.

(٥) ينظر: البيان النّبويّ سمات ونصوص: ٨١، وعبريّة محمّد: ٧١.

(٦) بيان إعجاز القرآن، للخطابي: ٥٢.

(٧) صحيح مسلم: ١ / ٩١.

نلاحظ أنَّ التكرار في الحديث المبارك لم يكن حشواً لا فائدة منه، وإنما أدى وظيفةً بلاغيةً مقصودةً، ففي التكرار الأول أراد فيه الرسول (ﷺ) أنَّ يشدَّ انتباه المتلقين لخطورة ما سيقوله، ويثير في نفوسهم نوعاً من التشويق. وفي الثاني رسَّخ الرسول الكريم (ﷺ) الفكرة في أذهان المتلقين، وليدلَّ بتكرارها على الأمر الكبير والخطير وهو (شهادة الزور) وما لها من نتائج سلبية على المجتمع.

وكان الرسول (ﷺ) يبغض الثثرة والتشدد في الكلام، ويبغض الإطالة التي لا فائدة فيها، التي تتجاوز مقدار القصد^(١)؛ إذ قال (ﷺ) في بغضه للثرثرة: "إِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْغَضَكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَاوُونَ وَالثَّشْدِقُونَ وَالثَّقِيهُونَ"^(٢).

إنَّ الألفاظ التي يستعملها الرسول (ﷺ) في حديثه المبارك لم تكن ألفاظاً غريبةً يجهلها المتلقي أو يواجه عنثاً في فهمها وبيانها؛ بل كانت ألفاظاً عذبةً، سهلة الفهم والحفظ، خاليةً من الغموض وعيوب المبالغة، كما تخلص من الحيلة والزخرفة، وتصل إلى السامع دون مشقة أو عنث؛ لأنَّ الرسول (ﷺ) يريد أن يبلِّغ ويهدي، والهداية والإبلاغ لا تكون بالألفاظ الغريبة والمزخرفة؛ وإنما بالألفاظ سهلة عذبة تترك أثراً في نفس المتلقي^(٣)، فكانت "ألفاظه" (ﷺ) هي السهلة العذبة^(٤)، الخالية من الغريب والمبهم؛ إذ كان (ﷺ) "يَتَخَيَّرُ فِي خِطَابِهِ وَيَخْتَارُ لِأَمْتِهِ أَحْسَنَ الْأَفْظَانِ وَأَجْمَلَهَا، وَأَلَطَفَهَا، وَأَبْعَدَهَا مِنْ أَلْفَافِ أَهْلِ الْجَفَاءِ وَالْغُلْظَةِ وَالْفُحْشِ"^(٥).

لم يكن تخير الرسول (ﷺ) للألفاظ اللطيفة، والسهلة العذبة، إلا ليلئم مقام الحال، وليؤدِّي بها المعنى بأبهى صورة، فجاءت الألفاظ داخل تضاعيف كلامه (ﷺ) بعيدةً عن التكلف أو النقص، مناسبةً للمقام المقصود، منسجمةً انسجاماً تاماً مع المعاني^(٦). ولا غريب في ذلك، فقد كان (ﷺ) "أفصح العرب لساناً، وأوضحهم بياناً، وأعذبهم

(١) ينظر: البلاغة في السنة النبوية دراسة تحليلية في الحديث النبوي: ٥١.

(٢) سنن الترمذي: ١١٢ / ٤.

(٣) ينظر: عبقرية محمد: ١١٠، والبلاغة في السنة النبوية: ٥٧.

(٤) الصاحبي: ٣٤.

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد: ٢ / ٣٢٠.

(٦) ينظر: البلاغة في السنة النبوية: ٥٧.

نُطْقًا، وأسَدَّهم لفظًا، وأَبَيَّنَهم لهجَةً، وأَقْوَمَهم حُجَّةً، وأَعَرَفَهم بمواقع الخطاب، وأَهْدَاهم إلى طُرُق الصَّواب تأييداً إلهيًّا، ولُطْفًا سماويًّا. وعنايةً ربَّانية، ورعايةً رُوحانية" (١).

فمن ذلك قوله (عليه السلام): "الجنَّة تحت ظلالِ السَّيُوف" (٢)، فالألفاظ في الحديث المبارك جزلةٌ، عذبةٌ، موجزةٌ، أدَّت المعنى بصورة واضحةٍ دون تكلفٍ أو عيٍ.

علَّق القرطبي (٦٥٦هـ) على هذا الحديث قائلاً: "هذا من الكلام النَّفيس البديع، الَّذي جمع ضروب البلاغة من جزالة اللَّفظ، وعذوبته، وحسن استعارته، وشمول المعاني الكثيرة، مع الألفاظ المعسولة الوجيزة؛ بحيث تعجز الفصحاء اللُّسُنُ البلغاء عن إيراد مثله، أو أن يأتوا بنظيره وشكله" (٣).

كما أنَّ الألفاظ الَّتِي يتخيَّرها الرَّسول (عليه السلام) في كلامه تتميز بالجزالة والقوَّة، والرِّقة والرَّشاقة، والمقام هو الفيصل الَّذي يحدِّد استعمال الجزل من الرِّقيق.

أمَّا الألفاظ الجزلة، فهي تستعمل في سياقاتٍ تتضمَّن أمورًا عظيمةً، فيها من التَّهديد والوعيد ما فيها. وأمَّا الألفاظ الَّتِي فيها رِقَّةٌ، فهي تستعمل في سياقاتٍ يرد فيها معنى الرَّحمة والبشارة والتَّلطُّف والتَّحنُّن (٤).

ومن استعماله (عليه السلام) الألفاظ الجزلة قوله (عليه السلام): "يا بن آدم تُؤْتَى كُلَّ يومٍ برزقك وَأَنْتَ تَحْزَنُ، وَيَنْقُصُ كُلُّ يومٍ من عَمْرِكَ وَأَنْتَ تَفْرَحُ، أَنْتَ فيما يكْفِيكَ وتطلبُ ما يُطْعِمُكَ لا بقليلٍ تَفْنَعُ، ولا من كثيرٍ تَشْبَعُ" (٥). فتأمل جزالة الألفاظ وقوَّة الأسلوب وسمو البلاغة، البلاغة، الَّتِي وظفها الرَّسول (عليه السلام) في حديثه عن التَّحذير من الغفلة والانغماس في ملذَّات الدُّنيا قبل حلول أجل الإنسان.

ومثال الرِّقة في الأسلوب قوله (عليه السلام): "رحم الله امرءًا تكلم فغنم، أو سكت فسلم، إنَّ اللسان أملك شيءٍ للإنسان" (٦). فانظر الرِّقائق في كلامه (عليه السلام)؛ إذ استعمل عليه

(١) النِّهاية في غريب الحديث والأثر: ١ / ٤.

(٢) صحيح البخاري: ٣ / ١١٠١.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي: ٣ / ٥٢٥.

(٤) ينظر: الطَّرَاز المتضمَّن لأسرار البلاغة: ٥٨.

(٥) بحار الأنوار: ٧٤ / ١٧٠.

(٦) المصدر نفسه: ٧٤ / ١٧٨.

الصلاة والسلام ألفاظاً رفيعة سهلة، أدت معنى سلساً ورشيقاً، وهو الحث على ضبط اللسان وعدم التكلم إلا لفائدة يؤجر عليها.

وهذه الألفاظ السهلة، الرفيعة، العذبة، منزهة عن التكلف الذي يشوب فصحاء العرب، وأرباب الصنعة؛ إذ إن ألفاظه (ﷺ) "لا يشوبها كدر العي ولا يطمس رونقها التكلف ولا يمحو طلاوتها النقيع" (١).

فقد عصم الله عز وجل نبيه الكريم من التكلف والصنعة، فلم "يرغبه في صنعة الكلام، والتعبّد لطلب الألفاظ، والتكلف لاستخراج المعاني" (٢)؛ إذ نفى الله جل وعلا التكلف عن نبيه؛ فقال في محكم كتابه العزيز: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (٣)؛ لأنّ تكلف الكلام يضيف على صاحبه استتقلاً، وظلاً من الكراهية، ونفوراً لدى السامع، حتّى وإن كان المتكلم ينطق صواباً (٤). لذا جاءت عبارات الرسول الأعظم (ﷺ) خالية من التكلف والتّعثر والإغراب، محرّرة من كلّ قيد، وقد غلب عليها صفة السهل الممتنع، القريب من الأذهان، الممتع للسامع (٥).

إنّ بعد الرسول (ﷺ) عن التكلف والتشّدق والإغراب منح كلامه (ﷺ) مكانة رفيعة، وقبولاً واسعاً لدى الناس عمومهم؛ لأنّه "الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام" (٦).

فالذين كانوا يستمعون إلى كلامه (ﷺ) "إنّما كانوا يستمعون إلى كلام نبي محبوب مطاع. فهو نافذ في نفوسهم بغير حيلة، مستجمع لأسماعهم بغير تشويق" (٧). وهذا النفاذ إلى النفوس، وتشوّق المسامع إليه، هو نتاج العصمة الإلهية للنبي (ﷺ)،

(١) المجتبي، ابن دريد: ٢.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ٣٠٥.

(٣) سورة ص، آية: ٨٦.

(٤) ينظر: البلاغة النبوية: ٢٥٥.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢٥٥.

(٦) البيان والتبيين: ١٣ / ٢.

(٧) عبقرية محمد: ٧٣.

ونحتاج الأسلوب اللغويّ البين الذي استعمله؛ إذ جمع في ذلك الأسلوب جزالة اللفظ ووضوح الدلالة، وبهذا الجمع ملك مفاتيح قلوبهم، ففتح مغاليقها إلى النور والخير ^(١).

ثمَّ أنَّ الألفاظ التي يستعملها (ﷺ) مساوية للمعنى، فكلُّ لفظٍ قد استعمله في مكانه بدقّة متناهية من غير إفراطٍ ولا تفريطٍ، فالكلمات التي يقتضبها لها مقدارٌ مقصودٌ من المعنى ^(٢).

ومن ذلك قوله (ﷺ): "ألا أحدثكم بأحبكم إليّ وأقربكم مني مجالس يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقاً المؤطّون أكنافاً الذين يألّفون ويؤلّفون، ألا أخبركم بأبعضكم إليّ وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة، الثّثارون المتقيّهون" ^(٣)، وقد علّق يحيى بن حمزة العلوي (٧٤٩هـ) على هذا الحديث بقوله: "فانظر إلى حبه، فما أعدّله، وإلى بغضه، ما أقومّه، فأعطى المحبّ ما يليق به، وأعطى المبغض ما يستحقّه، من غير إفراطٍ في الجانبين، ولا تفريطٍ في حقّهما" ^(٤).

كما أنَّ المعاني التي يتضمّنّها الحديث المبارك هي معاني فخمة. وفخامة المعنى متوقفة على توظيف الألفاظ ذات الدلالات العميقة في فضاء النصّ، فعلى قدر فخامة المعنى يكون اختيار الألفاظ التي تخدم القصد من وراء النصّ ^(٥)، وهذا ما نجده في كلامه (ﷺ)؛ إذ كان كلامه "طرازاً فريداً جمع بين سمو الغايات، وفخامة المعاني، ووضوح الأفكار، وجمال التعبير، مع الإيجاز وحسن الاختيار في الألفاظ" ^(٦).

فمن ذلك قوله (ﷺ): "الدنيا سجنٌ المؤمن وجنّة الكافر" ^(٧)، فتأمّل ما للحديث من فخامة المعنى، ودقّة في اختيار الألفاظ، وحسن الرّبط بين هذه المعاني الفخمة والألفاظ الجزلة؛ إذ صوّر لنا الحديث المبارك حقيقة الحياة الدّنيا بصورةً بليغةً اختزل فيها النّظرة الدّينيّة إلى الحياة الدّنيا التي هي دار زوالٍ.

(١) ينظر: الحديث النبويّ مصطلحه، بلاغته، كتبه: ٦٥.

(٢) ينظر: الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة: ٣٤٦، وعبقريّة محمّد: ٧١.

(٣) الكامل في اللغة والأدب: ٨ / ١، وينظر: مسند الإمام أحمد ابن حنبل: ١٩٣ / ٤.

(٤) الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة: ٣٤٦.

(٥) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة: ٣٢٩، والخصائص البلاغيّة للبيان النبويّ: ١٩١.

(٦) معالم البيان في الحديث النبويّ (بحث منشور): ٧١.

(٧) صحيح مسلم: ٢١٠ / ٨، وينظر: حكم النّبيّ الأعظم: ٣٤٥ / ٧.

ومن بين السمات التي يتميز بها الحديث الشريف تنوع تراكيبه اللغوية، وصيغته التعبيرية، فلم يكن كلامه (ﷺ) على سمتٍ واحدٍ؛ بل تنوعت تراكيبه وأساليبه بتنوع المقام، فكانت بين خبر وإنشاء، وأمر ونهي، وشرط واستفهام وغير ذلك من التراكيب. وهذا التنوع يؤدي وظيفة دلالية جوهريّة تسهم في خدمة مقاصد الحديث الشريف، ويضفي قوةً بلاغيةً على أساليبه^(١). فجاء أسلوبه اللغوي "مُسَدَّدَ اللَّفْظِ مُحْكَمَ الْوَضْعِ جَزَلَ التَّرْكِيْبِ، مُتَنَاسِبَ الْأَجْزَاءِ فِي تَأْلِيْفِ الْكَلِمَاتِ، فَخَمَ الْجُمْلَةَ، وَاضَحَ الصَّلَةَ بَيْنَ اللَّفْظِ وَمَعْنَاهُ وَاللَّفْظِ وَضَرْبِهِ فِي التَّأْلِيْفِ وَالنَّسْقِ...حَسَنَ الْمَعْرِضِ، بَيَّنَّ الْجُمْلَةَ، وَاضَحَ النَّقْصِيلِ، ظَاهَرَ الْحُدُودِ، جَيَّدَ الرَّصْفَ"^(٢).

كما أنَّ الأصوات داخل كل تركيبٍ منسجمةً انسجامًا تامًّا، ومتناغمةً مع المعنى. فالكلمات التي تنتظم في الجملة الواحدة تتمتع بجرسٍ موسيقيٍّ بديعٍ وأخاذٍ، تتناغم فيه الألفاظ مع المعاني، ممَّا يترك أثرًا في نفس المتلقِّي^(٣). فمن ذلك قوله (ﷺ): "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ"^(٤) فتأمل الحديث الشريف، ما أجمل موسيقاه الداخليّة، وما أروع تناغمها مع المعاني، وما أدقّ الترابط بين أجزائه.

ومنها قوله (ﷺ) "إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُعْرِغْ"^(٥). فأصوات فأسوات الفعل (يُعْرِغُ) تحاكي خروج الرّوح وغرغرة المحتضر في حنجرته، فالموسيقى الداخليّة أسهمت في تصوير المعنى وتقريبه إلى ذهن المتلقِّي^(٦).

ومن جملة ما يمتاز به الحديث الشريف هو التّصوير الحسيّ الموحّي والتّشبيه الموضّح؛ إذ تحمل هذه الميزة معنىً فخماً، وتترك أثرًا بليغاً في نفس المتلقّي، فالرسول (ﷺ) حين يريد إيصال وتقريب معنى ما، ويريد لذلك المعنى أن يترك أثرًا قويًّا في

(١) ينظر: معالم البيان في الحديث النبوي (بحث منشور): ١٠٩.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ٣٢٥.

(٣) ينظر: الحديث النبوي مصطلحه، بلاغته، كتبه: ٩٠-٩١، والخصائص البلاغية للبيان النبوي: ٩٨-١٠١.

(٤) حكم النبي الأعظم: ١/ ٢٣٠.

(٥) رياض الصالحين: ١٥.

(٦) ينظر: التصوير الفني في الحديث النبوي: ٥٣٥.

نفوسهم يعمد إلى استعمال الصورة الحسية من الحياة اليومية للناس؛ حتى يكون المعنى أكثر قرباً إليهم، وأكثر وضوحاً لهم، وأكثر تأثيراً في نفوسهم^(١). فقد ذكر عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) أن من بين الأمور التي تزيد فخامة المعنى وتجعله أكثر جمالاً، وأكثر تقبلاً لنفوس المتلقين، وتأثيراً في مشاعرهم هو التشبيه^(٢).

ومن ذلك التصوير الحسي قوله (ﷺ): "مَثَلُ الَّذِي يُعَلِّمُ الْخَيْرَ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ، مَثَلُ السِّرَاجِ الَّذِي يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيُحْرِقُ نَفْسَهُ"^(٣). فالرسول (ﷺ) عمد إلى تصوير الفكرة بعنصر محسوس ومألوف في الحياة اليومية للعرب، وهو (السراج). فجسد المعنى بمشهد حي، سراج يمنح النور للناس؛ بيد أنه يحترق في الوقت نفسه، فهذا التصوير البديع كان المعنى وهو (نفع الناس وضرر النفس) أكثر قوة وفخامة وترسيخاً في أذهان المتلقين^(٤).

ومنها قوله (ﷺ): "رَفَقًا بِالْقَوَارِيرِ"^(٥)، فهذا الحديث الشريف من أروع وأجمل صور صور التصوير الحسي؛ إذ استبدل الرسول (ﷺ) لفظة (القوارير) بلفظة (النساء)، وهذه استعارة عجيبة؛ لأنه عليه الصلاة والسلام شبه النساء في ضعف النحائز، ووهن الغرائز، بالقوارير الرقيقة التي يوهنها الخفيف، ويصدعها اللطيف^(٦)؛ إذ إن هذا التصوير الحسي الذي عمد الرسول الكريم إليه جعل المعنى يُرى ويُسمع بصورة حسية مرئية ملموسة أقرب إلى الذهن وأكثر تأثيراً في النفس.

ومن السمات التي ميّزت كلامه (ﷺ) هو الحوار الجيد، والممتع، والشيق، الذي يقوم على ركيزتين أساسيتين (التركيز والإيجاز). فالرسول (ﷺ) اتخذ الحوار في كلامه أداة تعليمية، يحرك بها أذهان المتلقين للموضوع الذي يروم التحدث فيه^(٧).

(١) ينظر: وحي الرسالة: ٣ / ١٠٨ ، والحديث النبوي مصطلحه، بلاغته، كتبه: ٧٢-٧٣.

(٢) ينظر: أسرار البلاغة: ١١٨.

(٣) بحار الأنوار: ٢ / ٣٨.

(٤) ينظر: التصوير الفني في الحديث النبوي: ٥٥٦.

(٥) بحار الأنوار: ٢٢ / ٢٦٣.

(٦) المجازات النبوية: ٤٤.

(٧) ينظر: الحديث النبوي مصطلحه، بلاغته، كتبه: ٩٦-٩٧.

ومن طرائق الحوار التي كان يعتمد عليها في حواراته عليه الصلاة والسلام هو توجيه سؤالاً لأصحابه يستفهم فيه عن أمرٍ ما، ثم يناقشهم في مضمون ذلك الحوار، كما في قوله (ﷺ): "أتدرون من المُفْلِس، قالوا: المُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا ذِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضْرَبَ هَذَا، فَيَقْتَصُ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصَّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَايَا، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ" (١).

فهذا الحديث المبارك أنموذجاً للحوار التعليمي بين الرسول (ﷺ) وأصحابه. فالرسول لم يبدأ حديثه بتعريف المفلس الحقيقي، وإنما عمد إلى سؤالهم عن المفلس؛ ليتترك مساحةً من التفكير حتى يجيبوا على سؤاله، ثم ينتقل (ﷺ) بعد ذلك ليوضح ويبين معنى أكثر عمقاً ودقة من معنى الجواب الذي ذكره، كما أن الرسول (ﷺ) لو ذكر مفهوم المفلس دون أن يستفهم عنه، لفقد الحديث السمة التعليمية، ولفقد ميزة إيقاظ الذهن، ورسوخ المعنى فيه.

وقد يتبع في حوار (ﷺ) أسلوب الاستثارة والتشويق، فمن ذلك قوله (ﷺ): "ألا أخبركم بشيءٍ إن أنتم فعلتموه تَبَاعَدَ الشَّيْطَانُ مِنْكُمْ كَمَا تَبَاعَدَ الْمَشْرِقُ مِنَ الْمَغْرِبِ؟ قالوا: بلى، قال: الصَّوْمُ يُسَوِّدُ وَجْهَهُ، وَالصَّدَقَةُ تَكْسِرُ ظَهْرَهُ، وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْمُؤَاوَزَةُ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ يَقْطَعَانِ دَابِرَهُ، وَالِاسْتِغْفَارُ يَقْطَعُ وَتِيئَهُ" (٢).

نلاحظ أن الرسول قد بدأ كلامه المبارك بأسلوب تشويقي وهو (ألا أخبركم بشيءٍ إن أنتم فعلتموه تَبَاعَدَ الشَّيْطَانُ مِنْكُمْ؟) إذ إن ما يكون سبباً لتباعد الشيطان، هو مطمع يسعى إليه كل مسلم. فجاء الحوار مُستَهلاً باستفهام تشويقي، هياً فيه الرسول أذهانهم وشد انتباههم لسماع ما سيقوله من تقرير. فجاء الحديث المبارك بهذا الأسلوب التشويقي متميزاً بالدقة الموجزة، وترك التعمق والتوسع، واتبع أسلوب استثارة الوجدان الإنساني، مع إعطاء ذلك الوجدان ما يشبعه ويقنعه ويرضيه (٣).

(١) سنن الترمذي: ٤ / ٤١٩.

(٢) حكم النبي الأعظم: ٣ / ٣٦٣.

(٣) ينظر: البلاغة النبوية: ٢٢٣.

ومما تمايز به الحديث الشريف من سماتٍ بديعيةٍ وأسلوبيةٍ، حُسن التّخلّص، وهو "أن يسرد النّاطم والنّاثّر كلاهما في مقصدٍ من المقاصد غير قاصدٍ إليه بانفراده، ولكنه سببٌ إليه ثم يخرج فيه إلى كلامٍ هو المقصود، بينه وبين الأوّل عُقْةٌ ومناسبة" (١)، وهذا ما نجده في كلام الرّسول ﷺ حين يتكلّم

ومن ذلك قوله (ﷺ): "إنكم في زمانٍ هدنة، وأن السّير بكم سريع، وقد رأيتكم اللّيل والنّهار كيف يبليان كلّ جديدٍ، ويقربان كلّ بعيدٍ ويأتیان بكلّ موعودٍ... فإذا التبتت عليكم الأمور كقطع اللّيل المظلم فعليكم بالقرآن فإنّه شافعٌ مشفعٌ، وصادقٌ مصدّقٌ، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنّة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النّار، وهو أوضح دليل إلى خيرٍ سبيل" (٢). فقد علّق يحيى بن حمزة العلويّ (٧٤٩هـ) على هذا الحديث المبارك بقوله: "فانظر إلى ما أودعه في هذا الكلام من التخلّص الرّائق، فبينا هو يذكر حال اللّيل والنّهار وحكماهما في المكونات؛ إذ خرج إلى حال القرآن ووصفه، وأنّه فيه الإيضاح لكلّ مشكلٍ، وبيانٌ لكلّ أمرٍ ملتبسٍ، تخلّص إلى ذكره بأحسن تخلّص" (٣).

ومن جملة ما تتمايز به لغة النّبيّ الأعظم (ﷺ) هي الأصالة والجذّة، التي تقوم على ركنين أساسيين أحدهما خصوصية اللفظ، والآخر طرافة العبارة. فأما خصوصية اللفظ، فيقصد بها "دلالته التّامة على المعنى المراد، ووقوعه الموفّق في الموقع المناسب، وآية مطابقته لمعناه ومبناه أنّك لا تستطيع أن تبدله ولا أن تنقله" (٤).

وأما طرافة العبارة، فأساسها "الابتكار في حكاية الخبر، وتصوير الفكر، وتقويم الموضوع، وهيهات أن تجد الكلمة المبتكرة التي تثير الإعجاب، وتحدث الأثر، وتحرك الفتنة إلّا إذا وجدت الكلمة الخاصّة التي تحدّد الفروق و تحدّد العلاقة وتبعث الحركة" (٥).

(١) الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة: ٣٦٠.

(٢) بحار الأنوار: ١٧٧ / ٧٤.

(٣) الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة: ٣٦٥.

(٤) الحديث النّبويّ مصطلحه، بلاغته، كتبه: ١١٦.

(٥) المصدر نفسه: ١١٦.

إنَّ خصوصيَّة الألفاظ، وجَدَّة وطرافة العبارات، يحقّقان السَّمة الجوهريَّة في الأسلوب حتَّى يتَّصف بالبلاغة ^(١)، فقد تجلّت هذه السَّمة الجوهريَّة "فيما كان ينهجه الرّسول من المذاهب البيانيَّة، ويرتجله من الأوضاع التّركيبية ويضعه من الألفاظ الاصطلاحيَّة... ولتمكّن الأصالة فيه كان يقتضب ويتجوّز ويشتقّ ويبتدع، فيصبح ما أمضاه من ذلك حسنةً من حسنات البيان، وسراً من أسرار اللّسان، يزيد في ميراث اللّغة" ^(٢).

إنَّ أصالة الألفاظ وجدّتها تتمثّل بالعبارات البليغة والتّراكيب الجميلة التي ارتجلها الرّسول (ﷺ) ولم يسبقه إليها غيره، على أن جدّة تلك العبارات والتّراكيب ليست بألفاظها، وإنّما في استعمال هذه الألفاظ في معنى جديدٍ وبليغٍ، لم تكن العرب تستعمله قبل الرّسول الكريم ^(٣). فكلّ كلمةٍ يقتضبها لها مقدارٌ مقصودٌ من المعنى، تخلو من الحيلة والزّخرفة، وتصل إلى السّامع دون مشقّةٍ في فهم المعنى المقصود من اللفظ ^(٤).

ومن ذلك قوله (ﷺ): "لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ" ^(٥)، إنَّ المعنى الذي رسمه الحديث الشّريف والمتمثّل بصورة تكرار اللّدغ من حجرٍ معينٍ، لم يكن مألوفاً لدى العرب، فهذا المعنى مثّل جدّةً وابتكاراً لم يسبقه إليه أحد.

وقوله (ﷺ): "حَمِيّ الْوُطَيْسُ" ^(٦). ويعني بـ(حمي الوطيس): "حمس الحرب، وعظم الخطب-مجازاً-: لأنّ (الوطيس) في كلامهم حفيرةٌ تحتفر فيوقد فيها النّار للاشتواء...ولا وطيس هناك على الحقيقة" ^(٧).

ومنها وقوله (ﷺ): "وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ السِّنْتِهِمْ" ^(٨)، فقد "شبه الألسنة وما تمضي فيه من الأحاديث التي يؤخذ بها

(١) ينظر: الخصائص البلاغيّة للبيان النّبويّ: ١٨٣.

(٢) وحيّ الرسالة: ٣/ ١٠٧.

(٣) ينظر: الحديث النّبويّ مصطلحه، بلاغته، كتبه: ١١٦-١١٧.

(٤) ينظر: عبقرية محمّد: ٧١.

(٥) صحيح البخاريّ: ٥/ ٢٢٧١.

(٦) صحيح مسلم: ٣/ ١٣٩٨.

(٧) المجازات النّبويّة: ٥٩.

(٨) سنن الترمذيّ: ٤/ ٥٦٨.

بالمناجل التي تحصد الثبات من الأرض. وهذا تشبيهٌ بليغٌ عجيبٌ، لم يسمع إلا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم^(١).

فهذه الأحاديث المباركة وغيرها من التراكيب المرتجلة المبتدعة التي "لم يُسبق إليها، ولا قَدَر أحدٌ أن يُفرغ في قلبه عليها"^(٢)، اشتملت على "المعاني الجمّة، والنكت العديدة، مع نهاية البلاغة، ووقوعها في الفصاحة أحسن موقع"^(٣).

كما أنّ هذه السّمة في كلامه (عليه السلام) يعجز عنها فصحاء العرب، وإن تكلفوا في الصّناعة، واستدعوا من الألفاظ أجزلها، ومن التراكيب أحكمها، ومن المعاني أبلغها وأجملها، لن يصلوا لمستوى تلك العبارات وما تحمله من بلاغةٍ بيانيةٍ محضةٍ؛ لأنّ كلامه (عليه السلام) قد جمع كلّ الأسرار والدقائق البيانية، على أنّ تلك الأسرار هي التي ميّزت كلام النبوة، وعلّفته في مقامٍ انفراديٍّ به. وجعلت كلّ فصحاء العرب قاصرون في بلوغ ذاك المقام^(٤).

فضلاً عن أصالة الألفاظ والعبارات، فإنّ الحديث الشريف تميز بالأفكار البليغة التي تتسم بالجدّة والقوّة والتّحديد والتّسلسل؛ إذ كان النبيّ الأعظم يضمّن في حديثه مع المشركين والمسلمين. فجاءت أفكاره (عليه السلام) شديدة الوضوح، قويّة التأثير، ومتّسعة المعاني، شاملة الدّلالات، قادرةً على نقل النّاس من الحال التي كانوا فيها في الجاهليّة إلى الإسلام. فالتأمّل في تلك الأفكار العظيمة التي يتضمّن الحديث النبويّ الشريف، من حيث سياقها، وسبكها، وطريقة عرضها، يرى أنّها تزداد استحكاماً وتعاضلاً وإبانة^(٥).

إنّ الأصالة في الأحاديث المباركة، وثراء الأفكار وجدّتها، ما هي إلاّ تعبيرٌ صادقٌ عن الوحي، ودليلٌ بيّنٌ على أنّ كلامه توفيقٌ وإلهامٌ من الله عزّ وجلّ، وما كلامه عليه

(١) علم البيان، عبد العزيز عتيق: ١٢١، وينظر: المثل السائر: ٢/ ١١٠.

(٢) الشّفا بتعريف حقوق المصطفى: ١٢٣.

(٣) الطراز التضمّن لأسرار البلاغة: ٧٩.

(٤) ينظر: البيان النبويّ سمات ونصوص: ٧٥.

(٥) ينظر: البلاغة النبويّة: ٢٢٥-٢٢٦.

الصلاة والسلام إلا انعكاس لنور المشكاة الإلهية، فالرسول (ﷺ) لا ينطق عن الهوى إلا هو وحي يوحى.

إن فصاحة نبينا محمد (ﷺ)، وبلاغته الجميلة، ومع ما أعطاه الله عز وجل من جوامع الكلم، ما هي إلا وجه من وجوه الأداء والتبليغ، "فلم تكن حياة النبي الكريم (ﷺ) - عملاً وقولاً - إلا ترجمة صادقة لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾^(١)^(٢)، فكل ما ذكر من خصائص بلاغية، وسمات أسلوبية، وصفات لكلام الرسول الأعظم، هي طرق ملتوية تتفرع من سمة واحدة وهي سمة الإبلاغ؛ إذ إنها "السمة الجامعة التي لا سمة غيرها؛ لأنها أصل شامل لما تفرق من سمات هي منها بمثابة الفروع"^(٣).

فقد ذكر العقاد أن قوله (ﷺ) : (اللهم هل بلغت) التي ردها غير مرة في خطبة الوداع "هي لازمة عظيمة الدلالة في مقامها؛ لأنها لخصت حياة كاملة في ألفاظ معدودات. فما كانت حياة النبي كلها بعملها وقولها وحركتها وسكونها إلا حياة تبليغ وبلاغ، وما كان لها من فاصلة خاتمة أبلغ من قوله عليه السلام وهو وجود بنفسه (جلال ربي الزريع فقد بلغت!)"^(٤).

إن هذه السمة تخرج كلامه (ﷺ) من دائرة الزمان المحدد، وتطبعه بطابع الاستمرارية عبر الزمن؛ لأن رسالته لم تختص بعصر معين، وإنما كانت على مر العصور، فبلاغ نبوته (ﷺ) لا يتبدد، فهو مستمر عبر الزمن ولا ينقضي أبداً^(٥).

وما ذكر من سمات وخصائص هو غيض من فيض يزخر بها حديثه الشريف؛ كونه كلاماً معجزاً كل ما زده فكراً وتأملاً، زادك معنىً متتامياً. وبعد كل ما تقدم اعلم أنه "لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولا أقصد لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح معنىً، ولا أبين

(١) سورة النور، آية: ٥٤.

(٢) البيان النبوي سمات ونصوص: ٧٩.

(٣) عبقرية محمد: ٦٧.

(٤) المصدر نفسه: ٦٧.

(٥) ينظر: وحي القلم: ١٧ / ٣.

في فحوى، من كلامه (عليه السلام) كثيراً^(١). وإنّ انفراده (عليه السلام) بالبلاغة العُلا والبيان المحض ما هو إلا حقيقة موثوقة لقوله (عليه السلام): "وَأُوتِيَتْ جَوَامِعُ الْكَلِمِ"^(٢).

ثانياً: ترجمة المصنّف الشيخ محمد الرّيشهري:

هو محمّد محمّديّ المعروف بـ(محمّد الرّيشهريّ)، عالم دين جليل، وسياسيّ إيرانيّ محنّك، ولد عام ١٩٤٦م في مدينة الرّيّ الإيرانيّة، إحدى المدن التي تقع بالقرب من العاصمة طهران. عاش طفولته في كنف أسرته المتواضعة، التي تُعدّ من الأسر المعروفة بالتزامها الدينيّ^(٣).

التحق عام ١٩٦١م -ومنذ وقتٍ مبكّرٍ من شبابه- بحلقات العلم التي تُعقد في الحوزة العلميّة بمدينة قم، فكان من بين الطّلبة البارزين والمعروفين فيها. تعرّض الرّيشهريّ في حياته لمضايقاتٍ سياسيّةٍ أبان حكم الشّاة أدّت إلى هجرته الوجيزة إلى مدينتي النّجف الأشرف ومشهد؛ ومع ظروف الهجرة وصعوبتها لم يمتنع عن الاستمرار في تلقّي العلوم الدينيّة؛ إذ أخذ ينهل العلوم من حوزتي النّجف ومشهد العلميتين^(٤).

تتلّمذ الرّيشهريّ على يدّ علماء أجلاء كان أبرزهم السيّد محمّد باقر الطّباطبائيّ، والسيّد محمّد رضا الكلبيّگانيّ، والشيخ مرتضى الحائريّ، والشيخ حسن الوحيد الخراسانيّ، فضلاً عن أبي زوجه الميرزا عليّ المشكينيّ، وغيرهم من العلماء الثّقات الذين نهل منهم العلوم الدينيّة، واكتسب منهم تكويناً علمياً رصيناً في الفقه الإسلاميّ، والأصول، والحديث الشّريف^(٥).

تميّز الرّيشهريّ بنشاطٍ علميّ زاهرٍ بالعلم والمعرفة، مطبوعٍ بطابعٍ موسوعيّ حديثيّ؛ فقد كانت اهتماماته العلميّة تتّجه صوب أحاديث النّبويّ (عليه السلام) وأهل بيته صلوات الله عليهم؛ إذ إنّ نشاطه يقوم على رصد تلك الأحاديث وتصنيفها تصنيفاً موضوعياً مرتبطاً بالمفاهيم العقديّة الإسلاميّة، والأسس الأخلاقيّة والتّربويّة. فلم يكن هدفه الجمع

(١) البيان والتبيين: ١٧-١٨

(٢) صحيح مسلم: ١/ ٣٧٢.

(٣) ينظر: منير الجوادين (مجلة شهريّة تصدر عن العتبة الكاظميّة المقدّسة): ١٠.

(٤) ينظر: مقال منشور على موقع (-حديث نت- موقع تابع لمؤسسة دار الحديث الثّقافيّة)

<https://hadith.net>

(٥) ينظر: مقال منشور على موقع (كوديرست) <https://www.goodreads.co>

والاستقصاء بقدر ما كان هدفه تنظيم المادة الحديثية تنظيمًا موضوعيًا يسهل على الباحثين الوصول والاستفادة من الأحاديث الشريفة^(١).

وقد توج اهتمامه بالحديث المبارك بتأسيسه مؤسسة (دار الحديث الثقافية)، التي تعنى بتنظيم موسوعة الحديث الإسلامي، فضلاً عن إنشائه كلية علوم الحديث، فصار بذلك من رواد التصنيف الموضوعي للأحاديث الشريفة، وأحد أعلام الحوزة العلمية في مدينة قم^(٢).

أغنى الريشهري المكتبة الإسلامية بالعديد من المصنفات القيمة ذوات العلوم النافعة، التي يدور معظمها حول الأحاديث الشريفة للرسول (ﷺ) وللأئمة الأطهار (عليهم السلام)، فضلاً عن كتب في العقائد، والفقه، والتاريخ الإسلامي؛ إذ تزيد تلك المصنفات عن عشرين مصنفًا يدور معظمها في مجال الحديث، والعقائد الإسلامية والتاريخ الإسلامي فضلاً عن كتب أخرى تتعلق بالتراث والتفسير^(٣).

ومن أبرز تلك المصنفات الموسوعية التي صنفها الريشهري (ميزان الحكمة، حكم النبي الأعظم، موسوعة العقائد الإسلامية في الكتاب والسنة، موسوعة الإمام علي عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، موسوعة الأحاديث الطيبة، منتخب نهج الذكر، سيرة خاتم المرسلين، تعزيز الأسرة من منظار الكتاب والسنة). وغيرها من الكتب الموسوعية القيمة التي تُعد مرجعًا علميًا وإرثًا فكريًا للعلماء والفقهاء وطلاب الحوزات العلمية^(٤).

وأشهر تلك المصنفات الحديثية الموسوعية (ميزان الحكمة) الذي يُعد من أبرز أعمال الريشهري الموسوعية القيمة وأشهرها؛ كونها موسوعة ضخمة تضم في تضاعيفها الآلاف من الأحاديث الشريفة؛ إذ لم يكن هذا المصنف الذي يقع في اثني عشر مجلدًا كتابًا حديثيًا تقليديًا، وإنما هو موسوعة حديثية موضوعية، تمثل محاولة

(١) ينظر: مقال منشور على موقع (-الشريعة- موقع علمي ثقافي وعقائدي) <https://ar.al-shia.or>

(٢) ينظر: حوار مع آية الله محمد الريشهري على موقع (-حديث نت- موقع تابع لمؤسسة دار الحديث الثقافية)

<https://hadith.net>

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: مقال منشور على موقع (شبكة الفكر) <http://alfeker.ne>

جادة لتصنيف الحديث الشريف تصنيفاً موضوعياً^(١). ويمثل (ميزان الحكمة) مرجعاً مهماً في الدراسات الحوزية، لا سيما الدراسات الأخلاقية والعقدية^(٢).

أمّا (موسوعة الإمام علي عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ)، فتعدّ الموسوعة الأولى في المكتبة الحوزية؛ إذ اهتمت هذه الموسوعة بدراسة سيرة ومكانة الإمام علي عليه السلام في الإسلام والتاريخ^(٣).

وقد صنف الرিশهري موسوعةً أخرى وهي (حكم النبي الأعظم)، التي تُعنى بأحاديث النبي محمد (ﷺ) فقط؛ إذ لم يترك الرিশهري في هذه الموسوعة الحديثية قولاً حكماً للرّسول (ﷺ) إلّا وضّمه في هذه الموسوعة، فجاءت بسبعة أجزاء، وقد تخير من هذه الموسوعة أحاديث حكّمية لتصنيف كتابه الذي سمّاه (منتخب حكم النبي الأعظم).

إنّ الموضوعات أو المادّة العلميّة التي تحتويها هذه المصنّفات الموسوعيّة في تضاعيفها ليست موضوعاتٍ جديدةً يطرحها من بنات أفكاره؛ وإنّما هي أحاديثٌ ورواياتٌ يجمعها من كتب الحديث الشريف المعتبرة لدى المذاهب الإسلاميّة جميعها، مرتّباً تلك الموضوعات ترتيباً موضوعياً وفقاً للمعنى والمفهوم الفكريّ اللذان يتضمّنهما الحديث الشريف، صارفاً نظره عن الترتيب التقليديّ الذي يقوم على تناول الحديث وفقاً للسند أو التاريخ^(٤).

فالرّيشهري لا يقدّم سلسلةً من الرواة قبل كلّ حديثٍ كما هو معهودٌ في كتب الحديث، وإنّما يكتفي بالإشارة إلى مصدر الحديث أسفل الصّحيفة، دون الإطالة على القارئ، ممّا يجعل نصوص الحديث الشريف أقرب للقارئ وتعطيه مساحةً أكبر لتأمّل الحديث، والتّفكّر بمعانيه الدّينيّة والتّربويّة، وهو الهدف الذي سعى إليه الرّيشهري عند اعتماده التّرتيب الموضوعي.

(١) ينظر: مقال منشور على موقع الموسوعة الحرّة (ويكيبيديا) <https://ar.wikipedia.org>

(٢) ينظر: حوار مع آية الله محمد الرّيشهري على موقع (حديث نت، حديث الشّيعه) ، ومقال منشور على موقع

(مكتبة النرجس) <https://www.narjeslibrary.com>

(٣) ينظر: مقال منشور على موقع موسوعة الإمامة والولاية (إمامة بيديا) <https://ar.imamatpedia.com>

(٤) ينظر: مقال منشور على موقع (مكتبة النرجس).

وفي بعض الأبواب نجد الرّيشهري يستهلّ الباب ببحثٍ يمهدُ فيه للباب الذي يروم عقده، يتناول فيه مسائلَ فقهيةً وعقديةً تخصُّ الباب المعقود، ويلخّص المعنى العام الذي تدلُّ عليه تلك الأحاديث (١).

شغل الرّيشهري غيرَ منصبٍ طيلة أيام حياته، كان أبرزها تولّيه منصب وزارة الاستخبارات والأمن القومي الإيرانيّة (١٩٨٤م-١٩٨٩م) وذلك بعد انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران، وفي آخر أيام حياته شغل منصب الأمين العام لمركد حضرة السيّد عبد العظيم الحسيني -عليه السّلام- في طهران (٢).

وبقي أميناً عامّاً للمركد الشّريف إلى أن وافته المنية عام ٢٠٢٢م _ ١٤٤٤هـ عن عمرٍ ناهز الخمسة والسّبعين عامّاً، تاركاً وراءه مصنّفات موسوعيّة فكريّة وعقدية قيّمة أغنت في وجودها المكتبة الإسلاميّة (٣).

وقد نعاها السيّد المستطاب آية الله عليّ خامنئي (قُدس سرّه) (٤)، والشيخ ناصر مكارم الشّيرازي (٥)، وعددٌ من المراجع والعلماء، ومتولّو العتبات المقدّسة (٦). وصلى على جثمانه السيّد آية الله عليّ خامنئي (قُدس سرّه)، ليوارى بعد ذلك الثرى بجوار مركد السيّد عبد العظيم الحسيني (عليه السّلام) (٧).

(١) ينظر: حوار مع آية الله محمّد الرّيشهري على موقع (حديث نت، حديث الشّيعه).

(٢) ينظر: مقال منشور على موقع (مركز الإسلام الأصيل للثقافة والإعلام)، <https://islamasil.com>

وموقع الموسوعة الحرّة (ويكيبيديا)

(٣) ينظر: منبر الجوادين (مجلة شهرية تصدر عن العتبة الكاظميّة المقدّسة): ١٠

(٤) ينظر: بيان نعيه في الموقع الإلكتروني لمكتب السيّد عليّ الخامنئي. <https://arabic.khamenei.ir>

(٥) ينظر: بيان نعيه في الموقع الإلكتروني لمكتب الشيخ ناصر مكارم الشّيرازي

<https://www.makaremshirazi.net>

(٦) ينظر: منبر الجوادين (مجلة شهرية تصدر عن العتبة الكاظميّة المقدّسة): ١٠

(٧) ينظر: مقال منشور على موقع (مركز الإسلام الأصيل للثقافة والإعلام)



البَابُ الأوَّلُ

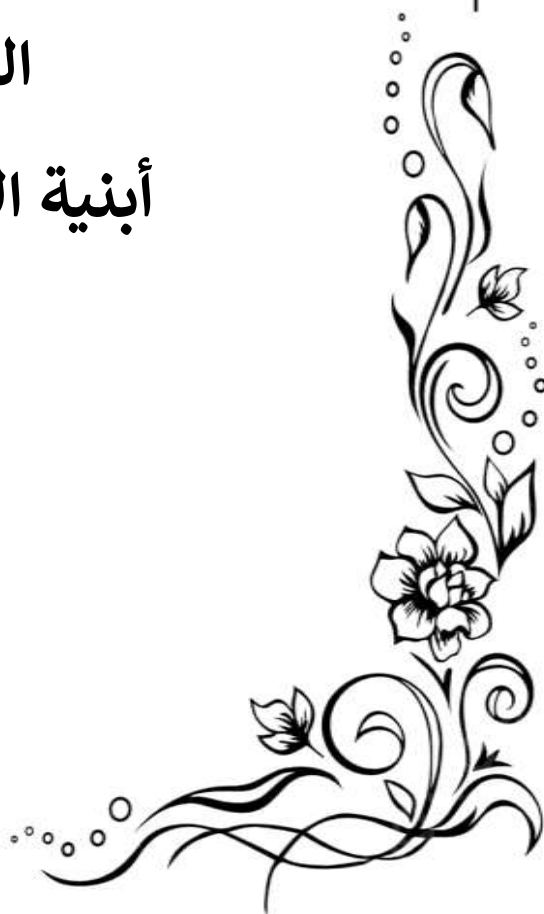
بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ
الْأَعْظَمِ

الفَصْلُ الأوَّلُ

أَبْنِيَةُ الْأَفْعَالِ وَدَلالاتُهَا

الفَصْلُ الثَّانِي

أَبْنِيَةُ الْأَسْمَاءِ وَدَلالاتُهَا



الباب الأول

بناء الكلمة في حكم النبي الأعظم

الفصل الأول

أبنية الأفعال ودلالاتها

توطئة:-

أولى اللغويون العرب علم الصرف (علم بنية الكلمة) عناية خاصة؛ لأنّ هذا العلم "يحتاج إليه جميع أهل العربية أتم حاجة، وبهم إليه أشدّ فاقة؛ لأنّه ميزان العربية، وبه تعرف أصول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليها، ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلّا به، وقد يؤخذ جزء من اللغة كبير بالقياس، ولا يوصل إلى ذلك إلّا من طريق التصريف"^(١).

إنّ علم بنية الكلمة يدرس كلّ ما يتعلّق بذات الكلمة، وما يطرأ عليها من تغيرات في بنيتها الداتية (وزنها الصرفي) بمعزل عن تركيبها الذي تردّ فيه. ولا تخفى الأهميّة الجوهرية لهذا العلم، فهو يسهم في تحديد الدلالات والمعاني التي يحملها النصّ في تضاعيفه.

إنّ الأوزان الصرفية التي تمثّل عماد هذا العلم، ما هي إلّا قوالب جامدة، وجثث هامدة، والمعاني والدلالات التي تحملها تلك الأوزان هي من تبعث الروح فيها. وهذه المعاني والدلالات تتغير مع كلّ زيادة أو نقص يطرأ على الوزن، فاللفظ "إذا كان على وزن من الأوزان، ثمّ نُقل إلى وزن آخر أكثر منه، فلا بُدّ من أن يتضمّن من المعنى أكثر ممّا تضمّنه أولاً؛ لأنّ الألفاظ أدلّة على المعاني، وأمثلة للإبانة عنها، فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني، وهذا لا نزاع فيه لبيانته"^(٢).

إنّ الموضوع الذي عُقد من أجله هذا الفصل يتعلّق بدراسة أبنية الأفعال ودلالاتها في حكم النبي الأعظم (عليه السلام). وقبل الخوض في دراسة هذه الأوزان ودلالاتها، لا بُدّ من التعرّف على مفهوم الفعل، فقد حدّه سيبويه (ت ١٨٠هـ)، بقوله: "وأما الفعل، فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبُنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع.

(١) المنصف: ٢ / ١.

(٢) المثل السائر: ١٩٧ / ٢.

الباب الأول.....بناء الكلمة في حكم النبي الأعظم

فأما بناء ما مضى، فذهبَ وسمعَ ومكثَ وحمدَ. وأما بناء ما لم يقع، فإنه قولك أمراً: اذهبَ واقتُل واضربْ، ومخبراً: يقتُل ويذهبُ ويضربُ ويُقتلُ ويضربُ. وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائنٌ إذا أُخبرتْ^(١).

نلاحظ في الحدّ الذي قدّمه سيبويه للفعل، وفي الأمثلة التي عرضها، إنّه اعتمد فيها على حركة عين الفعل في الماضي، فكانت الفتحة في (ذهبَ)، والكسرة في (سمعَ)، والضمة في (مكثَ). ومثّل للفعل الذي لم يسمّ فاعله بـ(حمدَ)، كما يُلاحظ على سيبويه أنّه جعل فعل الأمر قسمًا مستقلاً بذاته. وذهب في أصل الفعل مذهب البصريين القائل بأنّ أصل الفعل هو المصدر (أحداث الأسماء)^(٢).

إنّ الفعل في العربيّة يُقسم على اعتباراتٍ متعددة، منها ما يتعلّق بالصيغة فيقسم على ماضٍ ومضارعٍ وأمرٍ، ومنها ما يتعلّق بأحرفِ العلة فيقسم على صحيحٍ ومعتلٍّ، ومنها ما يتعلّق بأصالة حروفه وزيادتها فيقسم على مجرّدٍ ومزيدٍ، ويقسم أيضًا باعتبار التّعدي واللّزوم على متعدٍّ ولّازمٍ. ويقسم أيضًا على تامٍّ وناقصٍ، وعلى متصرفٍ وجامدٍ^(٣).

إنّ مدار البحث في هذا الفصل سيكون في دراسة أبنية الأفعال الثلاثيّة والرّباعيّة المجرّدة والمزيدة ودلالاتها في حكم النبي الأعظم (عليه السلام).

(١) الكتاب: ١ / ١٢ ، وينظر: الجمل في النّحو: ١٧ ، والحدود في النّحو، الرّماني: ٦٧ ، وشرح شذور الذهب: ١٢ ، وجامع الدّروس العربيّة: ١ / ٣٣ ، واللّغة العربيّة معناها ومبناها: ٨٧ .

(٢) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١ / ١٩٠ مسألة رقم ٢٨.

(٣) ينظر: شرح المفصل: ٧ / ٤ ، وارتشاف الضّرب: ١ / ١٥٧ ، وشرح ابن عقيل: ٢ / ٦٥ ، وهمع الهوامع: ٥ / ٢٠-٢١ ، ودروس التّصريف: ٥٤ ، والصّرف الواضح: ٩١.

المبحث الأول

أبنية الفعل الثلاثي المجرد ودلالاتها

حدّ الصّرفيّون الفعل المجرد بأنّه ما كانت جميع أصوله حروفاً أصليّة، أي خالٍ من حروف الزّيادة في بنائه ولا يسقط أيّ حرفٍ إلّا لعلّة تصريفية فالفعل (زَكَضَ) جميع حروف بنائه أصليّة، ولو طرأ عليه تغييرٌ من حذفٍ أو زيادةٍ على بنائه الأصليّ لتغيّر معناه ومبناه معاً^(١).

والفعل المجرد في لغتنا العربيّة على قسمين، الأول هو المجرد الثلاثيّ نحو (نَصَرَ، حَسَبَ، كَرَّمَ) وهو ما سنتناوله في تضاعيف هذا المبحث، والثاني المجرد الرباعيّ نحو (زَلَزَلَ، بَغَّرَ، قَرَطَسَ) وهذا الضّرب سنتناوله في مبحثٍ مستقلٍّ، أمّا المجرد الخماسيّ، فلا وجودَ له في العربيّة^(٢)؛ لأنّ "الزوائد تلزمها للمعاني، نحو حروف المضارعة، وتاء المطاوعة، وألف الوصل..، فكرهوا أن يلزمها ذلك على طولها"^(٣). أي أنّ أصل البناء الخماسيّ كثرة الحروف فيه، وزيادة حروفٍ أخرى تثقل البناء في النّطق؛ ولهذا لا يوجد في أبنية العرب من المجرد إلّا الثلاثيّ والرباعيّ. والثلاثيّ أكثر استعمالاً من الرباعيّ؛ لأنّ حروفه ثلاثة فقط، فهو أخفّ من غيره من الأبنية.

إنّ الفعل الثلاثيّ المجرد (فَعَلَ) يُقسّم بالنّظر إلى وجود أحرف العلة داخل بنائه أو عدم وجودها - على صحيحٍ ومعتلٍّ. فالصحيح ما كان خالياً من أحرف العلة، ويُقسّم على سالمٍ نحو (جَلَسَ، رَكَضَ)، ومهموزٍ نحو (أَمَرَ، زَارَ، قَرَأَ)، ومضعفٍ نحو (شَدَّ، كَرَّ، خَبَّ). أمّا المعتلّ، فيُقسّم بحسب موضع حرف العلة أو عدده داخل البناء - على مثالٍ نحو (يَسَرَ، وَعَدَ)، وأجوفٍ نحو (سَارَ، قَامَ، قَالَ)، ولفيفٍ نحو (وَقَى، طَوَى)، وناقصٍ نحو (رَمَى، رَمَى، عَثَا)، ولكلّ قسمٍ من هذه الأقسام أحكامٌ خاصّةٌ به من حيث الأبواب التي يرد فيها، ومن حيث اتّصاله بالصّمائر وتاء التّأنيث الساكنة، وغير ذلك من الأحكام^(٤).

(١) ينظر: شرح المفصل: ٧/ ٣-٤ ، ودروس التصريف: ٥٤ ، وأبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٣٧٨.

(٢) ينظر: أبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٣٧٧ ، والصّرف العربيّ أحكاماً ومعاني: ٢١.

(٣) المنصف: ١/ ٢٨-٢٩.

(٤) ينظر: ارتشاف الضّرب: ١/ ١٥٧-١٦٧ ، وشذا العرف: ٥٩ ، وجامع الدّروس العربيّة: ١/ ٥٣ ، ومختصر الصّرف: ٨٧.

الباب الأول.....بناء الكلمة في حكم النّبي الأعظم

إنَّ للفعل الماضي الثلاثي المجرّد ثلاثة أبنية (فَعَلَ، فَعِلَ، فَعُلَ)، فحركة الحرف الأول في هذه الأبنية الثلاثة (الفتحة)، وحركة الثاني هي (الفتحة، الكسرة، الضّمة)، أمّا الحرف الأخير، فتلازمه (الفتحة)؛ إذ هي حركة بنائه أبداً، ما لم يتّصل به ضميرٌ غيرها. أمّا علّة الابتداء بالفتحة دون غيرها من الحركات؛ مردّها أنّ العرب لا تبتدئ بالسّاكن، ولو جعلوا الابتداء بالضّمة والكسرة لأثقلوا بذلك على أنفسهم ثقلين، ثقل الفعل وثقل الضّم أو الكسر، ولوقع اللّبس مع الفعل الذي لم يسمّ فاعله في حال جعلوا الضّمة أوّلًا. وعلى هذا لا تكون أبنية الماضي إلّا ثلاثة، وهي (فَعَلَ، فَعِلَ، فَعُلَ) ^(١).

وسنتناول في هذا المبحث المعاني والدلالات التي جاءت بها أبنية الفعل الثلاثي المجرّد في حكم النّبي الأعظم (ﷺ) بالنظر إلى ماضيه، وهي (فَعَلَ، فَعِلَ، فَعُلَ)؛ لأنّ "النّظر إلى حركة عين الفعل الثلاثي في الماضي يحلّ كثيراً من الإشكالات ويجعل دراسة أبواب الثلاثي يسيرةً وسهلةً" ^(٢)؛ ولأنّ الفعل الماضي يمثل "منطلقاً أصيلاً لتكوين الأفعال المزيدة والأفعال المضارعة" ^(٣).

أولاً: بناء (فَعَلَ) ودلالته :

يُعَدُّ بناء (فَعَلَ) من أخفّ أبنية العربيّة، وأكثرها استعمالاً، حتّى قال سيبويه: "وليس شيءٌ أكثر في كلامهم من (فَعَلَ)" ^(٤)؛ وعلّة ذلك أنّ عدد أصوله ثلاثة أحرف، والفتحة التي هي أخفّ الحركات، حركة كلّ أصلٍ من هذه الأصول الثلاثة؛ لذلك كُثِر استعماله والتصرّف به في كلام العرب، يقول ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) في ذلك: "إنّ (فَعَلَ) مفتوح العين يقع على معانٍ كثيرة، لا تكاد تنحصر توسّعاً فيه؛ لخفة البناء واللفظ، واللفظ إذا خفّ كُثِر استعماله واتّسع التصرّف فيه" ^(٥).

(١) ينظر: المنصف: ٢٣ / ١، وشرح الرّضي على الشّافعيّة: ٦٧ / ١، والمغني في تصريف الأفعال: ١١٢-١١٣، ودروس التّصريف: ٥٥-٥٦، وأبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٣٧٨.

(٢) أوزان الأفعال ومعانيها: ٢٢.

(٣) المغني الجديد في علم الصّرف: ٩٠.

(٤) الكتاب: ٣٧ / ٤.

(٥) شرح المفصل: ١٥٦-١٥٧، وينظر: المغني في تصريف الأفعال: ١١٣.

الباب الأول.....بناء الكلمة في حكم النبي الأعظم

ونتيجة لذلك فإننا نجد كثيراً من المعاني والدلالات تتدرج تحت باب (فعل)، منها: الجمع، والعطاء، والستر، والإعطاء، والإيذاء، والسير، والحينونة، والهيجان، والإقامة، وغير ذلك من المعاني التي لا يفي بها حصر^(١).

وقد أنكر الأستاذ الدكتور هاشم طه شلاش على بعض اللغويين المحدثين إلباسهم أفعال هذا البناء المعنى المعجمي المحض على إنها معانٍ أكتسبت من البناء، نحو: (حشد)؛ إذ ذكروا دلالة هذا الفعل على الجمع، وهذا المعنى الذي ذكروه يمثل المعنى المعجمي نفسه. ومن ثم فإن بعض المعاني التي ذكروها "تمثل معاني الألفاظ أنفسها ولا تمثل معاني الوزن؛ لأن في معنى الوزن زيادة لم تكن موجودة في اللفظة نفسها، فحين نقول: ... (جزر النخل: أي حان أن يجر) فإن وزن (فعل) قدّم لنا معنى الحينونة والتوقيت، وهذا المعنى لم يكن موجوداً في اللفظة نفسها وإنما جاء من وزن (فعل)"^(٢).

وفي الحقيقة أن كلام أ. د. هاشم طه شلاش لا يمكن قبوله كله؛ إذ إن الجذر اللغوي قد يبقى محافظاً على معناه دون تغيير. فقد ذكر القدامى عدداً من المعاني التي يدل عليها (فعل) حافظ فيها البناء على المعنى المعجمي، منها دلالاته على المنع نحو: (حبس)، ودلالاته على الجمع نحو: (حشر، حشد)، وعلى التفريق نحو: (فصل، قسم)، وهي معانٍ معجمية محضة، حافظ فيها البناء على المعنى المعجمي الأصلي؛ كون الأصل في الألفاظ أن تدل على المعنى الموضوع لها^(٣). ومع هذا نجد السياق قد يمنح بناء (فعل) رداءً جديداً من المعنى لم يكن موجوداً، كما مثّل له الأستاذ من معنى الحينونة في قولنا: (جزر النخل). وبضمّ الكلام بعضه إلى بعض يمكننا القول: إن معاني (فعل) لا تنحصر لكثرة استعماله، فلا يمكن لأحد الوقوف عليها كلها، أو الاجتهاد بقبول أحدها ورد الآخر، ويبقى السياق هو الفصيل في تحديد أي معنى.

(١) ينظر: شرح الرضي على الشافية: ٧٠ / ١، وارتشاف الضرب: ١٦٧-١٦٨، ودروس التصريف: ٦١-٦٢.

(٢) أوزان الأفعال ومعانيها: ٤٢.

(٣) ينظر: شرح التسهيل: ٢٩٩ / ٣، وشرح الرضي على الشافية: ٧٠ / ١، وارتشاف الضرب: ١٦٨.

الباب الأول.....بناء الكلمة في حكم النبي الأعظم

أمّا معاني هذا البناء في حكم النبي الأعظم (عليه السلام)، فهي كثيرة أيضاً، أهمّها:-

١- الغلبة :

ومثال ما جاء لهذا المعنى الفعل (قَهَرَ)، في قوله (عليه السلام) : "إذا أراد الله بِقَوْمٍ خَيْراً. أَكْثَرَ فُقَهَاءَهُمْ. وَأَقَلَّ جُهَالَهُمْ، فَإِذَا تَكَلَّمَ الْفَقِيهُ وَجَدَ أَعْوَاناً، وَإِذَا تَكَلَّمَ الْجَاهِلُ قَهَرَ" (١) .

وهو فعلٌ ماضٍ لم يسم فاعله، والفعل المبني للمعلوم منه (قَهَرَ)، جاء في الصّاح "قَهَرَ [قَهَرَهُ قَهْراً: غلبه]" (٢). والغلبة تكون بين أمرين، يتفوق أحدهما على الآخر، وهذا ما دلّ عليه الفعل (قَهَرَ) في الحديث المبارك (٣)؛ إذ إنّ الجاهل يغلبه العلماء بالحجة والبرهان، فلا يجد من يتّبعه؛ لأنّ المجتمع بكثرة العلماء أصبح واعياً ورافضاً للجهل، ومتّبِعاً للحق. وغلبة الباطل هنا غلبةٌ معنويّة، تتمثّل بإسقاط حجّته وردّ قوله وعدم اتّباعه (٤) .

٢- الذّهاب بالشّيء :

وممّا جاء من الأفعال على هذا المعنى، الفعل (يَمَحُّقُ)، في قوله (عليه السلام): "مَنْعُ الْخُبْزِ يَمَحُّقُ الْبِرْكَهَ" (٥). وهو مضارع الفعل (مَحَقَّ) الَّذِي من معانيه ذهاب الشّيء (٦)، جاء في لسان العرب: "المَحَقُّ: النُّقْصَانُ وَذَهَابُ الْبِرْكَهَةِ. وَشَيْءٌ مَاحِقٌ: ذَاهِبٌ...تَقُولُ: مَحَقَهُ اللَّهُ فَاَمَحَّقَ وَامْتَحَقَّ أَيَّ ذَهَبَ خَيْرُهُ وَبَرَكَّتُهُ" (٧) .

إنّ استعمال (المَحَقَّ) بدلاً من (الإذْهَاب)؛ هو للدلالة على إزالة كلّ أنواع البركة؛ إذ إنّ (المحق) لا يستعمل إلّا مع الأشياء المتعدّدة، خلافاً لـ(الإذْهَاب) الَّذِي يكون مع الشّيء الواحد أو المتعدّد. فلا يجوز أن نقول: (محق الدرهم)؛ لأنّه شيءٌ واحدٌ، وإنّما نقول: (محق الدّراهم)، فإن كانت الإزالة معنويّةً جاز لنا القول: (محق الدرهم) إذا أُريد إزالة بركته، وهي إزالةٌ معنويّةٌ لا عينيّة (٨). فكان (المَحَقَّ) في الحديث المبارك أدقُّ دلالةً ومعنى من (الإذْهَاب)؛ لأنّ أُريد به إزالةٌ معنويّةٌ لكلِّ أنواع البركة.

(١) حكم النبي الأعظم: ١٧٧ / ٣ ، وينظر: كنز العمال: ١٠ / ١٣٧ .

(٢) الصّاح تاج اللّغة وصاح العربيّة: ٢ / ٨٠١ (قهر).

(٣) ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ١٩٦ ، ودروس التّصريف: ٦٣ .

(٤) ينظر: فيض القدير: ١ / ٣٣٦ .

(٥) حكم النبي الأعظم: ٧ / ١٣٠ .

(٦) ينظر: تهذيب اللّغة: ٤ / ٥٢ .

(٧) لسان العرب: ١٣ / ٣٨ (محق).

(٨) ينظر: الفروق اللّغويّة، أبو هلال العسكري: ٣٠٥ .

الباب الأول.....بناءً الكلمة في حكم النبي الأعظم

كما أنَّ البخل بالخبز الذي يُعَدُّ طعاماً ضرورياً للناس يؤدي إلى نقص البركة واضمحلالها التدريجي من رزق الإنسان، ومن ثمَّ إزالة خيره، لأنَّ "أصل -المحق- تنقيص الشيء قليلاً قليلاً"^(١). فالقوت يبقى موجوداً كصورة؛ لكن يُذهب ببركته^(٢).

٣- معنى الانغمار:

ومن الشواهد الواردة من الأفعال في حكم النبي الأعظم على هذا المعنى، الفعل (غَمَرَ)، في قوله (عليه السلام): "أَيُّمَا رَجُلٍ يَعُودُ مَرِيضاً فَأَيُّمَا يَخُوضُ فِي الرَّحْمَةِ، فَإِذَا قَعَدَ عِنْدَ الْمَرِيضِ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ"^(٣)، والمعنى الذي دلَّ عليه الفعل (غَمَرَ) في الحديث المبارك هو الانغمار^(٤)؛ إذ إنَّ (الانغمار) هو التَّغْطِيَةُ الكاملة في الماء. ويُقال: غَمَرَ الماءُ الإناءَ، أي: أحاط الماء به، وأصبح مختفياً تحته^(٥)، ومما يعضد هذا المعنى الفعل (يخوض)، و(الخوض) هو المشي في الماء^(٦)، فالحديث يبيِّن عظيم فضل عيادة المريض وثوابها؛ إذ إنَّ عائد المريض يعيش في رحمة الله عزَّ وجلَّ، وكثرة هذه الرحمة تغطيه من كلِّ جانبٍ، كما يغطي الماء من اغتمر فيه؛ ليصبح مغموراً برحمته تبارك وتعالى^(٧).

٤- معنى الإعطاء:

ومثاله الفعل (نَحَلَ)، في قوله (عليه السلام): "مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلِداً مِنْ نُحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنِ"^(٨). إنَّ (النَّحْل) مصدر قولنا: نَحَلَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ مَالاً، أي: وهبه مَالاً وخصَّه بشيءٍ منه^(٩). فالنَّحْل "العَطِيَّةُ وَالْهَبَةُ ابْتِدَاءً مِنْ غَيْرِ عَوَضٍ وَلَا اسْتِحْقَاقٍ". يُقَالُ: نَحَلَهُ يَنْحُلُهُ نُحْلاً بِالضَّمِّ. وَالنَّحْلَةُ بِالْكَسْرِ: العَطِيَّةُ"^(١٠). فالفعل (نَحَلَ) في الحديث المبارك حمل الدلالة

(١) تفسير الآلوسي (روح المعاني): ٢٨٤ / ٢.

(٢) ينظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني: ٢٦٧ / ٤.

(٣) حكم النبي الأعظم: ٤٥١ / ٣ ، وينظر: مسند أحمد حنبل: ١٧٩ / ٢٠.

(٤) ينظر: ارتشاف الضرب: ١٦٨ / ١.

(٥) ينظر: لسان العرب: ١١٦ / ١٠ (غمر).

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٢٤٦ / ٤ (خوض).

(٧) ينظر: شرح فروع الكافي: ٩٨ / ٢.

(٨) حكم النبي الأعظم: ١٦٧ / ٤ ، وينظر: سنن الترمذي: ٧٠ / ٤.

(٩) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ١٨٢٦ / ٥ (نحل).

(١٠) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢٩ / ٥.

الباب الأول.....بناءً الكلمة في حكم النبي الأعظم

المعجمية ذاتها وهي الإعطاء^(١)؛ إذ عدَّ الحديث المبارك الأدب والخلق الحسن أجود وأجمل وأجمل عطية؛ لأنَّ الأدب الحسن أفضل من باقي العطايا المعرضة للزوال، كما أنَّ الأدب إعطاءً مستمرًّا لا يزول أثره^(٢).

٥ - معنى الحركة والتنقل:

ومن شواهد الأفعال التي وردت في حكم النبي الأعظم على هذا المعنى، الفعل (رَمَلَ)، في حديث الطَّواف: "دَخَلْنَا مَكَّةَ عِنْدَ ارْتِفَاعِ الضُّحَى، فَأَتَى النَّبِيُّ بَابَ الْمَسْجِدِ، فَأَنَاخَ رَاحِلَتَهُ. ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَبَدَأَ بِالْحَجْرِ. فَاسْتَلَمَهُ وَفَاضَتْ عَيْنَاهُ بِالْبُكَاءِ، ثُمَّ رَمَلَ ثَلَاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا حَتَّى فَرَغَ، فَلَمَّا فَرَغَ قَبْلَ الْحَجَرِ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ وَمَسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ"^(٣).

نلاحظ أنَّ الفعل (رَمَلَ) في الحديث المبارك دلَّ على حركةٍ وإسراعٍ في المشي^(٤)؛ إذ يُقال: يُقال: رَمَلَ الرَّجُلُ رَمَلًا: إذا أسرع في مشيته وهرول دون قفزٍ أو وثب، والهرولة دون المشي وفوق العدو^(٥).

٦ - بمعنى (أَخَّرَ):

ومثال ما جاء لهذا المعنى الفعل (يُنْسَأُ)، في قوله عليه الصلاة والسلام: "من سرَّه أن يُبَسِّطَ لَهُ في رِزْقِهِ وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ في أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ"^(٦). و(يُنْسَأُ) مضارع الفعل (نَسَأَ) ومعناه التأخير، جاء في الصَّاح "أنسأه الله أجله ونسأه في أجله بمعنى. والنسأة بالصَّم: التأخير"^(٧)، والمعنى بيِّن في الحديث (نَسَأَ لَهُ في أَثَرِهِ) أي يؤخر في أجله "ويبقى ذكره الطَّيِّب وثنائه الجميل مذكورًا على الألسنة"^(٨). ، وهذه البركة في العمر والذكر الطَّيِّب تكون بصلة الرَّحْم، وتشريك ذوي القربات بالخيرات، والزَّيارات، وغير ذلك من الأعمال المباركة التي تكون فيها صلةً للرَّحْم^(٩).

(١) ينظر: دروس النصريف: ٦٣.

(٢) ينظر: فيض القدير: ٥ / ٦٤٢.

(٣) حكم النبي الأعظم: ٦ / ٢٢٨ ، وينظر: المستدرک على الصحيحين: ١ / ٦٢٥.

(٤) ينظر: ارتشاف الصَّرب: ١ / ١٦٨.

(٥) ينظر: لسان العرب: ٥ / ٣٢٠ (رَمَلَ).

(٦) حكم النبي الأعظم: ٧ / ١١٥ ، وينظر: صحيح البخاري: ٥ / ٢٢٣٢.

(٧) الصَّاح تاج اللغة وصحاح العربية: ١ / ٧٦ (نَسَأَ).

(٨) شرح صحيح البخاري، ابن البطال: ٦ / ٢٠٦.

(٩) ينظر: الكواكب الدَّري في شرح صحيح البخاري: ٩ / ١٩٦.

٧- معنى السلب (أزال):

ومما سُجِّل من الأفعال في حكمه المبارك على هذا المعنى، الفعل (نَزَعَ)، في قوله (ﷺ): "مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ رِيَاءً وَسُمْعَةً يُرِيدُ بِهِ الدُّنْيَا، نَزَعَ اللَّهُ بَرَكَتَهُ، وَضَيَّقَ عَلَيْهِ مَعِيشَتَهُ، وَوَكَّلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ؛ وَمَنْ وَكَّلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ فَقَدْ هَلَكَ" (١).

و(نزع) بمعنى (أزال)، يُقال نزع الأمير الوزير عن العمل: إذا أزاله وسلبه ممارسة صلاحياته (٢). فالفعل (نزع) في الحديث المبارك دلّ على المعنى المعجمي نفسه وهو (السلب والإزالة) (٣)، فالرسول (ﷺ) قد استعمل هذا الفعل؛ ليدلّ على سلب البركة من العلم الذي يُطلب كرياءً وسمعةً، دون نيّة خالصة لله تعالى؛ لأنّ الرياء يسلب البركة من هذا العلم فلا يُنتفع منه.

٨ - معنى التحويل:

ومن الشواهد الواردة من الأفعال على هذا المعنى، الفعل (صَرَفَ)، في قوله (ﷺ): "مَنْ مَنَعَ مَالَهُ مِنَ الْأَخْيَارِ اخْتِيَاراً صَرَفَ اللَّهُ مَالَهُ إِلَى الْأَشْرَارِ اضْطِرَاراً" (٤). جاء في لسان العرب "والصَّرْفُ: أَنْ تَصْرِفَ إِنْسَانًا عَنْ وَجْهِ يُرِيدُهُ إِلَى مَصْرِفٍ غَيْرِ ذَلِكَ" (٥). نلاحظ أنّ استعمال الفعل (صَرَفَ) دلّ على التحويل من وجهٍ إلى آخر (٦)، وهذا التحويل يمثل عقوبةً لمن يمتنع عن الإنفاق في سبيل الله؛ إذ يتحوّل ماله إلى أشخاصٍ غير صالحين؛ إذ يكون تحويلاً اجبارياً، أي لا يستطيع الإنسان منعه أو تغيير وجهته.

٩ - معنى البلوغ والوصول:

ومن أمثلة الأفعال التي اتخذت هذا المعنى الفعل (جَهَدَ)، في قوله (ﷺ): "إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَقَدْ مَضَى الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ [إلى يوم

(١) حكم النبي الأعظم: ١٣٦ / ٧ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧ / ١٠٠.

(٢) ينظر: لسان العرب: ١٤ / ١٠٦ (نزع).

(٣) ينظر: دروس التصريف: ٦٣.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٥٠٨ / ٤ ، وينظر: بحار الأنوار: ٩٦ / ١٣١.

(٥) لسان العرب: ٧ / ٣٢٩ (صَرَفَ).

(٦) ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ١٩٧ ، ودروس التصريف: ٦٣.

الباب الأول.....بناءً الكلمة في حكم النبي الأعظم

القيامة]: فلو جهدَ النَّاسُ أن يَنْفَعوكَ بِأمرٍ لَمْ يَكْتُبَهُ اللهُ لَكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَلَوْ جَهَدُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِأمرٍ لَمْ يَكْتُبَهُ اللهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ" (١).

جاء في لسان العرب "جَهَدَ دَابَّتُهُ جَهْدًا وَأَجْهَدَهَا: بَلَغَ جَهْدَهَا وَحَمَلَ عَلَيْهَا فِي السَّيْرِ فَوْقَ طَاقَتِهَا" (٢). فالفعل (جَهَدَ) في الحديث المبارك دلّ على البلوغ، وهو بلوغ أقصى الوسع البشريّ للسَّعي في النَّفع أو الضَّرّ؛ إذ إنّ مهما بلغ ذلك الجهد أو السَّعي غايته أو منتهاه، وبلغ طاقته، فلا يستطيع أن يُحَقِّق نفعًا ولا ضررًا؛ لأنَّ قدر الله غالبٌ على كلِّ جهدٍ بشريّ.

١٠ - معنى الدَّخول في الشَّيء:

وممّا يُستشهد به من الأفعال الواردة في حِكْمه المباركة على هذا المعنى، الفعل (تَلَجُّ) في قوله (سورة النّار): "أَكْثَرُ مَا تَلَجُّ بِهِ أُمْتِي النَّارَ، الْأَجْوَفَانِ: الْبَطْنُ وَالْفَرْجُ" (٣).

وهو مضارع الفعل (وَلَجَّ)، ومعناه الدَّخولُ في الشَّيء، ويُقال: وَلَجَّ الرَّجُلُ الدَّارَ، أي: دخل فيها (٤). فقد دلّ الفعل في الحديث المبارك على الدَّخول الواضح والثَّابت في النَّار، نتيجةً للدُّنُوبِ المتمثلةة بأكل الحرام وارتكاب الفواحش والزَّنا، وهذه الدُّنُوب إذا لم يسيطر عليها الإنسان تكون سببًا رئيساً لدخوله النَّار.

١١ - معنى المنع:

وممّا جاء دالًّا على هذا المعنى الفعل (عَصَمَ)، في قوله (سورة النّار): "إِنَّ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) كَلِمَةً عَظِيمَةً كَرِيمَةً عَلَى اللهِ، مَنْ قَالَهَا مُخْلِصًا اسْتَوْجَبَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قَالَهَا كَاذِبًا عَصَمَ مَالَهُ وَدَمَهُ، وَكَانَ مَصِيرُهُ إِلَى النَّارِ" (٥).

جاء في لسان العرب: "العِصْمَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْمَنْعُ. وَعِصَمَ اللهُ عَبْدَهُ: أَنْ يَعْصِمَهُ مِمَّا يُؤْبِقُهُ. عَصَمَهُ يَعْصِمُهُ عَصْمًا: مَنَعَهُ" (٦). فقد دلّ الحديث على المعنى ذاته، وهو منع

(١) حكم النبي الأعظم: ٨١ / ٧ ، وينظر: من لا يحضره الفقيه: ٤ / ٤١٣.

(٢) لسان العرب: ٣٩٥ / ٢ (جهد).

(٣) حكم النبي الأعظم: ٤ / ٤٧٥ ، وينظر: الكافي: ٢ / ٧٩.

(٤) ينظر: لسان العرب: ٣٩١ / ١٥ (ولج).

(٥) حكم النبي الأعظم: ١ / ٥٢٢ ، وينظر: التَّوْحِيد، الشَّيْخُ الصَّدُوق: ٢٣.

(٦) لسان العرب: ٩ / ٢٤٤ (عَصَمَ).

الباب الأول.....بناءً الكلمة في حكم النبي الأعظم

استباحة دم ومال من ينطق الشهادة كاذبًا. فالشرع حافظ عليهما، ومنع المساس بهما، والتعرض إليهما؛ ولكن لم يعصم الله تعالى ذلك المنافق من مصيره في الآخرة^(١).

١٢ - معنى الإمهال:

ومثال هذا المعنى الفعل (اغْبُوا)، في قوله (ﷺ): "اغْبُوا فِي الْعِيَادَةِ وَارْبِعُوا فِي الْعِيَادَةِ، وَخَيْرُ الْعِيَادَةِ أَخْفُهَا"^(٢).

وهو الأمر من الفعل (غَبَّ)، قال أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ): "الْعَيْنُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى زَمَانٍ وَقْتَرَةٍ فِيهِ. مِنْ ذَلِكَ الْغَبُّ، هُوَ أَنْ تَرِدَ الْإِبِلُ يَوْمًا وَتَدَعِ يَوْمًا. وَالْمُعَيَّبَةُ: الشَّاةُ تُحْلَبُ يَوْمًا وَتُتْرَكُ يَوْمًا"^(٣). نلاحظ أن استعمال الرسول (ﷺ) الفعل (غَبَّ) الذي يدل على الإمهال، وأداء العمل بين أوقات منفصلة^(٤)؛ هو للحث على زيارة المريض بشكلٍ متقطعٍ أي: بين وقتٍ وآخر والاعتدال بها، دون إفراطٍ ولا تقريطٍ بغية عدم إرهاق المريض بتكرارها المفرط، مشيرًا إلى أن أفضلها هي الزيارات الخفيفة^(٥).

ثانيًا: بناء (فَعَلَ) ودلالاته:

يُعَدُّ هذا البناء ثاني أبنية الفعل الثلاثي المجرد في العربية، وله بابان: الباب الرابع كسر فتح (فَعَلَ، يَفْعَلُ) وهو الغالب؛ إذ إنَّ كلَّ فعلٍ مكسور العين في الماضي مفتوح العين في المضارع يندرج تحت هذا الباب، نحو: ظَفِرَ، عَجَلَ، طَرِبَ^(٦). ويأتي من الباب السادس كسر كسر (فَعَلَ، يَفْعَلُ)، نحو: حَسِبَ، يَحْسِبُ، وَرِمَ، يَرِمُ، نَعِمَ، يَنْعَمُ^(٧). إنَّ بناء (فَعَلَ) يأتي لازماً نحو: ضَحِكَ، لَعِبَ، تَعَبَ، وغيرها من الأفعال التي تدل على لزومه، ويأتي متعديًا نحو: حَفِظَهُ، رَكِبَهُ، حَمَدَهُ، وغيرها من الأفعال التي تدل على تعديته^(٨)، ولازم هذا البناء أكثر من متعديه^(٩).

(١) ينظر: شرح صحيح البخاري، الأصبهاني: ٢٩٨-٢٩٩.

(٢) حكم النبي الأعظم: ٣١١ / ٧، وينظر: شعب الإيمان: ٥٤٢ / ٦.

(٣) مقاييس اللغة: ٣٧٩ / ٤ (غَبَّ).

(٤) ينظر: أوزان الأفعال ومعانيها: ٢٧٥.

(٥) ينظر: نجاح القاري في شرح صحيح البخاري: ١٨٧-١٨٨.

(٦) ينظر: المنصف: ٢٠ / ١، وشرح الرضي على الشافعية: ٧٢-٧٣، والمهذب في علم التصريف: ٤٩-٥٠.

(٧) ينظر: شذا العرف: ٦٧، والمستقصى في علم التصريف: ٢٨٠-٢٨١.

(٨) ينظر: المنصف: ٢٠ / ١، ودروس التصريف: ٥٨-٦١.

(٩) ينظر: شرح الرضي على الشافعية: ٧٢ / ١.

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

كما يضمُّ بناء (فَعَلَ) الأفعال التي تدلّ على عيبٍ، نحو (عرج، يعرج)، أو تدلّ على جمالٍ ظاهرٍ، نحو (حور، يحور)، أو تدلّ على فرحٍ وسرورٍ، نحو (فرح، يفرح)، أو على حزنٍ وغضبٍ، نحو (حزن، يحزن، غضب، يغضب)، أو على امتلاءٍ، نحو (شبع، يشبع)، أو على خلوٍّ، نحو (ضمي، يضمّ)^(١)، وغيرها من المعاني التي يدلّ عليها هذا البناء^(٢).

وقد ورد عددٌ من المعاني لهذا البناء في حكمه (البناء)، منها :

١ - الوقوع في الأمر:

ومن الأفعال التي جرى استعمالها على هذا المعنى، الفعل (أَثَمَ) في قوله (عليه السلام): "الذَّنْبُ شَوْمٌ عَلَى غَيْرِ فَاعِلِهِ، إِنْ عَيَّرَهُ ابْتُلِيَ، وَإِنْ اغْتَابَهُ أَثَمَ، وَإِنْ رَضِيَ بِهِ شَارَكُهُ"^(٣). جاء في لسان العرب "الإثم: الذنب ... وَأَثَمَ فلان بالكسر يَأْثِمُ إِثْمًا وَمَأْثِمًا، إِذَا وَقَعَ فِي الإِثْمِ، فَهُوَ آثِمٌ وَأَثِيمٌ"^(٤). فالفعل في الحكمة النبوية المباركة دلّ على المعنى ذاته وهو الوقوع الوقوع في الأمر؛ إذ إنّ اغتيال الشخص المذنب أو نقل ذنبه لغيره (الغيبة) هو وقوع في الإثم وارتكابٌ للمعصية.

٢ - معنى الهلاك:

ومن أمثلة الأفعال التي اتخذت هذا المعنى، الفعل (تَعَسَّ)، في قوله (عليه السلام): "تَعَسَّ عَبْدٌ الدِّينَارَ وَالذَّرْهَمَ! الَّذِي إِنَّمَا هِمَّتُهُ دِينَارٌ أَوْ دِرْهَمٌ يُصِيبُهُ فَيَأْخُذُهُ"^(٥). يُقَالُ: تَعَسَّ فلانٌ يَتَعَسَّ: إِذَا انْكَبَّ فَعَثَرَ عَلَى يَدَيْهِ وَفَمِهِ، وَتَعَسَّ: هَلَكَ^(٦). فالفعل في الحديث المبارك دلّ على انحطاطٍ روحيٍّ وأخلاقيٍّ للإنسان الذي يجعل كلّ همّه الدُّنيا؛ لأنّ الاهتمام بالدُّنيا يجره إلى الخداع والغشّ. فالرسول (عليه السلام) يحذّر من استعباد الإنسان للمال، وذلك بأن يجعل الإنسان عمله كلّهُ في طلب المال حتّى يصير كالعبادة له، وهذا العمل

(١) ينظر: الكتاب: ١٧ / ٤ ، والمستقصى في علم التصريف: ١ / ٢٨٠-٢٨١ ، والصّرف العربيّ أحكامٌ ومعاني: ٢٣-٢٤.

(٢) ينظر: المغني في تصريف الأفعال: ١١٤ ، وأوزان الأفعال ومعانيها: ٢٨٩-٢٩٣.

(٣) حكم النبيّ الأعظم: ٥٧١ / ٤.

(٤) لسان العرب: ١ / ٧٤ (أثم).

(٥) حكم النبيّ الأعظم: ١٥٩ / ٧ ، وينظر: المعجم الأوسط: ٢٣٦ / ٤.

(٦) ينظر: لسان العرب: ٢ / ٣٥ (تَعَسَّ).

الباب الأول.....بناء الكلمة في حكم النبي الأعظم

يؤدي به إلى الانحطاط على المستوى الديني والأخلاقي، وبالتالي يحكم على نفسه بالهلاك^(١).

٣ - الإفراط :

ومثال هذا المعنى الفعل (عشق)، في قوله (عليه السلام): "أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها، وأحبها بقلبه، وبأشرها بجسده. وتفرغ لها، فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا: على عسر أم على يسر"^(٢).

ومعنى (العشق): الإفراط في الحب، يقال: عشق فلان: إذا أفرط في الحب؛ لأنّ العشق فيه إفراط من قبل العاشق اتّجاه معشوقه، فيذبل من شدة الهوى للمعشوق^(٣). والإفراط في الحديث الشريف يكون في محبة العبادة حتى تصبح محوراً رئيساً في حياة الإنسان، يتعلّق بها قلبه وروحه، فيكون عشقاً روحانياً يبقى ويسمو أبداً. على أنّ شدة الاهتمام بالعبادة يجب ألا تصل لدرجة الإسراف، وإنّما تكون تقانٍ في طاعة الله عزّ وجلّ^(٤).

ثالثاً: بناء (فعل) ودلالاته:

ويمثّل هذا البناء ثالث أبنية الفعل الماضي الثلاثي المجزّد. ويجيء هذا البناء من الباب الخامس فقط؛ لأنّ هذا البناء الوحيد الذي تُضمّ عينه في الماضي، ويُعدّ هذا البناء من أقلّ الأبنية الثلاثة استعمالاً^(٥). وأفعال هذا الباب لا تكون إلّا لازمة، وقد شدّ عنها الفعل (رحب) فقد جاء متعدّياً^(٦). يكثر هذا الوزن في الأفعال التي تدلّ الغرائز، والطبائع، والصفات اللازمة والمستقرة، أي الأمور الجليّة التي تدوم وتبقى، ولا تتغير بسهولة، نحو: صلب، شرف، كرم، لؤم^(٧).

(١) ينظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: ١١ / ١٥٥ ، والكواكب الدراري...: ٢ / ١٥٦.

(٢) حكم النبي الأعظم: ٥ / ١٣٥ ، وينظر: الكافي: ٢ / ٨٥.

(٣) ينظر: لسان العرب: ٩ / ٢٢٤ (عشق).

(٤) ينظر: شرح أصول الكافي: ٨ / ٢٦٢.

(٥) ينظر: الممتع في تصريف الأفعال: ١١٩ ، وتصريف الأسماء والأفعال: ٨٦.

(٦) ينظر: المفتاح في الصرف: ٣٨ ، والمصباح المنير: ١ / ٢٢٢ (رحب).

(٧) ينظر: شرح المفصل: ٧ / ١٥٣ ، والصرف الوافي: ٢٧٦ ، والصرف العربي أحكاماً ومعانٍ: ٢٤.

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

ولم يأت في العربية تحت هذا الباب أجوفٌ يائيٌّ، ولا ناقصٌ يائيٌّ، إلَّا (هَيُؤْ، نَهْؤْ). ولم يأت أيضًا فعلٌ مضَعَّفٌ في هذا الباب؛ لثقل اجتماع الضمة والتضعيف؛ ولكن ورد منها بعض الأفعال هي (لُبُّ، حُبُّ، عَزُّ، سُرُّ، دُمُّ، فُكُّ) ^(١).

وقد ورد عددٌ من أفعال هذا البناء في حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ (ﷺ)، دلَّت على المعاني الآتية:

١ - الصَّيرُورَةُ:

إنَّ أحاديثه (ﷺ) تضمَّنت عددًا من الأفعال التي جاءت على هذا البناء، يدور معظمها في معنى الصَّيرُورَةِ، أي: صار كذا. ومنها الفعل (كَثُرَ) في قوله (ﷺ): "اجْعَلُوا لِنُيُوتِكُمْ نَصِيبًا مِنَ الْقُرْآنِ: فَإِنَّ الْبَيْتَ إِذَا فُرِيَ فِيهِ تَيَسَّرَ عَلَى أَهْلِهِ، وَكَثُرَ خَيْرُهُ، وَكَانَ سُكَّانُهُ فِي زِيَادَةٍ، وَإِذَا لَمْ يُقْرَأْ فِيهِ الْقُرْآنُ ضَيَّقَ عَلَى أَهْلِهِ، وَقَلَّ خَيْرُهُ، وَكَانَ سُكَّانُهُ فِي نُقْصَانٍ" ^(٢). فالفعل (كَثُرَ) دلَّ على الصَّيرُورَةِ من قَلَّةِ الْخَيْرِ إِلَى كَثْرَتِهِ، أي: صار البيت ذا خيرٍ كثيرٍ. ومعنى الحديث المبارك أَنَّ الْبَيْتَ الَّذِي تَكَثَّرَ فِيهِ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ يَتَحَوَّلُ فِيهِ الْخَيْرُ إِلَى مَقْدَارٍ أَكْبَرَ، وَنَمَاءٍ مُسْتَمِرٍّ؛ بسبب بركة قراءة القرآن الكريم، فمع أَنَّ هُنَالِكَ أَعْمَالٌ كَثِيرَةٌ أَفْضَلُ إِلَّا أَنَّ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ مُصَدِّرٌ لِكُلِّ خَيْرٍ وَبِرْكَهٍ ^(٣).

ومِمَّا ورد على هذا البناء الفعل (صَغُرَ)، فيما روي عنه (ﷺ): "بَيْنَمَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ جَالِسًا إِذْ أَقْبَلَ إِبْلِيسُ... قَالَ مُوسَى: فَأَخْبِرْنِي بِالذَّنْبِ الَّذِي إِذَا أَذْنَبَهُ ابْنُ آدَمَ اسْتَحْوَذَتْ عَلَيْهِ. قَالَ: إِذَا أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ، وَاسْتَكْثَرَ عَمَلُهُ، وَصَغُرَ فِي عَيْنِهِ ذَنْبُهُ" ^(٤).

جاء في لسان العرب: صَغُرَ الشَّيْءُ، أَي: صار صغيرًا ^(٥). والمعنى الَّذِي دلَّ عليه الفعل الفعل في الحديث المبارك هو أَنَّ الذَّنْبَ يَتَحَوَّلُ فِي عَيْنِ مُرْتَكِبِهِ مِنْ كَوْنِهِ ذَنْبًا كَبِيرًا يَجِبُ تَجَنُّبُهُ وَالتَّوْبَةُ مِنْهُ وَالنَّدَمُ عَلَيْهِ، إِلَى شَيْءٍ صَغِيرٍ لَا قِيمَةَ لَهُ وَلَا يَسْتَحِقُّ التَّوْبَةَ وَالِاسْتِغْفَارَ. وهذه الصَّيرُورَةُ فِي تَغْيِيرِ رُؤْيَا الْإِنْسَانِ إِلَى الذَّنْبِ الَّذِي يَرْتَكِبُهُ تُعَدُّ مِنْ أخطرِ مراحِلِ الْغَفْلَةِ

(١) ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ١٩٥، وشرح الرضي على الشافعية: ١/ ٧٦، ودروس التصريف: ٥٦، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٨٥.

(٢) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ١٠٧/ ٧، وينظر: كنز العمال: ٣٩٣/ ١٥.

(٣) ينظر: منحة الباري في شرح صحيح البخاري: ٣٠٢/ ٨.

(٤) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٣٦٣/ ٣، وينظر: الكافي: ٣١٤/ ٢.

(٥) ينظر: لسان العرب: ٧/ ٣٥١-٣٥٢ (صغر).

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

الَّتِي يَصِلُ إِلَيْهَا الْمَذْنِبُ؛ لِأَنَّ مَرْتَكِبَهُ يَعُودُ إِلَيْهِ بِاسْتِمْرَارٍ كَوْنُ قَلْبِهِ مَحْجُوبًا بِحِجَابِ الْغَفْلَةِ وَعِنْدُنَا يَتِمَكَّنُ الشَّيْطَانُ مِنْهُ^(١) .

وَمِنْ جُمْلَةِ الْأَفْعَالِ الَّتِي وَرَدَتْ أَمْثَلَةٌ هَذَا الْبِنَاءِ، الْفِعْلُ (قَصَرَ) فِي قَوْلِهِ (ﷺ): "فَمَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا قَصُرَ أَمْلُهُ فِيهَا وَتَرَكَهَا لِأَهْلِهَا"^(٢). يُقَالُ: قَصَرَ الشَّيْءُ قَصْرًا وَقَصَارَةً: صَارَ قَصِيرًا^(٣). وَمَعْنَى (قَصُرَ أَمْلُهُ) فِي الْحَدِيثِ الْمُبَارَكِ أَيُّ: صَارَ قَصِيرًا. وَمَعْنَى التَّحَوُّلِ وَالصَّيْرُورَةِ بَيْنَ؛ إِذْ إِنَّ مِنَ الطَّبْعِيِّ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ ذَا أَمَلٍ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، يَطِيلُ فِيهَا النَّظَرُ إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ، فَإِذَا تَيَقَّنَ أَنَّهَا دَارُ رَحْلَةٍ وَبِلَاءٍ زَهْدٍ فِيهَا، وَتَحَوَّلَ نَظَرُهُ فِيهَا إِلَى الْقَصْرِ بَدَلَ الْإِطَالَةِ، وَمِنْ ثَمَّ يَصِيرُ أَمْلُهُ قَصِيرًا فِي الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ صَغَّرَهَا وَأَبْغَضَهَا هِيَ وَمُحِبِّهَا، فَالْعَاقِلُ مَنْ تَرَوَّدَ فِيهَا لِدَارِ الْآخِرَةِ .

٢- مَا دَلَّ عَلَى صِفَةِ مَعِينَةٍ:

وَمِنْ الْأَفْعَالِ الَّتِي وَرَدَتْ عَلَى هَذَا الْبِنَاءِ الْفِعْلُ (حَسَنَ)، فِي قَوْلِهِ (ﷺ): "إِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ شَهْرٌ عَظِيمٌ. يُضَاعَفُ اللَّهُ فِيهِ الْحَسَنَاتِ وَيَمْحُو فِيهِ السَّيِّئَاتِ وَيَرْفَعُ فِيهِ الدَّرَجَاتِ، مَنْ تَصَدَّقَ فِي هَذَا الشَّهْرِ بِصَدَقَةٍ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ أَحْسَنَ فِيهِ إِلَى مَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ حَسَنَ فِيهِ خُلُقَهُ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ"^(٤).

فـ(حَسَنَ) دَلَّ عَلَى صِفَةِ مَعِينَةٍ، وَهِيَ الْإِحْسَانُ. فَالرَّسُولُ (ﷺ) اسْتَعْمَلَ هَذَا الْفِعْلَ لِيَدُلَّ عَلَى صِفَةٍ وَاضِحَةٍ فِي أَخْلَاقِ الصَّائِمِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ. فَأَخْلَاقُ الصَّائِمِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ تَكُونُ عَلَى صِفَةٍ حَسَنَةٍ أَفْضَلُ مِمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ قَبْلَ رَمَضَانَ؛ لِمَا فِي هَذَا الشَّهْرِ مِنْ عَظَمَةٍ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى سَائِرِ الشُّهُورِ، فَيَصِيرُ الْعَبْدُ أَكْثَرَ حِلْمًا لِيَنَالَ بِذَلِكَ مَغْفِرَةَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

٢- الْإِتْيَانُ بِالشَّيْءِ الْمَشْتَقِّ الْفِعْلِ مِنْهُ:

وَقَدْ وَرَدَ لِهَذَا الْمَعْنَى الْفِعْلُ (كَرُمَ) فِي حِكْمَتِهِ (ﷺ): "مَا كَرُمَ عَبْدٌ عَلَى اللَّهِ إِلَّا إِزْدَادَ عَلَيْهِ الْبَلَاءُ"^(٥). يُقَالُ: كَرُمَ السَّحَابُ: إِذَا جَاءَ بِالْغَيْثِ كَرَمًا^(٦). نَلْحِظُ فِي الْحَدِيثِ الْمُبَارَكِ أَنَّ

(١) ينظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: ٣ / ٣٧٦.

(٢) حكم النبي الأعظم: ٣ / ٣٧٩ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧ / ٩٣.

(٣) ينظر: لسان العرب: ١١ / ١٨٢-١٨٣ (قصر).

(٤) حكم النبي الأعظم: ٣ / ٥٨١ ، وينظر: عيون أخبار الرضا: ١ / ٢٦٣ .

(٥) حكم النبي الأعظم: ٣ / ٦٠٢ ، وينظر: بحار الأنوار: ٨١ / ١٩٥.

(٦) ينظر: لسان العرب: ١٢ / ٧٩ (كرم).

الباب الأول.....بناءً الكلمة في حكم النبي الأعظم

أنَّ الفعل قد دلَّ على إتيان العبد لحقيقة الكرم، وهذا الإتيان هو لدلالة التقرب من الحضرة الإلهية، والتقرب هذا لا يكون إلا بالابتلاء؛ إذ إنَّ البلاء علامة على قرب العبد من الله تبارك وتعالى؛ فالبلاء يتطلب الصبر، والصبر يطهر القلب ويرفع من درجة العبد عند الله، ومن ثمَّ يكون العبد قد أتى بالكرم حقيقة^(١).

(١) ينظر: حكم النبي الأعظم: ٣ / ٦٣٩.

المبحث الثاني

أبنية الفعل الثلاثي المزيد بحرف واحد ودلالاته

نعني بالفعل المزيد هو ما زيد على حروف بنائه الأصلية حرف واحد أو أكثر لغرضٍ ما^(١). وقد حدّه ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) بقوله: "إلحاق الكلمة من الحروف ما ليس منها، إمّا لإفادة معنى كالف ضارب و واو مضروب وإمّا لضرب من التّوسّع في اللّغة نحو ألف حمار و واو عمود وياء سعيد"^(٢). ويُفهم من كلام ابن يعيش أنّ الزّيادة على أصول الفعل الثلاثي تؤدّي فائدتين، الأولى معنويّة، وتتمثّل هذه الفائدة بتوسّع المعاني والدلالات، والثّانية فائدة لفظيّة، تتمثّل بتكاثر ألفاظ اللّغة واتّساعها.

والزّيادة على ضربين أيضاً، الأولى تكون بتضعيف أحد أصول الفعل، كتضعيف عينه نحو (طوّف)، أو لامه نحو: (احمّر). والأخرى تكون بزيادة حرفٍ أو أكثر على أصول الفعل من أحرف الزيادة المجتمعة في عبارة (سألتمونيها)^(٣).

والفعل الثلاثي المزيد بحرفٍ واحدٍ له ثلاثة أبنية، هي (أفعل) بزيادة الهمزة في أوله، و(فعل) بتضعيف عينه، و(فَاعَل) بزيادة ألف بين فائه وعينه، وكلّ بناءٍ من هذه الأبنية المزيدة يحمل معاني ودلالاتٍ مختلفةً لم تكن موجودةً في أصل البناء المجرد^(٤).

وقد وردت هذه الأبنية في حكم النّبي الأعظم وحملت دلالاتٍ مختلفةً، وفيما يأتي هذه الأبنية وما فادت من معاني في كلامه (عليه السلام):

أولاً: بناء (أفعل) ودلالاته :

وهذا البناء مزيدٌ بحرفٍ واحدٍ، وهو (الهمزة) في أوله، ويأتي لمعانٍ كثيرةٍ تختلف باختلاف السّياق اللّغويّ الذي تردُّ فيه^(٥). وسنذكر ما ورد من هذه المعاني في حكمه (عليه السلام):

(١) ينظر: المنصف: ١ / ١١ ، وأبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٣٩١ ، والصّرف الكافي: ٤٤ .

(٢) شرح المفصل: ٩ / ١٤١ .

(٣) ينظر: شرح تصريف العزي: ٨٣ ، والمغني في تصريف الأفعال: ٦٢-٦٣ .

(٤) ينظر: تصريف الأسماء والأفعال: ٩٨ ، ودروس التّصريف: ٧٠ .

(٥) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب: ٣٧٣ ، وشرح الرّضي على الشّافية: ١ / ٨٣ ، ودروس التّصريف: ٧١-٧٣ ، وأوزان الأفعال ومعانيها: ٢٩٤-٣١٢ .

١ - التَّعْدِيَةُ:

تُعَدُّ التَّعْدِيَةُ مِنْ أَشْهُرِ مَعَانِي هَذَا الْبِنَاءِ ^(١). وَالتَّعْدِيَةُ "أَنْ تُضَمِّنَ الْفِعْلَ مَعْنَى التَّصْيِيرِ؛ فَيَصْبَحُ الْاسْمُ الَّذِي كَانَ فَاعِلًا فِي الْأَصْلِ مَفْعُولًا" ^(٢).

وَمِثَالُ مَا وَرَدَ لِهَذَا الْمَعْنَى الْفِعْلَ (أَفْرَغَ)، فِي قَوْلِهِ (ﷺ): "لَنْ يَعْمَلَ ابْنُ آدَمَ عَمَلًا أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ رَجُلٍ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ إِمَامًا... أَوْ أَفْرَغَ مَاءَهُ فِي امْرَأَةٍ حَرَامًا" ^(٣).
فَالْفِعْلَ (أَفْرَغَ) مُزِيدٌ بِالْهَمْزَةِ، وَمَجْرَدُهُ الثَّلَاثِي (فَرَّغَ) وَهُوَ فِعْلٌ لَازِمٌ. وَهَذِهِ الْهَمْزَةُ تَسْمَى (هَمْزَةُ النُّقْلِ) ^(٤)؛ إِذْ هِيَ مِنْ نَقَلَتِ الْفِعْلَ مِنَ اللَّزُومِ إِلَى التَّعْدِيَةِ.

٢ - الْإِمْهَالُ:

وَمِمَّا يُسْتَشْهَدُ بِهِ مِنَ الْأَفْعَالِ الْوَارِدَةِ فِي حِكْمِهِ (ﷺ) عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، الْفِعْلَ (أَرْبَعُوا)، فِي قَوْلِهِ (ﷺ): "اغْبُوا فِي الْعِيَادَةِ وَأَرْبَعُوا، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَغْلُوبًا" ^(٥).
يُقَالُ: أَرْبَعْتَهُ الْحَمَى، وَذَلِكَ أَنْ يُحَمَّ الْإِنْسَانُ يَوْمًا، ثُمَّ يَتْرَكَ يَوْمَيْنِ لَا يُحَمَّ، لَتَعُودَ إِلَيْهِ الْحَمَى فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ ^(٦)، وَهَذَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْفِعْلَ (أَرْبَعُوا) فِي الْحَدِيثِ الْمُبَارَكِ؛ إِذْ دَلَّ عَلَى عَلَى مَعْنَى الْإِمْهَالِ ^(٧) فِي عِيَادَةِ الْمَرِيضِ، أَيْ: تَرَكَ الْمَرِيضَ يَوْمَيْنِ بَعْدَ كُلِّ عِيَادَةٍ وَزِيَارَتِهِ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ.

٣ - إِصَابَةُ الْمَفْعُولِ بِأَصْلِ الْفِعْلِ:

وَمِنْ الْأَفْعَالِ الَّتِي اسْتَقَرَّتْ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، الْفِعْلَ (أَرْمَضَ)، فِي قَوْلِهِ (ﷺ): "قِيلَ لِلنَّبِيِّ (ﷺ): يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا رَمَضَانُ؟ قَالَ: أَرْمَضَ اللَّهُ فِيهِ ذُنُوبَ الْمُؤْمِنِينَ وَغَفَرَهَا لَهُمْ" ^(٨).

(١) يَنْظُرُ: الْكِتَابُ: ٤ / ٦٠-٦٣، شَرْحُ الرَّضِيِّ عَلَى الشَّافِيَّةِ: ١ / ٨٣، وَالْمَغْنِي فِي تَصْرِيفِ الْأَفْعَالِ: ١٢٤، وَالصَّرْفُ الْوَاقِي: ٢٨٩.

(٢) دُرُوسُ التَّصْرِيفِ: ٧١.

(٣) حِكْمُ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٥ / ١١، وَيَنْظُرُ: الْخِصَالُ: ١٢٠.

(٤) يَنْظُرُ: الْخِصَالُ: ١ / ١٠٧.

(٥) حِكْمُ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٧ / ٣١١، وَيَنْظُرُ: بَحَارُ الْأَنْوَارِ: ٨١ / ٢٢٢.

(٦) يَنْظُرُ: لِسَانُ الْعَرَبِ: ٥ / ١١٤ (رَبْعٌ).

(٧) يَنْظُرُ: أَوْزَانُ الْأَفْعَالِ وَمَعَانِيهَا: ٣٠١.

(٨) حِكْمُ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٦ / ١٥، وَيَنْظُرُ: الدَّرُ الْمُنْتَوَرُ: ١ / ١٨٣.

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حَكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

يُقَالُ: أَرْمَضَ الْحَرُّ الْقَوْمَ: أَي: أَصَابَهُم بِالرَّمَضِ، وَهُوَ شِدَّةُ الْحَرِّ، وَرَمِضْتُ قَدَمَا فَلَان: أُحْرِقْتُ بِالرَّمَضَاءِ^(١). نَلْحِظُ أَنَّ الْفِعْلَ فِي الْحَدِيثِ الْمُبَارَكِ قَدْ دَلَّ عَلَى إِصَابَةِ الذَّنُوبِ بِمَعْنَى الْفِعْلِ الْأَصْلِيِّ، وَهُوَ الْإِحْتِرَاقُ بِالرَّمَضَاءِ؛ إِذْ إِنَّ الذَّنُوبَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ يُصِيبُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا يَحْرِقُهَا وَيَزِيلُهَا كَمَا تَحْرِقُ الرَّمَضَاءُ مَا تَقَعُ عَلَيْهِ، حَتَّى يَكُونَ الْإِنْسَانُ بِهَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ طَاهِرًا مِنْ ذُنُوبِهِ^(٢).

٤ - الْمِبَالِغَةُ:

وَنَعْنِي بِالْمِبَالِغَةِ "الرَّيَاذَةِ فِي مَعْنَى الْفِعْلِ وَتَوْكِيدُهُ. وَتَصَحَّ الْمِبَالِغَةُ إِذَا كَانَ الْمَجْرَدُ وَالْمَزِيدُ لِمَعْنَى وَاحِدٍ"^(٣). وَمِمَّا تَجْرِي عَلَيْهِ الْأَفْعَالُ فِي هَذَا الْمَعْنَى، الْفِعْلُ (أَحَبَّ)، فِي حِكْمَتِهِ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) : "مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا خُشِرَ مَعَهُمْ"^(٤).

فَالْفِعْلُ (أَحَبَّ) فِي قَوْلِهِ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) عَلَى الْمِبَالِغَةِ لِلْفِعْلِ (حَبَّ)^(٥). فزِيَادَةُ الْهَمْزَةِ عَلَى بِنَاءِ بِنَاءِ الْفِعْلِ الْأَصْلِيِّ مِبَالِغَةٌ وَزِيَادَةٌ لِمَعْنَى الْفِعْلِ، فـ(أَحَبَّ) أَشَدُّ حُبِّهِ لَهُمْ. وَهَذِهِ الْمِبَالِغَةُ فِي الْحَبِّ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا الْفِعْلُ تَكُونُ سَبَبًا لِلْحَشْرِ مَعَ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَحَبَّهُمْ وَتَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِهِمْ.

٥ - الْمَنْعُ:

وَمِثَالُ مَا جَاءَ لِهَذَا الْمَعْنَى الْفِعْلُ (أَمْسَكَ)، فِي قَوْلِهِ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) : "إِنَّ الْمُؤْمِنَ أَخَذَ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَدْبًا حَسَنًا؛ إِذَا وَسَّعَ عَلَيْهِ وَسَّعَ عَلَى نَفْسِهِ، وَإِذَا أَمْسَكَ عَلَيْهِ أَمْسَكَ"^(٦). يُقَالُ: أَمْسَكَ فَلَانُ مَالَهُ: أَي حَبِسَهُ وَمَنَعَهُ، وَأَمْسَكَ الرَّجُلُ عَنِ الْأَمْرِ كَفَّ عَنْهُ، وَأَمْسَكَ فَلَانُ عَنِ الْكَلَامِ: سَكَتَ، فَامْتَنَعَ عَنِ الْكَلَامِ^(٧). فَقَدْ دَلَّ الْفِعْلُ (أَمْسَكَ) فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ عَلَى الْمَعْنَى الْمَعْجَمِيِّ نَفْسَهُ وَهُوَ (الْمَنْعُ).

٦ - الصِّيْرُورَةُ:

وَمِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي اسْتَقَرَّتْ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، الْفِعْلُ (أَصْفَرَ)، فِي قَوْلِهِ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) : "إِنَّ أَصْفَرَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ أَصْفَرَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ"^(٨).

(١) ينظر: تاج العروس: ١٨ / ٣٦١ (رمض).

(٢) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ١٠ / ٢٦٦.

(٣) تصريف الأسماء والأفعال: ١١٣

(٤) حكم النبي الأعظم: ٦ / ٤١٤ ، وينظر: المستدرک على الصحيحين: ٣ / ٢٠.

(٥) ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ١٩٨ ، والصرف الواضح: ١٠٠.

(٦) حكم النبي الأعظم: ٤ / ٣١٠ ، وينظر: شعب الإيمان: ٥ / ٢٥٩.

(٧) ينظر: أساس البلاغة: ٢ / ٢١٣ (مسك).

(٨) حكم النبي الأعظم: ٧ / ١٠٧ ، وينظر: الأمالي، الشريف المرتضى: ٢ / ٢٧.

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

يُقَالُ: بَيْتٌ صَفَرٌ مِنَ الْمَتَاعِ: أَي: خَالٍ مِنَ الْمَتَاعِ، وَأَصْفَرَ الرَّجُلُ فَهُوَ مُصَفَّرٌ: أَي صَارَ فَقِيرًا خَالِي الْيَدَيْنِ^(١). والفعل (أَصْفَرَ) فِي الْحَدِيثِ الْمُبَارَكِ دَلٌّ عَلَى الصَّيْرُورَةِ^(٢)، وَ(أَصْفَرَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ) أَي: صَارَ صَفْرًا وَخَالِيًا مِنْهُ؛ إِذْ إِنَّ الْبَيْتَ يَتَحَوَّلُ بِهَذَا الْخُلُوِّ إِلَى حَالٍ يَقِلُّ فِيهَا الْخَيْرُ وَتَذْهَبُ الْبَرَكَةُ.

٧- الدَّخُولُ فِي الشَّيْءِ:

وَيَكُونُ الدَّخُولُ فِي الْمَكَانِ نَحْوُ: أَعْرَقَ: أَي دَخَلَ الْعِرَاقَ. وَيَكُونُ لِلدَّخُولِ فِي الزَّمَانِ أَيْضًا نَحْوُ أَمْسَى، أَصْبَحَ. وَقَدْ وَرَدَ مَا هُوَ دَالٌّ عَلَى الدَّخُولِ فِي الزَّمَانِ فَقَطْ، قَوْلُهُ (ﷺ): "يَا أَبَا ذَرٍّ، حُبُّ الْمَالِ وَالشَّرَفِ أَذْهَبُ لِدَيْنِ الرَّجُلِ مِنْ ذَنْبَيْنِ ضَارِبَيْنِ فِي زَرْبِ الْعَنَمِ فَأَغَارَا فِيهَا حَتَّى أَصْبَحَا، فَمَاذَا أَبْقَا مِنْهَا؟"^(٣). وَمَعْنَى (أَصْبَحَا): أَي دَخَلَا وَقْتُ الصَّبَاحِ^(٤).

٨- بِمَعْنَى أَصَابِهِ كَذَا:

وَمِمَّا يُسْتَشْهَدُ بِهِ مِنَ الْأَفْعَالِ الْوَارِدَةِ فِي حِكْمِهِ (ﷺ) عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، الْفِعْلُ (أَشْفَقَ)، فِي قَوْلِهِ (ﷺ): "الصَّبْرُ أَرْبَعُ شُعَبٍ: الشُّوقُ، وَالشَّقَقَةُ، وَالزَّهَادَةُ، وَالتَّرَقُّبُ، فَمَنْ اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَلَاحًا عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَمَنْ أَشْفَقَ عَنِ النَّارِ رَجَعَ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَمَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا تَهَاوَنَ بِالْمُصِيبَاتِ، وَمَنْ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ فِي الْخَيْرَاتِ"^(٥).

إِنَّ مَفْهُومَ الْفِعْلِ (أَشْفَقَ) أَي أَصَابَهُ الْإِشْفَاقُ، وَالشَّقَقُ الْخَوْفُ وَالْحَذَرُ مِنْ أَمْرٍ مَا^(٦). وَمَعْنَى (أَشْفَقَ عَنِ النَّارِ) أَصَابَهُ الْخَوْفُ وَالْحَذَرُ مِنَ النَّارِ^(٧)، فَمَلَأَ قَلْبَهُ ذَلِكَ الْخَوْفُ، حَتَّى أَثَّرَ فِي عَمَلِهِ وَسُلُوكِهِ، فَتَرَجَعَ عَنِ الْمَحْرَمَاتِ، وَانْصَرَفَ عَنْهَا.

٩- مَعْنَى التَّعْرِيزِ:

وَالتَّعْرِيزُ، أَنَّكَ تَجْعَلُ "مَا كَانَ مَفْعُولًا لِلثَّلَاثَةِ مُعْرَضًا لِأَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا لِأَصْلِ الْحَدَثِ، سِوَاهُ صَارَ مَفْعُولًا لَهُ أَوْ لَا"^(٨).

(١) يَنْظُرُ: الصَّحَاحُ تَاجُ اللُّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ: ٧١٤ / ٢ (صَفَر).

(٢) يَنْظُرُ: شَرْحُ الرِّضِيِّ عَلَى الشَّافِيَّةِ: ٨٨ / ١، وَأَبْنِيَةُ الصَّرْفِ فِي كِتَابِ سَيَبَوِيهِ: ٣١٩.

(٣) حِكْمُ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ١٦١ / ٧، وَيَنْظُرُ: بَحَارُ الْأَنْوَارِ: ٨٠ / ٧٧.

(٤) يَنْظُرُ: دُرُوسُ التَّصْرِيفِ: ٧٢.

(٥) حِكْمُ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٤٥٠ / ٤، وَيَنْظُرُ: كَنْزُ الْعَمَالِ: ٢٨٦ / ١.

(٦) يَنْظُرُ: تَاجُ الْعُرُوسِ: ٥٠٨ / ٢٥ (شَفَقَ).

(٧) يَنْظُرُ: أَوْزَانُ الْأَفْعَالِ وَمَعَانِيهَا: ٣٠٥.

(٨) شَرْحُ الرِّضِيِّ عَلَى الشَّافِيَّةِ: ٨٨ / ١، وَيَنْظُرُ: الْمَغْنِي فِي تَصْرِيفِ الْأَفْعَالِ: ١٢٦، وَالتَّطْبِيقُ الصَّرْفِيُّ: ٢٩.

الباب الأول.....بناء الكلمة في حكم النبي الأعظم

ومن النماذج التي وردت من الأفعال على هذا المعنى في حكمه (عليه السلام)، الفعل (أحلّوا)، في قوله (عليه السلام): "ما ظهر في قوم الرّبا والرّنا إلّا أحلّوا بأنفسهم عقاب الله" (١). نلاحظ في الحديث المبارك أنّ الفعل (أحلّوا) قد دلّ على معنى التعريض (٢). و(أحلّوا بأنفسهم عقاب الله) أي: عرضوا أنفسهم لإحلال العقوبة فيهم.

١٠ - الدلالة على أن الفاعل أنال المفعول من الاسم الذي اشتق منه الفعل:

ومن الأفعال التي جرى استعمالها على هذا المعنى، الفعل (أطعم)، في قوله (عليه السلام): "أيما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة" (٣). ومعنى (أطعم) في قوله (عليه السلام) أنّ الفاعل أنال الطّعام للمفعول. فالفعل مشتق من الاسم ذاته الذي تناوله المفعول وهو الطّعام (٤).

ثانياً: بناء (فعل) ودلالاته:

وهذا البناء مزيدٌ بحرف واحد، وهو تكرير عين الفعل (٥). والتّضعيف الذي وقع في عين الفعل هو لزيادة المعنى عن المجرد. يقول في ذلك ابن جنّي (٣٩٢هـ): "فلما كانت الأفعال دليلاً المعاني كرّروا أقواها وجعلوه دليلاً على قوّة المعنى المحدث به، وهو تكرير الفعل" (٦).

وقد كثرت المعاني والدلالات لهذا البناء، سنورد ما جاء منها في حكم النبي الأعظم:

١ - معنى التّكثير:

يُعَدُّ هذا المعنى من أشهر معاني هذا البناء؛ لأنّه غالباً ما يستعمل بناء (فعل) للتّكثير (٧)، ومما ورد بهذا المعنى الفعلين (فُتِّحَتْ، غُلِّقَتْ) في قوله (عليه السلام): "إذا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلِّسَتْ الشَّيَاطِينُ" (٨).

فقد دلّ الفعلان (فُتِّحَتْ، غُلِّقَتْ) على التّكثير (٩). وأنّ استعمال الرّسول (ﷺ) البناء البناء هو للدلالة على تكثير فتح أبواب الرحمة، وغلق أبواب جهنّم؛ إذ إنّ الله عزّ وجلّ يفتح

(١) حكم النبي الأعظم: ١٣٢ / ٧ ، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ٣٥٨ / ٦.

(٢) ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ١٩٨ ، وشذا العرف: ٧٨ ، وأبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٣٩٢.

(٣) حكم النبي الأعظم: ٤٤٨ / ٣ ، وينظر: سنن الترمذي: ٤٤٣ / ٤.

(٤) ينظر: أوزان الأفعال ومعانيها: ٣٠١.

(٥) ينظر: الممتع في التّصريف: ١١٧ ، وشرح الرّضي على الشّافية: ٩٢ / ١ ، والمهذب في علم التّصريف: ٦٩.

(٦) الخصائص: ١٥٧ / ٢.

(٧) ينظر: شرح الرّضي على الشّافية: ٩٢ / ١ ، والصّرف الواضح: ١٠٠.

(٨) حكم النبي الأعظم: ١٨ / ٦.

(٩) ينظر: ارتشاف الصّرب: ١٧٤ / ١ ، وجامع الدّروس العربيّة: ٢١٨ / ١.

الباب الأول.....بناءً الكلمة في حكم النبي الأعظم

كل أبواب الرحمة لعباده في هذا الشهر المبارك؛ ليزدادوا في طاعته وعبادته. ويغلق كل أبواب جنتهم؛ حفاظاً على العباد من الوقوع في المعاصي، وتنزيهاً لأنفس الصوام من رجس الفواحش^(١).

٢ - التكرار:

ومثال هذا المعنى الفعل (يُثَوِّبُ)، في قوله (ﷺ): "حَسْبُ الْمُؤْمِنِ مِنَ الشَّقَاءِ وَالْخَبِيَةِ أَنْ يَسْمَعَ الْمُؤَذِّنَ يُثَوِّبُ بِالصَّلَاةِ فَلَا يُجِيبُهُ"^(٢). وهو مضارع الفعل (ثَوَّبَ)، والتثويب: تكرار النداء إلى الصلاة^(٣)، تعظيماً لها، ودعوة للمصلين؛ إذ أن تجاهل هذا النداء المتكرر يكون سبباً لضياع البركة وشقاء المؤمن^(٤).

٣ - اختصار الحكاية:

ومن الأفعال التي استقرت على هذا المعنى، الفعل (كَبَّرَ)، في قوله (ﷺ): "إِذَا نَادَى الْمُنَادِي فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَاسْتُجِيبَ الدُّعَاءُ، فَمَنْ نَزَلَ بِهِ كَرْبٌ أَوْ شِدَّةٌ فَلْيَتَحَيَّنِ الْمُنَادِي، فَإِذَا كَبَّرَ كَبَّرُوا، وَإِذَا تَشَهَّدَ تَشَهَّدُوا"^(٥). و(كَبَّرَ) دلّ على اختصار لحكاية^(٦)، وهي اختصار اختصار عبارة (الله أكبر).

٤ - الدعوة إلى الشيء:

والمثال على هذا المعنى الفعل (نَجَّوْا)، في قوله (ﷺ): "نَجَّوْا أَنْفُسَكُمْ، اْعْمَلُوا، وَخَيْرُ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ"^(٧). فالفعل (نَجَّوْا) الأمر من الفعل الماضي (نَجَّى)، ومعناه الدعوة إلى النجاة والخلص^(٨)، فالرسول (ﷺ) يستعمل هذه الصيغة الفعلية ليدعو للنجاة وإنقاذ النفس من الهلاك والعذاب بالأعمال الصالحة. وهذا الفعل فيه معنى الحث على النجاة والخلص أكثر من مجردة (نجا).

(١) ينظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: ٣/ ٣٥٠-٣٥١.

(٢) حكم النبي الأعظم: ٥/ ٢٣٠، وينظر: المعجم الكبير، للطبراني: ٢٠/ ١٨٣.

(٣) ينظر: لسان العرب: ٢/ ١٤٧ (ثوب).

(٤) ينظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: ٥/ ٧-٨.

(٥) حكم النبي الأعظم: ٥/ ٢٢٦، وينظر: المستدرک على الصحيحين: ١/ ٧٣١.

(٦) ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد: ٢/ ٦٠١.

(٧) حكم النبي الأعظم: ٥/ ٢٤٠.

(٨) ينظر: أوزان الأفعال ومعانيها: ٣٢٢.

٥- الجعل:

ومن أمثلة الأفعال التي اتخذت هذا المعنى الفعلين (تُبَيِّضُ) و(تُطَيِّبُ)، في قوله (ﷺ): "صَلَاةُ اللَّيْلِ تُبَيِّضُ الْوُجُوهُ، وَتُطَيِّبُ الرِّيحَ، وَتَجْلِبُ الرِّزْقَ"^(١). جاء في لسان العرب "بَيَّضَ الشَّيْءَ جَعَلَهُ أَبْيَضَ"^(٢). نلاحظ أنَّ الفعلين في الحديث المبارك دلًّا على معنى الجعل^(٣)، أي أي أنَّ صلاة الليل تجعل وجه المصلي أبيض، وتجعل ريحه طيبة.

٦- سرعة إيقاع الفعل:

ومثال هذا المعنى الفعل (عَجَلَ)، في قوله (ﷺ): "مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْعُو اللَّهَ بِشَيْءٍ إِلَّا اسْتَجَابَ لَهُ: إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَهُ وَإِمَّا أَنْ يُكَفِّرَ عَنْهُ مِنْ خَطَايَاهُ بِمِثْلِ مَا دَعَا"^(٤). يُقال: عَجَلَ في الأمر: أي أسرع بإنجازه، والعجالة ما تُعَجَّل من شيء عند إنجازهِ^(٥). والمعنى الذي دلَّ عليه الفعل (عَجَلَ) في الحديث الشريف: هو إحداث الفعل بسرعة معجلة قبل ما هو معتاد. وتعجيل الدعاء هو الأسرع في استجابة دعوة الداعي، أي أنَّ الله عزَّ وجلَّ يستجيب الدعاء، فيظهر أثره فورًا.

٧- المبالغة:

ومما سُجِّل من الأفعال في حكمه (ﷺ) على هذا المعنى، الفعل (حَقَّرَ) في قوله (ﷺ): "لَا تُحَقِّرَنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ صَغِيرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ كَبِيرٌ"^(٦). الحَقْر الدَّالَّة والتَّصْغِير، وحَقَّرَ الشَّيْءَ بالغ في حَقْرِهِ وتَصْغِيرِهِ^(٧). فالرَّسُولُ (ﷺ) استعمل الفعل (تحقَّر) للدلالة على المبالغة في إحداث الفعل^(٨)؛ إذ إنَّه (ﷺ) يبالِغُ في المسلم المسلم عن النَّظَر إلى النَّاسِ باحتقارٍ شديدٍ، واستصغارٍ مذلٍّ لهم.

(١) حكم النبي الأعظم: ١٠٦ / ٧ ، وينظر: عوالي اللئالي: ١ / ٣٥٢.

(٢) لسان العرب: ١ / ٥٥١ (بيض).

(٣) ينظر: المستقصى في علم التصريف: ١ / ٣٢٤ ، وأوزان الأفعال ومعانيها: ٨١.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٥ / ٣٨٨.

(٥) ينظر: مقاييس اللغة: ٤ / ٢٣٧ (عجل).

(٦) حكم النبي الأعظم: ٤ / ٣١٨ ، وينظر: تنبيه الخواطر: ١ / ٣٩.

(٧) ينظر: كتاب العين: ٣ / ٤٣ (حقّر).

(٨) ينظر: الصِّرف الوافي: ٢٨٠.

٨- العمل بالوقت المشتق منه الفعل:

ومن أمثلة هذا المعنى الفعل (يُبَكِّرُ)، في قوله (ﷺ): "إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ الْحَاجَةَ فَلْيُبَكِّرْ إِلَيْهَا؛ فَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يُبَارِكَ لَأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا"^(١). يُقَالُ: بَكَرَ الرَّجُلُ بُكُورًا خَرَجَ بَاكِرًا أَوَّلَ النَّهَارِ، قَبْلَ بَزْوِغِ الشَّمْسِ^(٢). وَالْبُكُورُ وَالْإِبْكَارُ اسْمٌ "يَدُلُّ عَلَى الْوَقْتِ وَهُوَ الْبَكْرَةُ"^(٣). والفعل (يُبَكِّرُ) مشتق من الاسم الدال على وقت (البكور) وهو بداية الصّباح^(٤).

٩- العمل بالأصل المشتق الفعل منه:

ومن النّماذج التي وردت من الأفعال على هذا المعنى في حِكْمِهِ (ﷺ)، الفعل (حَصَّنُوا)، في حِكْمَتِهِ الْمُبَارَكَةِ (ﷺ): "حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ"^(٥).

قال أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ): "الْحَاءُ وَالصَّادُ وَالنُّونُ أَضْلُ وَاحِدٌ مُنْقَاسٌ، وَهُوَ الْحِفْظُ وَالْحِيَاظَةُ وَالْحِرْزُ. فَالْحِصْنُ مَعْرُوفٌ...وَالْفِعْلُ مِنْ هَذَا حَصَّنَ"^(٦). و(حَصَّنَ) في الحديث المبارك مزيد بالتضعيف من الفعل (حَصَّنَ) المشتق من (الحِصْن) وهو المكان المحفوظ من تمكّن الأعداء إليه، والمعنى في الحديث الشريف احفظوا أموالكم بالصدقة، فالصدقة تحصّن المال، وتقيه من الحرام والفساد، وتمنعه من الذّهاب كما يمنع الحصن العدو من اختراقه^(٧).

١٠- الذّكر:

ومن الأفعال التي جرى استعمالها على هذا المعنى، الفعل (سَمَّى)، في قوله (ﷺ): "مَنْ سَمَّى بِاسْمِي يَرْجُو بَرَكَتِي وَيُؤْمِنِي، غَدَتِ عَلَيْهِ الْبَرَكََةُ وَرَاحَتْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"^(٨). نلاحظ في الحديث الشريف أنّ الفعل (سَمَّى) دلّ على الذّكر اللفظي^(٩) لاسم النبي (ﷺ) أي ذكر اسم الرّسول (ﷺ) صراحةً، والتلفظ به. والذّكر هنا يكون بإطلاق اسم الرّسول الكريم على أسماء الأولاد قصدًا لذكر الرّسول وطلبًا للبركة.

(١) حكم النبي الأعظم: ٣ / ٤٨٠ ، وينظر: من لا يحضره الفقيه: ٣ / ١٥٧.

(٢) ينظر: لسان العرب: ١ / ٤٦٩-٤٧٠ (بكر).

(٣) الصّاح تاج اللّغة وصّاح العربيّة: ٢ / ٥٩٦ (بكر).

(٤) ينظر: شرح الرّضي على الشّافية: ١ / ٩٥ ، والمغني في تصريف الأفعال: ١٣٤.

(٥) حكم النبي الأعظم: ٧ / ١١٨ ، وينظر: المعجم الكبير، للطبراني: ١٠ / ١٢٨.

(٦) مقاييس اللّغة: ٢ / ٦٩ (حصن).

(٧) ينظر: فيض القدير: ٣ / ٥١٣-٥١٤.

(٨) حكم النبي الأعظم: ٣ / ٤٣٨ ، وينظر: أسد الغابة، ابن الأثير: ٢ / ٥٣٥.

(٩) ينظر: أوزان الأفعال ومعانيها: ٣٢٣.

١١ - نسبة المفعول إلى أصل الفعل:

ومن النماذج التي وردت من الأفعال على هذا المعنى في حديثه (عليه السلام) ، الأفعال التالية: (يُهوِّدانه، يُنصِّرانِه، يُمجِّسانِه)، في قوله (عليه السلام) : "ما من مولودٍ إلا يُولدُ على الفطرة، فأبواه يهوِّدانِه أو يُنصِّرانِه أو يُمجِّسانِه" (١) .

فالأفعال: هوِّد، نصَّر، مجَّس، دلَّت على نسبة المفعول به وهو (الضمير الهاء العائد على المولود) إلى الأصل المشتقَّ الفعل منه (٢)، وهو اليهوديَّة، النصَّرائيَّة، المجوسيَّة.

ثالثاً: بناء (فَاعِل) ودلالاته:

وهو آخر أبنية الفعل الثلاثي المزيد بحرف واحد، والزيادة في هذا البناء تكون بزيادة الألف بين فائه وعينه (٣) .

يأتي هذا البناء لمعانٍ متعددة. سنذكر ما ورد منها في حكم النبي الأعظم:

١ - المشاركة:

نعني بالمشاركة "نسبة معنى الحدث إلى الفاعل والمفعول، أي: اشتراكهما في العمل، واقتسامهما الفاعليَّة والمفعوليَّة" (٤)؛ إذ يُعَدُّ هذا المعنى من أهمِّ معاني هذا البناء، قال سيبويه (١٨٠هـ): "اعلم أنَّك إذا قلت: فاعلته، فقد كان من غيرك إليك مثل ما كان منك إليه" (٥) .

ومن الشواهد الواردة من الأفعال على هذا المعنى، في حكم النبي الأعظم، قوله (عليه السلام): "من وَاَسَى الْفَقِيرَ مِنْ مَالِهِ، وَأَنْصَفَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ، فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ حَقًّا" (٦) .

فالفعل (وَأَسَى) دلَّ على المشاركة (٧). فالرسول (عليه السلام) تعمل هذه الصيغة الدالة على المشاركة ليحثَّ المؤمنَ الصَّالحَ على جعل الفقيرَ شريكاً له فيما رزقه الله تبارك

(١) حكم النبي الأعظم: ٤٥٦ / ١ ، وينظر: صحيح البخاري: ١٧٩٢ / ٤ .

(٢) ينظر: شرح الرضي على الشافعية: ٩٤ / ١ ، وشرح تصريف العزي: ٨٤ ، والصرف الواضح: ١٠١ .

(٣) ينظر: المفصل في صناعة الإعراب: ٣٧٣ ، وشرح الرضي على الشافعية: ٩٦ / ١ ، مختصر الصرف: ٨٤ ، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٩٥ .

(٤) تصريف الأسماء والأفعال: ١١٥ .

(٥) الكتاب: ٦٨ / ٤ .

(٦) حكم النبي الأعظم: ٣٣٦ / ٤ ، وينظر: الكافي: ١٤٧ / ٢ .

(٧) ينظر: ارتشاف الضرب: ١٧٤ / ١ ، وشذا العرف: ٧٨ .

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

وتعالى، عن طريق الزَّكَاةِ وَالصَّدَقَةِ؛ حَتَّى يَعِينِ الْفَقِيرَ، وَيَخَفِّفَ عَنْهُ. فمشاركة الفقير عبء الحياة، وإنصاف النَّاسِ، هي من علامات المؤمن، وغاية الكمال من الإيمان^(١).
٢ - الطَّلَبُ:

ومِمَّا يُسْتَشْهَدُ بِهِ مِنَ الْأَفْعَالِ الْوَارِدَةِ فِي حِكْمِهِ (ﷺ) عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، الْفِعْلُ (يُنَاجِي)، فِي قَوْلِهِ (ﷺ): "إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي إِنْمَا يَقُومُ يُنَاجِي رَبَّهُ. فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ يُنَاجِيهِ"^(٢). وهو مضارع الفعل (نَاجَى)، الَّذِي يَدُلُّ عَلَى الطَّلَبِ^(٣)، وَمَعْنَى (يُنَاجِي رَبَّهُ) أَي: يَطْلُبُ الْحَاجَةَ وَالْمُسَاعَدَ وَالنَّجَاةَ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سِرًّا فِي صَلَاتِهِ، عَلَى أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْمُنَاجَاةُ الَّتِي يَرُدُّهَا بِلِسَانِهِ مَعْبَرَةً عَمَّا فِي قَلْبِهِ، وَإِلَّا كَانَتْ مُنَاجَاةً بَعِيدَةً عَنِ الْقَبُولِ^(٤).
٣ - بِمَعْنَى مُجَرَّدَةٍ:

ومِمَّا وَرَدَ لِهَذَا الْمَعْنَى الْفِعْلُ (يُحَاسِبُ)، فِي قَوْلِهِ (ﷺ): "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحَاسِبُ كُلَّ خَلْقٍ إِلَّا مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يُحَاسِبُ يَوْمَ الْقِيَامِ وَيُؤْمَرُ بِهِ إِلَى النَّارِ"^(٥). وهو المضارع من (حَاسَبَ)؛ إِذْ جَاءَ بِمَعْنَى ثَلَاثِيَّةٍ (حَسَبَ)^(٦) الَّذِي يَدُلُّ عَلَى الْحِسَابِ وَالْمَحَاسِبَةِ، يُقَالُ: حَسَبَ الْمَالُ: أَيِ عَدَّهُ وَأَحْصَاهُ^(٧).
ومن أمثلة هذا المعنى الفعل (طَالَبَ)، فِي قَوْلِهِ (ﷺ): "مَنْ طَالَبَ حَقًّا فَلْيَطْلُبْهُ فِي عَفَافٍ وَافٍ. أَوْ غَيْرِ وَافٍ"^(٨)؛ إِذْ هُوَ بِمَعْنَى ثَلَاثِيَّةٍ (طَلَّبَ).
٤ - الْعَمَلُ بِالْأَصْلِ الْمَشْتَقِّ الْفِعْلُ مِنْهُ:

ومن الأفعال الَّتِي جَرَى اسْتِعْمَالُهَا عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، الْفَعْلَيْنِ (نَاوَاهُمْ، عَادَاهُمْ)، فِي قَوْلِهِ (ﷺ): "يَكُونُ مِنَّا اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً. يَنْصُرُهُمُ اللَّهُ عَلَى مَنْ نَاوَاهُمْ، وَلَا يَضُرُّهُمْ مَنْ عَادَاهُمْ"^(٩)، عَادَاهُمْ^(٩)، وَمَعْنَى (نَاوَاهُمْ) أَيِ نَاهَضَهُمْ وَعَادَاهُمْ، وَالنَّوْءُ الْمَعَادَاةُ^(١٠). فَالْفِعْلُ (نَاوَاهُمْ) دَلُّ

(١) ينظر: شرح أصول الكافي: ٨ / ٣٢٧.

(٢) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٥ / ٢٤٦، وينظر: المستدرک علی الصحیحین: ١ / ٣١٦.

(٣) ينظر: أوزان الأفعال ومعانيها: ٣٢٦.

(٤) ينظر: إرشاد السَّارِي فِي شَرْحِ صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ: ٣ / ٣٦٧.

(٥) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٢ / ٥٤٤، وينظر: عيون أخبار الرضا: ٢ / ٣٤.

(٦) ينظر: شرح تصريف العزِّي: ٨٤، والصرف الوافي: ٢٨١، والصرف الواضح: ١٠٢.

(٧) ينظر: كتاب العين: ٣ / ١٤٩ (حسب).

(٨) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٤ / ٤٧٤، وينظر: سنن ابن ماجه: ٢ / ٨٠٩.

(٩) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٢ / ٦٣٧، وينظر: بحار الأنوار: ٣٦ / ٢٦٩.

(١٠) ينظر: لسان العرب: ١٤ / ٣١٨ (نوا).

الباب الأول.....بناءً الكلمة في حكم النبي الأعظم

على معنى الأصل الذي اشتق منه، وهو النوء ونصب العداء، كذلك الحال في الفعل (عاداهم) الذي اشتق من العداوة.

٥ - العمل بالوقت المشتق الفعل منه:

ومما جاء دالاً على هذا المعنى الفعل (باكروا)، في قوله (ﷺ): "إِذَا صَلَّيْتُمُ الصُّبْحَ فَأَفْرَعُوا إِلَى الدُّعَاءِ. وَبَاكِرُوا فِي طَلَبِ الْحَوَائِجِ. اللَّهُمَّ بَارِكْ لَأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا"^(١)، وهو الأمر من الفعل (باكرَ)، المشتق من وقت (البكور)، يُقال: بَكَرَ فلان بُكُورًا: أي خرج باكراً وهو بداية النهار^(٢). فالفعل مشتق من الاسم الذي دلّ على الوقت. ومعنى الحديث سارعوا إلى طلب الحوائج في البكور؛ وتحديد وقت البكور دون غيره؛ لأنّه وقت مبارك، وتعود هذه البركة لما يحمله هذا الوقت من نشاط للإنسان^(٣).

٦ - التّكثير:

ويكون هذا المعنى للتّكثير أيضاً^(٤)، ومما جاء لهذا المعنى الفعل (يُضاعف) في قوله (ﷺ): "إِنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الْأَيَّامِ. يُضَاعَفُ اللَّهُ فِيهِ الْحَسَنَاتِ، وَيَمْحُو فِيهِ السَّيِّئَاتِ"^(٥). وهو مضارع الفعل (ضاعف)، الذي هو بمعنى (فعل)^(٦)، فيمكننا أن نقول: يضاعف الله الحسنات: أي يكثرها ويضاعفها أكثر ممّا هي عليه. فالرسول (ﷺ) استعمل هذه الصيغة ليحثّ على استثمار يوم الجمعة؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى يكثر فيه الحسنات ويقلّل السيئات. فالصيغتان (ضاعف و وضعف) بمعنى واحد وهو التّكثير.

٨ - إصابة المفعول بالأصل المشتق الفعل منه:

ومما يُستشهد به من الأفعال الواردة في حكمه على هذا المعنى، الفعل (عاقب)، في قوله (ﷺ): "أَنَّ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ جُزْءٌ أَتَى النَّبِيَّ (ﷺ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَهْلِي يُغَضِّبُونِي

(١) حكم النبي الأعظم: ٣ / ٤٨٠ ، وينظر: تاريخ بغداد: ١٢ / ١٥٤.

(٢) ينظر: لسان العرب: ١ / ٤٦٩-٤٧٠ (بكر).

(٣) ينظر: إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري: ٦ / ٤٣٢.

(٤) ينظر: المستقصى في علم التصريف: ٣٢٨.

(٥) حكم النبي الأعظم: ٥ / ٤٠١ ، وينظر: الكافي: ٣ / ٤١٤.

(٦) ينظر: الصرف الواضح: ١٠٢.

الباب الأول.....بناءً الكلمة في حكم النبي الأعظم

فَبِمِ أَعْقَابِهِمْ؟ فَقَالَ: تَعْفُو، ثُمَّ قَالَ الثَّانِيَّةَ، حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، قَالَ: فَإِنْ عَاقَبْتَ فَعَاقِبْ بِقَدْرِ الذَّنْبِ وَاتَّقِ الْوَجْهَ" (١) .

إنَّ المفعول في الحديث الشريف وهو (أهل الرجل السائل)، أصيبوا بالأصل المشتق الفعل منه، وهي (العقوبة). فالرسول يعلمنا عن طريق النصيحة التي قدمها للرجل السائل بأن نعتدل في العقوبة إذا كانت العقوبة بديلاً عن العفو. مع الحث على مراعاة حقوق المعاقب الشرعية (٢).

(١) حكم النبي الأعظم: ٣١٦ / ٤ ، وينظر: المعجم الكبير: ٢ / ٢٦٩.

(٢) ينظر: فيض القدير: ٢ / ٢٥.

المبحث الثالث

أبنية الفعل الثلاثي المزيد بحرفين ودلالاتها

إنَّ للأفعال الثلاثية المزيدة بحرفين خمسة أبنية، هي (انْفَعَلَ، افْتَعَلَ، افْعَلَ، تَفَاعَلَ، تَفَعَّلَ) وكلّ بناءٍ من هذه الأبنية الخمسة يتضمن معاني ودلالات متعددة^(١). وفيما يلي تفصيل هذه الأبنية ودلالاتها:

أولاً: بناء (افْتَعَلَ) ودلالاته:

هذا البناء مزيدٌ بهمزة الوصل في أوله، وتاء الافتعال بين فائه وعينه^(٢)، وقد ورد عددٌ من المعاني التي تضمنها هذا البناء في حكم النبي الأعظم، وهي :

١ - بمعنى (فَعَلَ):

يجيء بناء (افْتَعَلَ) بمعنى مجرّده (فَعَلَ)؛ ولكن بقلّة^(٣)، ومما ورد لهذا المعنى في حكمه (عليه السلام)، الفعل (اشتدّ)، في قوله (عليه السلام): "اشتدّ غضبُ الله على من ظلم من لا يجدُ ناصرًا غيرَ الله"^(٤).

فالفعل (اشتدّ) بمعنى ثلاثيه (شدّ)^(٥)، قال أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ): "الشَيْنُ وَالْدَالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ فِي الشَّيْءِ، وَفُرْعُهُ تَرَجُّعٌ إِلَيْهِ"^(٦)، واشتدّ غضبه أي: قوي. ومعنى الحديث الشريف أنّ الله سبحانه وتعالى يغضب غضباً شديداً على الظالمين ويصل

(١) ينظر: شرح المفصل: ١٥٩ / ٧ ، وجامع الدروس العربية: ٢١٩ / ١ ، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٩٥-٣٩٩.

(٢) ينظر: المنصف: ١ / ٧٤ ، والمبدع في التصريف: ١٠٣ ، ومختصر الصرف: ٨٤ ، والصرف الواضح: ١٠٤.

(٣) ينظر: دروس التصريف: ٧٧.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٣٣ / ٥ ، وينظر: كنز العمال: ٥٠٠ / ٣.

(٥) ينظر: المصنف: ١ / ٧٥.

(٦) مقاييس اللغة: ١٧٩ / ٣ (شدّ).

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

هذا الغضب أقصى قوّته، عندما يرى جلّ وعلا العبد يُظلم، ولا يجد من ينصره إلّا إياه جلّ شأنه^(١).

٢ - العمل بالأصل المشتقّ الفعل منه:

ومن الأفعال التي جرى استعمالها على هذا المعنى، الفعل (يرتعد)، في قوله (ﷺ):
"رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى الصَّرَاطِ يَرْتَعِدُ كَمَا تَرْتَعِدُ السَّعْفَةُ فِي يَوْمٍ رِيحٍ عَاصِفٍ، فَجَاءَهُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِاللَّهِ فَسَكَنَ رَعْدَتَهُ"^(٢).

وهو مضارع الفعل (ارتعد)، ومعناه: أصابه الارتعاد وهو الحركة والاضطراب^(٣)، فالفعل عمل بالأصل الذي أُشتقّ منه وهو (الرّعد)، فقد أدّى الصّورة المعجميّة الأصليّة للجزر اللّغويّ دون تغيير. فالحديث يصوّر لنا مشهد المرور على الصّراط تصويرًا رائعًا. وما يصيب العبد من اهتزاز وارتجاف عند مروره على الصّراط، ثمّ يوضّح لنا الحديث الشّريف بعد ذلك ما يُسكّن ذلك الاضطراب، ألا وهو حُسن الظّنّ بالله تعالى، وحُسن الظّنّ هذا لا يأتي إلّا من الإنسان الصّالح الذي حُسنت أعماله في دار الدّنيا^(٤).

٣-الاختفاء:

وممّا جاء من الأفعال على هذا المعنى، الفعل (احتجب)، في قوله (ﷺ): "مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا. فَاحْتَجَبَ عَنْ ضَعْفَةِ الْمُسْلِمِينَ، احْتَجَبَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^(٥).
يُقال: احتجب الرّجل: أي اكتنّ وراء حجاب، وتوارى عن الأنظار^(٦)؛ إذ دلّ هذا الفعل على المعنى المعجميّ المحض. ومعنى الحديث الشّريف أنّ من يولي أمر المسلمين،

(١) ينظر: فيض القدير: ٦٥٩ / ١.

(٢) حكم النّبّي الأعظم: ٤٠ / ٥ ، وينظر: بحار الأنوار: ٢٩١ / ٧.

(٣) ينظر: لسان العرب: ٢٤٢ / ٥ (رعد).

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة، عبّاس الموسويّ: ٣٤٤-٣٤٥.

(٥) حكم النّبّي الأعظم: ٦٢٢ / ٢ ، وينظر: المعجم الكبير: ١٥٢ / ٢٠.

(٦) ينظر: لسان العرب: ٥٠ / ٣ (حجب).

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

ويتوارى عن أنظار الضّعفاء، ويحتجب عنهم، يحتجب الله عنه في يوم القيامة ولا يرى نور وجهه الكريم. ويبعده عما يبتغيه في الدنيا والآخرة، فيخيب آماله، ولا يستجيب له^(١).

٤ - جعل المفعول على صفة مشتقة من أصل الفعل :

ومثال هذا المعنى الفعل (احتقر)، في قوله (ﷺ): "مَنْ احْتَقَرَ صَاحِبَ الْعِلْمِ فَقَدْ احْتَقَرَنِي، وَمَنْ احْتَقَرَنِي فَهُوَ كَافِرٌ"^(٢).

جاء في مقاييس اللغة "الحاء وَالْقَافُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، اسْتِصْغَارُ الشَّيْءِ. يُقَالُ شَيْءٌ حَقِيرٌ، أَيْ صَغِيرٌ. وَأَنَا أَحْتَقِرُهُ: أَيْ أَسْتَضْغِرُهُ"^(٣). نلاحظ أَنَّ المفعول به وهو (العالم) جُعِلَ في صفة الاحتقار والاستصغار، وهذه الصفة مشتقة من أصل الفعل (حقر). ومعنى الحديث الكَلْبِيُّ من استصغر العالم، وعامله باحتقار، وجعل صفة الحقارة فيه، فهو استحقر مقام النبوة؛ لأنَّ العلماء ورثة الأنبياء، ومن ثمَّ فكلَّ من استحقر مقام النبوة فهو كافرٌ مطروءٌ من رحمة الله.

٥ - البلوغ والوصول:

ومما تجري عليه الأفعال في هذا المعنى، الفعل (انتهى)، في حكيمته (ﷺ): "انْتَهَى الْإِيمَانُ إِلَى الْوَرَعِ"^(٤). يُقَالُ: انْتَهَى الشَّيْءُ: إِذَا بَلَغَ النِّهَايَةَ وَوَصَلَ إِلَى غَايَةٍ وَبُلُوغٍ، وَنَهَايَةِ أَيِّ شَيْءٍ غَايَتُهُ^(٥). ومعنى الحديث المبارك أَنَّ اكتمال الإيمان ووصوله إلى نقطة نهايته مرتبط بالورع الذي يُعَدُّ أعلى مراتب الإيمان.

٦ - الجمع:

ومثال هذا المعنى الفعلين (يَحْتَطِبُ، يَسْتَقِي)، في قوله (ﷺ): "كُنَّا نَخْرُجُ فِي الْعَرَوَاتِ مُتَرَفِقِينَ تِسْعَةً وَعَشْرَةً، فَنُقَسِّمُ الْعَمَلَ، فَيَقْعُدُ بَعْضُنَا فِي الرَّحْلِ، وَبَعْضُنَا يَعْمَلُ لِأَصْحَابِهِ يَصْنَعُ طَعَامَهُمْ وَيَسْقِي رِكَابَهُمْ. وَطَائِفَةٌ تَذْهَبُ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ). فَاتَّقَ فِي رِفْقَتِنَا رَجُلٌ يَعْمَلُ عَمَلًا ثَلَاثَةَ نَفَرٍ: يَحْتَطِبُ، وَيَسْتَقِي، وَيَصْنَعُ طَعَامَنَا. فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ (ﷺ). فَقَالَ:

(١) ينظر: عون المعبود: ١١٧-١١٨.

(٢) حكم النبي الأعظم: ١/ ٣٣٢، وينظر: إرشاد القلوب: ١٦٥.

(٣) مقاييس اللغة: ٢/ ٩٠ (حقر).

(٤) حكم النبي الأعظم: ٤/ ٢٩٠، وينظر: كنز العمال: ٣/ ٤٢٦.

(٥) ينظر: مقاييس اللغة: ٥/ ٣٥٩ (نهي).

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حَكَمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

ذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَقِينَا الْعَدُوَّ فَقَاتَلْنَاهُمْ فَجَرَحَ فَأَخَذَ الرَّجُلُ سَهْمًا فَقَتَلَ بِهِ نَفْسَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): أَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَعَبْدُهُ" (١) .

وهما فعلان مضارعان ماضيهما احتطب، استقى. يُقال: احتطب فلان: أي جمع الحطب (٢)، ومثلها الفعل (استقى): أي جلب الماء (٣) .

٧- معنى التَّخِيرُ:

ومن الأفعال التي استقرت على هذا المعنى، الفعل (اصطفى)، في قوله (ﷺ): "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اصْطَفَى مِنْ الْكَلَامِ أَرْبَعًا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ" (٤) .

يُقال: اصطفى فلان كذا على كذا: أي اختاره وجعله الصِّفوة (٥). ومعنى الحديث الشريف الشريف أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَضَّلَ واختار من كلام الأديمين هذه الأذكار الأربعة دون سواها. وهذا التَّخِيرُ ليس اعتباطاً فهو اختيارٌ قائمٌ على تمييز هذه الأذكار من غيرها وجعلها صِفوة الكلام؛ لما فيها من بركة ومنزلة عظيمة عند الله سبحانه وتعالى (٦) .

٨- معنى الإظهار:

ومما جاء دالاً على هذا المعنى الفعل (اعتذر)، في قوله (ﷺ): "مَنْ اعْتَذَرَ إِلَيْهِ أَخُوهُ بِمَعْذِرَةٍ فَلَمْ يَقْبَلْهَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْخَطِيئَةِ مِثْلُ صَاحِبِ مَكِّي" (٧) .

فالاعتذار هو "رَوْمُ الْإِنْسَانِ إِصْلَاحَ مَا أَنْكَرَ عَلَيْهِ بِكَلَامٍ" (٨). فالفعل (اعتذر) دلٌّ على معنى الإظهار (٩)؛ إذ إنَّ الاعتذار في الحديث ليس مجرد طلب العذر، وإنَّما هو إظهار العذر وتبينه إلى من أخطأ في حقِّه، فالرسول (ﷺ) استعمل هذه الصيغة ليحثَّ على

(١) حكم النبي الأعظم: ٥ / ٩٤ ، وينظر: بحار الأنوار: ١٨ / ١١١ .

(٢) ينظر: لسان العرب: ٣ / ٢٢٣ (حطب).

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٣ / ٨٤-٨٥ (سقى).

(٤) حكم النبي الأعظم: ٣ / ٥٣٦ ، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ١٣ / ٣٨٧ .

(٥) ينظر: تاج العروس: ٣٨ / ٤٢٧ (صفو).

(٦) ينظر: فيض القدير: ٢ / ٢٦٦ .

(٧) حكم النبي الأعظم: ٧ / ٤٧٩ ، وينظر: كنز العمال: ٣ / ٣٧٨ .

(٨) مقاييس اللغة: ٤ / ٢٥٣ (عذر).

(٩) ينظر: المستقصى في علم التصريف: ١ / ٣٤١ .

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

إظهار ذلك الاعتذار، فمن لم يقبل الاعتذار كان ذنبه كذنب صاحب المكس^(١)، والمكس انتقاص الثمن من السلعة عند بيعها، أو أخذ الرسوم ظلماً^(٢) .

٩ - الإغناء عن (فَعَلْ):

ومن النماذج التي وردت من الأفعال على هذا المعنى في حِكْمِهِ (ﷺ)، الفعل (اسْتَلَمَ)، في قوله (ﷺ): "إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) اسْتَلَمَ الْحَجَرَ فَقَبَّلَهُ. واسْتَلَمَ الرُّكْنَ اليمانيَّ فَقَبَّلَ يَدَهُ"^(٣) .

فقد أغنى استعمال الفعل (اسْتَلَمَ) عن قولهم: سَلِمَ الْحَجَرُ أو قولهم: يَسْلَمُ الْحَجَرُ^(٤) .

١٠ - التَّصَرُّفُ والاجتهاد:

ومثال هذا المعنى الفعل (اكتسب)، في قوله (ﷺ): "رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً اكْتَسَبَ طَيْباً، وَأَنْفَقَ قَصْداً، وَقَدَّمَ فَضْلاً لِيَوْمٍ فَقَرِهِ وَحَاجَّتِهِ"^(٥) .

يُقال: اكتسب المال: أي: اجتهد في تحصيل طلبه^(٦). وقد فرَّق سيبويه (١٨٠هـ) بين اكتسب ومجرّده، بقوله: "وَأَمَّا كَسْبٌ، فَإِنَّهُ يَقُولُ أَصَابَ، وَأَمَّا اكْتَسَبَ، فَهُوَ التَّصَرُّفُ وَالطَّلَبُ. والاجتهاد بمنزلة الاضطراب"^(٧). إِنَّ اسْتِعْمَالَ الرَّسُولِ (ﷺ) الْفِعْلَ (اكتسب) فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، كَانَ مُنَاسِباً لِسِيَاقِ الْكَلَامِ؛ لِأَنَّ الرِّزْقَ الطَّيِّبَ الْحَلَالَ لَا يَأْتِي إِلَّا بَعْدَ بَذْلِ جُهِدٍ وَاجْتِهَادٍ وَتَكَلُّفٍ فِي طَلَبِهِ وَتَحْصِيلِهِ.

١١ - مطاوَعًا لمجرده (فَعَلْ):

(١) ينظر: فيض القدير: ٦ / ٩٤-٩٥.

(٢) ينظر: كتاب العين: ٥ / ٣١٧ (مكس).

(٣) حكم النبي الأعظم: ٦ / ٣٥١، وينظر: السنن الكبرى: ٥ / ١٢٣.

(٤) ينظر: شرح الملوكي في التصريف: ٨١-٨٢.

(٥) حكم النبي الأعظم: ٧ / ٣٣، وينظر: كنز العمال: ٤ / ٦.

(٦) ينظر: لسان العرب: ١٢ / ٨٧ (كسب).

(٧) الكتاب: ٤ / ٧٤.

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

وهذا البناء قليلاً ما يكون مطاوعاً لـ(فَعَلَ)، نحو: شويته فاشتوى^(١). ومثال هذا المعنى الفعل (اجتمع)، في قوله (جاءوا): "إِذَا اجْتَمَعَ لِطَعَامٍ أَرْبَعُ كَمَلٍ: أَنْ يَكُونَ حَلَالاً، وَأَنْ تَكْثُرَ عَلَيْهِ الْأَيْدِي، وَأَنْ يُفْتَتَحَ بِاسْمِ اللَّهِ، وَيُخْتَتَمَ بِحَمْدِ اللَّهِ"^(٢). ومعنى المطاوعة فيه بين؛ إذ يمكن أن يُقال: جمعته فاجتمع.

ثانياً: بناء (انْفَعَلَ) ودلالاته:

قال سيبويه (١٨٠هـ) في هذا البناء: "هذا باب ما طاع الذي فعله على فَعَلَ، وهو يكون على انْفَعَلَ وانْفَعَلْ، وذلك قولك: كسرت فأنكسر، وحطمت فأنحطم، وحسرت فأنحسر، وشويته فأنشوى، وبعضهم يقول: فاشتوى"^(٣).

يأتي هذا البناء مزيداً بهمزة الوصل والنون في أوله، ويكون دالاً على المطاوعة في معانيه أغلبها، ويكون هذا البناء في الأفعال الظاهرة التي تقبل الأثر^(٤). ولا يجيء إلا لازماً، لازماً، فلا يتعدى إلى مفعول؛ لأن هذه الأفعال تخبر عما تريده من فاعلها^(٥).

والمطاوعة التي يدل عليها هذا البناء تكون بين فعلين يدل أحدهما على تأثير، والثاني يدل على قبول فاعله لذلك التأثير^(٦). ويسمى بعض التحويين (النون) التي في هذا البناء نون المطاوعة^(٧).

ويشترط التحويون في هذا البناء "أن يكون من الأحداث الظاهرة التي تراها العيون كالكسر والقطع والجذب، فلا يقال علّمته فأنعلم، ولا فهّمته فأنفهم"^(٨).

(١) وينظر: شرح الملوكي في التصريف: ٨١.

(٢) حكم النبي الأعظم: ٣٧١ / ٧، وينظر: بحار الأنوار: ٤١٢ / ٦٦.

(٣) الكتاب: ٦٥ / ٤، وينظر: المنصف: ٧٢ / ١، والمفصل في صناعة الإعراب: ٣٧٣.

(٤) ينظر: الأصول في النحو: ١٢٦ / ٣، وشرح المفصل: ١٥٩ / ٧.

(٥) ينظر: المقتضب: ١٠٢ / ٢.

(٦) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٥٩٨ / ٢.

(٧) ينظر: التطبيق الصرفي: ٣٣.

(٨) المغني في تصريف الأفعال: ١٤٤، وينظر: شرح الرضي على الشافية: ١٠٨ / ١.

الباب الأول.....بناءُ الكلمةِ في حكمِ النَّبيِّ الأعظمِ

وقد وردت هذه الصيغة في غير موضعٍ من حكمه (عليه السلام) ، دلّت أكثرها على المطاوعة، منها الفعل (تَشَعَّبُ)، في قوله (عليه السلام) : "رَجَبُ شَهْرِ اللَّهِ الْأَصْبُ. يَصُبُّ اللَّهُ فِيهِ الرَّحْمَةَ عَلَى عِبَادِهِ، وَشَهْرُ شَعْبَانَ تَشَعَّبُ فِيهِ الْخَيْرَاتُ. وَفِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ تُغْلَى الْمَرَدَةُ مِنَ الشَّيَاطِينِ"^(١) .

وهو مضارع الفعل (انشعب). ومعنى المطاوعة فيه بَيِّن؛ إذ يمكن أن يُقال: شعبته فانشعب، وهو بمعنى تفرُّع الشيء وتكاثره^(٢). والمعنى في الحديث الشريف أنَّ الله سبحانه وتعالى يكثر في شهر شعبان الخيرات فتتَشَعَّب وتتشر فيه وتتعدّد طرق انتشارها، وتتفرّق تشعباتها؛ نتيجة لكثرة خير هذا الشهر الفضيل.

وقد يدلّ هذا البناء على معنى غير المطاوعة، "كقولك: انحجرَ الرَّجل: إذا أتى الحجاز، وانسرب الثعلب في حجره، وانكسر في الشيء إذا: دخل"^(٣) .

وممّا جاء دالاً على هذا المعنى الفعل (انسلَخَ)، في قوله عليه الصلاة والسلام: "مَنْ انسلَخَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَلَا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ"^(٤).

فقد دلّ الفعل (انسلَخَ) على معنى غير المطاوعة، وهو الخروج من شهر رمضان المبارك؛ لأنّ "كلّ شيءٍ خرج من شيءٍ فقد انسلخ منه"^(٥). ومعنى الحديث المبارك أنّ الخروج من هذا الشهر المبارك دون مغفرةٍ للذنوب بسبب تقريط العبد باستثمار بركة هذا الشهر الفضيل لمغفرة ذنوبه؛ يكون سبباً بعدم غفر الله تبارك وتعالى للعبد.

ثالثاً: بناء (أفعلّ) ودلالاته:

وهذا البناء زيدت الهمزة في أوله، وضعت اللام في آخره، ويأتي للدلالة على العيوب والألوان وإبانة قوّة الفعل^(٦). ويأتي أيضاً للدلالة على المبالغة في الفعل والاستعاضة به

(١) حكم النَّبيِّ الأعظم: ٢٠ / ٦ ، وينظر: عيون أخبار الرضا: ٧١ / ٢.

(٢) ينظر: لسان العرب: ١٢٥ / ٧ (شعب).

(٣) ديوان الأدب: ٤٢٨ / ٢ .

(٤) حكم النَّبيِّ الأعظم: ٣٠ / ٦ .

(٥) جمهرة اللّغة: ٥٩٨ / ١ (سلخ).

(٦) ينظر: شرح الرّضي على الشافعية: ١١٢ / ١ ، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ٢٠٠ ، ومختصر الصّرف: ٨٤ ، والنّطبيق الصّرفي: ٣٣.

الباب الأول.....بناء الكلمة في حكم النبي الأعظم

عن (فَعَلَ) ^(١). وقد يأتي هذا البناء لمعانٍ أخرى غير العيوب والألوان نحو: الفعل (ارْقَدَ) في العدو: بمعنى أسرع ^(٢).

إنَّ الصَّرْفِيَّينَ يذكرون مع هذا البناء دائماً بناء (أفعَلَ)، نحو: أشهَبَ، أبيضَ؛ لأنَّهم يرون أنَّ بناء (أفعَلَ) اختصارٌ منه، و(أفعَلَ) أكثر من (أفعَلَّ) لخفته ^(٣).

وقد ذكر الأستاذ الدكتور هاشم طه شلاش ثلاثة معانٍ لهذا البناء ^(٤). ورد معنيان منها في حكم النبي الأعظم (عليه السلام)، الأول لزوم صاحب الفعل صفة من الصفات، ومثال هذا المعنى ما دلَّ على لونٍ، وهما الفعلين (ابيضَّت، اسودَّت)، في قوله (عليه السلام): "ابيضَّت وجوهٌ واسودَّت وجوهٌ، وسعدَ أقوامٌ وشقي آخرون، سعد أصحاب الكساء الخمسة أنا سيدهم، ولا فخر، عترتي أهل بيتي السابقون، أولئك المقربون، يسعد من اتبعهم وشايعهم على ديني ودين آبائي" ^(٥).

جاء في المصباح المنير: "السَّوَادُ لَوْنٌ مَعْرُوفٌ يُقَالُ سَوَدَ يَسْوَدُ مُصَحَّحًا مِنْ بَابِ تَعَبٍ فَالذَّكْرُ أَسْوَدٌ وَالْأُنْثَى سَوْدَاءٌ وَالْجَمْعُ سُودٌ...وَأَسْوَدَ الشَّيْءُ وَسَوَّدْتُهُ بِالسَّوَادِ تَسْوِيدًا" ^(٦). والمعنى الذي دلَّ عليه الفعلان في الحديث الشريف هو قوَّة البياض والسوداد. فالفعل (ابيضَّت وجوه) دلَّ على قوَّة بياض وجوه الصالحين والمؤمنين، وأنَّ هذه الصفة ملازمة لهم. و(اسودَّت وجوه) دلَّ أيضاً على قوَّة اسوداد وجوه مخالفين الحق بعد غضب الله عليهم.

وقد يدلَّ هذا البناء على الدخول في صفة معينة نحو الفعل (احمرَّ)، في قوله (عليه السلام): "كان رسول الله (عليه السلام) إذا احمرَّ البأسُ وأحجم النَّاسُ قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ، فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ وَالْأَسِنَّةِ" ^(٧). و(احمرَّ البأسُ) في الحديث المبارك: أي أنَّ القتال دخل في حدِّ الغليان، وصار ذا شدَّةٍ وهولٍ ^(٨). ففي شدَّة القتال وهوله، كان الرسول (عليه السلام) أهدأ من أهل بيته ليقى بهم أصحابه، وهذا من أعظم صور الإيثار.

رابعاً: بناء (تَفَعَّل) ودلالاته:

(١) أبنية الصَّرف في كتاب سيبويه: ٣٩٩ ، وينظر: الصَّرف الواضح: ١٠٥.

(٢) ينظر: المغني في تصريف الأفعال: ١٥٦-١٥٧.

(٣) ينظر: شرح الملوكي في التَّصريف: ٨٤.

(٤) ينظر: أوزان الأفعال ومعانيها: ١٠٣-١٠٦.

(٥) حكم النبي الأعظم: ٢ / ١٧٠ ، وينظر: بحار الأنوار: ٢٢ / ٤٩٤.

(٦) المصباح المنير: ١ / ٢٩٤ (سود).

(٧) حكم النبي الأعظم: ٢ / ٣٣٨ ، وينظر: بحار الأنوار: ٣٣ / ١١٥.

(٨) ينظر: لسان العرب: ٣ / ٣١٨ (حمر).

الباب الأول.....بناء الكلمة في حكم النبي الأعظم

وهذا البناء مزيّد بالتاء في أوله، وتضعيف عينه. وتكون أفعال هذا البناء لازمة، نحو: تكرم، وتكون متعدية، نحو: توسد^(١). وقد كثرت دلالات هذا البناء في حكم النبي الأعظم، وهي :

١ - معنى التكلف:

ومن الشواهد الواردة من الأفعال على هذا المعنى، الفعل (تصبر)، في قوله (عليه السلام): "مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ عَبْدٌ عَطَاءً هُوَ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ"^(٢).

و(تصبر): أي "حمل نفسه على الصبر، وتكلف الصبر"^(٣). فالفعل (تصبر) حمل معنى معنى التكلف^(٤)؛ إذ دلّ على بذل جهد أكثر ليكون العبد صابراً. فالعبد الذي يكلف نفسه في الصبر، ويحاول جاهداً أن يلزمها الصبر؛ ليكون صفة ثابتة له، يعينه الله على ذلك. فمن تكلف في نفسه ليكون صابراً يمنحه الله الصبر؛ كون صفة الصبر جامعة لمكارم الأخلاق^(٥).

٢ - الاتخاذ:

ومما ورد في حكمه (عليه السلام) لهذا المعنى الفعل (تختّموا) في قوله (عليه السلام): "تَخْتَمُوا بِالْعَقِيقِ؛ فَإِنَّهُ مُبَارَكٌ"^(٦).

وهو الأمر من الفعل (تختم)، الذي يدلّ على الاتخاذ^(٧). يُقال: تختم فلان بالفضة، وتختم به: أي لبسه، واتخذ من الفضة خاتماً^(٨).

٣ - العمل بالوقت المشتق منه الفعل:

(١) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب: ٣٧١، والممتع في التصريف: ١١٦، ومختصر الصرف: ٨٥، ودروس التصريف: ٧٧-٧٨.

(٢) حكم النبي الأعظم: ٤ / ٤٥٠، وينظر: كنز العمال: ١ / ٢٨٦.

(٣) المعجم الوسيط، نخبة من المؤلفين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة: ١ / ٥٠٦ (صبر).

(٤) ينظر: ارتشاف الضرب: ١ / ١٧٢، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ١٩٨.

(٥) ينظر: شرح صحيح البخاري: ٣ / ٣٦٦، والكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: ٢٢ / ٢٢٨.

(٦) حكم النبي الأعظم: ٣ / ٤٩٤، وينظر: الكافي: ٦ / ٤٧٠.

(٧) ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد: ٢ / ٦٠٢، وشذا العرف: ٨٢.

(٨) ينظر: لسان العرب: ٤ / ٢٥ (ختم).

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

ومن الأفعال التي جرى استعمالها على هذا المعنى، الفعل (تَسَحَّرُوا)، في قوله عليه الصَّلاة والسَّلام: "تَسَحَّرُوا وَلَوْ بِجُرْعَةٍ مِنْ مَاءٍ"^(١). وماضيه (تَسَحَّرَ) وهو أكل الطَّعام وقت (السَّحَرِ)، وهو وقتُ قُبيل الفجر^(٢). فالفعل اشتقَّ من الوقت ذاته وهو قُبيل الفجر، الَّذِي يُعَدُّ يُعَدُّ من الأوقات المباركة. فالرَّسول (ﷺ) يحثُّ الصَّائمين على أكل ما تيسر من الطَّعام في هذا الوقت المبارك، ويبارك باليسير منه، حتَّى وإن كان جرعة ماء؛ لكونه يحصل به الإعانة على الصَّيام^(٣).

٤ - الطَّلَب:

وممَّا يُستشهد به من الأفعال الواردة في حديثه (ﷺ) على هذا المعنى، الفعل (تَقَدَّسَ)، في قوله (ﷺ): "كَيْفَ تَقَدَّسُ أُمَّةٌ لَا تَأْخُذُ لِضَعْفِهَا مِنْ شِدِيدِهَا حَقَّةً وَهُوَ غَيْرُ مُنْتَعَجٍ"^(٤). ومعنى (تَقَدَّسُ أُمَّةٌ) أي: تطلب القداسة لتكون مباركة ومطهرة. والاستفهام هنا مجازي خرج لغرض النفي، والمعنى لا يمكن لأُمَّةٍ ما أن تطلب القداسة، وهي لا تأخذ حق الضَّعيف وتتصره، دون أن يتنعج ذلك الضَّعيف: أي "مِنْ غَيْرِ أَنْ يُصِيبَهُ أَدَى يُقْلِفُهُ وَيُزَعِّجُهُ"^(٥)، ومن الأفعال الواردة في حكمه (ﷺ) دَلَّتْ على طلب، قوله (ﷺ) "إِذَا قُمْتُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ تَشَفَّعْتُ فِي أَصْحَابِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي. فَيُشَفِّعُنِي اللَّهُ فِيهِمْ، وَاللَّهُ لَا تَشَفَّعْتُ فِيمَنْ آذَى ذُرِّيَّتِي"^(٦). ومعنى الطَّلَب فيه بَيِّن، فد(تَشَفَّعْتُ): أي طلبت الشَّفاعَةَ لهم من الله عزَّ وجلَّ.

٥ - حركة واضطراب:

ونجد هذا المعنى متمثلاً بالفعل (يَنْشَحِطُ) في قوله (ﷺ): "الْمُؤَذَّنُ الْمُحْتَسِبُ كَالشَّهِيدِ يَنْشَحِطُ فِي دَمِهِ حَتَّى يَفْرَغَ مِنْ أَذَانِهِ، وَيَشْهَدُ لَهُ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ، وَإِذَا مَاتَ لَمْ يُدَوَّدْ فِي

(١) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٣ / ٤٩٤ ، وينظر: تيسير المطالب: ٣٨٩.

(٢) ينظر: الصَّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة: ٢ / ٦٧٨ (سحر).

(٣) ينظر: عمدة القاري في شرح صحيح البخاري: ١٠ / ٣٠١-٣٠٢.

(٤) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٧ / ٩٦ ، وينظر: السنن الكبرى: ٦ / ١٥٧.

(٥) لسان العرب: ٢ / ٣٦ (تجع).

(٦) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٤ / ٦٠١ ، وينظر: بحار الأنوار: ٨ / ٣٧.

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

قَبْرِهِ^(١)، وهو مضارع الفعل (تَشَحَّطَ)، الَّذِي يَدُلُّ عَلَى حَرَكَةٍ وَاضْطِرَابٍ الشَّهِيدِ فِي دَمِهِ. جَاءَ فِي الْمَخْصَصِ "تَشَحَّطَ الْوَلَدُ فِي السَّلَى اضْطَرَبَ فِيهِ"^(٢). وَتَشْبِيهِ الْمَوْذَنَ بِهَذَا الْوَصْفِ هُوَ لِبَيَانِ مَا يَنَالُهُ الْمَوْذَنُ مِنْ أَجْرِ عَظِيمٍ يَضَاهِي أَجْرَ الشَّهِيدِ.

٦ - اختصار حكاية:

ومما سُجِّلَ مِنَ الْأَفْعَالِ فِي حِكْمِهِ الْمُبَارَكَةِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، الْفِعْلُ (تَشَهَّدَ)، فِي قَوْلِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : "إِذَا نَادَى الْمُنَادِي فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَاسْتُجِيبَ الدُّعَاءُ، فَمَنْ نَزَلَ بِهِ كَرْبٌ أَوْ شِدَّةٌ فَلْيَنْحَيِّنِ الْمُنَادِي. فَإِذَا كَبَّرَ كَبَّرُوا، وَإِذَا تَشَهَّدَ تَشَهَّدُوا"^(٣).

و(تَشَهَّدَ) أَي نَطَقَ الشَّهَادَتَيْنِ، وَهُوَ قَوْلُ: أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.

٧ - بمعنى (استفعل):

وهذا المعنى يكون في الطلب^(٤). ومما جاء من الأفعال بمعنى (استفعل) الفعل (تَكَبَّرَ)^(٥)، فِي قَوْلِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : "مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ، فَهُوَ فِي نَفْسِهِ ضَعِيفٌ وَفِي أَعْيُنِ النَّاسِ عَظِيمٌ، وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللَّهُ. فَهُوَ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ صَغِيرٌ وَفِي نَفْسِهِ كَبِيرٌ"^(٦). ومعنى (تَكَبَّرَ) أَي: اسْتَكْبَرَ وَطَلَبَ التَّكَبُّرَ، وَتَظَاهَرَ بِهِ. فَالرَّسُولُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَحْتَثُّ عَلَى التَّوَاضَعِ، وَيَحْذَرُ مِنَ التَّكَبُّرِ عَلَى النَّاسِ، وَالْغُرُورِ وَالْإِعْجَابِ بِنَفْسِهِ؛ لِأَنَّ مِنْ تَكَبُّرِ أَهْلَانِهِ اللَّهُ وَحَقَّرَهُ فِي الدُّنْيَا، وَأَبْغَضَهُ بَيْنَ النَّاسِ.

٨ - الجعل:

ومن الأفعال التي جرى استعمالها على هذا المعنى، الفعل (تَعَبَّدَ)، فِي قَوْلِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : "فَضَّلُ الشَّابِّ الْعَابِدِ الَّذِي تَعَبَّدَ فِي صَبَاهُ عَلَى الشَّيْخِ الَّذِي تَعَبَّدَ بَعْدَ مَا كَبُرَتْ"^(٧) سِنَّهُ كَفَضِلِ

(١) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٥ / ٢١٧ ، وينظر: المعجم الكبير: ١٢ / ٣٢٢.

(٢) المخصص: ١ / ٥١.

(٣) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٥ / ٢٢٦ ، وينظر: المستدرک على الصَّحِيحِينَ: ١ / ٧٣١.

(٤) ينظر: شرح الملوكي في التَّصْرِيفِ: ٧٦.

(٥) ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ١٩٩ ، والمغني في تصريف الأفعال: ١٤٢.

(٦) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٤ / ٥١٨ ، وينظر: كنز العمال: ٣ / ١١٣.

(٧) هكذا وردت، والصَّوَابُ (كَبُرَ).

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

كَفَضِلِ الْمُرْسَلِينَ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ^(١). ومعنى (تَعَبَّدَ) جعل من نفسه عابداً لله عز وجل، وألزم نفسه العبادة في شبابه. وتفضيل الشاب العابد على غيره كونه "قهر نفسه بكفها عن لذاتها وقاسى تجرع مرارة مخالفة الهوى استحق التفضل على الشيخ الذي فقدت فيه دواعي الشهوة وصار يملك أدبه لكن هذا من قبيل المبالغة والترغيب في لزوم العبادة للشاب"^(٢).

٩ - يأتي هذا البناء لموافقة (فعل):

ومما جاء لهذا المعنى في حكمه (تَوَلَّى)، الفعل (تَوَلَّى)، في قوله (تَوَلَّى): "وَلَعَنَّ اللَّهُ مِنْ سَبِّ وَالِدِهِ. وَلَعَنَّ اللَّهُ مَنْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ"^(٣). فالفعل (تَوَلَّى) في الحديث الشريف موافق للفعل (وَلَّى)، وموافق لمعناه أيضاً^(٤). وتَوَلَّى انتمى إلى أولياء غير مواليه جاعلاً ولاءه لهم وارتباطه بهم، وكل من عمل ذلك فهو ملعون^(٥).

١٠ - الإغناء عن (فعل):

ومن النماذج التي وردت من الأفعال على هذا المعنى في حكمه الشريفة، الفعل (تَكَلَّمَ)، في قوله (تَكَلَّمَ): "مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ"^(٦). فالفعل (تَكَلَّمَ) أغنى عن (كَلَّمَ)، وحل مكانه في المعنى^(٧). والمعنى الذي أراده الرسول (ﷺ) في هذا الحديث المبارك هو أن من يتخذ رأيه طريقاً لتفسير القرآن الكريم أو يقول قولاً دون علم، أو دون رجوع إلى العلماء والفقهاء، حتى وأن أصاب بما قاله فهو مخطئ وعليه أثم؛ لأنه فسّر القرآن الكريم بالاعتماد على رأيه من دون برهان أو حجة شرعية^(٨).

١١ - ويأتي هذا البناء لمطاوعة (فعل):

ونجد هذا المعنى متمثلاً بالفعل (تَعَلَّمَ)، في قوله (تَعَلَّمَ): "خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ"^(٩). فالعلاقة بين (عَلَّمَ) و(تَعَلَّمَ) علاقة مطاوعة^(١٠). فالفعل (تَعَلَّمَ) يدل على قبول

(١) حكم النبي الأعظم: ٤ / ٢٤٠، وينظر: كنز العمال: ١٥ / ٧٧٦.

(٢) فيض القدير: ٤ / ٥٦٧.

(٣) حكم النبي الأعظم: ٧ / ٥١٧، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ٥ / ٢٦.

(٤) ينظر: ارتشاف الضرب: ١ / ١٧٢.

(٥) ينظر: فيض القدير: ٦ / ١٤٤.

(٦) حكم النبي الأعظم: ٢ / ٤٠٠، وينظر: بحار الأنوار: ٩٢ / ١١١.

(٧) ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد: ٢ / ٦٠٢.

(٨) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ١ / ١٣٨.

(٩) حكم النبي الأعظم: ٢ / ٣٨٨، وينظر: كنز العمال: ١ / ٥٢٥.

(١٠) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٥ / ١٩٩١ (علم).

الباب الأول.....بناء الكلمة في حكم النبي الأعظم

المفعول به لأثر الفعل (عَلَّمَ)^(١)؛ إذ هو استجابةً للتعليم الذي يدلّ عليه الفعل (عَلَّمَ). والمعنى في الحديث الشريف أنّ من قبل تعليم القرآن الكريم، وفهم معانيه وتدبره، وعَلَّمه لغيره، ونشر علومه، فهو خيرُ الناس؛ لأنّه تعلّم كلام الله وهو خيرُ كلام^(٢).

خامساً: بناء (تفاعَلَ) ودلالاته:

وهذا البناء الخامس والأخير من أبنية الفعل الثلاثي المزيد بحرفين، والزيادة في هذا البناء تكون بالتاء في أوله، والألف بين فائه وعينه، ويكون ولازمًا نحو: تقادم، ومتعدّيًا نحو: تجاوز^(٣). وقد وردت أفعال من هذا البناء في حكم النبي الأعظم تحمل معاني عديدة، منها:

١- التَّشَارَكَ :

يدلّ بناء (تفاعَلَ) على الاشتراك بالفاعليّة؛ إذ يشترك الفاعل والمفعول معًا بمعنى الفعل^(٤). يقول سيبويه (١٨٠هـ) في هذا البناء: "وأما تفاعلت، فلا يكون إلا وأنت تريد فعل اثنين فصاعدًا"^(٥). ومن الأمثلة التي يستشهد بها دليلاً في هذا المعنى الفعلين (تَحَابُّوا، وَتَهَادَوْا)، في قوله (ﷺ): "لا تَزَالُ أُمْتِي بِخَيْرٍ مَا تَحَابُّوا، وَتَهَادَوْا، وَأَدَّوْا الْأَمَانَةَ، وَاجْتَنَبُوا الْحَرَامَ، وَوَقَرُوا الضَّيْفَ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَآتَوْا الزَّكَاةَ؛ فَإِذَا لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ ابْتَلَوْا بِالْقَحْطِ وَالسِّنِينَ"^(٦).

ومعنى (تَحَابُّوا) أي: تشاركوا بإظهار الحبِّ والتّراحم فيما بينهم، وأحبَّ بعضهم بعضًا. و(تَهَادَوْا) تشاركوا الهدايا فيما بينهم، دلالةً على مشاركة مشاعر المودة بينهم. ومن الأمثلة الأخرى الدّالة على هذا المعنى الفعل (يَتَحَاسَدُوا)، في قوله (ﷺ): "أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمْتِي أَنْ يَكْثُرَ لَهُمُ الْمَالُ فَيَتَحَاسَدُوا وَيَقْتَتِلُوا"^(٧). وهو مضارع الفعل (تحاسد)، الذي يدلّ على التّشارك في الحسد. يُقال: تحاسد القوم: أي تشاركوا في الحسد فحسد بعضهم بعضًا^(٨). فالرسول (ﷺ) من التّشارك في الحسد؛ لأنّه عدوانٌ داخليّ يقود أبناء المجتمع الواحد إلى التّفرقة والتّشتت.

(١) ينظر: شرح الرّضي على الشّافية: ١ / ١٠٤ ، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ١٩٨ .

(٢) ينظر: فيض القدير: ٣ / ٦٦٥ .

(٣) ينظر: الممتع في التّصريف: ١١٦ ، وأبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٤١٤ ، والصّرف الواضح: ٨٥ .

(٤) ينظر: شرح تصريف العزّي: ٨٥ ، وتسهيل الفوائد وتكميل: ١٩٩ ، وتصريف الأسماء والأفعال: ١١٧ ، ودروس وتصريف: ٧٩ .

(٥) الكتاب: ٤ / ٦٩ .

(٦) حكم النبي الأعظم: ٧ / ١٣٦ ، وينظر: عيون أخبار الرضا: ٢ / ٢٩ .

(٧) حكم النبي الأعظم: ٧ / ١٦٢ ، وينظر: تنبيه الخواطر: ١ / ١٣٥ .

٢ - الطلب:

ومما سُجِّل من الأفعال في حديثه (عليه السلام) على هذا المعنى، الفعل (تقاضى)، في وصية رسول الله إلى الإمام علي (عليه السلام)، في قوله (عليه السلام): "إذا تقاضى إليك رجلان فلا تقض للأول حتى تسمع من الآخر؛ فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك القضاء" (٢).

يُقال تقاضى إليه رجلان: أي استقضيا إليه، وطلبا منه أن يقضي ويقطع في الأمر (٣). وهو المعنى نفسه الذي دل عليه الفعل (تقاضى) في الحديث الشريف، فـ(تقاضى إليك) طلب كل واحدٍ منهما أن تحكم بينهما وتقضي النزاع بينهما (٤).

٣ - مطاوعة (فاعل):

ومن شواهد هذا المعنى الفعل (تباعَد)، في قوله عليه أفضل الصلاة والسلام: "ألا أخبركم بشيءٍ إن أنتم فعلتموه تبعاعد الشيطان منكم كما تبعاد المشرق من المغرب؟ قالوا: بلى، قال: الصوم يُسود وجهه، والصدقة تكسر ظهره، والحب في الله والمؤازرة على العمل الصالح يقطعان دابره، والاستغفار يقطع وتينه" (٥).

ومعنى المطاوعة فيه بيّن؛ إذ يمكن أن نقول: باعدته فتباعد. والمعنى الكلي للحديث الشريف أن الشيطان يتباعد عن الإنسان تباعداً شديداً، يستحيل أن يلتقي طرفاه. وهذا البعد يكون نتيجة الأعمال الصالحة التي ذكرها الحديث من صومٍ وصدقةٍ وغيرها، فلا يستطيع أن يوسوس له لوجود هذه الأعمال الصالحة التي تمنع الوسواس.

(١) ينظر: المعجم الوسيط: ١ / ١٧٢ (حسد).

(٢) حكم النبي الأعظم: ٦ / ٥٦٢ ، وينظر: من لا يحضره الفقيه: ٣ / ١٣.

(٣) ينظر: لسان العرب: ١١ / ٢١٠ (قضي).

(٤) ينظر: شرح الملوكي في التصريف: ٧٩.

(٥) حكم النبي الأعظم: ٣ / ٣٦٣ ، وينظر: بحار الأنوار: ٦٩ / ٣٨٠.

المبحث الرابع

أبنية الفعل الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف ودلالاتها

إنَّ للفعل الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف أربعة أبنية، هي: (أَفْعَالٌ) نحو: ابْهَارٌ، اُحْمَارٌ. و(أَفْعُولٌ) نحو: اُخْرُوطَ، اُجْلُوذَ. و(اسْتَفْعَلَ) نحو: اسْتَخْرَجَ، اسْتَغْشَى. و(أَفْعُوْعَلٌ) نحو: اُغْدُوْدَنَّ، اُحْقُوْقَفَ. وكلّ هذه الأبنية تدلّ على القوّة في معنى الفعل، سوى بناء (اسْتَفْعَلَ)؛ إذ يغلب عليه معنى الطلب^(١). ولم يرد في حكم النبي الأعظم فعلٌ على بناء (أَفْعَالٌ)، ولا بناء (أَفْعُوْعَلٌ). وفيما يلي تفصيل بالبنائين اللذان وردا في حكمه المباركة:

أولاً: بناء (أَفْعُوْعَلٌ) ودلالاته:

ويكون هذا البناء مزيداً بالالف والواو وتكرير العين، نحو: اخشوشن، اغدودن وغيرها من الأفعال^(٢). قال سيبويه (١٨٠هـ) في هذا البناء: "باب افْعُوْعَلْت وما هو على مثاله ممّا لم نذكره قالوا: خشن، وقالوا: اخشوشن. وسألت الخليل فقال: كأنّهم أرادوا المبالغة والتوكيد، كما أنّه إذا قال: اعشوشبت الأرض فإنّما يريد أن يجعل ذلك كثيراً عاماً"^(٣).

(١) ينظر: شرح الرّضي على الشّافية: ٦٧ / ١ ، ودروس التّصريف: ٨١ ، ومختصر الصّرف: ٨٥ ، والنّظير الصّرفي: ٣٥.

(٢) ينظر: الممتع في التّصريف: ١١٨ ، وشرح الرّضي على الشّافية: ١١٢ / ١ ، المغني في تصريف الأفعال: ١٥٥.

(٣) الكتاب: ٤ / ٧٥ ، وينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ٢٠٠.

الباب الأول.....بناء الكلمة في حكم النبي الأعظم

ولم يرد من أفعال هذا البناء إلا الفعل (اغرورقت)، في قوله (عليه السلام): "بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ (عليه السلام) ؛ إِذْ أَقْبَلَ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ. فَلَمَّا رَأَاهُمُ النَّبِيُّ (عليه السلام) اِغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ. قَالَ: فَقُلْتُ: مَا نَزَالُ نَرَى فِي وَجْهِكَ شَيْئًا نَكْرَهُهُ! فَقَالَ: إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ إِخْتَارَ اللَّهِ لَنَا الْآخِرَةُ عَلَى الدُّنْيَا، وَإِنَّ أَهْلَ بَيْتِي سَيَلْقَوْنَ بَعْدِي بَلَاءً وَتَشْرِيدًا وَتَطْرِيدًا..."^(١).

والمعنى الذي دلّ عليه الفعل في الحديث الشريف هو الكثرة والمبالغة في حدوث الفعل^(٢). واغرورقت عيناه امتلأت بالدموع امتلاءً شديداً لدرجة قريبة من الانهيار، فالمفعول مبالغة في حدث الامتلاء، ودلالة على عمق التأثير الكبير في نفس النبي الأعظم (عليه السلام).

ثانياً: بناء (استغنى) ودلالاته:

وهذا البناء مزيدٌ بالهمزة والسّين والتّاء في أوله^(٣). والسّين لا تكون زائدة إلا في هذا البناء. وهو أكثر استعمالاً من الأبنية الأربعة المزیدة بحرفين^(٤).

يأتي هذا البناء لمعانٍ ودلالات مختلفة؛ ولكن يغلب عليه معنى الطلب، ومعنى الإصابة، وغير هذين المعنيين يحفظ ولا يقاس غيره عليه من المعاني^(٥). أمّا في حكم النبي الأعظم، فقد تنوّعت دلالات ومعاني هذا البناء، منها:

١ - لموافقة الثلاثي المجرد:

ومما ورد مثلاً لهذا المعنى الفعل (استغنى)، في قوله (عليه السلام): "مَنْ سَأَلْنَا أُعْطِينَاهُ، وَمَنْ اسْتَغْنَى أَغْنَاهُ اللَّهُ"^(٦). فالمفعول (استغنى) موافق للثلاثية المجرد (غني)^(٧)، والاستغناء في الحديث الشريف هو استغناء عن السؤال، وكلّ شيء استغنيت عنه ريمته ولم تلقت إليه^(٨).

(١) حكم النبي الأعظم: ١٦٧ / ٣ ، وينظر: سنن ابن ماجه: ١٣٦٦ / ٢.

(٢) ينظر: ارتشاف الصّرب: ١ / ١٨٩.

(٣) ينظر: والمنصف: ٧٧ / ١ ، والمفصل في صناعة الإعراب: ٣٧٤ ، وأبنية الصّرف في كتاب سيويوه: ٤١٥.

(٤) ينظر: المنصف: ٧٧ / ١.

(٥) ينظر: شرح المفصل: ١٦١ / ٧ ، وشرح الرّضي على الشّافية: ١١١-١١٢ / ١.

(٦) حكم النبي الأعظم: ٤١٥ / ٧ ، وينظر: الكافي: ١٣٨ / ٢.

(٧) ينظر: المنصف: ٧٧ / ١ ، وشرح المفصل: ١٦١ / ٧.

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

إليه^(١). فمن غَنِيَ بنفسه عن سؤال الناس أو مَدَّ يَدَهُ إِلَيْهِمْ، أَغْنَاهُ اللَّهُ بِفَضْلِهِ، وَأَعْطَاهُ مَا يَحْتَاجُهُ، وَجَعَلَهُ ذَا غِنَى ظَاهِرٍ أَوْ مَعْنَوِيٍّ، وَالْأَخِيرُ أَعْظَمُ الْغِنَى^(٢).

٢ - الطَّلَبُ:

جاء في المخصّص "أَنَّ أَصْلَ اسْتَفْعَلْتُ الشَّيْءَ فِي مَعْنَى طَلَبْتَهُ وَاسْتَدْعَيْتَهُ وَهُوَ الْأَكْثَرُ"^(٣). ومِمَّا يَظْهَرُ هَذَا الْمَعْنَى فِي حِكْمِهِ (سورة النجم) الْفِعْلُ (يَسْتَعْفِفُ)، فِي قَوْلِهِ (سورة النجم): "مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ عَبْدٌ عَطَاءً هُوَ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ"^(٤).

وهو مضارع الفعل (استعفف) الَّذِي بِمَعْنَى الطَّلَبِ^(٥) وَمَعْنَى الْاسْتِعْفَافِ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ "طَلَبُ الْعَفَافِ وَهُوَ الْكَفُّ عَنِ الْحَرَامِ وَالسُّؤَالِ مِنَ النَّاسِ، أَيْ مَنْ طَلَبَ الْعِفَّةَ وَتَكَلَّفَهَا أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، وَقِيلَ الْاسْتِعْفَافُ الصَّبْرُ وَالنَّزَاهَةُ عَنِ الشَّيْءِ"^(٦).

٣ - لِلإِغْنَاءِ عَنْ (فَعَلْ):

وَيَسَمَّى اخْتِصَارَ حِكَايَةِ الشَّيْءِ^(٧). وَمِمَّا جَاءَ دَالًّا دَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَى هَذَا الْمَعْنَى الْفِعْلُ (اسْتَرْجِعْ)، فِي قَوْلِهِ (سورة النجم): "إِنَّ أَهْلَ الْمُصِيبَةِ لَتَنْزِلُ بِهِمُ الْمُصِيبَةُ فَيَجْرَعُونَ فَيَمُرُّ بِهِمْ مَارٌّ مِنَ النَّاسِ فَيَسْتَرْجِعُ فَيَكُونُ أَعْظَمَ أَجْرًا مِنْ أَهْلِهَا"^(٨). وَاسْتَرْجِعَ أَيَّ قَالَ: (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ). فَقَدْ أَغْنَى (اسْتَرْجِعْ) عَنْ (رَجَعَ)^(٩).

٤ - يَجِيءُ بِمَعْنَى (أَفْعَلْ):

ومِمَّا يَظْهَرُ هَذَا الْمَعْنَى الْفِعْلُ (اسْتَجَابَ)، فِي قَوْلِهِ (سورة النجم): "إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لَسَاعَةً، مَا دَعَا اللَّهُ فِيهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ بِشَيْءٍ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ"^(١٠).

(١) ينظر: لسان العرب: ١٠ / ١٣٥ (غنا).

(٢) ينظر: شرح أصول الكافي: ٨ / ٤٠٨.

(٣) المخصّص: ٤ / ٣١١.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٤ / ٤٥٠، وينظر: كنز العمال: ٣ / ٢٧٥.

(٥) ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد: ٢ / ٦٠٦، والصرف الواضح: ١٠٨.

(٦) لسان العرب: ٩ / ٢٩٠ (عفف).

(٧) ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد: ٢ / ٦٠٦.

(٨) حكم النبي الأعظم: ٣ / ٥٩٨، وينظر: بحار الأنوار: ٨٢ / ١٣٢.

(٩) ينظر: ارتشاف الصّرب: ١ / ١٨٠.

(١٠) حكم النبي الأعظم: ٥ / ٤٠٢، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ١٢ / ٦٢.

جاء في الصحاح أجاب فلان إجابة، واستجاب إليه استجابة، هي بمعنى واحد^(١).

٥ - للإغناء عن المجرد:

ومما سُجِّل من الأفعال في حديثه المبارك على هذا المعنى، الفعل (استحيا)، في قوله (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ) : "رَجِمَ اللَّهُ عَبْدًا اسْتَحْيَا مِنْ رَبِّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ؛ فَحَفِظَ الرَّأْسَ وَمَا حَوَى، وَالْبَطْنَ وَمَا وَعَى، وَذَكَرَ الْقَبْرَ وَالْبَلَى، وَذَكَرَ أَنَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مَعَادًا"^(٢). فقد أغنى الفعل (استحيا) عن مجرده (حيي)^(٣).

٦ - بمعنى الحصول على الشيء:

مما يُجسّد هذا المعنى الفعل (يُستشفى)، في الحديث النبوي المبارك : "قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رُقِيَ يُسْتَشْفَى بِهَا، هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ؟ فَقَالَ: إِنَّهَا مِنْ قَدْرِ اللَّهِ"^(٤). وهو مضارع الفعل (استشفى)، الذي يدلّ على معنى نيل الشفاء. ومعنى الحديث الشريف أنّ الرقي التي هي أدعية وتعويذات تخلص من الشرك بالله، يستعملها الناس ليحصلوا عن طريقها على الشفاء^(٥)، هي من أقدار الله تعالى، فالمرض والشفاء والبحث عن العلاج كلّها أقدار قدرها الله سبحانه وتعالى على البشر، وأنّ كلّ عمل كبيرٍ أم صغيرٍ يقع ضمن نطاق القدر.

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ١ / ١٠٤ (جوب).

(٢) حكم النبي الأعظم: ٢ / ٤٧٥ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧١ / ٣٣٦.

(٣) ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد: ٢ / ٦٠٦.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٥ / ٣٣٣ ، وينظر: بحار الأنوار: ٥ / ٨٧.

(٥) ينظر: مقاييس اللغة: ٢ / ٤٢٦ (رقي) ، ومن أمثلة هذه الرقي "أعوذ بالله من شرّ كلّ تالّج ومالّج" ينظر لسان العرب: ١٥ / ٣٩٢ (ولج).

المبحث الخامس

أبنية الفعل الرباعي المجرد والمزيد ودلالاتها

أولاً: بناء الفعل الرباعي المجرد ودلالاته:

ذكر النحويون للفعل الرباعي المجرد بناءً واحدًا فقط وهو (فَعَّلَ) ومضارعه (يُفَعِّلُ). والأفعال التي تنضوي تحت هذا الباب تارة يكون الفعل فيها لازماً نحو: حَشَرَ، عَرَبَدَ، حَزَلَ، لَعَنَ وغيرها من الأفعال، وتارة أخرى يكون الفعل فيها متعدياً، والأفعال المتعدية في هذا الباب هي الغالبة نحو: بَعَثَهُ، رَعَبَلَهُ، دَخَرَجَهُ، وَدَعَثَهُ وغيرها^(١). وقد يكون الفعل في هذا البناء مرتجلاً نحو: قَلَّلَ، زَلَّزَلَ، سَلَّسَلَ^(٢).

وعلة مجيء الفعل الرباعي المجرد على بناءٍ واحدٍ؛ لأنَّ بناء الرباعي أكثر حروفًا من الثلاثي مما يجعل هذا البناء ثقیلاً، لذا التزموا الفتح في حروفه طلباً للخفة، وجعلوا الحرف الثاني ساكناً كراهةً توالي الحركات، ودفعا للأسقاطات النحوية على هذا البناء^(٣).

(١) ينظر: الكتاب: ٧٧-٧٨ ، وشرح المفصل: ٧ / ١٦٢ ، وارتشاف الضرب: ١ / ١٨٠ ، وشرح الرضي على الشافية: ١ / ١١٣.

(٢) ينظر: الأبنية الصرفية في كتاب سيبويه: ٣٨٩.

(٣) ينظر: شرح تصريف العزي: ٨٢ ، وجمع الهوامع: ٦ / ١٩ ، ودروس التصريف: ٦٥ في الهامش.

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

إنَّ الفعلَ الرَّبَاعِيَّ يُشْتَقُّ مِنْ بَعْضِ أَسْمَاءِ الْأَشْيَاءِ (الرَّبَاعِيَّةِ وَغَيْرِ الرَّبَاعِيَّةِ)، لِيُعْطِيَ دَلَالَاتٍ وَمَعَانٍ جَدِيدَةً، مِنْهَا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْاسْمَ الْمَأْخُوذَ مِنْهُ آلَةٌ لِلْإِصَابَةِ بِهِ نَحْوُ: عَصْفَرْتُهُ وَقَحْزَنْتُهُ: أَيِ ضَرْبَتِهِ بِالْعَصْفَرَانِ وَالْقَحْزَنَةِ. وَمِنْهَا مَا يَدُلُّ عَلَى ظُهُورِ الشَّيْءِ الَّذِي أُخِذَ الْفِعْلُ مِنْهُ نَحْوُ: بَرَعَمَتِ الشَّجَرَةَ: أَيِ ظَهَرَ بِرَعْمِهَا. وَمِنْهَا مَا يَدُلُّ عَلَى اتِّخَاذِ ذَلِكَ الْاسْمِ الْمَشْتَقِّ مِنْهُ الْفِعْلُ نَحْوُ: دَخَرَضْتُ الثَّوْبَ: أَيِ اتَّخَذْتُ دِخْرِيصًا. وَمِنْهَا مَا يَدُلُّ عَلَى مُشَابَهَةِ الْمَفْعُولِ لِلْاسْمِ الْمَشْتَقِّ الْفِعْلُ مِنْهُ نَحْوُ: عَقَرَبْتُ هَنْدَ صُدْغَهَا: أَيِ جَعَلْتَهُ مَلْتَوِيًّا كَالْعَقْرَبِ. وَمِنْهَا مَا يَدُلُّ عَلَى إِصَابَةِ مَا أُخِذَ مِنْهُ الْفِعْلُ نَحْوُ: غَلَصَمْتُهُ: أَيِ أَصَبْتُ غَلَصِمَتَهُ. وَمِنْهَا مَا يَدُلُّ عَلَى جَعْلِ الْاسْمِ الْمَأْخُوذَ مِنْهُ فِي الْمَفْعُولِ نَحْوُ: عَصَفَرْتُ الثَّوْبَ: أَيِ صَبَغْتَهُ بِالْعُصْفَرِ، وَنَحْوُ: كَزَبَرِ الطَّعَامَ: أَيِ وَضَعَ فِيهِ الْكُزْبَرَ^(١). وَقَدْ يَدُلُّ هَذَا الْبِنَاءُ عَلَى غَيْرِ مَا ذُكِرَ مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي^(٢).

وَقَدْ يَشْتَقُّ هَذَا الْبِنَاءُ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَصْوَاتِ، نَحْوُ: شَأَشَأَ فُلَانٌ بِالْغَنَمِ: إِذَا دَعَاها لِتَشْرَبَ أَوْ لِتَأْكُلَ. وَقَفَأَ الرَّجُلُ فَافَأَةً إِذَا أَكْثَرَ مِنَ الْفَاءِ فِي كَلَامِهِ. وَسَأَسَأَ فُلَانٌ بِالْحِمَارِ: إِذَا زَجَرَهُ أَوْ دَعَاهُ لِيَشْرَبَ الْمَاءَ^(٣).

وَيَشْتَقُّ أَيْضًا عِنْدَ اخْتِصَارِ حِكَايَةِ مَا، نَحْوُ: (جَعْفَلَ): أَيِ قَالَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، وَ(حَمَدَلَ): أَيِ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَ(حَوَّقَلَ): أَيِ قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. وَيُسَمَّى النَّحْوِيُّونَ هَذَا الضَّرْبَ (النَّحْتُ)^(٤).

وَالْفِعْلُ الرَّبَاعِيُّ الْمَجْرَدُ عَلَى ضَرْبَيْنِ، الْأَوَّلُ مُضَعَّفٌ وَهُوَ "مَا كَانَ (فَأَوَّهُ) وَ(لَامَهُ) الْأَوَّلَى مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ، وَ(عَيْنَهُ) وَ(لَامَهُ) الثَّانِيَّةُ مِنْ نَوْعٍ آخَرَ"^(٥). وَالضَّرْبُ الثَّانِي غَيْرُ مُضَعَّفٍ، وَهُوَ "مَا لَمْ تَكُنْ (فَأَوَّهُ) وَ(لَامَهُ) الْأَوَّلَى مِنْ نَوْعٍ، وَ(عَيْنَهُ) وَ(لَامَهُ) الثَّانِيَّةُ مِنْ نَوْعٍ آخَرَ"^(٦).

فَمَثَالُ مَا وَرَدَ مِنَ الضَّرْبِ الْأَوَّلِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ، الْفِعْلُ (لَجَلَجَ) فِي رَوَايَةِ أُمِّ سَلَمَى لَوْصِيَّتِهِ (ﷺ) لِلصَّلَاةِ: "كَانَ مِنْ آخِرِ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) (الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ

(١) ينظر: ارتشاف الضرب: ١ / ١٨٠، والمغني في تصريف الأفعال: ١٢٢-١٢٣.

(٢) ينظر: أوزان الأفعال ومعانيها: ٣٤٧-٣٤٨.

(٣) ينظر: دروس التصريف: ٢١.

(٤) ينظر: ارتشاف الضرب: ١ / ١٨٠، وجامع الدروس العربية: ١ / ٢٢١.

(٥) الأبنية الصرفية في كتاب سيبويه: ٣٨٩.

(٦) المصدر نفسه: ٣٨٩.

الباب الأول.....بناء الكلمة في حكم النبي الأعظم

وما ملكت أيمانكم) حتى جعل نبي الله (ﷺ) يلجلجها في صدره، وما يفيض بها لسانه^(١)، ومعنى (يلجلجها): أي صار يردد الوصية بالصلاة ويكررها. و(ما يفيض به لسانه) يعني ما يبين بها في كلامه، أي لم يقدر على أن يتكلم بها^(٢). جاء في لسان العرب "اللجلجة: ثقل اللسان، ونقص الكلام، وأن لا يخرج بعضه في أثر بعض... واللجلجة والتلجلج: التردد في الكلام"^(٣).

ومن الشواهد التي ورد بها فعل رباعي مضعّف، الفعل (سلسل)، في قوله (ﷺ): "إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الرحمة. وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين"^(٤). والمعنى الذي يدلّ عليه الفعل في الحديث الشريف هو تكبيل الشياطين بالسلاسل وتقيدها من الحركة في شهر رمضان^(٥).

ثانياً: بناء الفعل الرباعي المزيد ودلالاته:

وهو على ضربين: الأول مزيد بحرف واحد، نحو: تسرّب، تدحرج، تبعثر. والثاني مزيد بحرفين نحو: أفرنّع، احرّجَم، أفشعر، اكفهر، اطمأن^(٦).

١ - الفعل الرباعي المزيد بحرف واحد:

وهو فعل مزيد بالتاء في أوله وله بناء واحد فقط (تفعّل) ومضارعه (يتفعّل)، ويدلّ على مطاوعة مجرّده في بعض صوره، ولا يكون إلّا لازماً، نحو: سزولته فتسرّول، بعثرته فتبعثر^(٧).

ومثال ما ورد لهذا البناء الفعل (تضعّع)، في قوله (ﷺ): "من أتى غنياً فتضعّع له. ذهب ثلثا دينه"^(٨). و(تضعّع) دلّ على المطاوعة، ومعناه: تذلل للغني وخضع له؛ لأنّ الضعّعة "الخصوع والتذلل"^(٩).

(١) حكم النبي الأعظم: ٥ / ٢٤٤ ، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ٤٤ / ٨٤.

(٢) ينظر: مسند أحمد بن حنبل: ٤٤ / ٨٤ في الهامش.

(٣) لسان العرب: ١٢ / ٢٤٠ (لجج).

(٤) حكم النبي الأعظم: ٦ / ١٨.

(٥) ينظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين: ٣ / ٤٠٩.

(٦) ينظر: دروس التصريف: ٨٤.

(٧) ينظر: المقتضب: ٢ / ١٠٣ ، وارتشاف الضرب: ١ / ١٨١ ، وجامع الدروس العربية: ١ / ٢٢٤.

(٨) حكم النبي الأعظم: ٣ / ٣٥٦ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٣ / ١٧٠.

الباب الأول.....بناء الكلمة في حكم النبي الأعظم

ومن الأفعال المضغفة التي وردت في حكمه (ﷺ) المباركة، الفعل (تَزَحَّجَ)، في قوله (ﷺ): "إِنَّ مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ إِذَا أَرَادَ الْجُلُوسَ إِلَيْهِ أَنْ يَتَزَحَّجَ لَهُ"^(٢). ومعنى المطاوعة فيه بَيِّن؛ إِذْ إِنَّ (تَزَحَّجَ) في الحديث المبارك: أي يتَّحَى عن مكانه لأخيه المسلم، موسعاً له في مجلسه ذلك^(٣).

٢ - الفعل الرباعيّ المزيد بحرفين:

والمزيد من الرباعيّ له بناءان:-

أ- (أَفْعَلَلْ) :- وهذا البناء مزيدٌ بالألف في أوله، والنون بعد العين، وهذا البناء هو لمطاوعة مجرّده (فَعْلَلْ) نحو حَرَجَمْتُ الْأَبْلَ فَاخْرَجَمْتُ^(٤). ولم أجد أفعال تتدرج تحت هذا البناء في حكمه (ﷺ)؛ كون هذا البناء من الأبنية الثقيلة التي لم يشتهر استعمالها في لغة العرب.

ب- (أَفْعَلَلْ) :- وهذا البناء مزيدٌ بالألف في أوله، وحرف من جنس لامه في آخره (أي تضعيف لامه الثانية) نحو : اذْلَهَمَ اللَّيْلُ: إِذَا اشْتَدَّ سَوَادُهُ. وَاشْمَعَلَ الْقَوْمُ: إِذَا تَفَرَّقُوا^(٥). ومن شواهد هذا البناء في حكم النبي الأعظم، الفعل (اطْمَأَنَّ)، في قوله (ﷺ): "الْبِرُّ مَا سَكَنَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِثْمُ مَا لَمْ تَسْكُنْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَلَمْ يَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ"^(٦).

جاء في الصّاح "اطْمَأَنَّ الرَّجُلُ اطمئنناً وطمأنينةً، أي سكن وهو مُطْمَئِنٌّ إلى كذا"^(٧). ومعنى الحديث الشريف أن من سكن إليه قلبه واطمأنت له نفسه فذلك هو البرّ، والإثم خلاف ذلك.

(١) كتاب العين: ١/ ٧٢ (ضع).

(٢) حكم النبي الأعظم: ٤/ ٤٩٥، وينظر: مكارم الأخلاق: ٢٥.

(٣) ينظر: أساس البلاغة: ١/ ٤١٠ (زح زج).

(٤) ينظر: المغني في علم الصرف: ١٧٢.

(٥) ينظر: المهدّب في علم التصريف: ٧٥.

(٦) حكم النبي الأعظم: ٤/ ٢٩٢، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ٢٩/ ٢٧٨.

(٧) الصّاح تاج اللغة وصاح العربية: ٦/ ٢١٥٨ (طمئ).

الباب الأول.....بناء الكلمة في حكم النبي الأعظم

ومن جملة شواهد هذا البناء الفعل (إشْمَزَ)، في قوله (ﷺ): "ما بال أقوام إذا ذُكِرَ عِنْدَهُمْ آلُ إبراهيمَ فَرِحُوا وَاسْتَبَشَرُوا، وَإِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُمْ آلُ مُحَمَّدٍ إِشْمَزَتْ قُلُوبُهُمْ؟! وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ عَبْدًا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِعَمَلٍ سَبْعِينَ نَبِيًّا مَا قَبِلَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْهُ حَتَّى يَلْقَاهُ بِوَلَايَتِي وَوَلَايَةِ أَهْلِ بَيْتِي" (١).

والشَّمَزَ والاشْمِزَازَ "نفور النفس من الشيء تكرهه" (٢). وهو المعنى الذي دلَّ عليه الفعل في الحديث المبارك؛ إذ إنَّ البعض من هم في مجلس رسول الله (ﷺ) ينفِر عند ذكر آل محمد.

الفصل الثاني

أبنية الأسماء ودلالاتها

المبحث الأول

أبنية الأسماء المجردة والمزيدة

الاسم المجردة والاسم المزيد:

الاسم هو "كلمة تدلّ على معنى من غير اختصاصٍ بزمانٍ دلالة البيان" (٣)، أي أنّ الاسم يدلّ في كيانه على معنى مجرّد من الزّمان.

يقسّم الاسم على ضربين: مجرّد ومزید. فالمجرّد هو ما لا زوائد في بنائه، أي تكون جميع حروف بنائه أصلية (٤). وأصل الأسماء المجردة في كلام العرب تكون على ثلاثة أضرب: ثلاثية، ورباعية، وخماسية. والأسماء الثلاثية أكثر وأعمّ الأضرب الثلاثة في الكلام. والأسماء الرباعية المجرّد أقلّ منه. وأمّا الخماسية المجرّد، فهي أقلّ من الضّربين الأولين (٥). ولا يوجد اسم في العربية أقلّ من ثلاثة أحرف (٦)، وقد ذكر ذلك الخليل بقوله: "الاسم لا يكون أقلّ من ثلاثة أحرف. حرف يُبتدأ به. وحرف يحشى به الكلمة، وحرف يُوقَف عليه" (٧). وقد أقرّ سيبويه (ت ١٨٠هـ) بأنّ الاسم المتمكّن في لغة العرب لا يكون إلّا

(١) حكم النبي الأعظم: ٣ / ١٢٣ ، وينظر: بحار الأنوار: ٢٧ / ١٢٧.

(٢) لسان العرب: ٧ / ١٩٣ (شمز).

(٣) الحدود في النحو: ٦٧ ، وينظر: التعريفات: ٢٤ ، وشرح الحدود للفاكهي: ٩٢ - ٩٤.

(٤) ينظر: المنصف: ١ / ١١ ، والصرف الكافي: ٤٦.

(٥) ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ١٣٥ ، وتصريف الأسماء والأفعال: ٦١.

(٦) ينظر: الممتع في التصريف: ٥١.

(٧) كتاب العين: ١ / ٤٩. وينظر: شرح الملوكي في التصريف: ٢٤.

الباب الأول.....بناء الكلمة في حكم النبي الأعظم

على ثلاثة أصول، يقول في ذلك: "ليس في الدنيا اسمٌ أقلّ عدداً من اسمٍ على ثلاثة أحرف، ولكنهم قد يحذفون مما كان على ثلاثة حرفاً وهو الأصل له، ويردونه في التحقير والجمع" (١).

وأما المزيد من الأسماء، فهو إلحاق البناء الأصلي بعض الحروف ليست من جنس بنائه الأصلي، وهذه الزيادة تكون لأغراض منها توليد ألفاظٍ جديدةٍ وهو الغالب، أو لإفادة معنى جديد (٢). وتكون الزيادة في أبنية الثلاثي أكثر منها في الرباعي والخماسي، وإنما كثر التصرف في الثلاثي بالزيادة لكثرة، وقل في الخماسي لقلته (٣).

وبعد استقرار حكم النبي الأعظم (عليه السلام) وما فيها من أسماء، لم أجد للاسم الخماسي المزيد مثلاً، أما الاسم الخماسي المجرد، فورد مثلاً واحدٌ في حكمه (عليه السلام)، وهو (الزبرجد)، في قوله (عليه السلام): "يا علي: خلق الله الجنة من لبنتين: لبنة من ذهبٍ ولبنة من فضة، وجعل حيطانها الياقوت، وسقفها الزبرجد، وحصاءها اللؤلؤ، وترباتها الزعفران والمِسك الأذفر" (٤).

لذا سنتناول في هذا المبحث دراسة أبنية الأسماء في حكمه (عليه السلام) مقتصرًا على الأسماء الثلاثية المجردة والمزيدة، والأسماء الرباعية المجردة والمزيدة. أما أبنية المشتقات والمصادر والجموع في حكمه (عليه السلام)، فأتناول كل منها في مبحثٍ خاصٍ بها.

أولاً: الاسم الثلاثي المجرد:

إنَّ للاسم الثلاثي المجرد اثني عشر وزنًا، فالأصل الأول من كل بناءٍ يكون مفتوحًا أو مضمومًا أو مكسورًا ولا يكون ساكنًا؛ لأنَّ العرب لا تبتدأ بالسّاكن، أما الحرف الثاني، فتعاقب عليه الحركات الأربع (٥). فالأسماء الثلاثية تكون على عشرة أمثلة: - فَعْلٌ، وفَعَلٌ، وفَعِلٌ، وفَعِلٌ، وفَعِلٌ، وفَعِلٌ، وفَعِلٌ، وفَعِلٌ، وفَعِلٌ، وفَعِلٌ، وفَعِلٌ، وفَعِلٌ. أما الوزنان اللذان أهملًا، فهما (فَعْل - فَعِل)، ومردّ إسقاط هذين البنائين، هو لثقل الانتقال من النّقل إلى النّقل (٦). ولم ترد هذه الأوزان كلّها في حكمه المباركة، وسأذكر ما ورد منها، وهي:

١ - بناء (فَعْل) بفتح الفاء، وسكون العين:

(١) الكتاب: ٣ / ٣٢٢.

(٢) ينظر: شرح المفصل: ٩ / ١٤١.

(٣) المصدر نفسه: ٦ / ١١٥.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٧ / ٥٧٠، وينظر: مكارم الأخلاق: ٤٣٥.

(٥) ينظر: الممتع في التصريف: ٥١، والصرف العربي أحكام ومعاني: ٣٥-٣٦.

(٦) المصنّف: ١ / ١٨.

(٧) ينظر: الأصول في النحو: ٣ / ١٨١، وشرح الرّضي على الشّافية: ١ / ٣٥-٣٦.

الباب الأول.....بناء الكلمة في حكم النبي الأعظم

ومن أمثلة ما ورد من أسماء في حكمه المباركة على هذا البناء (الجهل)، في قوله (ﷺ): "الجهل رأس الشر كله" (١).

٢- بناء (فعل) بكسر الفاء، وسكون العين:

ومن أمثله (الرفق)، في قوله (ﷺ): "إن الله رفيق يحب الرفق" (٢).

٣- بناء (فعل) بضم الفاء، وسكون العين:

ومن شواهد الأسماء الواردة في حكمه (ﷺ) على هذا البناء (الفض)، في قوله (ﷺ): "إن الفض لو كان مثلاً لكان مثلاً سوء" (٣).

٤- بناء (فعل) بفتح الفاء والعين معاً:

ومثال هذا البناء (الأمل)، في قوله (ﷺ): "إنما الأمل رحمة من الله لأمتي. لولا الأمل ما أرضعت أم ولداً. ولا غرس غارس شجراً" (٤).

٥- بناء (فعل) بضم الفاء، وفتح العين:

ومما سجل من أسماء في حكمه (ﷺ) على هذا الشكل الصرفي (شعب)، في قوله (ﷺ): "وُدُّ الْمُؤْمِنِ لِلْمُؤْمِنِ فِي اللَّهِ مِنْ أَعْظَمِ شَعَبِ الْإِيمَانِ" (٥).

٦- بناء (فعل) بفتح الفاء، وكسر العين:

ومثال هذا البناء (الوسخ)، في قوله (ﷺ): "إن الله يبغيض الوسخ والشعث" (٦).

٧- بناء (فعل) بفتح الفاء، وضم العين:

ومن الوارد من الأسماء على هذه الصيغة (الرجل) "الرجل على دين خليله. فليُنظر أحدكم من يخال" (٧).

٨- بناء (فعل) بضم الفاء والعين معاً:

ومما يُستشهد به من الأسماء الواردة في حكمه (ﷺ) على هذا الوزن (الخلق)، في قوله (ﷺ): "ما شيء أبغض إلى الله عز وجل من البخل، وسوء الخلق" (٨).

(١) حكم النبي الأعظم: ١٢ / ٧ ، وينظر: بحار الأنوار: ١٧٥ / ٧٧.

(٢) حكم النبي الأعظم: ٢٠٨ / ٢ ، وينظر: صحيح مسلم: ٢٠٠٣ / ٤.

(٣) حكم النبي الأعظم: ١٦ / ٥ ، وينظر: الكافي: ٣٢٤ / ٢.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٤٠٥ / ٣ ، وينظر: تاريخ بغداد: ٥٢ / ٢.

(٥) حكم النبي الأعظم: ٤٣٩ / ٦ ، وينظر: الكافي: ١٢٥ / ٢.

(٦) حكم النبي الأعظم: ٢٣٣ / ٢ ، وينظر: شعب الإيمان: ١٦٨ / ٥.

(٧) حكم النبي الأعظم: ٤٢٤ / ٦ ، وينظر: بحار الأنوار: ١٩٢ / ٧٤.

ثانياً: الاسم الثلاثي المزيد :

إنَّ للاسم الثلاثي المزيد أبنية كثيرة، تختلف تبعاً لعدد الحروف المزیدة في كلِّ بناء، أو تبعاً لتغيّر حركته. فالزيادة قد تكون حرفاً واحداً، أو حرفين، أو ثلاثة حروف، أو أربعة حروف، أو خمسة حروف^(١). وسأذكر هذه الأبنية مشيراً إلى الحروف المزیدة في كلِّ بناء دون تقسيم الأبنية إلى أقسام طلباً للسهولة وتجنباً للتعقيد :

١- بناء (أفعل) بزيادة الهمزة في أوله :

ومما سُجِّل من أسماء في حكمه (عليه السلام) على هذا الشكل الصرفي، (أَبْتَرُ)، في قوله (عليه السلام): "كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ عَلَيَّ فَهُوَ أَقْطَعُ أَبْتَرٌ مَحْقُوقٌ مِنْ كُلِّ بَرَكَةٍ"^(٢). والأبْتَرُ: كلُّ أَمْرٍ قَامَ بِهِ إِنْسَانٌ مَا، فَانْقَطَعَ مِنَ الْخَيْرِ أَثَرُ ذَلِكَ الْأَمْرِ^(٣).

٢- بناء (فعلال) بكسر الفاء، وزيادة ألف بين عينيه ولامه:

ومن أمثلة هذا البناء (الجهاد) في قوله (عليه السلام): "لَمَّا سُئِلَ عَنْ أَفْضَلِ الْإِيمَانِ: الْهَجْرَةُ، قِيلَ: وَمَا الْهَجْرَةُ؟ قَالَ: أَنْ تَهْجُرَ السُّوءَ. قِيلَ: فَأَيُّ الْهَجْرَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الْجِهَادُ"^(٤).

٣- بناء (فعلال) بضمّ الفاء، وزيادة ألف بين عينيه ولامه:

ومن الألفاظ التي وردت على هذا الوزن (الجذام)، في قوله (عليه السلام): "كُلُّوا الزَّيْتَ وَادَّهِنُوا بِهِ؛ فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ سَبْعِينَ دَاءً، مِنْهَا الْجُذَامُ"^(٥).

٤- بناء (فعلال) بفتح الفاء، وزيادة ألف بين عينيه ولامه:

ومن الأسماء التي وردت في حكمه (عليه السلام)، وتجري على هذا الوزن (الدَّوَاءُ)، في قوله (عليه السلام): "مَا طُلِبَ الدَّوَاءُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ شَرْبَةِ عَسَلٍ"^(٦).

٥- بناء (فئعل) مزيد بالياء بين فائه وعينه. مع فتح عينه:

(١) حكم النبي الأعظم: ٢/ ٢٣٥، وينظر: بحار الأنوار: ١٦ / ٢٣١.

(٢) ينظر: الممتع في الصرف: ٥٧، وتصريف الأسماء والأفعال: ٦٧.

(٣) حكم النبي الأعظم: ٣/ ٤٤٣، وينظر: كنز العمال: ١/ ٥٥٨.

(٤) ينظر: لسان العرب: ١/ ٣٠٩ (بتر).

(٥) حكم النبي الأعظم: ٤/ ٥٥٥، وينظر: كنز العمال: ١/ ٢٦.

(٦) حكم النبي الأعظم: ٣/ ٤٨٢، وينظر: كنز العمال: ١٠/ ٤٨.

(٧) حكم النبي الأعظم: ٣/ ٤٨٩، وينظر: كنز العمال: ١٠/ ٢٠.

الباب الأول.....بناء الكلمة في حكم النبي الأعظم

ومن أمثلة ما ورد من أسماء على هذا الوزن (خَيْرُ)، في قوله (ﷺ) عندما أصبح في خير: "الله أكبرُ الله أكبرُ خَيْرُ خَيْرُ. إنا إذا نزلنا بساحة قومِ فساء صباحُ المُنذرينَ" (١).

٦- بناء (فَيْعِل) مزيد بالياء بين فائه وعينه، مع كسر عينه:

ومن الشواهد التي وردت من الأسماء في حكمه (ﷺ) على هذا الصيغة (سَيِّدُ)، في قوله (ﷺ): "شهرُ رَمَضانَ سَيِّدُ الشُّهُورِ" (٢). و(سَيِّدُ) على زنة (فَيْعِل)، وأصلها (سَيُودُ) وقلبت الواو ياءً وأدغمت الياء في الياء (٣).

٧- بناء (فُعُول) مزيد بالواو بين عينه ولامه:

ومن أمثلة الأسماء التي اتخذت هذا البناء (خُلُوفُ)، قوله (ﷺ) في وصف الصائمين في شهر رمضان المبارك: "فإنَّ خُلُوفَ أفواههم - حينَ يُمسَوْنَ - عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ أَطْيَبُ من رِيحِ المِسكِ" (٤).

٨- بناء (فَعْلَاءُ) بزيادة الألف والهمزة، مع فتح الفاء:

ومما يُستشهد به من الأسماء الواردة في حكمه (ﷺ) على هذا الوزن (خُلُوءُ)، في قوله (ﷺ): "مَنْ لَقِمَ أخاهُ لُقْمَةً خُلُوءاً وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مَخَافَةً مِنْ شَرِّهِ، وَلَا رَجَاءً لِخَيْرِهِ صَرَفَ اللهُ عَنْهُ سَبْعِينَ بَلَوًى فِي الْقِيَامَةِ" (٥).

٩- بناء (فِعْلَاءُ) بزيادة الألف والهمزة وكسر الفاء:

ومثال هذا البناء (سِيَمَاءُ)، في قوله (ﷺ) الذي يصف به الإمام علي عليه السلام: "إنَّ اللهَ زَيَّنَكَ بِزِينَةٍ لَمْ يُزَيِّنِ الْعِبَادَ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ اللهُ مِنْهَا، وَلَا أْبْلَغَ عِنْدَهُ مِنْهَا: الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّ اللهَ قَدْ أَعْطَاكَ ذَلِكَ، وَجَعَلَ الدُّنْيَا لَا تَنَالُ مِنْكَ شَيْئاً، وَجَعَلَ لَكَ سِيَمَاءَ تُعْرَفُ بِهَا" (٦).

١٠- بناء (فُعَالُ) بضم الفاء وزيادة التضعيف والألف:

(١) حكم النبي الأعظم: ٣٢٥ / ٦، وينظر: كنز العمال: ٤٦٥ / ١٠.

(٢) حكم النبي الأعظم: ١٣ / ٦، وينظر: بحار الأنوار: ٥٤ / ٤٠.

(٣) ينظر: شرح المفصل: ٦٥ / ١٠.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٢٧ / ٦، وينظر: بحار الأنوار: ٣٦٤ / ٩٦.

(٥) حكم النبي الأعظم: ٤٤٨ / ٣، وينظر: تاريخ بغداد: ٨٥ / ٤.

(٦) حكم النبي الأعظم: ٣٠٢ / ٤، وينظر: بحار الأنوار: ٣١٨ / ٤٠.

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

ومِمَّا يُسْتَشْهَدُ بِهِ عَلَى هَذَا الْبِنَاءِ (الْكُرَاتُ)، فِي قَوْلِهِ (سَنَامُ الْبُقُولِ وَرَأْسُهَا الْكُرَاتُ)^(١).

١١- بِنَاءُ (فَعْلَان) بِفَتْحِ الْفَاءِ وَزِيَادَةِ الْأَلْفِ وَالنُّونِ:

وَمِنْ أَمْثَلَةٍ مَا وَرَدَ مِنْ أَسْمَاءٍ عَلَى هَذَا الْبِنَاءِ (رِيَان)، فِي قَوْلِهِ (إِنَّ لِلْجَنَّةِ بَاباً يُدْعَى الرَّيَّانَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ)^(٢).

١٢- بِنَاءُ (فَعْلَان) بِكَسْرِ الْفَاءِ وَزِيَادَةِ الْأَلْفِ وَالنُّونِ:

وَمِمَّا سُجِّلَ مِنْ أَسْمَاءٍ فِي حِكْمِهِ (عَلِيلَان) عَلَى هَذَا الشَّكْلِ الصَّرْفِيِّ، (الْغِيلَانُ)، فِي قَوْلِهِ (وَإِذَا تَغَوَّلْتَ لَكُمْ الْغِيلَانُ، فَأَذْنُوا بِأَذَانِ الصَّلَاةِ)^(٣).

وَالْغِيلَانُ "هِيَ جِنْسٌ مِنَ الْجِنَّ وَالشَّيَاطِينِ، كَانَتْ الْعَرَبُ تَزْعُمُ أَنَّ الْعُؤْلَ فِي الْفُلُوتِ تَتَرَاءَى لِلنَّاسِ فَتَتَغَوَّلُ تَغَوَّلاً: أَي: تَتَلَوَّنُ تَلَوَّناً فِي صَوْرِ شَتَّى فَتَغُولُهُمْ أَي: تَضْلَهُمْ عَنِ الطَّرِيقِ وَتَهْلِكُهُمْ"^(٤).

١٣- بِنَاءُ (فَاعُول) بِزِيَادَةِ الْأَلْفِ وَالْوَاوِ:

وَمِنْ الْأَسْمَاءِ الَّتِي تَنْتَظِمُ فِي هَذَا الْبِنَاءِ الصَّرْفِيِّ (بَاسُور)، فِي قَوْلِهِ (عَلَيْكُمْ بِهِذِهِ الشَّجَرَةِ الْمُبَارَكَةِ زَيْتِ الزَّيْتُونِ فَتَدَاوُوا بِهِ: فَإِنَّهُ مَصْحَةٌ مِنَ الْبَاسُورِ)^(٥).

١٤- بِنَاءُ (فَيْعَال) بِزِيَادَةِ الْأَلْفِ وَالْيَاءِ:

وَمِنْ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تَنْتَظِمُ تَحْتَ هَذَا الْبِنَاءِ (الْقَيْرَاطُ)، فِي قَوْلِهِ (الدِّينَارُ كَنْزٌ، وَالْقَيْرَاطُ كَنْزٌ)^(٦).

١٥- بِنَاءُ (فَاعِلَاء) بِزِيَادَةِ الْأَلْفِ بَيْنَ فَائِهِ وَعَيْنِهِ، وَزِيَادَةِ أَلْفٍ وَهَمْزَةٍ فِي آخِرِهِ:

وَمِنْ أَمْثَلَةٍ مَا وَرَدَ مِنْ أَسْمَاءٍ عَلَى هَذَا الْبِنَاءِ (السَّابِيَاءِ)، فِي قَوْلِهِ (تِسْعَةُ أَعْشَارِ الرُّزْقِ فِي التِّجَارَةِ، وَالْجُزْءُ الْبَاقِي فِي السَّابِيَاءِ)^(٧). وَالسَّابِيَاءُ: الْغَنَمُ وَالْمَوَاشِي، وَنَتَاجُهُمَا^(٨).

١٦- بِنَاءُ (مَفَاعِيل) بِزِيَادَةِ الْمِيمِ وَالْأَلْفِ وَالْيَاءِ:

(١) حِكْمُ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٤٨٥ / ٣ ، وَيَنْظُرُ: بَحَارُ الْأَنْوَارِ: ٦٦ / ٢٠٤.

(٢) حِكْمُ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٥٦١ / ٢ ، وَيَنْظُرُ: بَحَارُ الْأَنْوَارِ: ٩٦ / ٢٥٢.

(٣) حِكْمُ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٢٢٢ / ٥ ، وَيَنْظُرُ: بَحَارُ الْأَنْوَارِ: ٨٤ / ١٦٢.

(٤) النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ: ٣ / ٣٩٦.

(٥) حِكْمُ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٤٨٢ / ٣ ، وَيَنْظُرُ: الْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ: ١٧ / ٢٨١.

(٦) حِكْمُ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ١٤٩ / ٧ ، وَيَنْظُرُ: الدَّرُ الْمُنْتَوَرُ: ٣ / ٢٣٣.

(٧) حِكْمُ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٤٧٢ / ٣ ، وَيَنْظُرُ: بَحَارُ الْأَنْوَارِ: ٦٤ / ١١٨.

(٨) يَنْظُرُ: لِسَانُ الْعَرَبِ: ١٦٦ / ٦ (سَبِي).

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

وهو من أبنية جمع التَّكْسِيرِ، وَمِمَّا يُسْتَشْهَدُ بِهِ عَلَى هَذَا الْبِنَاءِ (مَفَاتِيحُ)، فِي قَوْلِهِ (ﷺ):
"تَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مَفَاتِيحُ الرَّحْمَةِ، وَمَوْضِعُ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ، وَمَعْدِنُ الْعِلْمِ"^(١).
ثَالِثًا: أبنية الاسم الرباعي المجرد:

اختلف النحويون في وجود الاسم الرباعي والخماسي، فقد ذهب سيبويه (١٨٠هـ) وجمهور النحويين إلى أنَّ الرباعي والخماسي صنفان مستقلان عن الثلاثي، بينما يرى الكسائي (١٨٩هـ) والفراء (٢٠٧هـ) أنَّهما من الثلاثي المزيد^(٢).

إنَّ الاسم الرباعي المجرد "يحتل ثمانية وأربعين بناءً، يسقط منها ثلاثة لتعذر النقاء الساكنين في العين واللام الأولى، فيبقى خمسة وأربعون. غير أنَّ العرب أهملوا من الباقي تسعةً وثلاثين، واستخدموا ستةً فقط"^(٣). وهذه الأبنية الستة التي ذكرها النحويون خمسةً منها منها متفقٌ عليها بين جمهور العلماء، وهي (فَعَّلَ نحو: عَنَّبَر، وفَعَّلَ نحو: الزَّيْرَج، وفُعِّلَ نحو البُرْثَن، وفَعَّلَ نحو: دِرْهَم، وفَعَّلَ نحو: هَبَجَر)^(٤)، وواحدٌ مختلفٌ فيه وهو (فُعِّلَ) نحو: نحو: (جُحْدَب)، فقد زاده الأَخْفَش على أبنية الرباعي المجرد^(٥). ولم ترد في حِكْمِ النَّبِيِّ الأعظم من هذه الأبنية الستة إلا ما يلي:

- ١- بناء (فَعَّلَ) بفتح الفاء واللام الأولى وسكون العين:
ومثال هذا البناء (زَمَزَم)، في قوله (ﷺ): "خَيْرُ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَاءُ زَمَزَم"^(٦).
- ٢- بناء (فُعِّلَ) بضمّ الفاء واللام وسكون العين:
ومن المستعمل من الأسماء في هذا البناء (لُؤْلُؤ)، في قوله (ﷺ): "دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا جَنَابِذَ مِّنْ لُّؤْلُؤٍ. فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذِهِ يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: لِلْمُؤَدِّينَ وَالْأَيْمَةِ مِّنْ أُمَّتِكَ"^(٧).
- ٣- بناء (فَعَّلَ) بكسر الفاء وسكون العين وفتح اللام:
ومن أمثلة الأسماء التي وردت على هذا البناء (دِرْهَم)، في قوله (ﷺ): "أَقَلُّ مَا يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَحْ يُوْتَقُ بِهِ، أَوْ دِرْهَمٌ مِّنْ حَلَالٍ"^(٨).

(١) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٣ / ١١٢، وينظر: فرائد السَّمطين: ١ / ٤٤.

(٢) ينظر: شرح الرُّضِيِّ عَلَى الشَّافِيَّةِ: ١ / ٤٧.

(٣) تصريف الأسماء والأفعال: ٦٤.

(٤) ينظر: الكتاب: ٤ / ٢٨٨-٢٨٩، والمنصف: ١ / ٢٥، وشرح المفصل: ٦ / ١٣٦.

(٥) ينظر: شرح الرُّضِيِّ عَلَى الشَّافِيَّةِ: ١ / ٤٧-٤٨.

(٦) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٣ / ٤٨٨، وينظر: المعجم الكبير: ١١ / ٨٠.

(٧) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٥ / ٢١٦-٢١٧، وينظر: كنز العمال: ٧ / ٦٨٢.

رابعاً : أبنية الاسم الرباعي المزيد:

إنَّ الاسم الرباعيَّ المزيد أمّا أن يكون مزيداً بحرفٍ واحدٍ، أو حرفين، أو ثلاثة أحرف^(١). ومما ورد من أبنية الاسم الرباعيَّ المزيد في حكمه (عليه السلام) ما يلي:

١- بناء (فَعْلَال) بفتح الفاء وزيادة الألف بين اللامين:

وهذا البناء لا يكون إلّا في الاسم الرباعيَّ المضعف^(٢). ومن الأسماء التي جرى استعمالها على هذا البناء الصّرفيّ (سَفَسَافَ)، في قوله (عليه السلام): "إنَّ الله يُجِبُّ مَعَالِي الْأَخْلَاقِ وَيَكْرَهُ سَفَسَافَهَا"^(٣).

٢- بناء (فَعْلَال) بكسر الفاء وزيادة الألف بين اللامين:

ومن شواهد هذا البناء (قِنْطَار)، في قوله (عليه السلام): "مَنْ أَقْرَضَ مَلْهُوفاً فَأَحْسَنَ طَلِبَتَهُ اسْتَأْنَفَ الْعَمَلَ وَأَعْطَاهُ اللَّهُ بِكُلِّ دِرْهَمٍ أَلْفَ قِنْطَارٍ مِنَ الْجَنَّةِ"^(٤).

٣- بناء (فَعْلَلان) بسكون العين، وفتح الفاء واللام الأولى، وزيادة الألف والنون بعد اللامين:

ومن أمثلة الأسماء الواردة في حكمه (عليه السلام) التي اتخذت هذا البناء (زعفران)، في قوله (عليه السلام): "مَنْ جُرِحَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رِيحُهُ كَرِيحِ الْمِسْكِ وَلَوْهُ لَوْنُ الزَّعْفَرَانِ، عَلَيْهِ طَائِعُ الشُّهَدَاءِ"^(٥).

٤- بناء (فَعْلَلوت) بسكون العين، وفتح الفاء واللام الأولى، وضمّ اللام الثانية، وزيادة الواو والنّاء: ومثال هذا البناء (عَنْكَبوت)، في قوله (عليه السلام): "عَشْرُونَ خَصْلَةً تَوْرِيثُ الْفَقْرِ... تَرَكُّ بُيُوتِ الْعَنْكَبُوتِ فِي الْمَنْزِلِ"^(٦).

ذكر ابن جنّي (٣٩٢هـ) أنّ النّاء في (عنكبوت) زائدة، وعُلِمَ بزيادتها بالنّظر إلى (عَنْكَبْ) و(عَنْكَبَاء) لا بالنّظر إلى جمعه على (عناكب)^(٧)، وتابعه بذلك ابن يعيش (٦٤٣هـ)^(٨). أمّا الواو في (عنكبوت)، فهي زائدة كونها صحبت أربعة حروف مقطوع بأصالتها^(٩).

(١) حكم النبي الأعظم: ٣٥ / ٧ ، وينظر: بحار الأنوار: ١٥٧ / ٧٧.

(٢) ينظر: تصريف الأسماء والأفعال: ٧٧.

(٣) ينظر: الممتع في التصريف: ١٠٦.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٢٩٩ / ٤ ، وينظر: كنز العمال: ١٠ / ٣.

(٥) حكم النبي الأعظم: ٤٨٦ / ٤ ، وينظر: بحار الأنوار: ٣٦٨ / ٧٧.

(٦) حكم النبي الأعظم: ٣١٢ / ٦ ، وينظر: كنز العمال: ٤٠٨ / ٤.

(٧) حكم النبي الأعظم: ١٣٨-١٣٩ ، وينظر: بحار الأنوار: ٣١٥ / ٧٦.

(٨) ينظر: المنصف: ١٤٩ / ١.

٥- بناء (فَعَالِيل) بفتح الفاء، وكسر اللام الأولى، وزيادة الألف والياء:

وهذا البناء لا يكون في أبنية الاسم الرباعيّ المزيّد إلّا إذا كان جمع تكسير^(٣). ومن المستعمل من الأسماء في هذا البناء (قَنَادِيل)، في قوله (سورة): "إِنَّ الْبَلَاءَ يَتَعَلَّقُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مِثْلَ الْقَنَادِيلِ، فَإِذَا سَأَلَ الْعَبْدُ رَبَّهُ الْعَافِيَةَ صَرَفَ اللَّهُ تَعَالَى الْبَلَاءَ عَنْهُ وَقَدْ أُبْرِمَ لَهُ إِبْرَامًا"^(٤).

المبحث الثاني

أبنية المشتقات

يُعَدُّ الاشتقاق الرَّحْمَ الَّذِي عَنْ طَرِيقِهِ تَتَوَلَّدُ أَلْفَاظُ اللَّغَةِ، وَتُسْتَمَرُّ دَوْرَةَ حَيَاتِهَا. وَالِاشْتِقَاقُ هُوَ "إِنْشَاءُ فَرْعٍ مِنْ أَصْلٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ"^(٥)، أَوْ هُوَ "أَخْذُ صِيغَةٍ مِنْ أُخْرَى مَعَ اتِّفَاقِهِمَا مَعْنَى وَمَادَّةٍ أَصْلِيَّةٍ وَهَيْئَةٍ تَرْكِيبٍ لَهَا لِيَدُلَّ بِالثَّانِيَةِ عَلَى مَعْنَى الْأَصْلِ بِزِيَادَةٍ مُفِيدَةٍ لِأَجْلِهَا اخْتِلَافُ حُرُوفًا أَوْ هَيْئَةً كضارب من ضرب"^(٦). فَلَوْلَا الْإِشْتِقَاقُ لَأَصَابَ اللَّغَةُ الْعَقْمُ، وَتَوَقَّفَتْ حَيَاتُهَا، وَانْتَهَتْ بِنِفَادٍ وَانْحِصَارٍ أَلْفَاظُهَا.

اختلف النحويون حول أصل الاشتقاق باختلاف أدلتهم. فذهب البصريون إلى أنَّ المصدر أصل الاشتقاق في العربيّة. وذهب الكوفيون إلى أنَّ الفعل هو الأصل^(٧). إنَّ الخلافات النحويّة في أغلبها هي خلافات عقيمة، لا يمكن التوصل معها إلى رأي يغلب

(١) ينظر: شرح المفصل: ٥ / ١٣١.

(٢) ينظر: الممتع في التصريف: ١٩٥.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٨.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٥ / ٣٣٧، وينظر: بحار الأنوار: ٩٣ / ٢٩٥.

(٥) الممتع في التصريف: ٤٢.

(٦) المزهر: ١ / ٢٧٥.

(٧) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١ / ١٩٠ مسألة رقم: ٢٨.

الباب الأول.....بناءُ الكلمةِ في حكمِ النَّبِيِّ الأعظمِ

ويردّ الرّأي الآخر؛ إذ إنّ الفريقين كليهما جاء بحججٍ ترجّح رأيه وتفنّد الرّأي المقابل؛ ومع هذه الحجج يصعب علينا قبول أحدهما وردّ الآخر^(١).

إنّ الاشتقاق يكون على خمسةٍ أضربٍ: الاشتقاق الأكبر، الاشتقاق الكبير، والقلب اللّغوي، النّحت، الاشتقاق الأصغر^(٢).

وما يهمنّا في دراستنا من هذه الأنواع الخمسة هو الاشتقاق الأصغر أو الصّغير؛ إذ حدّه ابن جنّي (٣٩٢هـ) بقوله: "الصّغير ما في أيدي النّاس وكتبهم، كأن تأخذ أصلاً من الأصول فتتقرّاه فتجمع بين معانيه، وإن اختلفت صيغته ومبانيه. وذلك كتركيب "س ل م"، فإنّك تأخذ منه معنى السّلامة في تصرّفه؛ نحو: سلم ويسلم وسالم وسلمان وسلمى والسّلامة والسّليم: اللّديغ، أطلق عليه تفاؤلاً بالسّلامة... فهذا هو الاشتقاق الأصغر"^(٣).

وقد عدّد الزّمخشرّي (٥٣٨هـ) المشتقّات بقوله: "الأسماء المتصلة بالأفعال هي ثمانية أسماء: المصدر. اسم الفاعل، اسم المفعول، الصّفة المشبّهة، اسم التّفضيل، واسما الزّمان والمكان، اسم الآلة"^(٤).

وسننتاول بالدراسة في هذا المبحث المشتقّات جميعاً، إلّا أبنية المصادر بما فيها (المرّة، الهيئة، الميمّي) فسندرس في مبحثٍ خاصٍّ بها.

وفيما يأتي أبنية المشتقّات الواردة في حكمه (ﷺ):

أولاً: أبنية اسم الفاعل:

هو الوصف الذي يشتقّ من الفعل المضارع، ليدلّ على من قام بالفعل أو تعلّق به^(٥)، يحمل اسم الفاعل معنى التّجدّد والحدوث، فكلمة (نائِم) تدلّ على الحدث (المصدر) وهو (النّوم)، وعلى الفاعل وهو الذي يقوم بالنّوم، وعلى الحدث وهو التّغيّر^(٦).

(١) ينظر تلك الحجج: التّذييل والتّكملة في شرح كتاب التّسهيل، أبو حيّان الأندلسيّ: ٧ / ١٣٤ ، وهمع الهوامع: ٣ / ٩٥.

(٢) ينظر: المهذّب في علم النّصريف: ١٩٦-٢٠٣.

(٣) الخصائص: ٢ / ١٣٦.

(٤) المفصل في صنعة الإعراب: ٢٧٤.

(٥) ينظر: شرح المفصل: ٦ / ٦٨ ، وارتشاف الضّرب: ٢ / ٥٠٩ ، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ١٣٦.

(٦) ينظر: الخصائص: ٣ / ١٠٣ ، والصّرف العربيّ أحكاماً ومعاني: ٩٥.

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

وبقيد (التَّجَدُّدُ والحدوث) يخرج عن اسم الفاعل الصِّفَةُ المشبَّهة؛ لأنَّ اسم الفاعل يتشابه مع الصِّفَةُ المشبَّهة في أنَّ كلَّ منهما يدلُّ على ذاتٍ موصوفةٍ بحدثٍ معين قامت به؛ ولكن الصِّفَةُ المشبَّهة تختلف عن اسم الفاعل في أنَّ الموصوفَ بها قائمٌ على وجه الثَّبوت والدَّوام، والموصوف باسم الفاعل متجدد بتجدد الأزمنة. ومع كون اسم الفاعل أثبت من الفعل إلا أنَّ الصِّفَةَ المشبَّهة أثبت منه؛ لأنَّ لا يمكن الانفكاك عنها، فاسم الفاعل (نائِم) يمكن الانفكاك من صفة النَّوم إلى صفةٍ أخرى نحو (صاح). أمَّا الصِّفَةُ المشبَّهة، فلا يمكن الانفكاك عنها، فالطَّوْل في (طويل) أو القصر في (قصير)؛ لا يمكن الانفكاك عنهما؛ لأنَّها صفاتٌ أكثر ثبوتاً^(١).

يُصاغ اسم الفاعل من الفعل الثلاثي المجرَّد المبني للمعلوم على زنة (فَاعِل)، ومن غير ذلك على زنة مضارعه مع إبدال حرف المضارعة ميماً مضمومةً وكسر ما قبل الآخر^(٢). وقد وردت صيغة (فَاعِل) من الثلاثي كثيراً في حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ، منها (صَائِم، قائِم)، في قوله (ﷺ): "إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِالْجُلْمِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ، وَإِنَّهُ لَيُكْتَبُ جَبَّارًا وَلَا يَمْلِكُ إِلَّا أَهْلَ بَيْتِهِ"^(٣).

فجاء اسم الفاعل (صَائِم، قائِم) من الفعلين الأجوفين (صام) و (قام)، وقد دلَّ على التَّجَدُّد في الحدث؛ إذ يمكن الانفكاك معهما إلى صفةٍ أخرى. ومن تلك الأمثلة التي وردت على زنة (فَاعِل) ودلَّت على التَّجَدُّد في الحدث، (السَّائِل) في قوله (ﷺ): "لَا تَقْطَعُوا عَلَى السَّائِلِ مَسْأَلَتَهُ فَلَوْلَا أَنَّ الْمَسَاكِينَ يَكْذِبُونَ مَا أَفْلَحَ مَنْ رَدَّهُمْ"^(٤).

وممَّا ورد من اسم فاعل في حديثه (ﷺ)، قوله عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "الطَّاهِرُ النَّائِمُ كَالصَّائِمِ الْقَائِمِ"^(٥). فالحديث المبارك تضمَّن أسماء فاعلين (الطَّاهِر، النَّائِم، الصَّائِم، القائم) القائم والطَّاهِر والنَّائِم من الفعلين (طَهَّر) (نام). و(طاهر) أقرب إلى الصِّفَةِ المشبَّهة منه

(١) ينظر: شرح شذور الذهب: ٢٠٦-٢٠٧، وجامع الدُّروس العربيَّة: ١ / ١٧٨ و ١ / ١٩١، ومعاني الأبنية في العربيَّة: ٤١.

(٢) ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ١٣٦، والمهذَّب في علم التَّصريف: ٢٢٩.

(٣) حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ١٠٠-١٠١، وينظر: كنز العمال: ٣ / ١٢٩.

(٤) حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٧ / ٤١٦، وينظر: الكافي: ٤ / ١٥.

(٥) حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٥ / ١٧٥، وينظر: كنز العمال: ٩ / ٢٧٧.

الباب الأول.....بناء الكلمة في حكم النبي الأعظم

إلى اسم الفاعل؛ لدلالته على الثبوت؛ ولأن اسم الفاعل الذي يدل على التجدد والحدوث، لا يُشتق من (فعل) إلا قليلاً^(١)، ويجوز أن تُصاغ الصفة المشبهة من باب (فعل) على زنة فاعل؛ لقصد الثبات والدوام^(٢).

أمّا اشتقاق (اسم الفاعل) من غير الثلاثي المجرد، فإنّه يُصاغ على زنة مضارعه مع إبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وكسر ما قبل الآخر^(٣)، ولذلك تعددت أبنية اسم الفاعل بتعدد أبنية الفعل المزيد.

وسأورد تلك الأبنية المشتقة من غير الثلاثي المجرد في حكم النبي الأعظم، مكتفياً بمثال لكل بناء:

١- **مُفْعِل**: وهذا البناء يكون من (أفعل)، وتحذف الهمزة للتخفيف عند صياغة اسم الفاعل منه حملاً على حذف همزة المضارع في هذا الموضع^(٤). ومثال ما جاء على هذا البناء (مُخْلِص)، في قوله (ﷺ): "من قال: «لا إله إلا الله» مُخْلِصاً دَخَلَ الْجَنَّةَ. وإِخْلَاصُهُ أَنْ تَحْجُزَهُ «لا إله إلا الله» عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ"^(٥). و(مُخْلِص) اسم فاعل من الفعل (أخلص) المزيد بالهمزة في أوله.

٢- **مُفْعِل**: ومما ورد من أمثلة على هذا البناء (المُكَذِّب)، في قوله (ﷺ): "خَمْسَةٌ لَعْنَتُهُمْ وَكُلُّ نَبِيٍّ مُجَابٍ: الزَّائِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَالنَّارِكُ لِسُنَّتِي. وَالْمُكَذِّبُ بِقَدَرِ اللَّهِ. وَالْمُسْتَحِلُّ مِنْ عِزَّتِي مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَالْمُسْتَأْثِرُ بِأَلْفِيءٍ وَالْمُسْتَحِلُّ لَهُ"^(٦). وهو اسم فاعل من الفعل (كذب) المزيد بالتضعيف. إنَّ استعمال اسم الفاعل من (فعل) الدال على التكاثر^(٧)؛ هو للدلالة على أنَّ (المُكَذِّب) من يُكْثِرُ تكذيب قدر الله سبحانه وتعالى. وجزء هذا المكذب لعنة من الله ورسوله.

٣- **مُفَاعِل**: ومثال هذا البناء (المُهاجر)، في قوله (ﷺ): "المُهاجرُ مَنْ هَجَرَ السُّوءَ"^(٨). و(المُهاجر) اسم فاعل من الفعل (هاجر) المزيد بالألف بين فائه وعينه. و(هاجر) أقوى دلالة من مجرّده (هجر)؛ إذ يحمل دلالة المشاركة والمبالغة في الهجرة^(٩).

(١) ينظر: المفصل في صناعة الإعراب: ٢٩٣، وشرح ابن عقيل: ٦٢ / ٣، ومعاني الأبنية في العربية: ٤٥.

(٢) ينظر: جامع الدروس العربية: ١ / ١٩١، والمهذب في علم التصريف: ٢٥٣-٢٥٦.

(٣) ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٢٦٥.

(٤) ينظر: المهذب في علم التصريف: ٣٢٦، والتطبيق الصرفي: ٦٧.

(٥) حكم النبي الأعظم: ١ / ٥٢٢، وينظر: التوحيد، الشيخ الصدوق: ٢٣.

(٦) حكم النبي الأعظم: ٤ / ٥٧٩، وينظر: الكافي: ٢ / ٢٩٣.

(٧) ينظر: ارتشاف الضرب: ١ / ١٧٤، وجامع الدروس العربية: ١ / ٢١٨.

(٨) حكم النبي الأعظم: ٤ / ٥٥٥، وينظر: كنز العمال: ١٦ / ٦٥٦.

الباب الأول.....بناء الكلمة في حكم النبي الأعظم

٤- **مُتَفَعِّل**: ومن شواهد هذا البناء (المُتَشَحِّط)، في قوله (عليه السلام): "لِلْمُؤَدِّنِ فِيمَا بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ الْمُتَشَحِّطِ بِدَمِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"^(١). وهو اسم فاعل من الفعل (تَشَحَّط) المزيد بالتاء في أوله وتضعيف عينه. واسم الفاعل (المُتَشَحِّط) من المزيد أكثر مبالغة من المجرد. كما أنَّ من معاني (التَفَعَّل) هو تكرار العمل مع مهلة في الزمن^(٢)، وهذا المعنى ملائم لما للمؤدِّن من أجرٍ بين الأذان والإقامة.

٥- **مُفْتَعِّل**: ومن الألفاظ الواردة على هذا البناء في حكمه (عليه السلام) (المُقْتَتِلِينَ) جمع (المُقْتَتِل)، في قوله (عليه السلام): "إِنَّمَا يَبْعَثُ اللَّهُ الْمُقْتَتِلِينَ عَلَى النَّيَّاتِ"^(٣). و(المُقْتَتِل) هو اسم فاعل من الفعل (اقْتَتَلَ) المزيد بالهمزة في أوله وتاء الافتعال بين فائه وعينه. وباب (الافتعال) من معانيه التَصَرُّف والاجتهاد في حصول الفعل كما هو الحال في (المُقْتَتِلِينَ)؛ إذ دلَّ على التكلّف والاجتهاد في الاقتتال، أكثر ممّا لو استعمل (مُقَاتِلِينَ)^(٤).

٦- **مُسْتَفْعِل**: ومثاله (مُسْتَغْفِر)، في وصفه (عليه السلام) ليالي رمضان: "وَنَادَى مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى انفجارِ الصُّبْحِ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ هَلُمَّ! يَا بَاغِيَ الشَّرِّ انْتَه! هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ يُتَابُ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَى؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابُ لَهُ؟..."^(٥). وهو اسم الفاعل من الفعل (استغفر) المزيد بالهمزة والسّين والتّاء. فقد دلَّ (مُسْتَغْفِر) على طلب الاستغفار لأنَّ "أصل استغفلت الشيء في معنى طلبته واستدعيته"^(٦).

٧- **مُتَوَضِّعِل**: وممّا جاء على هذا البناء (مُتَوَضِّعِي)، في قوله (عليه السلام): "لَا يُؤَدِّنُ إِلَّا مُتَوَضِّعِي"^(٧). وهو اسم الفاعل من الفعل (تَوَضَّعَ) المزيد بالتّاء والتّضعيف. واستعمال اسم الفاعل (مُتَوَضِّعِي) أثبت للصفة من لو استعمل الفعل (يتوضَّع)، فقد دلَّ على أنَّ صفة الوضوء ثابتة وملزمة للمؤدِّن.

٨- **مُفْعِل**: وممّا ورد من أمثلة على هذا البناء (مُجَجِّي)، في قوله (عليه السلام): "تُعَرِّضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوداً عُوداً...حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ. عَلَى أبيضٍ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْأَحْزَرُ أَسْوَدُ مُرْبَاداً كَالْكُوزِ مُجَجِّياً، لَا يَعْرِفُ

(١) ينظر: شذا العرف: ٧٨.

(٢) حكم النبي الأعظم: ٥ / ٢١٤، وينظر: بحار الأنوار: ٨٤ / ١٤٧.

(٣) ينظر: المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: ١ / ١٨١.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٥ / ١٥٦، وينظر: كنز العمال: ٤ / ٣٣٦.

(٥) ينظر: شرح الرضي على الشافية: ١ / ١١٠.

(٦) حكم النبي الأعظم: ٦ / ١٩، وينظر: تاريخ بغداد: ١ / ٢٨٤.

(٧) المخصّص: ٤ / ٣١١.

(٨) حكم النبي الأعظم: ٥ / ٢٢٣، وينظر: سنن الترمذي: ١ / ٢٥٣.

الباب الأول.....بناء الكلمة في حكم النبي الأعظم

معروفاً ولا يُنكرُ مُنْكَراً إِلَّا ما أَشْرَبَ مِنْ هَؤُلاءِ^(١). و(مُجَحِّي) اسم فاعل من الفعل (جَحَّى) المزيد بتضعيف عينه. و(المجَحِّي) هو المائل والمنحني عن الاعتدال والاستقامة^(٢). وهذه الدلالة التي يحملها اسم الفاعل (مُجَحِّي) ثابتة وملزمة للكوز الذي شُبّه به القلب الأسود؛ لتقبّله الفتن.

ثانياً: أبنية اسم المفعول:

هو اسمٌ مشتقٌ يستعمل للدلالة على من وقع عليه أثر الفعل، أو هو الوصف الذي يدلّ على من وقع عليه أثر ذلك الفعل^(٣). أو هو "صفةٌ تُؤخذُ من الفعل المجهول، للدلالة على حدثٍ وقع على الموصوف بها على وجه الحدث والتجدّد، لا الثبوت والدوام"^(٤).

أمّا من حيث دلالاته على الحدث والثبوت، فلا يختلف عن اسم الفاعل. فإذا قيس بالفعل، دلّ على الثبوت. فتفهم صيغة مفعول أحياناً على أنّها حالة ثابتة لصاحبها، نحو قولك: (هو منصور)، جواباً لمن سأل: هل سينتصر عليّ عليهم؟ أي أنّ هذه الوصف ثابت له. وإذا قيس بالصفة المشبهة، دلّ على الحدث. فتفهم صيغة مفعول على أنّها حدث وقع الآن أو في زمنٍ معيّن، نحو قولك: (هو مغلوب)، جواباً لمن سأل: أظنّ سعيداً سيُغلب؟! أي أنّ هذا الوصف قد تمّ، وشبه ثابت له^(٥).

يُصاغ اسم المفعول من الفعل الثلاثي المجرد على زنة (مفعول)^(٦)، وبه "سُمِّيَ لكثرة ما يجيء على هذا الوزن"^(٧). ومن غير ذلك على زنة مضارعه مع إبدال حرف المضارعة ميماً مضمومةً وفتح ما قبل الآخر^(٨).

وهذه الفتحة التي تظهر قبل الحرف الأخير في هذا البناء هي من تُميّز بين اسم الفاعل والمفعول المشتق من غير الثلاثي المجرد، يقول سيبويه (١٨٠هـ) فيها: "وليس بين الفاعل

(١) حكم النبي الأعظم: ٣/ ٣٨٣ ، وينظر: الترغيب والترهيب: ٣/ ٢٣١.

(٢) ينظر: لسان العرب: ٢/ ١٩٤ (جذا).

(٣) ينظر: الكتاب: ٤/ ٣٤٨ ، والمقتضب: ١/ ٢٣٨ ، وكافية ابن الحاجب: ١٤١ ، والمهذب في علم التصريف: ٢٤٣.

(٤) جامع الدروس العربية: ١/ ١٨٢.

(٥) ينظر: معاني الأبنية في العربية: ٥٢.

(٦) ينظر: ارتشاف الصّرب: ٢/ ٥١٠.

(٧) الصّرف الواضح: ١٦٥.

(٨) ينظر: كافية ابن الحاجب: ١٤١ ، والمهذب في علم التصريف: ٢٤٤.

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

والمفعول في جميع الأفعال التي لحقتها الزوائد إلا الكسرة التي قبل آخر حرف والفتحة، وليس اسم منها إلا والميم لاحقة أولاً مضمومة^(١) .

وقد وردت صيغة (مَفْعُول) من الثلاثي كثيراً في حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ، منها (مَعْقُود) في قوله (عليه السلام): "الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"^(٢). نلاحظ في الحديث المبارك أنَّ اسم المفعول (معقود) الذي اشتقَّ من الفعل (عقد)، قد دلَّ على ثبوت صفة الخير في الخيل. واستعمال (معقود) أدقُّ وأثبت من لو استعمل الفعل (عقد)؛ لأنَّ اسم المفعول إذا قيس بالفعل دلَّ على ثبوت الصِّفة في الموصوف أكثر من الفعل. و(معقود في نواصيها الخير) أي: موثوقٌ بإحكام، وملازمٌ لها^(٣) .

ومن تلك الأمثلة التي وردت على زنة مَفْعُول (موعود) في قوله (عليه السلام): "إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ هُدْنَةٍ، وَإِنَّ السَّيْرَ بِكُمْ سَرِيعٌ، وَقَدْ رَأَيْتُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ، وَيُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ، وَيَأْتِيَانِ بِكُلِّ مَوْعُودٍ، فَأَعِدُّوا الْجِهَادَ لِبُعْدِ الْمِضْمَارِ"^(٤). جاء اسم المفعول في الحديث المبارك المبارك من الفعل المثال المعتل بالواو (وعد).

إنَّ سياق الحديث يتكلَّم عن سرعة الزَّمنِ واقتراب الآجال، فكان اسم المفعول نكرةً عامَّةً تدلُّ على شمول كلِّ ما هو آتٍ ومنتظر في الحال والاستقبال. و(موعود) أدلَّ على ثبوت ما وعد به الإنسان من خيرٍ وشرٍّ، فلو استعمل الفعل موضع اسم المفعول: وقيل (يأتیان بكلِّ ما وعدتم به) لدلَّ المعنى على التَّجَدُّدِ والحدوث وعدم ثبات ما وعد به الإنسان.

أمَّا أبنية اسم المفعول من غير الثلاثي المجرد، فقد ورد عددٌ من هذه الأبنية، منها:

١- مَفْعَل: ومثال هذا البناء المفرد من (مُكَحِّلِينَ)، وهو (مُكَحَّل)، في قوله (عليه السلام): "يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ جُرْداً مُرْداً مُكَحِّلِينَ"^(٥). و(مُكَحَّل) اسم مفعول من الفعل (كَحَّل) المزيد بتضعيف العين. إنَّ استعمال صيغة (فَعَّل) في وصف أهل الجنة دلَّ على المبالغة والتَّعْظِيمِ في وصفهم، وثبات هذه الصِّفة في أهل الجنة أكثر ممَّا لو استعمل الفعل (كَحَّلُوا).

(١) الكتاب: ٢٨٢ / ٤.

(٢) حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٣ / ٤٧٤ ، وينظر: الكافي: ٥ / ٤٨.

(٣) ينظر: لسان العرب: ٩ / ٣١١ (عقد).

(٤) حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٢ / ٣٨٤ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧ / ١٣٤.

(٥) حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٢ / ٥٦٥ ، وينظر: كنز العمال: ١٤ / ٤٧٧.

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

٢- مُفَاعَل: ومما ورد على هذا البناء (مُعَاهَد)، في قوله (ﷺ): "أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِداً، أَوْ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئاً بَغَيْرِ طَيْبِ نَفْسٍ. فَأَنَا حَاجِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^(١). و(مُعَاهَد) اسم مفعول من الفعل (عاهد) المزيد بالالف بين فائه وعينه. والأصل في هذا البناء أن يدلّ على المشاركة، واستعمال الرسول (ﷺ) اسم المفعول (مُعَاهَد) بدلاً من استعمال (أهل الذمة) أدلّ وأثبت لمعنى المشاركة؛ لأنّ العهد لا يكون إلا مشاركة بين اثنين وأكثر^(٢).

٣- مُفْتَعَل: ومثاله (مُؤْتَمَن)، في قوله (ﷺ): "الإمام ضامنٌ والمؤدّن مؤتمنٌ، اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤدّنين"^(٣). وهو اسم مفعول من الفعل (أئمن) المزيد بالهمزة في أوله وتاء الافتعال بين فائه وعينه.

٤- مُسْتَفْعَل: ومما سُجِّل لهذا البناء (مستعان)، في مناجاته (ﷺ): "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ يَا حَنَّانُ، يَا مَنَّانُ، يَا دَيَّانُ، يَا بُرْهَانَ، يَا سُلْطَانَ، يَا رِضْوَانَ، يَا غُفْرَانَ، يَا سُبْحَانَ، يَا مُسْتَعَانَ، يَا ذَا الْمَنِّ وَالْبَيَانِ"^(٤) و(مستعان) اسم مفعول من الفعل (استعان) المزيد بالهمزة والسّين والتّاء.

وقد وردت صيغة سماعيّة لاسم المفعول، تؤدّي ما يؤدّيه اسم المفعول؛ لكنّها ليست على أبنيتها^(٥)، منها:

١- فَعِيل: هذا البناء يستوي فيه المذكر والمؤنث، وهو يحمل في دلالاته اسم المفعول^(٦). ومثال ما ورد في حِكْمِهِ (ﷺ)، على هذا البناء، (قتيل)، في قوله (ﷺ): "يا أَيُّهَا النَّاسُ، أَيْقَتُلْ قَتِيلٌ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ لَا يُعْلَمُ مَنْ قَتَلَهُ؟! لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ اجْتَمَعُوا عَلَى قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ لَعَذَّبَهُمُ اللَّهُ بِلا عَدَدٍ وَلَا حِسَابٍ"^(٧). ف(قتيل) في الحديث الشريف بمعنى (مقتول). وبناء (قتيل) أثبت لصفة القتل من (مقتول)؛ لأنّ (فَعِيل) تدلّ على معنى أقرب

(١) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَم: ٩٤ / ٧ ، وينظر: كنز العمال: ٣٦٤ / ٤.

(٢) ينظر: ارتشاف الضرب: ١ / ١٧٤ ، و "المُعَاهِدُ: الذِّمِّيُّ. وَأَهْلُ الْعَهْدِ: أَهْلُ الذِّمَّةِ، فَإِذَا أَسْلَمُوا سَقَطَ عَنْهُمْ اسْمُ الْعَهْدِ" لسان العرب: ٤٤٩ / ٩ (عهد).

(٣) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَم: ٢١٥ / ٥ ، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ٨٩ / ١٢.

(٤) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَم: ١٣٠ / ٦ ، وينظر: البلد الأمين: ٤٠٢.

(٥) ينظر: جامع الدروس العربيّة: ١ / ١٨٤.

(٦) ينظر: الكتاب: ٦٤٧ / ٣ ، وشرح ابن عقيل: ٦٤ / ٢ .

(٧) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَم: ٩١ / ٥ ، وينظر: كنز العمال: ٣٣ / ١٥.

الباب الأول.....بناء الكلمة في حكم النبي الأعظم

إلى الثبوت، أي أن وصف القتل قد وقع على صاحبه وصار وصفًا ثابتًا له، ولأن صيغة (مقتول) تدلُّ على الحال والاستقبال، و(قتيل) لا تستعمل صفة مشبهة إلا إذا اتصف القتيل بصفة القتل^(١).

٢- **فَعُول:** ومن الأسماء التي وردت على هذا البناء (رسول)، في قوله (ﷺ): "أنا رسول الله (ﷺ) إلى الناس أجمعين، ولكن سيكون من بعدي أئمة على الناس من الله من أهل بيتي، يقومون في الناس فيكذبون، ويظلمهم أئمة الكفر والضلال وأشياءهم..."^(٢). فـ(رسول) في حديثه (ﷺ) بمعنى (مُرسل)^(٣).

ثالثًا: أبنية الصفة المشبهة:

الصفة المشبهة هي وصفٌ يشتقُّ من الفعل الثلاثي اللازم أو مصدره، نحو: كريم من كرم، ليدلَّ على اتصاف حدثٍ معينٍ بالموصوف بها بصفة ثابتة ودائمة^(٤).

وسميت بالصفة المشبهة؛ لأنها تشبه اسم الفاعل؛ إذ إنها تذكر وتؤنث وتثنى وتجمع بالواو والنون والألف والتاء كما هو الحال في اسم الفاعل^(٥). وهي أيضًا "تجري على الموصوفين بها في إعرابها جزي أسماء الفاعلين"^(٦). ولكنها مختلفة عن اسم الفاعل في عدم "جريانها على أفعالها في الحركات والسكنات وعدد الحروف"^(٧)، وتختلف عنه أيضًا في أنها "لازمة وظاهرها الاستمرار"^(٨).

ولكن هذا الثبات نسبيٌ يختلف من صيغة إلى أخرى، فقد تفيد "الثبوت والاستمرار نحو: أبكم... وأسمر... وطويل... وقد تدلُّ على وجه قريبٍ من الثبوت في نحو: نحيف... وكريم وجواد. وهي لا تدلُّ على الثبوت في نحو: ظمآن وغضبان وريان"^(٩).

(١) ينظر: معاني الأبنية في العربية: ٥٣-٥٤.

(٢) حكم النبي الأعظم: ٣/ ١٥٧، وينظر: الكافي: ١/ ٢١٥.

(٣) ينظر: معاني الأبنية في العربية: ٦٠.

(٤) ينظر: كافية ابن الحاجب: ١٤١، والمساعد على تسهيل الفوائد: ٢/ ٢١٠، وجامع الدروس العربية: ١/ ١٨٥.

١٨٥، والصرف الواضح: ١٧٨.

(٥) ينظر: المقتصد في شرح الإيضاح: ١/ ٥٣٢، وتوضيح المقاصد والمسالك: ٢/ ٨٧٥.

(٦) شرح المفصل: ٦/ ٨١.

(٧) المصدر نفسه: ٦/ ٨١.

(٨) شرح الرضي على الشافية: ١/ ١٤٩، وينظر: الصرف الواضح: ١٨١.

(٩) معاني الأبنية في العربية: ٦٧.

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

أَمَّا اشتقاقها، فهي تشتقُّ من الفعل الثلاثي اللَّازِم فقط، من الباب الرَّابِع (فَعِل) أو من الباب الخَامِس (فُعِل)^(١). وعند اشتقاقها من غير الثلاثي يجب موازنتها باسم الفاعل من غير الثلاثي مع شرط وهو أن تكون دالَّةً على الثَّبُوت والدَّوام^(٢).

أَمَّا ما ورد من أبنية للصِّفة المشبَّهة في حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ، فهو كالآتي:

١ - أَفْعَل الَّذِي مُؤَنَّثُهُ فَعْلَاءُ:

وهذا البناء يكون في الأسماء الذَّالَّة على حلية أو لونٍ أو عيبٍ^(٣). وممَّا ورد دالًّا على لون في حِكْمِهِ (الرَّابِع)، (أَسْوَد، أَبْيَض، سُودَاء، بِيضَاء)، في قوله (الرَّابِع): "تُعَرِّضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكِنْتُ فِيهِ نُكِنْتُ سُودَاءً، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِنْتُ فِيهِ نُكِنْتُ بِيضَاءً، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ. عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصِّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ مُجَجِيًّا؛ لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ"^(٤).

و(أَسْوَد مُرْبَادًا) "يريد إربداد القلب من حيث المعنى لا الصَّورة، فَإِنَّ لَوْنَ الْقَلْبِ إِلَى السَّوَادِ مَا هُوَ"^(٥). والكُوزُ الْمُجَجِي هو الكُوز المائل عن الاعتدال والاستقامة، أي أَنَّ النُّورَ الْإِيمَانِيَّ الْإِيمَانِيَّ يَخْرُجُ مِنَ الْقَلْبِ الْأَسْوَدِ كَمَا يَخْرُجُ الْمَاءُ مِنَ الْكُوزِ عِنْدَ مِيلَانِهِ^(٦). كَمَا أَنَّ صِفَاتِ الْأَلْوَانِ الَّتِي ذُكِرَتْ هِيَ صِفَاتٌ ثَابِتَةٌ لَا تَزُولُ^(٧).

وَأَمَّا مَا كَانَتْ دَلَالَتُهُ عَلَى عَيْبٍ، فَمِثَالُهُ (أَجْذَم)، في قوله (الرَّابِع): "إِنَّهُ لَا يَقْتَطِعُ رَجُلٌ مَا لَا إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ أَجْذَمُ"^(٨). واستعمال (أَجْذَم) الدَّالُّ عَلَى عَيْبٍ فِي وَصْفٍ مَنْ يَقْتَطِعُ الْمَالَ هُوَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ ثَابِتَةٌ فِيهِ لَا تَزُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ ثَمَّ فَإِنَّ ثُبُوتَ هَذِهِ الصِّفَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَعْنِي أَنَّهُ مَطْرُودٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

(١) ينظر: شرح ابن عقيل: ٣ / ٦٥ ، وجامع الدروس العربيَّة: ١ / ١٨٥-١٨٦.

(٢) ينظر: شرح ابن عقيل: ٣ / ٦٥.

(٣) ينظر: شرح الرُّضِيِّ عَلَى الشَّافِيَّة: ١ / ١٤٣-١٤٤ ، والمهذَّب في علم التَّصْرِيف: ٢٥٤.

(٤) حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٣ / ٣٨٣ ، وينظر: التَّغْرِيْبُ وَالتَّهْرِيْبُ: ٣ / ٢٣١.

(٥) النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ: ٢ / ١٨٣.

(٦) ينظر: النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ: ١ / ٢٤٢.

(٧) ينظر: شَذَا الْعَرَفِ: ١٢٥.

(٨) حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٦ / ٥٤٢ ، وينظر: كَنْزُ الْعَمَالِ: ١٠ / ٦٣٧.

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

٢- **فَعِيل:** ومما ورد على هذا البناء (شَهِيد)، في قوله (ﷺ): "مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ شَهِيدٍ"^(١). وبناء (شَهِيد) في الحديث الشريف دلٌّ على الوصف الثابت للموصوف بالشهادة^(٢).

٣- **فَعُول:** ومما جاء من الأسماء على هذا الوزن (طَهُورٌ)، قوله (ﷺ): "إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا فَلْيُفْطِرْ عَلَى التَّمْرِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدِ التَّمَرَ فَعَلَى الْمَاءِ؛ فَإِنَّ الْمَاءَ طَهُورٌ"^(٣). و(الطَهُور) في الحديث الشريف صفةٌ مشبهةٌ للماء؛ لأنَّ الطَّهارةَ ثابتةٌ في الماء على وجه الدوام والاستمرار. وقد تكون هذه الصِّفة مشحونةً بالمبالغة في وصف الماء بالطَّهارة؛ كونه طاهرًا في نفسه ومطهرًا لغيره^(٤).

٤- **فَعَل:** ومن الألفاظ الواردة في حكمه (ﷺ) على هذا البناء (فَضٌّ)، في قوله (ﷺ): "عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ وَالْقَوْلِ السَّدِيدِ. وَلَا تَكُ فَضًّا وَلَا غَلِيظًا"^(٥).

٥- **فَعِل:** ويكون هذا البناء في الأمور المكروهات عمومًا كالوجع، وما يعسر أمره. ويتَّسم أيضاً بأنَّه ممَّا يحصل وسرعان ما يزول^(٦). يقول سيبويه (١٨٠هـ) في ذلك: "هذا باب ما جاء من الأدواء على مثال وَجَعٌ يَوْجَعُ وَجَعًا وهو وَجَعٌ، لتقارب المعاني"^(٧). ومثال هذا البناء البناء (هَرِمَ)، في قوله (ﷺ): "لَوْ أَنَّ رَجُلًا جُرَّ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ يَوْمٍ وَلِدَ إِلَى يَوْمٍ يَمُوتُ هَرِمًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَحَقَّرَ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَلَوْ أَنَّهُ يُرَدُّ إِلَى الدُّنْيَا كَيْمَا يَزْدَادَ مِنَ الْأَجْرِ وَالنَّوَابِ"^(٨).

٦- **فُعِل:** ومما ورد في حديثه (ﷺ) على هذا البناء (الْفُحْشُ)، في قوله (ﷺ): "مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ، وَلَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا زَانُهُ"^(٩).

(١) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَم: ٩٦ / ٧ ، وينظر: الكافي: ٢٩٦ / ٧.

(٢) ينظر: معاني الأبنية في العربية: ٨٥-٨٦.

(٣) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَم: ٨٧ / ٦ ، وينظر: كنز العمال: ٥٠٩ / ٨.

(٤) ينظر: كتاب الطَّهارة، أبو القاسم الخوئي: ٥٩ / ٣.

(٥) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَم: ٣١٥ / ٤ ، وينظر: بحار الأنوار: ١٠٤ / ١٨.

(٦) ينظر: شرح الرُّضِيِّ عَلَى الشَّافِيَّة: ١٤٣-١٤٤ ، ومعاني الأبنية في العربية: ٧٢-٧٤.

(٧) الكتاب: ١٧ / ٤.

(٨) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَم: ١٥٠ / ٥ ، وينظر: كنز العمال: ٧٨٨ / ١٥.

(٩) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَم: ٣٩١ / ٤ ، وينظر: بحار الأنوار: ٣٣٤ / ٧١.

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

٧- **فَعَلَ**: ومثاله (حَسَن)، في قوله (سورة النحل): "الْعَدْلُ حَسَنٌ وَلَكِنْ فِي الْأَمْرَاءِ أَحْسَنُ، السَّخَاءُ حَسَنٌ وَلَكِنْ فِي الْأَغْنِيَاءِ أَحْسَنُ، الْوَرَعُ حَسَنٌ وَلَكِنْ فِي الْعُلَمَاءِ أَحْسَنُ" (١).

٨- **فُعِلَ**: ومما سُجِّلَ على هذا الوزن الصَّرْفِي (جُنُب)، في قوله (سورة النحل): "عِشْرُونَ خَصَلَةً تَوَرِثُ الْفَقْرَ: أَوَّلُهَا الْقِيَامُ مِنَ الْفِرَاشِ لِلْبَوْلِ عُريَاناً، وَالْأَكْلُ جُنْباً، وَتَرْكُ غَسْلِ الْيَدَيْنِ عِنْدَ الْأَكْلِ، وَإِهَانَةُ الْكَسْرِ مِنَ الْخُبْزِ..." (٢).

٩- **فَعْلَانِ الَّذِي مُؤَنَّثُهُ فَعْلَى**: إِنَّ هذا البناء يكون من الباب الرابع (فَعِل-يَفْعَل)، ويدل في الغالب على حرارة الباطن أو امتلاء (٣). يقول سيبويه (١٨٠هـ) في هذا البناء: "أَمَّا مَا كَانَ مِنَ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ فَإِنَّهُ أَكْثَرُ مَا يَبْنِي فِي الْأَسْمَاءِ عَلَى فَعْلَانِ" (٤). وقد يدل أيضاً على الحدوث والتجدد في الصفات؛ ولكن زوالها يكون قليلاً (٥). ومثال ما دلّ على حرارة الباطن وخلق (ضمان)، في قوله (سورة النحل): "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ، وَحَبَّيْهَا إِلَيَّ كَمَا حُبَّبَ إِلَيَّ الْجَائِعِ الطَّعَامُ، وَإِلَى الظَّمآنِ الْمَاءُ" (٦). و (الظَّمآنِ) صفة مشبهة؛ لكنها تدلّ على التجدد وزوالها يكون شيئاً فشيئاً (٧).

ومثال ما دلّ على امتلاء (ريان)، في قوله (سورة النحل): "إِنَّ لِلْجَنَّةِ بَاباً يُدْعَى الرَّيَّانَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ" (٨).

١٠- **فُعْلَانِ**: ومن الأسماء في حكمه (سورة النحل) التي استقرت على هذا البناء (عُريَان)، في قوله (سورة النحل): "الْإِسْلَامُ عُريَانٌ، قَلْبَاسُهُ الْحَيَاءُ وَزِينَتُهُ الْوَقَارُ وَمُرُوءَتُهُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ وَعِمَادُهُ الْوَرَعُ. وَلِكُلِّ شَيْءٍ أَسَاسٌ، وَأَسَاسُ الْإِسْلَامِ حُبُّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ" (٩).

١١- **فَعَالٍ**: ومثال هذا البناء (جَبَان)، في قوله (سورة النحل) الذي يصف فيه فائدة السَّفرجل: "يُجْمُ الْفُؤَادَ، وَيُسَخِّي الْبَخِيلَ، وَيُسَجِّعُ الْجَبَانَ" (١٠).

(١) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٤ / ٣٠٠ ، وينظر: كنز العمال: ١٥ / ٨٩٦.

(٢) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٧ / ١٣٨ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٦ / ٣١٥.

(٣) ينظر: شرح الرضي على الشافعية: ٢ / ١٤٥.

(٤) الكتاب: ٤ / ٢١.

(٥) ينظر: شذا العرف: ١٢٥ ، ومعاني الأبنية في العربية: ٨٠.

(٦) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٥ / ٢٤١ ، وينظر: بحار الأنوار: ٨٢ / ٢٣٢.

(٧) ينظر: معاني الأبنية في العربية: ٦٧.

(٨) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٢ / ٥٦١ ، وينظر: بحار الأنوار: ٩٦ / ٢٥٢.

(٩) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٣ / ١٢٩ ، وينظر: الكافي: ٢ / ٤٦.

رابعاً : أبنية المبالغة:

لم يضع النحويون القدامى حداً واضحاً ومستقلاً لمفهوم صيغة المبالغة، وإنما ارتبط هذا المفهوم ارتباطاً وثيقاً باسم الفاعل؛ إذ إنَّ صيغة المبالغة لا تختلف عن اسم الفاعل إلا من حيث دلالتها على الكثرة والمبالغة، وهذا ما قاله سيبويه (١٨٠هـ): "وأجروا اسمَ الفاعل، إذا أرادوا أن يبالغوا في الأمر، مُجْراه إذا كان على بناء فاعل، لأنَّه يريد به ما أراد بفاعل من إيقاع الفعل، إلا أنَّه يريد أن يُحدِّث عن المبالغة"^(١). وإلى مثل هذا أشار المبرد (٢٨٥هـ) بقوله: "اعلم أنَّ الاسم من (فعل) على (فاعل)؛ نحو قولك: ضرب فهو ضارب... فإن أردت أن تُكثِّر الفعل كان للتكثير أبنية: فمن ذلك (فَعَال) تقول: رجل قَتَلَ، إذا كان يُكثِّر القَتْل. فأما قاتِلٌ، فيكون للقليل والكثير؛ لأنَّه الأصل"^(٢).

وأما عند المحدثين، فكان المفهوم أكثر وضوحاً واستقراراً، فقد حدَّه الشيخ مصطفى الغلاييني بقوله: "الفاظٌ تدلُّ على ما يدلُّ عليه اسمُ الفاعل بزيادة وتسمي: صيغُ المبالغة"^(٣). وحدَّها الدكتور عبد الهادي الفضلي بقوله: "هي الأوزان أو الهيئات التي يحوّل إليها اسم الفاعل إذا أُريد به الدلالة على الكثرة والمبالغة في اتّصاف الذات بالحدث"^(٤). ويُفهم ممّا سطر أن الفائدة من صيغ المبالغة هو التّكثير في حدث اسم الفاعل.

أمّا أشهر أبنيتها المتفق عليها بين القدامى والمحدثين، فهي: فَعَال نحو: مَنّان، فَعُولٌ نحو: صَبور، فَعِلٌ نحو: حَذِر، مِفْعَال نحو: مِهْذار، فَعِيلٌ نحو: عَلِيم^(٥). وقد نقل السيوطي (٩١١هـ) في المزهري عن ابن خالويه (٣٧٠هـ) أبنيةً أخرى، مشيراً إلى أنَّ هنالك اثنا عشر بناءً للمبالغة في كلام العرب^(٦).

وفي الواقع أنَّ حصر أبنية صيغة المبالغة في العربيّة أمرٌ ليس باليسير، فقد ذكرت الأستاذة الدكتورة خديجة الحمداني أنَّ أبنية المبالغة في كلام العرب تزيد على ثمانين بناءً، تقول في ذلك معقبةً على العدد الذي نقله السيوطي عن ابن خالويه: "فمن خلال تتبّعنا

(١) حكم النبي الأعظم: ٢٥٨ / ٧، وينظر: بحار الأنوار: ١٦٦ / ٦٦.

(٢) الكتاب: ١١٠ / ١.

(٣) المقتضب: ١٢٢ / ٢.

(٤) جامع الدروس العربيّة: ١٩٣ / ١.

(٥) مختصر الصّرف: ٥٩.

(٦) ينظر: الكتاب: ١١٠ / ١، والمهذب في علم النّصريف: ٢٣٨.

(٧) ينظر: المزهري: ٢٤٣ / ٢.

الباب الأول.....بناءُ الكلمةِ في حكمِ النَّبيِّ الأعظمِ

لصيغ المبالغة في لسان العرب وجدنا عددها أكثر من ذلك بكثير؛ إذ كانت تزيد على الثمانين صيغةً^(١).

أمّا ما ورد من أبنية صيغ المبالغة في حكمه المباركة، فهو الآتي:

١- **فَعَّالٌ**: وتدلُّ هذه الصيغة على تكرار الفعل، والاستمرار عليه، وملازمة الحدث، والإعادة والتجديد^(٢). وهذه الصيغة لم تستعمل إلا حيث يمكن الكثرة، فلا يقال مَوَات، وَلَا قَتَالَ زَيْدًا بِخِلَافِ قَتَالَ النَّاسَ^(٣)، ومثال فَعَّال (جَوَّازٌ)، في قوله () : **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ؟!** **الْجَنَّةِ؟!** كُلُّ ضَعِيفٍ مُسْتَضْعَفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ. أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ النَّارِ؟! كُلُّ مُتَكَبِّرٍ جَوَّازٍ^(٤). و(الجَوَّاز) هو الذي جمع ومنع^(٥). وقد دلَّ هذا البناء على كثرة القيام بجمع المال ومنعه، حتّى صار (الجَوَّاز) حرفته وصنعتة جمع المال^(٦).

٢- **فَعُولٌ**: وتكون هذه الصيغة لمن دام منه الفعل، أو يكون عادةً منه؛ لكثرة مداومته على فعله^(٧). ومما جاء من الأسماء على هذا الوزن (الكَذُوبُ)، في قوله () : **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ أَدُلُّكُمْ عَلَى الْخَطَايَا الْخَطَايَا** اللِّسَانُ الْكَذُوبُ^(٨). و(كَذُوبٌ) مبالغة في الكذب، و(لسان كذوب) قد اعتاد على الإكثار من الكذب حتّى صار الكذب عادةً ملازمةً له. واستعمال (كَذُوبٌ) في هذا الموضع أدقّ من استعمال (كاذِب) أو (كَذَّاب)؛ لأنَّ في (كاذِب) قد يكون الكذب مرّةً أو مرتين، وفي (كَذَّاب) يكون الكذب حرفةً له. أمّا (كَذُوبٌ)، فكان أنسب للدلالة على المبالغة في صفة اللسان الذي يلزم الكذب^(٩).

(١) أبحاث صرفيّة، خديجة الحمداني: ٢٠٤.

(٢) ينظر: المقتضب: ٣/ ١٦١، وشرح الرّضي على الشّافية: ٢/ ٨٤-٨٥، وهمع الهوامع: ٥/ ٨٧، ومعاني الأبنية في العربيّة: ٩٤-٩٦.

(٣) همع الهوامع: ٥/ ٨٧.

(٤) حكم النَّبيِّ الأعظم: ٢/ ٥٦٥، وينظر: صحيح البخاري: ٦/ ٢٤٥٢.

(٥) ينظر: معجم ديوان الأدب: ٣/ ٣٥٧.

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب (تفسير الرازي): ٣٠/ ١٣٨.

(٧) ينظر: معجم ديوان الأدب: ١/ ٨٥، والمعجم المفصّل في علم الصّرف: ٥٧٠.

(٨) حكم النَّبيِّ الأعظم: ٥/ ١٠٨، وينظر: كنز العمّال: ٣/ ٦١٩.

(٩) ينظر: معاني الأبنية في العربيّة: ١٠٠.

الباب الأول.....بناء الكلمة في حكم النبي الأعظم

٣- **مفعّل**: وتكون هذه الصيغة صفةً لمن اعتاد الفعل، أو دام منه الشيء، أو يجري على غير عادةٍ فيه^(١). ومما ورد على هذه الصيغة في حكم النبي الأعظم، (مِدرار) في قوله (ﷺ): "إِيَّاكُمْ أَنْ تَشْمُوا الْخُبْزَ كَمَا تَشْمُهُ السِّبَاعُ؛ فَإِنَّ الْخُبْزَ مُبَارَكٌ. أَرْسَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ السَّمَاءَ مِدراراً. وَلَهُ أَنْبَتَ اللَّهُ المَرعى، وَبِهِ صَلَیْئُمْ، وَبِهِ صُمْنُمْ، وَبِهِ حَجَجْتُمْ بَيْتَ رَبِّكُمْ"^(٢). فبناء (مِدرار) هو مبالغةٌ دلّ على مداومة إحداث الفعل ألا وهو مداومة إرسال المطر من السماء.

٤- **فَعِيل**: وهذا البناء مشتركٌ بين الصفة المشبهة وصيغة المبالغة، ويدلّ على تكرار الفعل حتّى يصبح كأنّه سجيّة وطبعٌ ثابتٌ في صاحبه^(٣). ومثال هذا البناء لفظة (كَرِيمٌ)، الواردة في قوله (ﷺ): "إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِّيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي أَنْ يَرْفَعَ الْعَبْدُ يَدَيْهِ فَيَرُدَّهُمَا صِفْراً لَا خَيْرَ فِيهِمَا"^(٤). وبناء (كَرِيمٌ) في المبالغة دلّ على تكرار الكرم من الله عزّ وجلّ، والمبالغة في العطاء دون نفاذ أو نهاية. ف(كَرِيمٌ) مبالغة في كونه ذا كرم.

٥- **فَعِيل**: وهذه الصيغة هي "لِمَنْ دام منه الفعل، نحو: (رَجُلٌ سَكِيرٌ)... ولا يقال ذلك لمن فَعَلَ الشيء مرّةً أو مرّتين، حتّى يكثر منه أو يكون له عادةً"^(٥). ومن أمثلة ذلك في حديثه المبارك (صَدِيقٌ)، في قوله (ﷺ): "عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقاً"^(٦). ف(صَدِيقٌ) هو المولعُ في الصّدق، و(الصِّدْقِ) "مبالغةٌ في كونه صادقاً وهو الذي يكون عادته الصّدق لأنّ هذا البناء يُنبئُ عن ذلك"^(٧).

خامساً: بناء اسم التفضيل:

(١) ينظر: أدب الكاتب: ٢٢٠.

(٢) حكم النبي الأعظم: ٤٨٣ / ٣ ، وينظر: الكافي: ٣٠٣ / ٦.

(٣) ينظر: معاني الأبنية في العربية: ١٠٢.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٣٨٠ / ٥ ، وينظر: المعجم الكبير: ٣٢٣ / ١٢.

(٥) أدب الكاتب: ٢٢٠.

(٦) حكم النبي الأعظم: ٤٥٢ / ٤ ، وينظر: كنز العمال: ٣٤٦ / ٤.

(٧) مفاتيح الغيب (تفسير الرازي): ٢٢٣ / ٢١.

الباب الأول.....بناء الكلمة في حكم النبي الأعظم

اسم التفضيل هو "الوصف المصوغ على أَفْعَل دالاً على زيادته في محل بالنسبة إلى محل آخر"^(١)، أو هو "الاسم المصوغ من المصدر للدلالة على أن شيئين اشتركا في صفة وزاد أحدهما على الآخر في تلك الصفة"^(٢)، ويسمى الذي زاد تلك الصفة (المفضل)، ويسمى الآخر (المفضل عليه)^(٣). يشتق اسم التفضيل من الفعل الثلاثي المجرد أو مصدره على وزن واحد وهو (أفعل) ومؤنثه (فُعلى)^(٤).

وأفاض علماءنا قديماً وحديثاً في بيان شروط صياغته، فقد ذكروا أنه يُصاغ ممّا صيغ منه فعل التعجب؛ إذ إنه لا يشتق إلا من فعل ثلاثي، تامّ، متصرف، مثبت غير منفي، مبني للمعلوم، قابل للتفاوت والمفاضلة، غير دالّ على لون أو عيب^(٥).

واسم التفضيل باعتبار اللفظ ثلاث حالات، منها ما هو مجرّد من (أل) والإضافة، ومنها ما يكون محلّي بـ(أل)، والحالة الأخيرة يكون مضافاً^(٦)، وقد وردت كلّها في حكمه .

فإذا كان مجرّداً من (أل) والإضافة، وجب مجيء (من) الجارة بعد اسم التفضيل^(٧)، ومثال ذلك ما ورد في دعائه (عليه السلام): "يا أكرم من كلّ كريم، وأزاف من كلّ رؤوف، وأعطف من كلّ عطوف"^(٨). فأسماء التفضيل الواردة في الحديث الشريف، جاءت مجرّدة من (أل) والإضافة، وقد وردت (من) الجارة بعدها.

وقد تحذف (من) لفظاً لا معنى، كما في قوله (عليه السلام): "عجبت لمن يشتري المماليك بماله ثمّ يعتيقهم كيف لا يشتري الأحرار بمعروفه؟! فهو أعظم ثواباً"^(٩)، فورد اسم التفضيل (أعظم) مجرّداً من (أل) والإضافة، وحذف المفضل عليه مع (من) الجارة، وفُهم بدلالة السياق، وتقديره: (أعظم منه ثواباً). ومن المفيد أن نشير إلى أنّ المفضل وهو (شراء

(١) ارتشاف الضرب: ٢٣١٩ / ٥.

(٢) شذا العرف: ١٢٧.

(٣) ينظر: الصرف الوافي: ١٤٦، والمهذب في علم التصريف: ٢٦٠.

(٤) ينظر: شرح المفصل: ٩٢ / ٦.

(٥) ينظر: ارتشاف الضرب: ٢٣١٩ / ٥، والمساعد على تسهيل الفوائد: ١٦٦ / ٢، وشرح الأشموني: ٣٨٣ / ٢ - ٣٨٤.

(٦) والتطبيق الصرفي: ٨٠ - ٨١.

(٧) ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد: ١٦٧ / ٢، وشذا العرف: ١٢٩ - ١٣١.

(٨) ينظر: شذا العرف: ١٢٧.

(٩) حكم النبي الأعظم: ١٢ / ٢، وينظر: بحار الأنوار: ٣٧٤ / ٨٩.

(١٠) حكم النبي الأعظم: ٥٨٤ / ٣، وينظر: تحف العقول: ٢٠٤.

الباب الأول.....بناء الكلمة في حكم النبي الأعظم

(الأحرار)، والمفضل عليه وهو (عتق المماليك)، قد اشتركا في معنى واحد، وهو الأجر والثواب؛ ولكن فُضِّل أحدهما على الآخر^(١).

ومثال ما يكون محلى بـ(أل)، (الأكثر)، الوارد في الحديث المبارك:- "انتهيت إلى رسول الله (ﷺ) وهو يقول في ظل الكعبة: هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ! هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ!... فَقُلْتُ: مَنْ هُمْ - يَا بَنِي أُنْتِ وَأُمِّي! - يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْأَكْثَرُونَ أَمْوَالاً..."^(٢).

ومثال ما كان مضافاً، قوله (ﷺ): "إِنَّ أَقْرَبَكُمْ مِنِّي غَدًا وَأَوْجَبُكُمْ عَلَيَّ شَفَاعَةً: أَصْدَقُكُمْ لِسَانًا، وَأَدَاكُمْ لِلْأَمَانَةِ، وَأَحْسَنُكُمْ خُلُقًا، وَأَقْرَبُكُمْ مِنَ النَّاسِ"^(٣). نلاحظ في الحديث المبارك أن أسماء التفضيل الواردة فيه كلها مضافة إلى ضمير المخاطب الكاف، وقد يرد اسم التفضيل محذوف الهمزة؛ وذلك لكثرة الاستعمال^(٤). ومما ورد من أسماء تفضيل في حكمه (ﷺ) محذوفة الهمزة (خَيْرٌ - شَرٌّ)، ف(خَيْرٌ) في قوله (ﷺ): "الْفَقْرُ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْغِنَى"^(٥). فقد دلَّ (خير) على التفضل بين صفتين مختلفتين (الفقر والغنى). أي أن صفة الفقر أفضل للمؤمن من صفة الغنى.

و(شَرٌّ)، في قوله (ﷺ): "إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَا يُنْقَعُ بِلَعْنِهِ، وَمَنْ طَلَبَ عِلْمًا لِيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ لَمْ يَجِدْ رِيحَ الْجَنَّةِ"^(٦). وأصل (شَرٌّ) هو (أَشْرٌ) (أَشَرَّ) "ولا يقال أَشَرُّ النَّاسِ إِلَّا فِي لُغَةٍ رَدِيئَةٍ"^(٧).

سادساً: أبنية اسم الآلة:

اسم الآلة "هو اسمٌ مَصْنُوعٌ من مصدر ثلاثي، لما وقع الفعل بواسطته"^(٨). ويسمى سيبويه (١٨٠هـ) هذا الباب "ما عالجت به"^(٩). يتميز اسم الآلة بأنه يقوم بدور جوهري في

(١) ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد: ١٧٠ / ٢.

(٢) حكم النبي الأعظم: ١٧١ / ٧ ، وينظر: صحيح البخاري: ٢٤٤٧ / ٧.

(٣) حكم النبي الأعظم: ٥٥١ / ٢ ، وينظر: بحار الأنوار: ٣٨١ / ٦٩.

(٤) ينظر: ارتشاف الصرب: ٢٣٢٠ / ٥ ، وشذا العرف: ١٢٨.

(٥) حكم النبي الأعظم: ٦١٥ / ٦ ، وينظر: بحار الأنوار: ٥٦ / ٧٢.

(٦) حكم النبي الأعظم: ٥٩٧ / ٧ ، وينظر: مكارم الأخلاق: ٤٦٠.

(٧) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٦٩٥ / ٢ (شرر).

(٨) شذا العرف: ١٣٥ ، وينظر: جامع الدروس العربية: ٢٠٤ / ١ ، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٢٩٠ .

(٩) الكتاب: ٩٤ / ٤.

الباب الأول.....بناء الكلمة في حكم النبي الأعظم

إيجاز الدلالة المعنوية؛ إذ "يؤدّي باللفظة المنفردة ما لا يؤدّيه غيره إلا بالكلمات المتعدّدة" (١) .

ذكر القدامى ثلاثة أوزانٍ قياسيةّ مطّردة لاسم الآلة، هي: مِفْعَال، مِفْعَلَة، مِفْعَل (٢). وزاد المحدثون أوزاناً أخرى؛ بسبب شيوعها، ومواكبة اللّغة للتّطور الحاصل. وهذه الأوزان هي : (فاعلة) نحو: ضاغطة، و(فاعول) نحو: ساطور، و(فعال) نحو: قنّاع، و(فَعَال) نحو: جَرّار، و(فَعَّالَة) نحو: سمّاعة، و(فَعِيل) نحو: سَكِين (٣).

أمّا ما ورد من هذه الأبنية في حكم النبي الأعظم، فقد ورد وزنان من المجموعة الأولى، وهما (مِفْعَال، مِفْعَلَة)، ووزنٌ واحدٌ من المجموعة الثانية وهو (فَعَال)، وهذه الأوزان هي:

١ - مِفْعَال:

ومما جاء من أسماء الآلات على هذا البناء في حكمه (عليه السلام)، (المنشار)، في قوله (عليه السلام): "إِيَّاكَ أَنْ تُشْرِكَ بِاللّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ وَإِنْ نُشِرْتَ بِالْمِنْشَارِ، أَوْ قُطِّعَتْ، أَوْ صُلِبَتْ، أَوْ أُحْرِقَتْ بِالنَّارِ" (٤) . و(منشار) اسم آلة مشتقّ من الفعل الثلاثي (نشر).

و(المكيال، الميزان)، في قوله (عليه السلام): "خَمْسٌ إِذَا أَدْرَكْتُمُوهُنَّ فَتَعَوَّذُوا بِاللّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُنَّ...وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخْذُوا بِالسِّنِّينَ وَشِدَّةِ الْمُؤَنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ..." (٥).

السُّلْطَانِ... (٥). وهما اسما آلة من الفعلين (كال، وزن).

و(المفتاح) في قوله (عليه السلام): "نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِفَاتِيحُ الرَّحْمَةِ، وَمَوْضِعُ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ، وَمَعْدِنُ الْعِلْمِ" (٦) و(مفاتيح) جمع لاسم الآلة (مفتاح)، المشتقّ من الفعل (فتح).

٢ - مِفْعَلَة:

ولم يرد هذا البناء في حكمه (عليه السلام) إلا مُعَلَّاً، ومثاله (المِراة)، في قوله (عليه السلام): "الْمُؤْمِنُ مِراةٌ لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ؛ يَنْصَحُهُ إِذَا غَابَ عَنْهُ، وَيُمِيطُ عَنْهُ مَا يَكْرَهُ إِذَا شَهِدَ، وَيُوسِّعُ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ" (١). وأصل مرآة: مرآية، فأعلت الياء ألفاً.

(١) النّحو الوافي: ٣ / ٣٣٣.

(٢) ينظر: الكتاب: ٤ / ٩٤-٩٥ ، وشرح الرّضويّ على الشّافعية: ١ / ١٨٦ . وارتشاف الصّرب: ٢ / ٥٠٧-٥٠٨.

(٣) ينظر: الصّرف الواضح: ٢٠٨ ، والمهذّب في علم التّصريف: ٢٧٥.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٤ / ٥٥٠ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧ / ١٠٧.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٢ / ١٣٩-١٤٠ ، وينظر: الكافي: ٢ / ٣٧٣.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٣ / ١١٢ ، وينظر: فرائد السّمطين: ١ / ٤٤.

٣- فعال :

ومثال هذا البناء، (سراج)، في قوله (عليه السلام): "لكل شيء سراج، وسراج قلب المؤمن الصلوات الخمس" (٢).

وقد يكون اسم الآلة جامدًا، غير مشتق من الفعل، ولا يضبط بوزن خاص (٣)، نحو: سيف، رمح، وفأس، درع، وغيرها. ومما ورد في حكمه (عليه السلام) (السيف)، في قوله (عليه السلام): "فتنة اللسان أشد من ضرب السيف" (٤).

و(الرمح)، في قوله (عليه السلام): "إن الرجل ليدنو من الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا قيد رُمح، فيتكلم بالكلمة فيتباع منها أبعد من صنعاء" (٥). و(فأس)، في قوله (عليه السلام): "من ولي عشرة فلم يعدل فيهم جاء يوم القيامة ويداه ورجلاه ورأسه في ثقب فأس" (٦). و(درع)، في قوله (عليه السلام): "مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسان كمثل رجل عليه درع ضيقة قد خنقته، فكُلما عمل حسنة انتقضت حلقة ثم أخرى حتى يخرج إلى الأرض" (٧). وجميع ما ذكر اسم آلة جامد غير مشتق، ولا يضبط بوزن محدد.

سابعًا: أبنية اسمي الزمان والمكان:

اسمي الزمان والمكان "هما اسمان مشتقان من المصدر مبدوءان بميم زائدة، للدلالة على زمان وقوع الفعل أو مكانه" (٨)

يُصاغ اسمي الزمان والمكان من الفعل الثلاثي وغيره. أمّا اشتقاقه من الثلاثي المجرد، فيكون على وزنين (٩)، وهما:

١- مفعَل :

وهو بناءً قياسيً يكون في كل فعلٍ معتلّ اللام مطلقًا، أو الفعل الأجوف الواوي، وفي كل فعلٍ ثلاثي مفتوح العين أو مضمومها في المضارع (١٠). ومن الأسماء التي وردت على هذا

(١) حكم النبي الأعظم: ٥٤٥ / ٦، وينظر: بحار الأنوار: ٢٣٣ / ٧٤.

(٢) حكم النبي الأعظم: ٢٥٢ / ٥.

(٣) ينظر: شذا العرف: ١٣٥.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٥١١ / ٧، وينظر: بحار الأنوار: ٢٨٦ / ٧١.

(٥) حكم النبي الأعظم: ٤٩٦ / ٧، وينظر: الترغيب والترهيب: ٥٣٧ / ٣.

(٦) حكم النبي الأعظم: ٣٣٤ / ٤، وينظر: بحار الأنوار: ٣٤٥ / ٧٥.

(٧) حكم النبي الأعظم: ٧٩ / ٤، وينظر: كنز العمال: ٢٤٣ / ٤.

(٨) الصرف الواضح: ٢٠٢، وينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٢٨٧.

(٩) ينظر: شذا العرف: ١٣٣.

(١٠) ينظر: تصريف الأسماء والأفعال: ١٧٢.

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

البناء في حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ، (مَخْرَج) في قوله (ﷺ): "مَنْ لَزِمَ الْإِسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرْجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ"^(١). و(مَخْرَج) هو اسم مكان الخروج، من الفعل الثلاثي (خرج).

ومن شواهد هذا البناء (مَرْكَبُ)، في حكمته (ﷺ) المباركة: "الْفَنَاءَةُ مُلْكٌ لَا يَزُولُ. وَهِيَ مَرْكَبُ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى، تَحْمِلُ صَاحِبَهَا إِلَى دَارِهِ"^(٢). وهو اسم مكان المركب، من الفعل (ركب).

٢- مَفْعِل :

يُصَاغُ هذا البناء من كلِّ فعلٍ ثلاثيٍّ مسكور العين في المضارع، وكلِّ فعلٍ ثلاثيٍّ صحيح اللام^(٣)، قال سيبويه (١٨٠هـ): "أَمَّا مَا كَانَ مِنْ (فَعَلَ يَفْعِلُ) فَإِنَّ مَوْضِعَ الْفَعْلِ (مَفْعِلُ)، وَذَلِكَ قَوْلُكَ: هَذَا مَحْبِسُنَا، وَمَضْرِبُنَا، وَمَجْلِسُنَا، كَأَنَّهُمْ بَنَوْهُ عَلَى بِنَاءِ (يَفْعِلُ)، فَكَسَرُوا الْعَيْنَ كَمَا كَسَرُوهَا فِي (يَفْعِلُ)"^(٤). ومثال هذا البناء (مَجْلِسُ)، في قوله (ﷺ) (يَجْلِسُ) "إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ مَجْلِسًا فَلْيَجْلِسْ حَيْثُ مَا انْتَهَى مَجْلِسُهُ"^(٥). وهو اسم مكان المجلس، من الفعل (جلس).

أَمَّا مَعْتَلَّ الْفَاءِ بِالْوَاوِ، فَقَالَ سيبويه (١٨٠هـ) فيه: "فَكَلَّ شَيْءٌ كَانَ مِنْ هَذَا (فَعَلَ) فَإِنَّ الْمَصْدَرَ مِنْهُ مِنْ بَنَاتِ الْوَاوِ وَالْمَكَانَ يَبْنَى عَلَى (مَفْعِلُ) وَذَلِكَ قَوْلُكَ لِلْمَكَانِ: الْمَوْعِدُ، وَالْمَوْضِعُ، وَالْمَوْرِدُ"^(٦). ومثال هذا البناء (مَوْلِدُ)، في قوله (ﷺ): "يَا أَبَا ذَرٍّ، مَنْ أَحَبَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ عَلَى أَوَّلِ النِّعَمِ. قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا أَوَّلُ النِّعَمِ؟ قَالَ: طَيْبُ الْوِلَادَةِ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّنَا إِلَّا مَنْ طَابَ مَوْلِدُهُ"^(٧). ف(مولد) اسم مكان من الفعل المثال الواوي الصحيح الآخر (الآخر ولد).

وقد وردت أسماء مكانٍ على زنة (مَفْعِلُ)، مشتقة من فعلٍ مضموم العين في المضارع، وورد مخالفاً للقياس الذي يوجب فيها فتح العين (مَفْعَلُ)^(٨)، ومن ذلك (المَسْجِدُ)، في قوله (

(١) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٣ / ٤٤٤ ، وينظر: سنن ابن ماجه: ٢ / ١٢٥٤.

(٢) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٣ / ٤٤٢ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧١ / ٣٤٩.

(٣) ينظر: أبنية الصَّرف في كتاب سيبويه: ٢٨٧.

(٤) الكتاب: ٤ / ٨٧.

(٥) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٧ / ٣٨٧ ، وينظر: بحار الأنوار: ١٦ / ٢٤٠.

(٦) الكتاب: ٤ / ٩٢ ، وينظر: ارتشاف الضَّرب: ٢ / ٥٠٢.

(٧) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٣ / ١٣٢ ، وينظر: بحار الأنوار: ٢٧ / ١٤٦.

(٨) ينظر: ارتشاف الضَّرب: ٢ / ٥٠٢-٥٠٣.

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

(عليه السلام): "فَطُوبَى لِمَنْ أَجَابَ دَاعِيَ اللَّهِ وَمَشَى إِلَى الْمَسْجِدِ، وَلَا يُجِيبُهُ وَلَا يَمْشِي إِلَى الْمَسْجِدِ إِلَّا مُؤْمِنٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ"^(١). وهو من الفعل (سَجَدَ - يَسْجُدُ) من الباب الأول والقياس على ذلك يوجب أن يكون (مَسْجِدٌ)؛ لأنَّه مضموم العين في المضارع. ذكر سيبويه (١٨٠هـ) أنَّ كسر العين يُراد به اسم لأيِّ بيتٍ من بيوت الله تبارك وتعالى. وأمَّا فتحها، فالمراد منه موضع السَّجود، قال في ذلك: "وَأَمَّا المسجد، فَإِنَّهُ اسم للبيت، وَلَسْتُ تريد به موضع السَّجود، وموضع جبهتك، لو أردت ذلك لقلت: مَسْجِدٌ"^(٢).

أمَّا صياغتهما من غير الثلاثي، فيصاغ على وزن اسم المفعول من غير الثلاثي، أي على زنة مضارعه مع إبدال حرف المضارعة ميماً مضمومةً وفتح ما قبل الآخر^(٣). وقد وردت له أبنية كثيرة في العربية^(٤). وما ورد منها في حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ، (المُصَلَّى)، على زنة (مُفْعَل)، في قوله (عليه السلام): "مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَخَتَمَهُ بِصَدَقَةٍ: وَغَدَا إِلَى الْمُصَلَّى بِغُسْلٍ، رَجَعَ مَغْفُوراً لَهُ"^(٥). و(المُصَلَّى) اسم مكانٍ من الفعل (صَلَّى - يُصَلِّي).

المبحث الثالث

أبنية جموع التَّكْسِيرِ

الجمع هو "صيغةٌ مبنيةٌ للدَّلالة على العدد الزَّائد على الاثنين"^(٦). والجموع في العربية تقسَّم على ضربين، جمع التَّصْحِيح وجمع تكسير^(٧).

فأمَّا جمع التَّصْحِيح، فهو الجمع الَّذي سَلِمَ فيه بناء مفردة عند الجمع، أي لا يصيبه شيءٌ من التَّغْيِير، إِلَّا عند الإِعْلَال. ودَلَّ هذا الجمع على اثنين أو أكثر، بزيادة الواو والنون، أو الألف والتاء في آخره^(٨). وهذا الجمع على ضربين^(٩):

- (١) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٥ / ٢٢٨-٢٢٩ ، وينظر: بحار الأنوار: ٨٤ / ١٥٤.
- (٢) الكتاب: ٤ / ٩٠ ، وينظر: إصلاح المنطق: ١٢١ ، وشرح المفصل: ٦ / ١٠٨ ، وارتشاف الضرب: ٢ / ٥٠٣.
- (٣) ينظر: الصَّرف الكافي: ٢٤٩.
- (٤) ينظر: أبنية الصَّرف في كتاب سيبويه: ٢٨٧-٢٨٨.
- (٥) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٦ / ١٦ ، وينظر: المعجم الأوسط: ٦ / ٥٧.
- (٦) أسرار العربية، ابن الأنباري (٥٧٧هـ): ٤٨ ، وينظر: شرح المقدِّمة الجزوليَّة، للشُّلُوبين: ١ / ٣١٢ ، وأبنية الصَّرف الصَّرف في كتاب سيبويه: ٢٩٢.
- (٧) ينظر: جموع التَّصْحِيح والتَّكْسِير في اللُّغة العربيَّة، عبد المنعم سيد عبد العال: ٧.
- (٨) ينظر: تصريف الأسماء والأفعال: ١٩٠-١٩١ ، والتَّطْبِيق الصَّرفي: ٩٥.
- (٩) ينظر: شرح المفصل: ٥ / ٦١.

الباب الأول.....بناء الكلمة في حكم النّبي الأعظم

الأول: جمع مذكر سالم: يستعمل هذا الجمع للذكور العاقلين وما يلحق به، ويدلّ على اثنين أو أكثر عند اللّغويين. ويدلّ على أكثر من اثنين عند النّحويين. ويكون هذا الجمع بزيادة في آخر الاسم المفرد^(١)، وهذه الزيادة تكون بـ(واو ونون) في حال الرفع، وياء ونون في حال حال النصب والجر^(٢).

الثاني: جمع المؤنث السالم: هو "ما دلّ على أكثر من اثنين، بزيادة ألف وتاء على مفرده، كقاطمات وزينبات"^(٣). ذكر ابن هشام الأنصاري (٧٦١هـ) أنّ بعض العلماء يسمّون هذا الجمع بـ(ما جُمع بالألف والتّاء)؛ وذلك لأنّ هذا الجمع لم يكن مختصّاً بالمفرد المؤنث فقط، نحو: جمع (هند): (هندات)؛ بل قد يكون جمعاً لمذكر أيضاً نحو: جمع (طلحة): (طلحات)، وقد يكون جمعاً لمذكر غير عاقل نحو: (حمّام): (حمّامات)^(٤).

إنّ بناء جمع التّصحيح لا يصيب مفرده تغيير، سوى الزيادة التي تكون في آخره؛ لذا فضّلت ألا أخوض في بحثه؛ لأنّ بناء مفرده هو نفسه بناء جمعه، مع الزيادة في آخره التي أشرنا إليها.

وأما جمع التّكسير، فهو "كلّ جمعٍ تغيّر فيه نظم الواحد، وبنائه يكون لمن يعقل ولما لا يعقل"^(٥). ويدلّ هذا الجمع "على أكثر من اثنين...وهو جمع عامّ يشمل الاسم مذكراً ومؤنثاً"^(٦). وهذا التّغيير الذي يطرأ في صورة المفرد، إمّا تغيير تقديري (غير ظاهر)، وإمّا تغيير لفظي (ظاهر)^(٧). والتّغيير الأول (التقديري) تبقى صورته واحدة في المفرد والجمع دون أن يتغيّر شكلها نحو كلمة (فُلُك)، التي تستعمل أحياناً للمفردة وأحياناً للجمع، فيكون وزن المفرد على وزن (فُعل)، ويكون وزن الجمع على وزن (أُسد): جمع أسد^(٨). أمّا التّغيير

(١) ينظر: اللّمع في العربيّة: ٢٥ ، وجموع التّصحيح والتّكسير في اللّغة العربيّة: ٧-٨.

(٢) ينظر: شرح قطر النّدى وبلّ الصّدى: ٤٩.

(٣) شذا العرف: ١٤٧.

(٤) ينظر: شرح قطر النّدى وبلّ الصّدى: ٥٠-٥١.

(٥) اللّمع في العربيّة: ٢٧ ، وينظر: شرح الحدود للفاكهيّ: ١١٦.

(٦) الصّرف الواضح: ٢٤٧.

(٧) ينظر: أبنية الصّرف في كتاب سيويّه: ٢٩٢.

(٨) ينظر: المهدّب في علم النّصريف: ١٦٥.

الباب الأول.....بناء الكلمة في حكم النبي الأعظم

الثاني اللفظي (الظاهر)، فقد فصل الأشموني (٩٢٩هـ) الكلام بذكر أنواع التغيير اللفظي الذي يحدث للاسم المفرد؛ إذ ذكر ستة أقسام له، هي (١) :

- ١- ما تمّ بزيادة عليه، نحو: صنو: صنوان.
 - ٢- ما كان تغييره بنقص في بنائه، نحو: تُهمّة: تُهم.
 - ٣- ما كان تغييره بتبديل ضبطه، نحو: أسد: أسد.
 - ٤- ما كان تغييره بزيادة واختلاف في ضبطه، نحو: رجل: رجال.
 - ٥- ما تمّ تغييره بنقص وتبديل في ضبطه، نحو: رسول: رسل.
 - ٦- ما تمّ بالزيادة والنقص والتبديل في ضبطه، نحو: غلام: غلمان.
- ويفهم ممّا سطرّ أنه لا بُدّ أن يصيب بناء المفرد تغيير عند جمعه جمع تكسير. ويقسم جمع التّكسير بالنظر إلى المعدود، على ضربين (٢) :

الأول: جمع القلة:

وهذا الجمع يدلّ على عددٍ قليلٍ يكون من ثلاثة إلى عشرة، وأبنيته الغالبة أربعة، هي: (أفعل) نحو: أسيف، و(أفعال) نحو: أثواب، و(فعللة) نحو: صبيّة، و(أفعللة) نحو: أرغفة (٣) .

أرغفة (٣) .

الثاني: جمع الكثرة:

وهذا الجمع يدلّ على ما زاد على عشرة إلى غير نهاية (٤)، أمّا أوزانه القياسية، فقد أوصلها سيبويه (١٨٠هـ) إلى اثنين وأربعين بناءً فضلاً عن السماعيّة (٥) .

قد يُستعمل من هذه الجموع جمعاً على بناءٍ خاصٍّ بأحد الضربين (القلة أو الكثرة)، ويُراد به تارة جمع قلة، وتارة أخرى جمع كثرة، مع كون أنّ هذه الصيغة خاصّة بضربٍ واحدٍ فقط. فيستعمل جمع القلة في القلة والكثرة، نحو جمع (رجل) تجمع على (أرجل) على زنة (أفعل). وقد يستعمل جمع الكثرة في الكثرة والقلة، نحو: (رجال) على زنة (فعل). وقرينة السياق هي من تحدّد نوع هذا الجمع، أقلّة هو أم كثرة (٦) .

(١) ينظر: شرح الأشموني: ٦٦٩ / ٣ ، وجموع التصحيح والتكسير في العربيّة: ٢٧ .

(٢) ينظر: النحو الوافي: ٦٢٧ / ٤ .

(٣) ينظر: الكتاب: ٦١٨ / ٣ ، المفصل في صناعة الإعراب: ٢٣٥ ، والصرف العربيّ أحكاماً ومعاني: ١٥٨-١٥٩ .

(٤) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٣٠٧ / ٤ .

(٥) ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٢٩٢-٢٩٨ .

(٦) ينظر: شرح ابن عقيل: ٥٢ / ٤ ، وجموع التصحيح والتكسير في العربيّة: ٣١ .

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

ولأنَّ هذا المبحث يُعْنَى بِأَبْنِيَةِ جُمُوعِ التَّكْسِيرِ فِي حِكْمِهِ (ﷺ)، لذا فإنَّ البحث سيكون على ثلاثة أضرب، هي:

أولاً: أبْنِيَةُ جُمُوعِ الْقَلَّةِ.

ثانياً: أبْنِيَةُ جُمُوعِ الْكَثَرَةِ.

ثالثاً: أبْنِيَةُ مُنْتَهَى الْجُمُوعِ.

أولاً: أبْنِيَةُ جُمُوعِ الْقَلَّةِ:

١ - أَفْعَل :

وهذا البناء مقيسٌ في كلِّ اسمٍ ثلاثيٍّ صحيح الفاء والعين، غير مضعّفٍ، على وزن (فَعْل)، وكذلك في كلِّ اسمٍ رباعيٍّ مؤنَّث بلا علامة^(١). ومن الجُمُوعِ الَّتِي تَنْتَظِمُ فِي هَذَا الْبِنَاءِ (أَنْفُس)، في قوله (ﷺ): "أَيُّمَا رَجُلٍ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا عَلَى عَشْرَةِ أَنْفُسٍ. عَلِمَ أَنَّ فِي الْعَشْرَةِ أَفْضَلَ مِمَّنْ اسْتَعْمَلَ؛ فَقَدْ غَشَّ اللَّهُ وَغَشَّ رَسُولُهُ"^(٢). وهو جمع (نفس).

٢ - أَفْعَال :

ويطرَّد في هذا البناء كلُّ ما لم يطرَّد فيه (أَفْعَل)^(٣). ومن الجُمُوعِ الَّتِي اسْتَقَرَّتْ عَلَى هَذَا الْبِنَاءِ، (الْأَعْمَار)، في قوله (ﷺ): "صِلَةُ الرَّجْمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجَوَارِ؛ يَعْمُرْنَ الدِّيَارَ، وَيَزِدْنَ فِي الْأَعْمَارِ"^(٤). وهو جمع (عُمر) على زنة (فَعْل).

٣ - أَفْعَلَةٌ:

ومما يطرَّد في هذا البناء، كلُّ اسمٍ مفردٍ مذكَّرٍ رباعيٍّ قبل آخره حرف مدٍّ، وكذلك يطرَّد هذا البناء في (فَعَال) بفتح الفاء أو كسرهما^(٥). ومثال ما ورد في حِكْمِهِ (ﷺ) (أُمَّة)، في قوله (ﷺ): "ثَلَاثٌ لَا يَغُلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِلْأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَالزُّرُومُ لْجَمَاعَتِهِمْ"^(٦). وهو جمع (إمام) على زنة (فَعَال)، وهو اسمٌ رباعيٌّ مذكَّرٌ عينه ولامه من جنسٍ واحدٍ، والمضعّفُ المفكوك لا يجيء إلَّا على (أَفْعَلَةٍ) في الكثرة والْقَلَّةِ^(٧).

(١) ينظر: شرح الرّضي على الشّافعية: ٢ / ٩٠ ، وشذا العرف: ١٥٥ .

(٢) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٢ / ٦١٨ ، وينظر: كنز العمال: ٦ / ١٩ .

(٣) ينظر: المهدّب في علم النّصريف: ١٦٩ .

(٤) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٣ / ٤٣٦ ، وينظر: الكافي: ٢ / ١٥٢ .

(٥) ينظر: جامع الدّروس العربيّة: ٢ / ٣٤ ، والصّرف الواضح: ٢٥٢ .

(٦) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٥ / ١٦٠ ، وينظر: بحار الأنوار: ٢٧ / ٦٧ .

(٧) ينظر: شرح الرّضي على الشّافعية: ٢ / ١٢٧ .

٤ - فَعْلَة:

ذكر ابن عقيل (٧٦٩هـ) أنَّ بناء (فَعْلَة) لم يطرّد في شيء^(١). ونقل ابن هشام الانصاري (٧١٦هـ) عن ابن السراج (٣١٦هـ) أنَّ بناء (فَعْلَة) هو اسم جمع^(٢). وأمر المفرد في هذا الجمع موقوف على السماع^(٣). ومن الجموع التي جرى استعمالها على هذا النمط الصّرفيّ في حكم النبي الأعظم، (صَبِيَة)، في قوله (ﷺ): "جاء رجلٌ إلى النبيّ (ﷺ) فشكا إليه الجوع، فبعث رسول الله (ﷺ) إلى يوت أزواجه، فقلن: ما عندنا إلا الماء. فقال رسول الله (ﷺ): مَنْ لِهَذَا الرَّجُلِ اللَّيْلَة؟ فقال عليّ بن أبي طالب (ع): أنا له يا رسول الله. وأتى فاطمة (ع) فقال: ما عندك يابنة رسول الله؟ فقالت: ما عندنا إلا قوت الصّبيّة، لكنّا نُؤثّر صيفنا..."^(٤)، و(صبيّة) في الحديث المبارك جمع (صبي).

ثانياً: أبنية جموع الكثرة:

١ - فُعْل :

ويجري هذا البناء في جميع الأوصاف التي على زنة (فَعول) بمعنى (فاعِل)، وفي كلّ اسم رباعيّ غير معتل الآخر، مذكراً كان أو مؤنث، قبل آخره حرف مدّ^(٥). ومن شواهد هذا البناء في حكمه (ﷺ) (صُحِفُ)، في قوله (ﷺ): "نزلت صُحُف إبراهيم في أول ليلة من شهر رمضان... وأنزل القرآن في ثلاث وعشرين من شهر رمضان"^(٦). وهو جمع (صحيفة). وقد أشار سيبويه (١٨٠هـ) إلى قلّة مجيء الاسم أو الصّفة التي على زنة (فَعيلة) جمعاً على (فُعْل)؛ إذ قال: "وربّما كسروه [يعني فَعيلة] على (فُعْل)، وهو قليل، قالوا: سفينة وسُفُن، وصحيفة وصُحُف، شبّهوا ذلك بقلبيّ وقُلُب"^(٧).

٢ - فُعْل :

وينتظم تحت هذا البناء كلّ اسمٍ على زنة (فُعْلَة). وكذلك في كلّ وصفٍ على زنة (فُعْلَى) مؤنث (أفعل)^(٨). ومن الجموع التي جرى استعمالها على هذا البناء، (ثُرَع)، في قوله (ﷺ): "ما بين بيتي ومنبري روضةٌ من رياض الجنّة، ومنبري على ثُرعةٍ من ثُرَع"

(١) ينظر: شرح ابن عقيل: ٤ / ٥٤.

(٢) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٤ / ٣١٢.

(٣) ينظر: جموع التّصحیح والتّكسير في العربيّة: ٤٢ ، وجامع الدّروس العربيّة: ٢ / ٣٥.

(٤) حكم النبيّ الأعظم: ٤ / ٣٦٣-٣٦٤ ، وينظر: بحار الأنوار: ٤١ / ٣٤.

(٥) ينظر: الكتاب: ٣ / ٦٣٧ ، والتّطبيق الصّرفيّ: ٩٨.

(٦) حكم النبيّ الأعظم: ٦ / ١٤ ، وينظر: الكافي: ٢ / ٦٢٩.

(٧) الكتاب: ٣ / ٦١٠.

(٨) ينظر: شذا العرف: ١٥٨ ، وجامع الدّروس العربيّة: ٢ / ٣٦-٣٧ .

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حَكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

الْجَنَّةِ وَقَوَائِمُ مِنْبَرِي رَبَّتْ فِي الْجَنَّةِ^(١). و(تُرْع) في الحديث الشريف جمع (تُرْعَة) على زنة (فُعْلَة).

٣- فِعْل:

ويشيع هذا البناء في كل اسم تام^(٢) على زنة (فُعْلَة)^(٣). ومما جاء على هذا البناء، (النِّعَم)، في قوله (ﷺ): "إِنَّ لِلَّهِ أَقْوَامًا يَخْتَصُّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، يُقْرَأُ فِيهِمْ مَا بَدَّلُوهُ؛ فَإِذَا مَنَعُوا نَزَعَهَا عَنْهُمْ فَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ"^(٤). و(النِّعَم) جمع (نِعْمَة) .

٤- فُعَال:

ويطرّد هذا الجمع في كل وصف على زنة (فَاعِل) صحيحي اللّام، ويدلّ على تكثير القيام بالفعل والمبالغة فيه، لا لتكثير القائمين به^(٥). ومن أمثلة الجموع التي اتخذت هذا البناء، (تُجَار) و(صُنَّاع)، في قوله (ﷺ): "وَيْلٌ لِتُجَارِ أُمَّتِي مِنْ لَا وَاللَّهِ وَبَلَى وَاللَّهِ، وَوَيْلٌ لِّصُنَّاعِ أُمَّتِي مِنَ الْيَوْمِ وَغَدٍ"^(٦). وهما جمع لـ(تاجر) و(صانع) على زنة (فَاعِل). وقد دلّ جمعهما على الإكثار من القيام بفعل التجارة والصناعة.

٥- فُعْلَة:

ويطرّد هذا البناء في كل وصف عاقل على زنة (فَاعِل)، بشرط أن يكون غير معتلّ اللّام^(٧). ومن الجموع التي وردت في حكمه (ﷺ) على هذا البناء، (فَجَرَة) و(بَرَرَة)، في قوله (ﷺ): "إِنَّ الْقَوْمَ لَيَكُونُونَ فَجَرَةً وَلَا يَكُونُونَ بَرَرَةً، فَيَصِلُونَ أَرْحَامَهُمْ فَتَنَّمِي أَمْوَالَهُمْ وَتَطْوِلُ أَعْمَارُهُمْ، فَكَيْفَ إِذَا كَانُوا أَبْرَاراً بَرَرَةً"^(٨). وهما جمع (فاجر، بار) على زنة (فَاعِل). وهذا البناء يختلف عن سابقه (فُعَال) في كونه يخلو من التكثير والحركة التي في (فُعَال).

(١) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَم: ٥٦٧ / ٢ ، وينظر: الكافي: ٥٥٤ / ٤.

(٢) يُرَادُ بِالاسْمِ التَّام: أَي لَمْ يَحْذَفْ مِنْ أَصُولِهِ شَيْءٌ.

(٣) ينظر: جموع التصحيح والتكسير في العربية: ٤٥.

(٤) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَم: ٤٩٨ / ٣ ، وينظر: تاريخ بغداد: ٩: ٤٥٩.

(٥) ينظر: معاني الأبنية في العربية: ١٣٠ ، والتطبيق الصرفي: ١٠١ .

(٦) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَم: ١٠٢ / ٧ ، وينظر: من لا يحضره الفقيه: ٣ / ١٦٠.

(٧) ينظر: الكتاب: ٣ / ٦٣١ ، وشرح الرّضي على الشّافية: ٢ / ١٥٥-١٥٦ ، والصرف الواضح: ٢٥٥.

(٨) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَم: ٤٣٣ / ٣ ، وينظر: الكافي: ١٥٥ / ٢.

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

فـ(فَجَرَة) و(بِرَرَة) اسمٌ لهذين الصَّنْفَيْنِ مِنَ النَّاسِ. فلو استعمل (فَجَّار) لدلَّ المعنى على كثرة القيام بعمل الفجور والفسوق^(١).

٦- فُعُول :

ويطرَّد في هذا البناء، كلَّ اسمٍ ثلاثيٍّ مفتوح الفاء مكسور العين (فَعِل)، والاسم الثلاثيَّ الساكن العين المثلث الفاء^(٢). وممَّا سُجِّلَ من الجموع في حديثه (ﷺ) على هذا البناء، (قُلُوب). في قوله (ﷺ): "لِكُلِّ شَيْءٍ مَعِدْنٌ، وَمَعِدُنُ النَّقْوَى قُلُوبُ الْعَارِفِينَ"^(٣)، وهو جمع (قَلْب) على زنة (فَعِل).

٧- فَعْلَى:

وينتظم في هذا البناء كلَّ جمعٍ يدلُّ على آفةٍ أو هلاكٍ، أو توجَّعٍ، أو نقصٍ، مفردة على زنة (فَعِيل) الذي بمعنى مفعول، وقد حُمِلت عليه أوزان أخرى دلَّت كلها على آفةٍ أو هلاكٍ^(٤). ومثال ما ورد من جمعٍ على زنة (فَعْلَى)، (صَرَعَى)، في قوله (ﷺ) حين سئل عن أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون: "قَالَ: الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا حِينَ نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا فَاهْتَمُّوا بِإِجْلِهَا حِينَ اهْتَمَّ النَّاسُ بِعَاجِلِهَا...نَظَرُوا إِلَى أَهْلِهَا صَرَعَى قَدْ حَلَّتْ بِهِمُ الْمَثَلَاتُ، فَمَا يَرَوْنَ أَمَانًا دُونَ مَا يَرَجُونَ، وَلَا خَوْفًا دُونَ مَا يَجِدُونَ"^(٥). فـ(صَرَعَى) في الحديث المبارك جمع (صَرِيع) على زنة (فَعِيل). فاستعمال (صَرَعَى) في هذا المقام مناسباً لما أصابهم من بلاء حبِّ الدُّنْيَا؛ إذ إنَّه لم يجمع (صَرِيع) على بناء آخر، وإنَّما على (فَعْلَى) لتشتيع حبِّ الدُّنْيَا وترك الآخرة^(٦).

ومن الأوزان التي حُمِلت على هذا الوزن (فَاعِل)، ومثاله (هَلَكَى)، في قوله (ﷺ): "الْعُلَمَاءُ كُلُّهُمْ هَلَكَى إِلَّا الْعَامِلِينَ، وَالْعَامِلُونَ كُلُّهُمْ هَلَكَى إِلَّا الْمُخْلِصِينَ. وَالْمُخْلِصُونَ عَلَى حَظَرٍ"^(٧). ومفرده (هَالِك) على زنة (فَاعِل).

(١) ينظر: معاني الأبنية في العربية: ١٣٢.

(٢) ينظر: التَّصْحِيحُ وَالتَّكْسِيرُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ: ٥٢، ويراد بـ(مُثَلَّثُ الْفَاءِ): أي بفتح الفاء أو بضمِّها أو بكسرها.

(٣) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ١ / ٥٠٩، وينظر: المعجم الكبير: ١٢ / ٢٣٤.

(٤) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية: ٤ / ٣١٣-٣١٤، والمهذَّب في علم التَّصْرِيف: ١٧٥.

(٥) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٤ / ٤١٨، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧ / ١٨١.

(٦) ينظر: معاني الأبنية في العربية: ١٤٠-١٤٣.

(٧) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٥ / ١٦٠، وينظر: تنبيه الخواطر: ٢ / ٤٣٧.

٨- فِعْلَان:

ويطرد هذا البناء في صيغ متعددة، منها (فَعَلَ)^(١). ومثاله (جيران)، في قوله (ﷺ): "أما علامة الخائن فأربعة: عَصِيَانُ الرَّحْمَنِ، وَأَذَى الْجِيرَانِ، وَبُغْضُ الْأَقْرَانِ، وَالْقُرْبُ إِلَى الطُّغْيَانِ"^(٢)، وهو مفرد (جَارٌ) على زنة (فَعَلَ).

وقد ورد هذا البناء مسموعاً في غير ما ذكره الصَّرْفِيُّونَ^(٣)، ومثال ما كان مسموعاً (صَبِيَانٌ)، في قوله (ﷺ): "بَيْتٌ لَا صَبِيَانَ فِيهِ لَا بَرَكَهَ فِيهِ"^(٤)، وهو مفرد (صَبِيٌّ).

٩- فِعَال:

ويجري هذا البناء في كثيرٍ من الأسماء والصفات التي لا تخضع لقياسٍ معين^(٥). ومما ورد منها في حكمه (ﷺ)، (ضِعَافٌ)، في قوله (ﷺ): "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) جَالِساً مَعَ أَصْحَابِهِ ذَاتَ يَوْمٍ فَنَظَرَ إِلَى شَابٍّ ذِي جِلْدٍ وَقُوَّةٍ قَدْ بَكَرَ يَسْعَى فَقَالُوا: وَيْحَ هَذَا لَوْ كَانَ شَبَابُهُ وَجِلْدُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى؟ فَقَالَ (ﷺ) لَا تَقُولُوا هَذَا... إِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى أَبْوِينَ ضَعِيفَيْنِ أَوْ ذُرِّيَّةٍ ضِعَافٍ لِيُغْنِيَهُمْ وَيَكْفِيَهُمْ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"^(٦)، وهو جمع (ضَعِيفٌ) على زنة (فَعِيل) ومؤنثه (ضعيفة).

١٠- فُعَلَاء:

ويستعمل هذا البناء جمعاً في كلِّ وصفٍ لمذكَّرٍ عاقلٍ على زنة (فَعِيل)، صحيح اللام غير مضعّف، وأكثر ما يجيء به هذا البناء للدلالة على السَّجَايا والغرائز^(٧)، ومن أمثله (الضُّعَفَاءُ)، في قوله (ﷺ): "أَلَا أُنبِئُكَ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ الضُّعَفَاءُ الْمَغْلُوبُونَ"^(٨) وهو جمع (ضعيف) على زنة (فَعِيل).

(١) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٤ / ٣١٩، وشذا العرف: ١٦١.

(٢) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٤ / ٦٥٢، وينظر: بحار الأنوار: ١ / ١٢٢.

(٣) ينظر: المَهْذَبُ فِي عِلْمِ التَّصْرِيفِ: ١٧٩.

(٤) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٣ / ٤٦٧، وينظر: كنز العمال: ١٦ / ٢٧٤.

(٥) ينظر تلك الأسماء والصفات في: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٤ / ٣١٥، وجموع التصحيح والتكسير في

في العربية: ٥٠-٥٢، والصرف الواضح: ٢٥٦، والتطبيق الصرفي: ١٠١.

(٦) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٤ / ٢٤١-٢٤٢، وينظر: المحجة البيضاء: ٣ / ١٤٠.

(٧) ينظر: شرح الرضي على الشافية: ٢ / ١٥٧-١٥٨، وشذا العرف: ١٦٢.

(٨) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٢ / ٥٦٥، وينظر: كنز العمال: ١٤ / ٤٧٩.

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

وهذا البناء يختلف عن سابقه (فَعَالٍ)، بأنَّه يكون مختصًّا في الأمور المعنويَّة. أمَّا بناء (فَعَالٍ)، فيكون مختصًّا بالأمور الماديَّة. فـ(ضِعَافٍ) في الحديث المبارك السابق هو للضعف الماديِّ، و(الضُّعْفَاءُ) في هذا الحديث الشريف للضعف المعنويِّ^(١).

ثالثًا: أبنية منتهى الجموع:

صيغة منتهى الجموع هي "كلّ جمع تكسير بعد ألف تكسيره حرفان، أو ثلاثة أحرف، بشرط أن يكون أوسط هذه الثلاثة حرفًا ساكنًا"^(٢) وهذه الجموع هي أيضًا من أبنية الكثرة^(٣). الكثرة^(٣). وفيما يأتي ما ورد من هذه الأبنية في حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ:

١- فَعَائِل:

ويستعمل هذا البناء جمعًا لكلِّ رباعيٍّ مؤنَّث اسمًا كان أو صفة، قبل آخره حرف مدٍّ زائد^(٤). ومثال ما ورد في حِكْمِهِ الْمُبَارَكَةِ، (الْكَبَائِرِ)، في قوله (الْكَبَائِرِ): "تَعْلِيمُ الْعِلْمِ كَفَّارَةٌ الْكَبَائِرِ"^(٥). و(الْكَبَائِرِ) جمعٌ محوّلٌ من الوصفية إلى الأسمية. فـ(الْكَبَائِرِ) اسم لكبار الذنوب، أمَّا الوصفية منها، فتكون (كِبَارٍ) على زنة (فَعَالٍ)^(٦).

٢- فَوَاعِل:

وهذا البناء قياسيٌّ في صيغٍ متعددة، منها (فَاعِلَةٌ) اسمًا أو صفة^(٧). وممَّا سُجِّلَ من جموعٍ في حِكْمِهِ (الْمُحْلَصِينَ) على هذا البناء، (جَوَارِحُ)، في قوله (الْمُحْلَصِينَ): "أَمَّا عَلَامَةُ الْمُخْلِصِ، فَأَرْبَعَةٌ: يَسْلَمُ قَلْبُهُ، وَتَسْلَمُ جَوَارِحُهُ، وَيَذُلُّ خَيْرُهُ. وَكَفَّ شَرُّهُ"^(٨). وهو جمع (جَارِحَةٌ) على زنة (فَاعِلَةٌ). و(جوارح) أقرب إلى الأسمية منها إلى الوصفية؛ لأنَّ هذا البناء ينتظم تحته كلُّ جمعٍ تحوّل من الصفات إلى أسماء أو قريب من الاسماء، كما هو الحال في (جارحة) و (جوارح)^(٩).

٣- مَفَاعِل:

(١) ينظر: معاني الأبنية في العربية: ١٤٦-١٤٧.

(٢) النحو الوافي: ٢٠٨ / ٤.

(٣) ينظر: المهذب في علم التصريف: ١٧٢.

(٤) ينظر: شرح المفصل: ٤٤ / ٥، وارتشاف الضرب: ١ / ٤٥٤-٤٥٥، وشذا العرف: ١٦٣.

(٥) حكم النبي الأعظم: ٢٩٦ / ١.

(٦) ينظر: معاني الأبنية في العربية: ١٤٩.

(٧) ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد: ٤٥٠ / ٣، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٣٢٠ / ٤، والمهذب في علم التصريف: ١٨١.

(٨) حكم النبي الأعظم: ١٦٢ / ٥، وينظر: بحار الأنوار: ١ / ١٢١.

(٩) ينظر: معاني الأبنية في العربية: ١٣٦-١٣٧.

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حَكَمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

ومِمَّا يَطَّرِدُ فِي هَذَا الْبِنَاءِ، كُلَّ اسْمٍ أَوْ صِفَةٍ مَبْدُوءَانِ بِمِيمٍ زَائِدَةٍ سِوَاهُ أَكَّانٍ مَذْكَرًا أَوْ مُؤَنَّثًا^(١). وَمِنْ أَمْثَلَةِ الْجُمُوعِ الَّتِي اتَّخَذَتْ هَذَا الْبِنَاءَ، (مَجَارِي)، فِي قَوْلِهِ (سورة البقرة: ١٧٧) "إِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَجْرِيَ مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ: فَضَيَّقُوا مَجَارِيَهُ بِالْجُوعِ"^(٢). وَ(مَجَارِي) جَمْعُ (مَجْرَى).

٤ - فَعَالِل:

وهذا البناء يكون جمعًا للاسم الرباعي والخماسي، مجردين ومزيدًا فيهما^(٣). ومِمَّا يُسْتَشْهَدُ يُسْتَشْهَدُ بِهِ مِنَ الْجُمُوعِ الْوَاردَةِ فِي حَدِيثِهِ الشَّرِيفِ عَلَى هَذَا الْبِنَاءِ، (بَلَّاقِعُ)، فِي قَوْلِهِ (سورة البقرة: ١٧٧) "إِنَّ قَطِيعَةَ الرَّحِمِ وَالْيَمِينَ الْكَاذِبَةَ لَتَذَرَانَ الدِّيَارَ بَلَّاقِعَ مِنْ أَهْلِهَا"^(٤) وَ(بَلَّاقِعُ) جَمْعُ (بَلَّقَعَ). وَالبَلَّقَعَ: هُوَ الْمَكَانُ الْخَالِي الَّذِي لَا شَيْءَ فِيهِ^(٥). وَمِثْلُهُ (جَمَاجِمُ) وَهُوَ جَمْعُ (جُمُجَمَةٌ)^(٦).

٥ - أَفَاعِل:

وَيَطَّرِدُ هَذَا الْبِنَاءُ فِي صِيغٍ مُخْتَلِفَةٍ، مِنْهَا الثَّلَاثِيُّ الْمَزِيدُ^(٧). وَمِثَالُ مَا وَرَدَ فِي حَكَمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ، (أَكَابِرُ)، فِي قَوْلِهِ (سورة البقرة: ١٧٧) "الْبَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُمْ أَهْلِ الْعِلْمِ"^(٨). وَهُوَ جَمْعُ (أَكْبَرُ) الْمَزِيدُ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ، عَلَى زَنَةِ (أَفْعَلُ) صِفَةً لِلتَّفْضِيلِ.

٦ - فَعَالِي:

وَيَكُونُ هَذَا الْبِنَاءُ جَمْعًا لـ(فَعْلَاءِ) اسْمًا أَوْ صِفَةً لَا مَذْكَرَ لَهَا^(٩). وَمِنْ الْجُمُوعِ الَّتِي تَنْتَظِمُ فِي هَذَا الْبِنَاءِ (الْعَذَارَى)، فِي قَوْلِهِ (سورة البقرة: ١٧٧) "إِيَّاكُمْ وَأَوْلَادَ الْأَعْنِيَاءِ وَالْمُلُوكِ الْمُرْدَ! فَإِنَّ فِتْنَتَهُمْ أَشَدُّ مِنْ فِتْنَةِ الْعَذَارَى فِي خُدُورِهِنَّ"^(١٠). وَهُوَ جَمْعُ (عَذْرَاءُ) عَلَى زَنَةِ (فَعْلَاءِ).

٧ - فَعَالِيل:

- (١) ينظر: الصِّرف الواضح: ٢٦٢.
- (٢) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٣٥ / ٦ ، وينظر: تنبيه الخواطر: ١ / ١٠٩.
- (٣) ينظر: شرح الرُّضِيِّ عَلَى الشَّافِيَّةِ: ١٨٣ / ٢ ، والمهذَّبُ فِي عِلْمِ النَّصْرِيفِ: ١٨٤-١٨٥.
- (٤) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ١٢٩ / ٧ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٤ / ٩٤.
- (٥) ينظر: لسان العرب: ١ / ٤٨٨ (بَلَّقَعَ).
- (٦) ينظر: حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٤٩١ / ٣ ، والسَّنَنِ الْكُبْرَى: ٦ / ٢٢٩.
- (٧) ينظر تلك الصِّيغِ فِي: أَوْضَحَ الْمَسَالِكِ إِلَى أَلْفِيَّةِ ابْنِ مَالِكٍ: ٤ / ٣٢٣ ، وَشَذَا الْعَرَفِ: ١٦٦ ، وَجُمُوعُ النَّصْرِيفِ وَالتَّكْسِيرِ: ٦٧ ، وَالمهذَّبُ فِي عِلْمِ النَّصْرِيفِ: ١٨٥-١٨٦ ، وَالتَّطْبِيقُ الصَّرْفِيُّ: ١٠٦-١٠٧.
- (٨) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٤٦٨ / ٣ ، وينظر: كنز العمال: ١٠ / ١٧٤.
- (٩) ينظر: الصِّرف الواضح: ٢٦٣ ، والمهذَّبُ فِي عِلْمِ النَّصْرِيفِ: ١٨٣-١٨٤.
- (١٠) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ١٦٢ / ٧ ، وينظر: الكافي: ٥ / ٥٤٨.

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حَكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

ويجمع على هذا البناء الاسم الرباعي إذا كان مزيدًا بحرف علة، ساكن قبل آخره^(١). ومثال هذا البناء (السَّلاطينُ)، في قوله (عليه السلام): "إِذَا ظَهَرَ فِي أُمَّتِي عَشْرُ خِصَالٍ ابْتَلَاهُمْ اللَّهُ بِعَشْرَةٍ...إِذَا جَارَتْ السَّلاطينُ ابْتَلَاهُمْ اللَّهُ بِالْعَدُوِّ"^(٢). و(سلاطين) وهو جمع (سلطان).

٨- مَفَاعِيل:

ومما يطرد في هذا البناء كل اسم أوله ميم زائدة، مع شرط وجود حرف مد قبل آخره^(٣). ومن الوارد من الجموع على هذا البناء، (مَثاقيلُ)، في قوله (عليه السلام): "يَنْزِلُ فِي الْفُرَاتِ كُلَّ يَوْمٍ مَثاقيلُ مِنْ بَرَكَاتِ الْجَنَّةِ"^(٤). و(مَثاقيلُ) جمع (مَثقال).

المبحث الرابع

أبنية المصادر ودلالاتها

المصدر هو "كل اسم دلَّ على حدثٍ، وزمانٍ مجهولٍ، وهو وفعله من لفظٍ واحدٍ، والفعل مشتق من المصدر"^(٥). أو هو "اسم الحدث الجاري على الفعل"^(٦).

(١) ينظر: المستقصى في علم التصريف: ٨٢٦ / ٢.

(٢) حكم النبي الأعظم: ١٣٨ / ٧ ، وينظر: معدن الجواهر، أبو الفتح الكراجكي: ٧٢-٧٣.

(٣) ينظر: جامع الدروس العربية: ٥١ / ٢.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٤٨٨ / ٣ ، وينظر: تاريخ بغداد: ٥٥ / ١.

(٥) اللّمع في العربية: ٤٤.

(٦) كافية ابن الحاجب: ١٣٧-١٣٨.

الباب الأول.....بناءً الكلمة في حكم النبي الأعظم

يُعَدّ سيبويه (١٨٠هـ) أول من استعمل مصطلح (المصدر) في كتابه؛ إذ قال: "هذا باب ما يكون المصدر فيه تأكيداً لنفسه نصباً"^(١). وقد استعمل سيبويه والنحويون من بعده مصطلحات مرادفة لمصطلح (المصدر)، وهي: الحدث، واسم الفعل، واسم المعنى، والحدثان^(٢).

والمصدر يدلُّ على الحدث مجرداً من الزمن، يقول في ذلك ابن يعيش (٦٤٣هـ): "المصادر لا تدلُّ على الزمن من جهة اللفظ، وإنما الزمان من لوازمها وضرورتها"^(٣). وهذا التجرد من الزمن هو الذي يميز الفعل عنه.

إنَّ مصادر الأفعال تتنوع وتختلف بحسب تنوع أفعالها، فكلَّ ضربٍ من الأفعال مصادرٌ خاصّةٌ بها، وهذه المصادر على ضربين: قياسيةّ وسماعية. فالقياسية التي لها ضوابطٌ تُضبط بها، وتكون في الأفعال الرباعية والخماسية والسداسية. أمّا الأفعال الثلاثية، فكلُّ مصادرها سماعية^(٤). فالسَّماع لمصادر المضاعف، ولا للثلاثي كلمةٌ قياسٌ تحمل عليه، إنّما ينتهي فيه إلى السَّماع والاستحسان^(٥). والسَّماع في مصادر الفعل الثلاثي يعود لكثرة عددها، وعدم اطرادها تحت قياسٍ معينٍ، فلا يمكن معرفتها إلّا بالرجوع إلى المعاجم وكتب اللغة^(٦). ومع هذا فقد يكون لبعض الأفعال الثلاثية المجردة مصادر قياسية، يمكن أن تُضبط عن طريقها^(٧).

والعلة في كثرة المصادر وتعددها تعود إلى اختلاف اللهجات العربية، وإلى اختلاف دلالات الألفاظ ومعانيها، والأخير هو علة رئيسة في اختلاف المصادر وتعددها^(٨).

وضع الصّرفيون ضوابط وقواعد يمكن عن طريقها معرفة كثير من مصادر الأفعال الثلاثية وغير الثلاثية، دون الرجوع إلى كتب المعاجم واللغة^(٩). لذا سنتناول في هذا المبحث

(١) الكتاب: ١ / ٣٨٠.

(٢) ينظر: الكتاب: ١ / ٣٤-٣٥، والمقتضب: ٣ / ٢١٤.

(٣) شرح المفصل: ١ / ٢٣.

(٤) ينظر: الكتاب: ٤ / ٧-٩، والتبصرة والتذكرة: ٢ / ٧٨٥، وأوضح المسالك: ٢ / ٢٦٠-٢٦١، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٢٠٨، والصرف، حاتم صالح الضامن: ١٢٦-١٢٧.

(٥) المزهري: ٢ / ٩٩.

(٦) ينظر: شرح المفصل: ٦ / ٤٣.

(٧) ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٢١١.

(٨) ينظر: معاني الأبنية في العربية: ١٧-١٨.

(٩) ينظر: ارتشاف الضرب: ٢ / ٣٨٣، والتطبيق الصرفي: ٥٨.

الباب الأول.....بناء الكلمة في حكم النبي الأعظم

المبحث ما جاء في حكم النبي الأعظم من تلك المصادر، سواء القياسية أم السماعية. ولمّا كان هذا المبحث مخصّصاً لدراسة أبنية المصادر، كان لا بُدّ من تقسيم هذا المبحث على مصادر الأفعال الثلاثية، ومصادر الأفعال غير الثلاثية، ثمّ المصدر الميمي، فمصدري المرّة والهيئة.

أولاً: أبنية مصادر الأفعال الثلاثية:

إنّ أبنية مصادر الأفعال الثلاثية تجيء على أمثلة كثيرة بزوائد، وغير زوائد، وذلك أنّ مجازها مجازُ الأسماء، والأسماء لا تقع بقياس، وإنّما استوت المصادر التي تجاوزت أفعالها ثلاثة أحرف فجرت على قياس واحد؛ لأنّ الفعل منها لا يختلف، والثلاثة مختلفة أفعالها الماضية والمضارعة؛ فلذلك اختلفت مصادرها^(١). وقد بيّنت الأستاذة الدكتور خديجة زبار الحمداني عن طريق إحصائها لهذه الأبنية في لسان العرب، أنّ أبنية مصادر الأفعال الثلاثية بلغت تسعة وستون بناءً^(٢). أمّا ما ورد منها في حكم النبي الأعظم، فهو على النحو الآتي:

١- فَعَلَ:

ويغلب هذا البناء في كلّ فعلٍ ثلاثيٍّ متعدٍّ على زنة (فَعَلَ) أو (فَعِل) نحو: قَتَلَ قَتْلًا وَحَمِدَ حَمْدًا^(٣). ويعدّ القدامى هذا البناء أصلَ المصادر كلّها، قال سيبويه (١٨٠هـ): "قالوا: الجَوْلُ والغُلَيّ مع فجاءوا به على الأصل"^(٤). ونقل رضي الدين الاستربادي (٦٨٦هـ) عن سيبويه الرأْي نفسه القائل بأنّ "أصل مصادر جميع الثلاثيِّ متعدّيّا كان أو لازماً (فَعَلَ) ببناء الوحدة"^(٥).

ومما جاء من المصادر على هذا البناء (سَقَى) و(وَسَّرَ)، في قوله (ﷺ): "يا محمّد، لو كانت عبادتنا على وجه الأرض لَعَمَلْنَا ثَلَاثَ خِصَالٍ: سَقَى الْمَاءِ لِلْمُسْلِمِينَ، وإغاثة أصحاب العيال، وَسَّرَ الذَّنُوبَ"^(٦). وهما مصدر الفعل (سَقَى) و(وَسَّرَ).

٢- فُعِلَ:

(١) المقتضب: ١٢٢ / ٢ ، وينظر: شرح المفصل: ٤٣ / ٦.

(٢) ينظر: المصادر والمشتقات في معجم لسان العرب، خديجة زبار الحمداني (أطروحة دكتوراه): ٢٨٨.

(٣) ينظر: الكتاب: ٥ / ٤.

(٤) ينظر: الكتاب: ١٥ / ٤ ، وينظر أيضاً قول المبرّد: المقتضب: ١٢٥ / ٢.

(٥) شرح الرّضي على الشّافية: ١ / ١٧٩.

(٦) حكم النبي الأعظم: ١٣٧ / ٥ ، وينظر: تنبيه الخواطر: ١ / ٤٧.

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

وهو من الأبنية السماعية^(١)، التي أشار سيبويه إليها بقوله: "وقد جاء من مصادر ما ذكرنا على (فعلٍ)، وذلك نحو: الشُّرْبُ والشُّغْلُ"^(٢). ومما ورد على هذا البناء في حكمه (بُغْضٌ، قُرْبٌ)، في قوله عليه الصلاة والسلام: "أما علامة الخائن، فأربعة: عِضْيَانُ الرَّحْمَنِ، وأذى الجيران، وبُغْضُ الأقران، والقُرْبُ إلى الطُّغْيَانِ"^(٣).

٣- فِعَال :

وهذا البناء من الأبنية السماعية^(٤). وقد يكون قياسياً من باب (فَعَلَ) إذا دلَّ على امتناع^(٥)، ومن أمثلة المصادر التي اتخذت هذا البناء ودلَّت على امتناع، (صِيَامٌ)، في قوله (عليه السلام): "طَلَبُ الْعِلْمِ يَوْمًا خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ"^(٦). وهو مصدر الفعل الأجوف (صام).

وقد ورد أيضاً مصدر آخر للفعل الأجوف في قوله (عليه السلام): "عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ؛ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قَرَبَةٌ إِلَى اللَّهِ، وَمَنْهَاجٌ عَنِ الْإِثْمِ"^(٧). و(قيام) مصدر الفعل الأجوف (قام- يقوم).

٤- فُعَال :

وهذا البناء يأتي مصدرًا دالًّا على صوتٍ أو داءٍ، من باب (فَعَلَ) اللازم^(٨). ومن المصادر التي تنتظم في هذا البناء (بُكَاءٌ)، في قوله (عليه السلام): "بُكَاءُ الْمُؤْمِنِ مِنْ قَلْبِهِ، وَبُكَاءُ الْمُنَافِقِ مِنْ هَامَتِهِ"^(٩). و(بُكَاءٌ) هو مصدر الفعل (بكى- يبكي).

٥- فُعُول :

ويغلب مجيء المصدر من (فَعَلَ) اللازم على (فُعُول)^(١٠)، قال رضي الدين الاستربادي (٦٨٦هـ): "وَفَعَلَ اللَّازِمُ عَلَى فُعُولٍ نَحْوُ: دَخَلَ دُخُولٌ"^(١١). ومن المستعمل من الأسماء في

(١) ينظر: أدب الكاتب: ٤١٨ ، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٢٢٧ ، والصرف: ١٢٨-١٢٩.

(٢) الكتاب: ٦ / ٤.

(٣) حكم النبي الأعظم: ٤ / ٦٥٢ ، وينظر: بحار الأنوار: ١ / ١٢٢.

(٤) ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٢٣٣.

(٥) ينظر: المقتضب: ٢ / ١٢٤ ، وارتشاف الضرب: ٢ / ٤٨٥ ، وشرح ابن عقيل: ٣ / ٥٧ ، والصرف الواضح: ١٢٣.

(٦) حكم النبي الأعظم: ١ / ٢٢٤ ، وينظر: كنز العمال: ١٠ / ١٣١.

(٧) حكم النبي الأعظم: ٥ / ٣٠٦ ، وينظر: كنز العمال: ٧ / ٧٩٠.

(٨) ينظر: الكتاب: ٤ / ١٤ ، ومعجم ديوان الأدب: ١ / ٨٥.

(٩) حكم النبي الأعظم: ٥ / ١٢٨ ، وينظر: كنز العمال: ١ / ١٦٩.

(١٠) ينظر: الكتاب: ٤ / ٩ ، والمقتضب: ٢ / ١٢٥ ، وشرح الرضوي على الشافعية: ١ / ١٥٦.

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

هذا البناء (سُرور)، في قوله (ﷺ): "أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى الْمُؤْمِنِ، تَطْرُدُ عَنْهُ جَوْعَتَهُ أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَتَهُ"^(١) و(سُرورٌ) مصدر الفعل (سَرَّ).

٦- فَعُول:

وهو من الأبنية السماعية القليلة في كلام العرب. ولم يرد في كلام العرب على (فَعُول) سوى خمسة أمثلة هي: (الْوُضُوءُ، الْقَبُولُ، الطَّهُّورُ، الْوُلُوعُ، الْوَقُودُ)^(٢). وقد ورد منها في حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ ثلاثة أمثلة، هي: (الْقَبُولُ، الْوُضُوءُ، الطَّهُّورُ).

قال سيبويه في (الْقَبُولُ): "إِنَّ عَلِيَّ لِفُلَانٍ لَقَبُولًا، فَهَذَا مَفْتُوحٌ"^(٣). ومثاله في حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ، قوله (ﷺ): "الْبُكَاءُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ مِفْتَاحُ الرَّحْمَةِ، وَعَلَامَةُ الْقَبُولِ، وَبَابُ الْاجَابَةِ"^(٤). وهو مصدر الفعل (قَبِلَ).

ومثال (الْوُضُوءِ)، في قوله (ﷺ): "فِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ، وَفِي كُلِّ شَيْءٍ إِسْرَافٌ"^(٥). و(الْوُضُوءُ) مصدر الفعل (وَضَّأَ). إِنََّّ مَعَ أَهْمِيَّةِ الْوُضُوءِ وَمَكَانَتِهِ فِي الْإِسْلَامِ، فَهُوَ يُعَدُّ الطَّرِيقَ الْمُمَهِّدَ لِلِقَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِلَّا أَنَّ الْحَدِيثَ يُوَجِّهُ الْمُسْلِمَ إِلَى تَجَنُّبِ الْإِسْرَافِ حَتَّى مَعَ الْوُضُوءِ؛ لِأَنَّ كُلَّ فَعْلٍ زَائِدٌ "عَلَى تَحْصِيلِ حَقِيقَةِ ذَلِكَ الْفِعْلِ وَاجِبًا كَانَ أَمْ مَنْدُوبًا أَمْ مَبَاحًا وَزَائِدًا عَلَى تَحْصِيلِ كَمَالَاتِهِ إِسْرَافٌ"^(٦). وليس بمعنى أَنَّ الْوُضُوءَ هُوَ بَحْدَ ذَاتِهِ إِسْرَافٌ - وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

ومثال (الطَّهُّورِ)، في قوله (ﷺ): "إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَتَى عَلَيْكُمْ فِي الطَّهُّورِ خَيْرًا، فَمَا طَهَّرُكُمْ هَذَا؟ قَالُوا: نَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ، وَنَغْتَسِلُ مِنَ الْجَنَابَةِ، وَنَسْتَجِي بِالْمَاءِ. قَالَ: هُوَ ذَاكَ فَعَلَيْكُمْ بِهِ"^(٧). و(الطَّهُّورُ) مصدر الفعل اللَّازِمُ (طَهَّرَ).

والطَّهُّورُ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُخْتَلَفِ فِيهَا بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، فَجَمْهُورُ الْعُلَمَاءِ يَرَى أَنَّ (الطَّهُّورَ) اسْمٌ لِمَا يَتَطَهَّرُ بِهِ، فَهُوَ آلَةٌ لِلتَّطْهِيرِ كَالسَّحُورِ وَالْفُطُورِ وَالْوَقُودِ، وَهَذَا مَذْهَبُ ثَعْلَبٍ (٢٩١هـ).

(١) شرح الرضي على الشافعية: ١٥٦ / ١.

(٢) حكم النبي الأعظم: ١٤٨ / ٥ ، وينظر: الكافي: ١٩١ / ٢.

(٣) ينظر: التَّبَصُّرَةُ وَالتَّذَكُّرَةُ: ٧٦٤ / ٢.

(٤) الكتاب: ٤٢ / ٤.

(٥) حكم النبي الأعظم: ٣٥٤ / ٥ ، وينظر: إرشاد القلوب: ٩٨.

(٦) حكم النبي الأعظم: ٢٥ / ٥ ، وينظر: كنز العمال: ٣٢٥ / ٩.

(٧) بيان السَّعَادَةِ فِي مَقَامَاتِ الْعِبَادَةِ، سُلْطَانُ مُحَمَّدٍ (سُلْطَانُ عَلِيٍّ شَاهٍ): ١٧٦ / ٢.

(٨) حكم النبي الأعظم: ٢٠٩-٢١٠ / ٢ ، وينظر: المستدرک علی الصحیحین: ٣٦٥ / ٢.

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

وذهب بعضهم إلى أَنَّ (الطَّهْر) صفةٌ، نحو قولنا: ماءٌ طَهُورٌ، أي: طاهرٌ ومطهَّرٌ^(١). والمعنى الأول (اسم لما يتطهر به) هو الرَّاجِحُ في الحديث الشريف؛ إذ إنَّ السَّيَاقَ العامَّ هو استفهامٌ عن الشَّيْءِ الَّذِي يَتَطَهَّرُونَ بِهِ لِلصَّلَاةِ وَالْجَنَابَةِ، أي: آلةِ التَّطْهِيرِ، وهذا التَّطَهُّرُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْمَاءِ؛ لِأَنَّ صِفَةَ الطَّهَارَةِ ثَابِتَةٌ فِيهِ، فَهُوَ طَاهِرٌ فِي نَفْسِهِ وَمَطَهَّرٌ لْغَيْرِهِ^(٢).

٧- فَعِيل:

وهذا البناء يدلُّ على صوتٍ أو سيرٍ لمصدرٍ من باب (فَعَلَ) اللَّازِمِ^(٣). وممَّا يُسْتَشْهَدُ بِهِ مِنَ الْمَصَادِرِ الْوَارِدَةِ فِي حَدِيثِهِ الْمُبَارَكِ عَلَى هَذَا الْبِنَاءِ الصَّرْفِيِّ، (الرَّحِيلُ)، فِي قَوْلِهِ (ﷺ): "يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، شَمِّرُوا فَإِنَّ الْأَمْرَ جِدٌّ، وَتَأَهَّبُوا فَإِنَّ الرَّحِيلَ قَرِيبٌ، وَتَرَوْدُوا فَإِنَّ السَّفَرَ بَعِيدٌ، وَخَفِّفُوا أَنْثَالَكُمْ، فَإِنَّ وَرَاءَكُمْ عَقَبَةً كَوْوَدًا لَا يَقْطَعُهَا إِلَّا الْمُخْفُونَ"^(٤). وهو مصدر الفعل (رَحَلَ).

٨- فَعَالَةٌ:

ويطرَّد في هذا البناء كُلُّ فَعَلٍ مضموم العين في الماضي^(٥). وقد نصَّ سيبويه (١٨٠هـ) على قِيَاسِيَّةِ هَذَا الْمَصْدَرِ مِنَ الْفِعْلِ (فَعَلَ)؛ إذ قَالَ: "أَمَّا مَا كَانَ حُسْنًا أَوْ قُبْحًا فَإِنَّهُ مِمَّا يَبْنَى فِعْلُهُ عَلَى فَعَلٍ يَفْعُلُ؛ وَيَكُونُ الْمَصْدَرُ فَعَالًا وَفَعَالَةً...وذلك قولك: قَبَحَ يَقْبُحُ قَبَاحَةً"^(٦) ومن شواهد المصادر الَّتِي جَاءَتْ عَلَى هَذَا الْبِنَاءِ، (الطَّهَارَةُ)، الْوَارِدَةُ الْحَدِيثَ الشَّرِيفَ "أَنَّهُ (ﷺ) شَكَا إِلَيْهِ رَجُلٌ قَلَّةَ الرِّزْقِ، فَقَالَ (ﷺ): ادْمِ الطَّهَارَةَ يَدْمُ عَلَيْكَ الرِّزْقُ. فَفَعَلَ الرَّجُلُ ذَلِكَ فَوَسَّعَ عَلَيْهِ الرِّزْقُ"^(٧). و(الطَّهَارَةُ) مصدر الفعل (طَهَّرَ).

ويكون هذا البناء أيضًا مصدرًا للفعل الثلاثي من باب (فَعَلَ)^(٨)، ومثاله في حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ (الْفَنَاعَةُ) فِي حِكْمَتِهِ الْمُبَارَكَةِ: "الْفَنَاعَةُ بَرَكَةٌ"^(٩). و(الْفَنَاعَةُ) مصدر الفعل (فَنَعَ).

٩- فَعَالَةٌ :

(١) ينظر: الْكَشَافُ : ٣٥٥-٣٥٦ ، ومفاتيح الغيب (تفسير الرازي): ٢٣ / ٢٢٦ ، والبحر المحيط في التفسير: ٨ / ١١٥.

(٢) ينظر: كتاب الطَّهَارَةِ، أَبُو الْقَاسِمِ الْخُوَيْنِيُّ: ٣ / ٥٩.

(٣) ينظر: الْكِتَابُ: ١٤ / ٤ ، وَأَدَبُ الْكَاتِبِ: ٤١٧ ، وَشَرْحُ الْأَشْمُونِيِّ: ٢ / ٣٤٨.

(٤) حِكْمُ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٤ / ٢٦١ ، وَيَنْظُرُ: بَحَارُ الْأَنْوَارِ: ٧٧ / ١٨٦.

(٥) ينظر: الْمُقْتَضِبُ: ٢ / ١٢٦ ، وَأَبْنِيَةُ الصَّرْفِ فِي كِتَابِ سَيْبَوِيهِ: ٢١٧.

(٦) الْكِتَابُ: ٤ / ٢٨.

(٧) حِكْمُ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٧ / ١٠٩ ، وَيَنْظُرُ: عَوَالِي اللَّثَالِي: ١ / ٢٦٨.

(٨) ينظر: أَدَبُ الْكَاتِبِ: ٤١٨ ، وَارْتِشَافُ الصَّرْبِ: ٢ / ٤٨٤.

(٩) حِكْمُ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٧ / ١٠٠ ، وَيَنْظُرُ: جَامِعُ أَحَادِيثِ الشَّيْعَةِ: السَّيِّدُ الْبُرُوجَرْدِيُّ: ٨ / ٤٦٥.

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

وهذا البناء يكون دالاً على ولاية أو حرفة من أبواب الفعل الثلاثي^(١). ومما ورد في حكمه (ﷺ) على هذا البناء، (العبادة)، في حديثه الحكيم المبارك: "السَّكِينَةُ زِينَةُ الْعِبَادَةِ"^(٢). و(العبادة) مصدر الفعل الثلاثي (عَبَدَ).

١٠- فِعْلَان :

وهو من الأبنية السماعية أيضاً^(٣) ومثاله (كُتِمَانُ)، في قوله (ﷺ) (كُتِمَانُ الْبَائِعِ عَيْبُ عَيْبٍ مَا بَاعَهُ غَشٌّ"^(٤). و(كُتِمَانُ) مصدر الفعل (كَتَمَ).

١١- فَعْلَةٌ:

وهذا البناء من الأبنية السماعية؛ إذ سُمع بأبواب متعددة، منها باب (فَعَلَ)^(٥). وأشار إليه إليه سيبويه (١٨٠هـ) بقوله: "وقالوا: الفَعْلَةُ نحو الرَّحْمَةِ واللَّيْقَةِ"^(٦). ومن أمثلة المصادر التي التي اتَّخَذَتْ هذا البناء (الرَّحْمَةُ)، في الحديث المبارك: "الدُّعَاءُ مِفْتَاحُ الرَّحْمَةِ"^(٧)، و(الرَّحْمَةُ) و(الرَّحْمَةُ) مصدر الفعل (رَجِمَ).

ثانياً: أبنية مصادر الأفعال الزائدة على ثلاثة أحرف:

إنَّ مصادر الأفعال غير الثلاثية "تجري على سَنَنِ لا يختلف، وقياسٍ واحدٍ مطَّردٍ في غالب الأمر وأكثره؛ وذلك لأنَّ الفعل بها لا يختلف، والثلاثية مختلفة أفعالها الماضية والمضارعة فلاختلاف الثلاثية اختلفت مصادرها ولعدم اختلاف ما زاد منها على الثلاثة جرت على منهاجٍ واحدٍ لم يختلف"^(٨).

وقد ورد عددٌ من أبنية مصادر الأفعال المزیدة في حِكمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ، فيما يأتي تفصيلها:

(١) ينظر: معجم ديوان الأدب: ١ / ٨٦ ، والمقرَّب: ٢ / ١٣١ ، وشرح الأشموني: ٢ / ٣٤٨.

(٢) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٥ / ١٣٧ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧ / ١٣١.

(٣) ينظر: أبنية الصَّرف في كتاب سيبويه: ٢٣٥.

(٤) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٧ / ٥٤.

(٥) ينظر: أبنية الصَّرف في كتاب سيبويه: ٢٣٠.

(٦) الكتاب: ٤ / ٨.

(٧) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٥ / ٣٣٦ ، وينظر: الكافي: ٤ / ٣٠٦.

(٨) شرح المفصل: ٦ / ٤٧ ، والتبصرة والتذكرة: ٢ / ٧٧٢.

١- إفعال:

ويطرّد هذا البناء مصدرًا لكل فعل ثلاثي مزيد بالهمزة^(١). ومن المصادر التي تنتظم في هذا البناء، (إطعام، إطياب)، في قوله (عليه السلام) عندما سُئل عن أفضل الأعمال: "إطعام الطَّعام، وإطياب الكلام"^(٢). وهما مصدر الفعلين المزيدين بالهمزة في أولها (أطعم، أطيّب). أطيّب).

٢- مُفاعلة :

وهو مصدر الفعل الثلاثي المزيد بحرف واحد على زنة (فاعِل)، وهو مزيد بالالف بعد فائه^(٣). ومما ورد في حكم النبي الأعظم على هذا البناء (مُجالسة)، في قوله (عليه السلام): "ثلاثة مُجالستهم تُميت القلب: مُجالسة الأندال، ومُجالسة الأغنياء، والحديث مع النساء"^(٤). وهو مصدر الفعل الثلاثي المزيد بالالف (جالَس).

٣- تفعيل :

وهذا البناء يكون مصدرًا لكل فعل ثلاثي مزيد بتضعيف عينه (فَعَّل)^(٥). ومن أمثلة المصادر التي اتخذت هذا البناء، (التَّسبيح، التَّهليل، التَّكبير)، في قوله (عليه السلام): "أمّتي على ثلاثة أصناف: صِنْفٌ يُشَبَّهون بالأنبياء، وصِنْفٌ يُشَبَّهون بالملائكة، وصِنْفٌ يُشَبَّهون بالبّهائم. فأما الذين يُشَبَّهون بالأنبياء، فهِمَّتُهُم الصَّلاة والزَّكاة. وأما الذين يُشَبَّهون بالملائكة، فهِمَّتُهُم التَّسبيح والتَّهليل والتَّكبير. وأما الذين يُشَبَّهون بالبّهائم، فهِمَّتُهُم الأكل والشُّرب والنَّوم"^(٦). وهذه المصادر المذكورة هي مصادر للأفعال التالية المزيدة بالتضعيف: سَبَّح، هَلَّل، كَبَّر.

٤- افتعال :

(١) ينظر: المقضب: ٩٩ / ٢ ، والتبصرة والتذكرة: ٧٧٤ / ٢ ، وشذا العرف: ١١٦ .

(٢) حكم النبي الأعظم: ١٤٧ / ٥ ، وينظر: بحار الأنوار: ٣١٢ / ٧١ .

(٣) ينظر: الكتاب: ٨٠ / ٤ ، وارتشاف الضرب: ٤٩٩ / ١ ، والصرف الواضح: ١٢٨ .

(٤) حكم النبي الأعظم: ٣٨٤ / ٣ ، وينظر: الخصال: ١٢٥ .

(٥) ينظر: شرح المفصل: ٤٨ / ٦ ، وشرح الرضي على الشافية: ١٩٤ / ١ ، وشذا العرف: ١١٦ .

(٦) حكم النبي الأعظم: ٢٤٧ / ٣ ، وينظر: جامع الأخبار، محمد السبزواري: ٢٧٠ .

الباب الأول.....بناء الكلمة في حكم النبي الأعظم

ويجيء هذا البناء مصدرًا للفعل الثلاثي المزيد بالهمزة والتاء^(١). ومما سُجِّل من المصادر في حكمه (سورة) على هذا البناء، (اقتطاع)، في قوله (سورة): "إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِقَوْمٍ نَمَاءً رَزَقَهُمُ الْقَصْدَ وَالْعِفَافَ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ اقْتِطَاعًا فَتَحَ عَلَيْهِم بَابَ خِيَانَةٍ"^(٢) وهو مصدر الفعل (اقتطع) المزيد بالهمزة والتاء.

٥- انفعال:

وهذا البناء يكون مصدرًا للفعل الثلاثي المزيد بالهمزة والنون^(٣). ومن المصادر التي وردت على هذا البناء (انفجار)، في قوله (سورة): "إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ... نَادَى مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى انفجارِ الصُّبْحِ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ هَلُمَّ! وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ انتَه..."^(٤). وهو مصدر الفعل (انفجر) المزيد بالهمزة والنون.

٦- تفاعل :

وهذا البناء مصدر الفعل الثلاثي المزيد بالتاء والألف على زنة (تفاعل)^(٥). ومثال هذا البناء (التكاثر)، في قوله (سورة): "مَا أَخْشَى عَلَيْكُمُ الْفَقْرَ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمُ التَّكَاثُرَ"^(٦). و(التكاثر) مصدر الفعل (تكاثر) المزيد بالتاء والألف.

٧- تفعّل :

ويطرّد هذا البناء في كلّ فعلٍ ثلاثيٍّ مزيدٍ بالتاء وتضعيف العين^(٧). وقد بيّن سيبويه (١٨٠هـ) قياسية هذا البناء في (تفعّل)، بقوله "وأما مصدر (تفعّلت) فإنه (التفعّل)، جاءوا فيه بجميع ما جاء في (تفعّل)، وضُمُّوا العين لأنه ليس في الكلام اسمٌ على (تفعّل)، ولم يلحقوا الياء فيلتبس بمصدر (فعلت) ولا غير الياء؛ لأنه أكثر من (فعلت)، فجعلوا الزيادة عوضاً من ذلك"^(٨). ومما سُجِّل من المصادر على هذا الشكل الصرفي (التبقر)، في قوله (

(١) ينظر: الكتاب: ٧٨-٧٩ ، وأدب الكاتب: ٤٢٠.

(٢) حكم النبي الأعظم: ١٢٩ / ٧ ، وينظر: الدر المنثور: ١٢ / ٣.

(٣) ينظر: التبصرة والتذكرة: ٧٧٣ / ٢ ، وشذا العرف: ١١٦-١١٧.

(٤) حكم النبي الأعظم: ١٩ / ٦ ، وينظر: تاريخ بغداد: ٢٨٤ / ١.

(٥) ينظر: الكتاب: ٨١ / ٤ ، وشرح المفصل: ٤٩ / ٦.

(٦) حكم النبي الأعظم: ١٦٢ / ٧ ، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ٤٤٠ / ١٤.

(٧) ينظر: الكتاب: ٧٩ / ٤ ، وأدب الكاتب: ٤٢٠.

(٨) الكتاب: ٧٩ / ٤.

الباب الأول.....بناء الكلمة في حكم النبي الأعظم

(عليه السلام): "تهى عن التَّبَقُّرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ"^(١). وهو مصدر الفعل (تَبَقَّرَ) المزيد بالتاء وتضعيف القاف. و(التَّبَقُّر) هو التَّوَسُّع والإكثار^(٢).

٨- أَفْعِلَال :

وهو مصدر الفعل الثلاثي المزيد بالهمزة وتضعيف اللام (أَفْعَلَّ)^(٣). ومما سُجِّلَ من مصادر على هذا الشكل الصَّرْفِيّ، (ازورار)، في قوله (عليه السلام): "مَا مِنْ صَاحِبِ كَنْزٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاةَ كَنْزِهِ إِلَّا جِيءَ بِكَنْزِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُحْمَى بِهِ جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ؛ لِعُبُوسِهِ وَازْوَرَارِهِ وَجَعَلِ السَّائِلِ وَالسَّاعِي وَرَاءَ ظَهْرِهِ"^(٤) و(ازورار) مصدر الفعل (ازور) المزيد بالهمزة في أوله وتضعيف اللام. وفي المصدر فكّ الادغام في آخر الفعل، مع كسر الحرف الثالث، وزيدت ألف قبل آخره، فضلاً عن زيادة همزة الوصل في أوله^(٥).

ومعنى (الازورار) هو الميل والانحراف عن الشيء والعدول عنه^(٦)، ومثالها في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿وَكَرَّمِ الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوَعُ عَنْ كُنْهِنَّ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾^(٧).

٩- فَعْلَلَة:

وهذا البناء مصدر قياسي في كل فعل رباعي مجرّد (فَعْلَل) ^(٨)، ومما ورد في حديثه (عليه السلام) على هذا البناء الصَّرْفِيّ، (طَنْطَنَة)، في قوله (عليه السلام): "لَا تَنْظُرُوا إِلَى كَثْرَةِ صَلَاتِهِمْ وَصَوْمِهِمْ وَكَثْرَةِ الْحَجِّ وَالْمَعْرُوفِ وَطَنْطَنْتِهِمْ بِاللَّيْلِ، وَلَكِنْ انظُرُوا إِلَى صَدَقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ"^(٩). و(طَنْطَنَة) مصدر الفعل الرباعي المجرّد (طَنْطَن).

ثالثاً: أبنية المصدر الميمي:

إنَّ النّحويّين القدامى أغلبهم لم يضعوا حدّاً للمصطلح المصدر الميمي؛ ولكن نجدهم قد تطرّقوا إلى بنائه وكيفية اشتقاقه. فهذا سيبويه (١٨٠هـ) يوضح لنا الكيفية التي يُشتقُّ بها

(١) حكم النبي الأعظم: ١٤٥ / ٧ ، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ٢٤٤ / ٧.

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ١ / ١٤٤ ، ولسان العرب: ١ / ٤٥٩ (بقر).

(٣) ينظر: الكتاب: ٤ / ٧٨-٧٩ ، وشرح المفصل: ٦ / ٤٩.

(٤) حكم النبي الأعظم: ١٤٧ / ٧ ، وينظر: جامع أحاديث الشيعة: ٨ / ١٦.

(٥) ينظر: ارتشاف الضرب: ٢ / ٤٩٥ ، والمهذب في علم التصريف: ٢٢٤.

(٦) ينظر: لسان العرب: ٦ / ١١٠-١١١ (زور).

(٧) سورة الكهف، آية: ١٧.

(٨) ينظر: شرح المفصل: ٦ / ٤٨ ، والصرف الواضح: ١٣١-١٣٢.

(٩) حكم النبي الأعظم: ٤ / ٤٥١ ، وينظر: عيون أخبار الرضا: ٢ / ٥١.

الباب الأول.....بناء الكلمة في حكم النبي الأعظم

المصدر الميمي، يقول في ذلك: "فإذا أردت المصدر بنيته على (مَفْعَلٍ)، وذلك قولك: إنَّ في ألف درهم لَمْضَرِبًا؛ أي لَمْضَرِبًا. قال الله عزَّ وجلَّ ﴿أَيْنَ الْمَفْرُ﴾^(١) يريد: أين الفرار"^(٢).

واستمر النحويون على ترديد ما قاله إمامهم في النحو، حتَّى جاء ابن هشام (٧٦١هـ) فكان أول من أدخل هذا المصطلح في الاستعمال النحوي في حديثه عن المصدر؛ إذ قال: "ما بُدِيَء بميم زائدة لغير المفاعلة، كالمَضْرِبِ والمَقْتُلِ؛ وذلك لأنَّه مصدر في الحقيقة، ويسمَّى المصدر الميمي، وإنَّما سَمَّوه أحياناً اسم مصدر تَجَوُّزاً"^(٣).

أمَّا عند المحدثين، فكان الأمر مختلفاً؛ إذ كان مصطلح المصدر الميمي أكثر وضوحاً، وراح بعضهم يلتمس الفروق الدلالية بين المصدر الميمي والمصدر الاعتيادي. فمن حيث المفهوم الاصطلاحي حدَّه بعضهم بأنَّه "اسمٌ يدلُّ على الحدث، وأوله ميم زائدة، وليس على وزن (مفاعلة) ... وهو كالمصدر الأصلي في معناه واستعماله، ولا يخالفه إلَّا في صورته اللفظية"^(٤).

وأمَّا من حيث دلالاته، فيرى الدكتور فاضل السامرائي أنَّه يختلف عن المصدر الاعتيادي في المعنى ولا يطابقه؛ معللاً ذلك باختلاف أبنيتهما؛ إذ يرى أنَّ المصدر الميمي يحمل معه عنصر الذات بخلاف المصدر الاعتيادي الذي هو حدثٌ مجردٌ من كلِّ شيء^(٥)، مستشهداً على ذلك بما ذكره الزاغب الأصفهاني (٤٢٥هـ) عند تفريقه بين (التوبة) و(المتاب)، فالأخير دلٌّ على ترك قبائح الأعمال، والتَّحري عن جميلها. في حين دلَّ المصدر الاعتيادي (التوبة) على ترك الذنب وعدم المعاودة إليه^(٦).

ومنهم من يرى أنَّ المصدر الميمي هو أقوى دلالةً من المصدر الاعتيادي، وهذه القوة الدلالية تعود لوجود الميم بداية المصدر^(٧).

(١) سورة القيامة، آية: ١٠.

(٢) الكتاب: ٨٧ / ٤ ، وينظر: المقتضب: ١١٨-١٢١ / ٢ ، والأصول في النحو: ٣ / ١٤١ ، وشرح المفصل: ٦ / ٥٣ ، وشرح الرضي على الشافية: ١ / ١٦٨ ، وارتشاف الضرب: ٢ / ٥٠٢.

(٣) شرح شذور الذهب: ٢١١ ، وينظر: همع الهوامع: ٥ / ٧٧.

(٤) تصريف الأسماء والأفعال: ١٤٥ ، وينظر: أبنية الصَّرف في كتاب سيبويه: ٢٢١ ، والصَّرف الكافي: ١٥٢ ،

والمهذَّب في علم التَّصريف: ٢٨١ ، والصَّرف الوافي: ٧٢.

(٥) ينظر: معاني الأبنية في العربية: ٣١-٣٣.

(٦) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ١٦٩.

(٧) ينظر: الصَّيَّاء في تصريف الأسماء: ٦٦-٦٧ ، والصَّرف الواضح: ١٣٩.

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

وما ذكر من فروقٍ دلالية هي في محطِّ الصواب؛ إذ إنَّ هذه الميم هي زيادةٌ وقوَّةٌ في المعنى، فالعرب لا تزيد في أبنيتها إلَّا لمعنى جديد يختلف عمَّا في مجرّد البناء الأصلي ولهذا قالوا: كلَّ زيادةٍ في المبنى هي زيادةٌ في المعنى. ولو كان كالمصدر الاعتيادي لما جاءوا بالميم.

وللمصدر الميمي من الفعل الثلاثي بناءان قياسيان، هما:

١ - مَفْعَل:

وهذا البناء مطَّرد في كلِّ فعلٍ ثلاثيٍّ مجرَّد على ألا يكون مثلاً واوياً تحذف فاؤه عند المضارع^(١). ومن أمثلة ما ورد في حديثه الشريف على هذا البناء (مَآب)، في قوله (سَلَامٌ) : "إخواني من أولي العزم من الرُّسُلِ قد صَبَرُوا على ما هُوَ أَشَدُّ مِنْ هذا، فَمَضَوْا على حالِهِمْ، فَقدِمُوا على رَبِّهِمْ، فَأَكْرَمَ مَآبَهُمْ"^(٢). و(مَآب) مصدر ميمي من الفعل الثلاثي (آب). إنَّ الفرق بين المصدر الميمي (مَآب) والمصدر الاعتيادي (إِيَاب)، أنَّ الأخير يدلُّ على حدث الرجوع فقط^(٣). أمَّا (مَآب)، فهو حسن المرجع الذي يصير إليه العبد في دار الآخرة، و(فَأَكْرَمَ مَآبَهُمْ) في الحديث الشريف، أي: أكرم مصيرهم ومنقلبهم، وذلك الإكرام يكون بالجنة^(٤).

وقد ورد في حكمه (سَلَامٌ) مصدر ميمي على زنة (مَفْعَلَة)، وهذا المصدر يدلُّ على سبب كثرة الفعل^(٥). ومثال ما ورد في حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ على هذا البناء، (مَجِبَّة) و(مَبْخَلَة) و(مَحَزَّة)، في قوله (سَلَامٌ) "الْوَلَدُ ثَمَرُ الْقَلْبِ، وَإِنَّهُ مَجِبَّةٌ مَبْخَلَةٌ مَحَزَّةٌ"^(٦). فكلُّ من (مَجِبَّة) و(مَبْخَلَة) و(مَحَزَّة) مصدر ميمي، ومعنى الحديث المبارك: إنَّ مع

(١) ينظر: شرح الرُّضِي على الشَّافِيَّة: ١ / ١٦٨ ، وتصريف الأسماء والأفعال: ١٤٥.

(٢) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَم: ٤ / ٥٢ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٣ / ٢٠٩.

(٣) ينظر: لسان العرب: ١ / ٢٥٧ (أوب).

(٤) ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة: ١ / ٣٧٧.

(٥) ينظر: شرح الرُّضِي على الشَّافِيَّة: ١ / ١٦٢ ، وارتشاف الضَّرْب: ٢ / ٥٠٥ ، ومعاني الأبنية في العربية: ٣٤ - ٣٥.

(٦) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَم: ٤ / ١٣٢ ، وينظر: التَّوْحِيد، الشَّيْخ الصَّدُوق: ٣٨٨.

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

مجيء الولد يزداد هم أبيه ونصبه، فيكون الولد مظنة الجبن والبخل؛ لأنَّ الرجل يكون بخيلاً يحبُّ بقاء المال لولده، وجباً يتخلف عن الحرب؛ لأنَّه يحبُّ البقاء عنده ولده^(١).

٢- مَفْعُل:

وهذا البناء قياسيٌّ يطرد في كلِّ فعلٍ ثلاثيٍّ مثال واويٍّ، صحيح آخره، تحذف فاؤه في المضارع^(٢).

ومثال ما ورد لهذا البناء (مَوَعِد)، في قوله ﷺ بعد أن صَلَّى على شهداء أحد: "إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرِطٌ ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ ، وَإِنَّ مَوَعِدَكُمْ الْحَوْضُ ، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا ، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا"^(٣). و(مَوَعِد) مصدر ميميٌّ من الفعل المثال (وَعَدَ - يَعِدُ).

وقد ورد مصدرٌ ميميٌّ على هذا البناء من الفعل الأجوف اليائي، في قوله المبارك: "إِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ " كَلِمَةً عَظِيمَةً كَرِيمَةً عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، مَنْ قَالَهَا مُخْلِصًا اسْتَوْجَبَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ قَالَهَا كَاذِبًا عَصَمَتْ مَالَهُ وَدَمَهُ ، وَكَانَ مَصِيرُهُ إِلَى النَّارِ"^(٤) . نلاحظ أنَّ المصدر الميميَّ (مصير) من الفعل (صار - يصير).

وفي مجيء المصدر من الفعل الأجوف اليائي ثلاثة مذاهب، الأول فتح العين، وهو القياس، والثاني أنت بالخيار بين الفتح والكسر، والثالث الاقتصار على السماع، وقد رجَّح أبو حيان (٧٤٥هـ) الرأْي القائل بالسماع^(٥).

أمَّا اشتقاق المصدر الميميِّ من الأفعال غير الثلاثية، فهو كاشتقاق اسم المفعول واسمي الزَّمان والمكان؛ إذ يُشتقُّ على زنة مضارعه مع إبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وفتح ما قبل الآخر^(٦).

(١) ينظر: ارتشاف الضرب: ١ / ٥٠٥ في الهامش، المساعد على تسهيل الفوائد: ٢ / ٦٣٧ ، وحاشية الصَّبَّان: ٢ / ٤٧١ في الهامش.

(٢) ينظر: ارتشاف الضرب: ٢ / ٥٠٢ ، أبنية الصَّرف في كتاب سيبويه: ٢٢١.

(٣) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَم: ٧ / ١٦٥ ، وينظر: صحيح البخاري: ٤ / ١٤٨٦.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٢ / ٥٥٤ ، وينظر: التَّوْحِيد، الشَّيْخ الصَّدُوق: ٢٣ .

(٥) ينظر: ارتشاف الضرب: ١ / ٥٠١ ، والمساعد على تسهيل الفوائد: ٢ / ٦٣٣.

(٦) ينظر: الكتاب: ٤ / ٩٢ ، وشرح الرِّضِيِّ عَلَى الشَّافِيَّة: ١ / ١٧٤ ، التَّطْبِيق الصَّرْفِي: ٦٣.

الباب الأول.....بناءً الكلمة في حكم النبي الأعظم

ومثال ما ورد من مصدر ميميّ اشتقّ من فعل غير ثلاثيّ، (الْمُنْتَهَى)، في قوله (ﷺ): "إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اغْتَمَّ، فَأَمَرَهُ جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَغْسِلَ رَأْسَهُ بِالسِّدْرِ، وَكَانَ ذَلِكَ سِدْرًا مِنْ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى"^(١). على زنة (مُنْتَعَلَ) وهو من الفعل (انتهى) المزيد بالهمزة والتاء.

رابعاً: مصدر المرة:

لم يضع النحويّون القدامى حدّاً لمصدر المرة؛ ولكنهم تطرّقوا لطريقة صياغته، وأوّل من ذكره سيبويه؛ إذ قال: "وإذا أردت المرة الواحدة من الفعل جئت به أبداً على فَعْلَةٍ على الأصل، لأنّ الأصل فَعَلَ"^(٢). وقد أجمع العلماء من بعد سيبويه (١٨٠هـ) بأنّ إذا أريد بيان مصدر المرة جيء به على (فَعْلَةٍ)^(٣).

أمّا عند اللّغويّين المحدثين، فقد حدّوا مصدر المرة بأنّه "اسمٌ مصوغٌ من المصدر الأصليّ، للدّلالة على حدوث الفعل مرّة واحدة. نحو: ضربتُ الأرض ضربة...إنّه يتضمّن معنى المصدر الأصليّ وهو الحدث. ومعنى مصدر التّوكيد، ومعنى خاصّاً، هو عدد حدوث الفعل"^(٤).

وقد ورد مصدر المرة في حكمه (ﷺ) كثيراً، منها (زَلَّة)، في قوله (ﷺ): "احذروا زَلَّةَ الْعَالَمِ، فَإِنَّ زَلَّتْهُ تَكْبِكُهُ فِي النَّارِ"^(٥). فالمصدر (زَلَّة) دلّ على حدوث الفعل مرّة واحدة فقط؛ ليدلّ على أنّ الوقوع في الزّلل ولو كان لمرة واحدة فإنّه يؤدّي بالعالم إلى النار؛ لأنّ زَلَّةَ الْعَالَمِ تعني فساد المجتمع كلّّه.

(١) حكم النبي الأعظم: ٢٣٨ / ٧ ، وينظر: من لا يحضره الفقيه: ٥٠٥ / ٦.

(٢) الكتاب: ٤٥ / ٤ ، وينظر: الأصول في النحو: ١١٠ / ٣.

(٣) ينظر: المقتضب: ٣٧٢ / ٣ ، وشرح المفصل: ٥٦ / ٦ ، وشرح الرّضي على الشّافية: ١ / ١٨٠ ، وتوضيح المقاصد: ٨٦٨ / ٢.

(٤) تصريف الأسماء والأفعال: ١٤٢-١٤٣ ، وينظر: شذا العرف: ١١٩ ، وجامع الدّروس العربيّة: ١ / ١٧٥ ، والصّرف الواضح: ١٤٥ ، والمهذّب في علم النّصريف: ٢٧٨.

(٥) حكم النبي الأعظم: ٣٤٤ / ١ ، وينظر: كنز العمال: ١٣٥ / ١٠.

الباب الأول.....بناءُ الكلمةِ في حكمِ النَّبيِّ الأعظمِ

ومَّا ورد أيضًا في حكمِ النَّبيِّ الأعظم (دَعْوَة)، في قوله (ﷺ): "أوصي الشَّاهدَ من أمتي والغائبَ أن يُجيبَ دَعْوَةَ المُسلمِ ولو على خَمْسَةِ أُميالٍ؛ فإنَّ ذلكَ مِنَ الدِّينِ"^(١). فقد استعمل المصدر (دَعْوَة) ليدلُّ على حدوث الفعل مرَّة واحدة.

ومنها (سَجْدَة) في قوله (ﷺ): "إنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وآله كانَ في سَفَرٍ يَسِيرُ على ناقةٍ لَهُ؛ إذ نَزَلَ فَسَجَدَ خَمْسَ سَجَدَاتٍ، فَلَمَّا أن رَكِبَ قالوا: يا رسولَ اللهِ، إنَّا رأيناكَ صَنَعْتَ شيئًا لَمْ تَصْنَعْهُ! فقال: نَعَمْ، استَقْبَلَنِي جِبْرِيلُ (عليه السَّلام) فَبَشَّرَنِي ببَشَارَاتٍ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَسَجَدْتُ لَهِ شُكْرًا لِكُلِّ بُشْرَى سَجْدَةً"^(٢). فالمصدر (سَجْدَة) دلَّ على حدوث الفعل مرَّة واحدة لكلِّ بُشْرَى تلقَّاهَا (ﷺ) من جبرائيل عليه السَّلام.

خامسًا: مصدر الهيئة:

ذكر التَّحويُّون القدامى صيغته وطريقة اشتقاقه؛ ولكن دون أن يضعوا حدًّا له^(٣). أمَّا المحدثون، فقد حدَّوه بأنَّه "المصدر الَّذي يؤتى به للدَّلالة على هيئة وقوع الحدث"^(٤). وله بناءٌ واحدٌ وهو (فِعْلَة)^(٥).

ومن أمثلة ما ورد في حكمِ النَّبيِّ الأعظم (الْقِتْلَة) و(الذَّبْحَة)، في قوله (ﷺ): "إذا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وإذا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ"^(٦). ف(الْقِتْلَة) و(الذَّبْحَة) هما مصدرًا هيئة من الفعلين (قَتَلَ) و(ذَبَحَ)، يبينان هيئة الفعل أو الحدث عند وقوعه.

ومن أمثله (مِيتَة)، في قوله (ﷺ): "جَجَّ تَتْرَى وَعُمَرُ نَسَقًا. تَدْفَعُ مِيتَةَ السَّوِّءِ وَعِيلَةَ الْفَقْرِ"^(٧). و(مِيتَة) مصدر هيئة للفعل (مات)، دلَّ على هيئة الموت عند وقوعه.

(١) حكم النَّبيِّ الأعظم: ٧ / ٤٧٣ ، وينظر: الكافي: ٦ / ٢٧٤.

(٢) حكم النَّبيِّ الأعظم: ٤ / ٤٤٤ ، وينظر: الكافي: ٢ / ٩٨.

(٣) ينظر: الكتاب: ٤ / ٤٤ ، وشرح الرُّضِّي على الشَّافِيَّة: ١ / ١٨٠ ، شرح المفصَّل: ٦ / ٥٧ ، وارتشاف الضَّرْب: ٢ / ٥٠٤ ، وتوضيح المقاصد: ٢ / ٨٦٨.

(٤) أبنية الصَّرف في كتاب سيبويه: ٢٢٥.

(٥) ينظر: الكتاب: ٤ / ٤٤ ، وشذا العرف: ١١٩ ، والصَّرف الواضح: ١٤٧.

(٦) حكم النَّبيِّ الأعظم: ٦ / ٥٤٨-٥٤٩ ، وينظر: كنز العمَّال: ٥ / ٣٩٢.

(٧) حكم النَّبيِّ الأعظم: ٧ / ١٠٩ ، وينظر: كنز العمَّال: ٥ / ٩.

المبحث الخامس

النسب والتصغير

أولاً: النسب:

إنَّ لهذا الباب تسميتين عند التَّحويين هما: باب النسب وباب الإضافة، وقد جمع سيبويه (١٨٠هـ) بينهما فقال: "هذا باب الإضافة، وهو باب النسبة"^(١).

والنسب هو "إلحاق آخر الاسم ياء مشددة مسكور ما قبلها، للدلالة على نسبة شيء إلى آخر"^(٢). هو أحد أساليب الإيجاز في اللغة العربيّة؛ إذ يحقّق إيجازاً بليغاً، عند طريق نسب شيئاً لآخر، فإذا أردنا نسبة شخص إلى (الموصل) نقول: موصليّ بدلاً من أن نقول: هذا منسوب إلى الموصل، أو هذا موصليّ^(٣). أمّا المنسوب، فهو "الاسم الملحق بآخره ياء مشددة مكسور ما قبلها ليدلّ على نسبته إلى الاسم المجرد منها"^(٤).

إنَّ الاسم المنسوب تصيبه تغيرات ثلاثة: لفظيّة، ومعنويّة، وحكميّة. فأما اللفظيّة، فتتمثّل بزيادة الياء آخر الاسم. أمّا التّغيير المعنويّ، فيتمثّل بصيرورة المنسوب إليه اسماً للمنسوب، فالزيادة اللفظيّة البسيطة (زيادة الياء)، ولدت لنا زيادة معنويّة كبيرة. وأمّا التّغيير الأخير، فهو التّغيير الحكمي، الذي يتمثّل برفع ما بعد الاسم المنسوب على الفاعليّة، نحو هاشم قيسيّ أبوه^(٥).

ومن المفيد أن نشير إلى أنَّ الاسم الذي تُضاف له ياء النسب يعدُّ مؤوَّلاً بالمشتقّ فهو يتضمّن معنى المشتقّ ألا وهو (المنسوب إلى كذا)^(٦)، وإلى مثل هذا أشار أبو عليّ الفارسيّ الفارسيّ (٣٧٧هـ) بقوله: "ويصيرُ الاسمُ لِلْحاقِ الياءين له صفةٌ لِلَّذي تَنَسَّبُ إليه بعد أن لم

(١) الكتاب: ٣ / ٣٣٥ ، وينظر: الأصول في النحو: ٣ / ٦٣ ، والمقتضب: ٣ / ١٣٣.

(٢) جامع الدروس العربيّة: ٢ / ٧١ ، وينظر: تصريف الأسماء والأفعال: ٢٣٤ ، والتّطبيق الصّرفيّ: ١١٧ ، والصّرف العربيّ أحكاماً ومعاني: ٢٠٣.

(٣) ينظر: النّحو الوافي: ٤ / ٧١٣.

(٤) الصّرف الواضح: ٢٩٢.

(٥) ينظر: شذا العرف: ١٨١ ، والصّرف الواضح: ٢٩٢ ، والنّحو الوافي: ٤ / ٧١٣.

(٦) ينظر: النّحو الوافي: ٤ / ٧١٤.

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

يَكُنْ كَذَلِكَ^(١). والغرض من النسب هو "التّخصيص ببيان وطن المنسوب أو القبيلة أو مدينته أو عمله أو جنسه أو غير ذلك"^(٢).

إنّ ما ورد في حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ من الأسماء المنسوبة كان أغلبه قياسياً، ومن أمثله (ذِمِّي)، في قوله (ﷺ): "مَنْ شَهِدَ شَهَادَةَ زُورٍ عَلَى رَجُلٍ مُسْلِمٍ أَوْ ذِمِّيٍّ أَوْ مَنْ كَانَ مِنَ النَّاسِ، غُلِقَ بِلِسَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ مَعَ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ"^(٣) و(ذِمِّي) منسوب إلى (أهل الذّمة)، وهم أهل الديانات الأخرى اليهوديّة والنّصرانيّة.

ومن الأسماء المنسوبة في حديثه (ﷺ) (عربيّ) و(عجميّ)، في قوله (ﷺ): "لا فَضْلَ لِلْعَرَبِيِّ عَلَى الْعَجَمِيِّ وَلَا لِلأَحْمَرِ عَلَى الْأَسْوَدِ إِلَّا بِالتَّقْوَى"^(٤). و(عربيّ) منسوب إلى (العرب)، و(العجميّ) منسوب إلى (العجم) وهم الأقوام غير العرب.

ومن جملة تلك الأسماء المنسوبة (يهوديّ)، في الحديث الشريف: "إِنَّ يَهُودِيًّا حَلَبَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَاقَةً، فَقَالَ: "اللَّهُمَّ جَمَلُهُ"، فَاسْوَدَّ شَعْرُهُ"^(٥) و (يهوديّ) منسوب إلى اليهود.

ومثله (نصرانيّ)، في قوله (ﷺ): "قَدِمَ الْمَدِينَةَ رَجُلٌ نَصْرَانِيٌّ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ، وَكَانَ فِيهِ بَيَانٌ وَلَهُ وَقَارٌ وَهَيْبَةٌ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَعْقَلَ هَذَا النَّصْرَانِيَّ؟! فَزَجَرَ الْقَائِلَ وَقَالَ: مَهْ! إِنَّ الْعَاقِلَ مَنْ وَحَدَ اللَّهُ وَعَمَلَ بِطَاعَتِهِ"^(٦) و(نصرانيّ) منسوب إلى (نصران).

ومن الوارد من الأسماء المنسوبة في حِكْمِهِ الْمُبَارَكَةِ (الفارسيّ)، في قوله (ﷺ): "كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حِينَ انْزَلَتْ سُورَةُ الْجُمُعَةِ، فَتَلَاهَا، فَلَمَّا بَلَغَ ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾"^(٧) قَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِنَا ؟ فَوَضَعَ يَدَهُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ وَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ بِالثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ

(١) التّكملة: ٢٥٣.

(٢) المَهْدَبُ فِي عِلْمِ التَّصْرِيفِ: ٣٤٣.

(٣) حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٦ / ٥٧٠ ، وينظر: بحار الأنوار: ١٠٤ / ٣١٠.

(٤) حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٤ / ٢٨٤ ، وينظر: بحار الأنوار: ٢٢ / ٣٤٨.

(٥) حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٥ / ٥٢٤ ، وينظر: المصنّف، ابن أبي شيبه: ٦ / ١٥٠.

(٦) حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ١ / ١٤١ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧ / ١٥٨.

(٧) سورة الجمعة، آية: ٣.

الباب الأول.....بِنَاءُ الْكَلِمَةِ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

هؤلاء^(١). و(الفارسي) هو المنسوب إلى بلاد فارس، ومثله (نجراني) و(إعرابي)، في قوله (وَاللَّيْلُ) : "كنتُ أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وعليه بُردٌ نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه بِردائه جذبة شديدة، فنظرتُ إلى صفحة عنق رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد أثر بها حاشية الرداء من شدة جذبتِه. ثم قال : يا محمد، مُر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليهِ فضحك ثم أمر له بَعْطاءً"^(٢). و(نجراني) هو المنسوب إلى مدينة نجران. و(إعرابي) هو المنسوب إلى الأعراب وهم سكان البادية^(٣).

ثانيًا: التّصغير:

التّصغير هو "عبارة عن تغيير الاسم ليدلّ على صغر المسمّى وقلة أجزائه"^(٤). أو هو "تغيّر لغويّ يختصّ بالأسماء دون الأفعال والحروف. وتظهر صورته في البنية والهيئة"^(٥). ذكر النّحويّون في مصنفاتهم فوائد وأغراض التّصغير^(٦)، أبرزها الإيجاز؛ إذ يُعدّ هذا الباب أحد أساليب الإيجاز في اللّغة العربيّة، فقولنا: رُجِل، هو أكثر إيجازًا من قولك: رجلٌ صغيرٌ أو حقيرٌ^(٧). أمّا أبنيتُه، فهي ثلاثة أبنية، هي : فُعِل، فُعِيل، فُعِيْعِل^(٨). ومن أمثلة ما ورد في حِكْمِه (وَاللَّيْلُ) من الألفاظ المصغّرة، (حُسين)، في قوله (وَاللَّيْلُ): "كانَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وآله يُقْبَلُ الحَسَنَ والحُسَيْنَ"^(٩). و(حُسين) على زنة (فُعِل) هو تصغير (حسن). والغرض من هذا التّصغير هو التّحبيب^(١٠).

(١) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَم: ٣ / ٢٦٥ ، وينظر: سنن الترمذي: ٥ / ٥٠٣.

(٢) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَم: ٢ / ٣٢٨ ، وينظر: التّرجيب والترهيب: ٣ / ٤١٨.

(٣) ينظر: الصّاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة: ١ / ١٧٨ (عرب).

(٤) نتائج الفكر في النّحو، السّهيلي (٥٨١ هـ) : ٧٠ ، وينظر: المقتضب: ٢ / ٣٦ ، والتّكملة: ٤٩٦ ، وشرح الرّضي على الشّافية: ١ / ١٨٩ ، وشرح المفصل: ٥ / ١١٣ ، ارتشاف الضّرب: ١ / ٣١٥ .

(٥) علم الصّرف الصّوتي: ٣٩٤.

(٦) ينظر: شرح المفصل: ٥ / ١١٣ ، وشرح الرّضي على الشّافية: ١ / ١٩٠ ، توضيح المقاصد: ٣ / ١٤١٩ ، وشرح الشّافية: ١ / ١٩٠ ، وشذا العرف: ١٧٢ .

(٧) ينظر: شرح الرّضي على الشّافية: ١ / ١٩٢.

(٨) ينظر: الكتاب: ٣ / ٤١٥ ، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٤ / ٣٢٥ ، وأبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٣٤١ ، والصّرف الواضح: ٢٧٤.

(٩) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَم: ٦ / ٤٤٢ ، وينظر: بحار الأنوار: ٤٣ / ٢٨٢.

(١٠) ينظر: الصّرف الحديث في بيان القرآن والحديث: ٥٢.

الباب الأول.....بناء الكلمة في حكم النبي الأعظم

ومن الشواهد الواردة من الأسماء المصغرة في حكم النبي الأعظم، (كُذِبَ)، في قوله (ﷺ): "إِنَّ الْكَذِبَ لَيُكْتَبُ حَتَّى يُكْتَبَ الْكُذِيبَةُ كُذِيبَةً"^(١) و(كُذِيبَةً) على زنة (فُعِيلَةً) هو تصغير (كُذِبَ) (كُذِبَ). والغرض من هذا التصغير هو تقليل الذات^(٢).

ومن الأحاديث الشريفة التي تضمنت أكثر من لفظ مصغر، قوله (ﷺ): "لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ لِلْمَسْجِدِ مُسَاجِدٌ؛ فَإِنَّهُ بَيْتُ اللَّهِ، يُذَكَّرُ اللَّهُ فِيهِ، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ مُصْحِفٌ؛ فَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُصَغَّرَ، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأَمْتِي؛ كُلُّكُمْ عِبَادٌ وَإِمَاءٌ، وَلَا يَقُولَنَّ لِلرَّجُلِ رُؤِجِلٌ، وَلَا لِلْمَرْأَةِ مَرْيَّةٌ"^(٣).

فقد تضمن الحديث أربعة ألفاظ مصغرة، أولها (مُسَاجِدٌ) على زنة (فُعِيلٌ) و(مُسَاجِدٌ) تصغير (مَسْجِدٌ) وهو اسم مزيد بالميم. واللفظ الثاني (مُصْحِفٌ) تصغير (مُصْحَفٌ). والثالث (رُؤِجِلٌ) على زنة (فُعِيلٌ) وهو تصغير (رَجُلٌ). والرابع والأخير هو (مَرْيَّةٌ) على زنة (فُعِيلَةً) وهو تصغير (امرأة) وأصل (مَرْيَّةٌ) هو (مَرْيُوتَةٌ)؛ إذ اجتمعت الياء والواو في كلمة واحدة، والسابق منهما ساكن، فقلبت الواو ياءً، وأدغمت الياء بالياء، فصارت (مَرْيَّةً).

ومن جملة الأحاديث الشريفة التي تضمنت ألفاظاً مصغرة، الحديث الذي يصف صلاة رسول الله (ﷺ): "يُصَلِّي رَكَعَتِي الْفَجْرِ قُبَيْلَ الْفَجْرِ وَعِنْدَهُ وَبُعِيدُهُ، ثُمَّ يُصَلِّي رَكَعَتِي الصُّبْحِ - وَهُوَ الْفَجْرُ - إِذَا عَتَرَضَ الْفَجْرُ وَأَضَاءَ حَسَنًا. فَهَذِهِ صَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) الَّتِي قَبَضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهَا"^(٤) نلاحظ أن الحديث الشريف تضمن لفظتين مصغرتين، هما (قُبَيْلٌ) و(وَبُعِيدٌ)، وهاتان اللفظتان تصغير (قبل) و(بعد). والغرض من هذا التصغير هو التقريب في الزمان^(٥).

(١) حكم النبي الأعظم: ٥ / ١١١ ، وينظر: بحار الأنوار: ٢٢ / ٢٥٨.

(٢) ينظر: شذا العرف: ١٧٢.

(٣) حكم النبي الأعظم: ٤ / ٣٠٩ ، وينظر: سير أعلام النبلاء: ١٤ / ٥٤٦.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٥ / ٣٠١ ، وينظر: من لا يحضره الفقيه: ١ / ٢٧٧.

(٥) ينظر: شرح الرضي على الشافعية: ١ / ١٩٠.



الباب الثاني
بناء الجملة في حِكمِ
النَّبِيِّ الأعظم
الفصلُ الأوّل

بناء الجملة الخبريّة
الفصلُ الثاني
بناء الجملة الطّليّة



الباب الثاني

بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

توطئة

إنَّ مصطلح (الجملة) لم يكن شائعاً كمصطلح نحوي عند سيبويه (١٨٠هـ)، وعلماء النحو الذين عاصروه. فسيبويه نفسه يستعمل مصطلح (الكلام) في مواضع متعددة يريد بها الجملة، وقد يستعمل المصطلح ذاته في مواضع لا يريد بها الجملة؛ وإنما يريد بها معانٍ لغويّة أخرى كالنثر واللغة والحديث، وهذا الأمر طبعي؛ لأنَّ القواعد النحويّة كانت في طور التّقييد ولم تصل المصطلحات النحويّة إلى مرحلة النّضج والاستقرار^(١).

بيد أن د. فتحي عبد الفتاح الدّجني قد أشار إلى أنّ أوّل من استعمل مصطلح (الجملة) صراحةً هو المبرّد (٢٨٥هـ)، فقد ووضّع للجملة حدّاً اصطلاحياً دون أن يغوص في تفاصيلها^(٢). يقول المبرّد في ذلك: "هذا باب الفاعل وهو رُفِعَ وَذَلِكَ قَوْلُكَ قَامَ عَبْدُ اللَّهِ وَجَلَسَ زَيْدٌ وَإِنَّمَا كَانَ الْفَاعِلُ رَفْعًا؛ لَأَنَّهُ هُوَ وَالْفِعْلُ جُمْلَةٌ يَحْسَنُ عَلَيْهَا السُّكُوتُ، وَتَجِبُ بِهَا الْفَائِدَةُ لِلْمَخَاطَبِ"^(٣). على أنّ مصطلح (الجملة) الذي قال به المبرّد لم يغلب على مصطلح (الكلام)؛ إذ استمر النّحويّون في المرحلة التي تلت سيبويه والمبرّد على استعمال المصطلحين كليهما في الدّلالة على الجملة أو الكلام^(٤). فابن جنّي (٣٩٢هـ) لم يفرّق بين المصطلحين؛ إذ حدّد الكلام بأنّه: "كلّ لفظٍ مستقلّ بنفسه مفيدٍ لمعناه، وهو الذي يسمّيه النّحاة الجمل"^(٥).

ولم يفرّق عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) أيضاً بين المصطلحين؛ إذ يقول: "اعلم أنّ الواحد من الاسم والفعل والحرف يسمّى كلمة، فإذا اتّلف منها اثنان فأفاداً نحو: "خرج زيدٌ"، سُمّي كلاماً وسُمّي جملة"^(٦).

(١) ينظر: بناء الجملة العربيّة: ٢١-٢٣، ومدخل إلى دراسة الجملة العربيّة: ١٧.

(٢) ينظر: الجملة العربيّة نشأة وتطوراً وإعراباً: ٢١.

(٣) المقتضب: ١ / ١٤٦.

(٤) ينظر: بناء الجملة العربيّة: ٢٣.

(٥) الخصائص: ١ / ١٨.

(٦) الجمل، عبد القاهر الجرجاني: ٤٠.

الباب الثاني..... بناءُ الجُمْلَةِ في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم

وتابع الرّمخسريّ (٥٣٨هـ) القول القائل بترادف المصطلحين، يقول في ذلك: "الكلام هو المُركَّب من كلمتين أُسندت إحداهما إلى الأخرى، وذلك لا يتأتّى إلّا في اسمين كقولك: زيدٌ أخوك، وبشرٌ صاحبك، أو في فعلٍ واسمٍ نحو قولك: ضُرب زيدٌ، وانطلق بكرٌ، وتسمّى الجملة" (١).

أمّا النّحويون الذين فرّقوا بين (الجملة والكلام)، فقد كان تفريقهم للمصطلحين قائماً على معيارين، الأول الإسناد الأصليّ، والثاني الفائدة. فابن مالك (٦٧٢هـ) حدّد الكلام بأنّه "ما تضمّن من الكلم إسناداً مفيداً مقصوداً لذاته" (٢) وأشار بقوله: (لذاته)؛ ليخرج ما كان من الجمل المقصودة لغير ذاتها أي الجمل غير المستقلّة، كالجملة الواقعة خبراً أو صلةً أو نعتاً أو حالاً، فمثال الجملة الواقعة صلةً للموصول قولك: جاءت الّتي وجهها حسنٌ، فالجملة مقصودة لغير ذاتها؛ لأنّ الإسناد في هذه الجملة هو لتوضيح الاسم الموصول (٣).

والى مثل هذا ذهب رضيّ الدّين الاسترّباديّ (٦٨٦هـ)، بقوله: "والفرق بين الجملة والكلام، أنّ الجملة ما تضمّن الإسناد الأصليّ سواء كانت مقصودة لذاتها أو لا... والكلام ما تضمّن الإسناد الأصليّ وكان مقصوداً لذاته؛ فكلّ كلامٍ جملة ولا ينعكس" (٤).

أمّا ابن هشام الأنصاريّ (٧٦١هـ)، فقد فرّق بين المصطلحين على أساس الفائدة، يقول في ذلك: "الكلام: هو القَوْلُ المفيدُ بالقُصد. والمراد بالمفيد: ما دلّ على معنى يحسن السّكوت عليه. وبالجملة عبارة عن الفعل وفاعله كـ(قام زيدٌ) والمبتدأ والخبر كـ(زيدٌ قائمٌ) وما كان بمنزلة أحدهما... وبهذا يظهر لك أنّهما ليسا بمترادفين... والصّواب أنّها أعمُّ منه؛ إذ شرطه الإفادة، بخلافها، ولهذا تسمّعهم يقولون: جملة الشرط، جملة الجواب، جملة الصّلة، وكلّ ذلك ليس مفيداً، فليس بكلام" (٥).

(١) المفصل في صنعة الإعراب: ٢٣.

(٢) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ٣.

(٣) ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد: ١ / ٥ ، وحاشية الصّبان: ١ / ٣٣.

(٤) شرح الرّضيّ على الكافية: ١ / ٣٣.

(٥) مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ٢ / ٤٣١.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

وَيُفْهَم مِمَّا سَطَرَ بِأَنَّ الْجُمْلَةَ هِيَ أَعْمُ مِنَ الْكَلَامِ؛ لِأَنَّ الْجُمْلَةَ يَشْتَرِطُ فِيهَا الْأَسْنَادَ فَقَطْ سِوَاءِ أَفَادَتِ أَمْ لَمْ تَقَدْ، وَسِوَاءِ أَكَانَتْ مَقْصُودَةً لِدَاثِهَا أَمْ لَغَيْرِهَا. وَالْكَلَامُ يَشْتَرِطُ فِيهِ الْإِفَادَةُ وَالْإِسْنَادَ وَكَوْنَهُ مَقْصُودًا لِدَاثِهِ.

إِنَّ الْجُمْلَةَ فِي الْعَرَبِيَّةِ تَتَأَلَّفُ مِنْ رَكْنَيْنِ أَاسَاسِيَّيْنِ هُمَا الْمُسْنَدُ وَالْمُسْنَدُ إِلَيْهِ، وَلَا يُمْكِنُ الْإِسْتِغْنَاءُ عَنْ أَيِّ رَكْنٍ مِنْهُمَا، وَلَا تَأْلِيفُ جُمْلَةٍ مِنْ غَيْرِهِمَا لَفْظًا أَوْ تَقْدِيرًا؛ لِأَنَّهُمَا عَمَدَتَا الْكَلَامِ. وَالْمُسْنَدُ إِلَيْهِ لَا يَكُونُ إِلَّا اسْمًا وَهُوَ الْمُبْتَدَأُ وَالْفَاعِلُ. وَالْمُسْنَدُ قَدْ يَكُونُ اسْمًا أَوْ فِعْلًا، وَهُوَ الْفِعْلُ وَالْخَبَرُ^(١).

أَمَّا أَقْسَامُ الْجُمْلَةِ، فَتَقْسَمُ بِحَسَبِ الصَّوَابِطِ الَّتِي يَنْظُرُ إِلَيْهَا فِي ذَلِكَ التَّقْسِيمِ، فَتَقْسَمُ عَلَى اسْمِيَّةٍ وَفَعْلِيَّةٍ بِالنَّظَرِ إِلَى كَوْنِهَا مَبْدُوءَةً بِاسْمٍ أَوْ فِعْلٍ. وَتَقْسَمُ عَلَى مَنْفِيَّةٍ أَوْ مُثَبَّتَةٍ بِالنَّظَرِ إِلَى تَضَمُّنِهَا النَّفْيِ أَوْ الْإِثْبَاتِ، وَتَارَةً أُخْرَى بِحَسَبِ الْإِخْبَارِ وَالطَّلَبِ وَهَكَذَا بَاقِي التَّقْسِيمَاتِ^(٢).

وَأَمَّا أَنْوَاعُهَا، فَمُخْتَلِفٌ فِيهَا بَيْنَ النَّحْوِيِّينَ. فَالزَّمْخَشَرِيُّ (٥٣٨هـ) يَرَى أَنَّهَا أَرْبَعَةٌ أَضْرَبُ: فَعْلِيَّةٌ، اسْمِيَّةٌ، وَشَرْطِيَّةٌ، وَظَرْفِيَّةٌ^(٣). وَنَسَبَ ابْنُ يَعِيشَ (٦٤٣هـ) هَذِهِ الْقِسْمَةَ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ (٣٧٧هـ) بِقَوْلِهِ: "أَعْلَمُ أَنَّه قَسَمَ الْجُمْلَةَ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: فَعْلِيَّةٌ، وَاسْمِيَّةٌ، وَشَرْطِيَّةٌ، وَظَرْفِيَّةٌ، وَهَذِهِ قِسْمَةُ أَبِي عَلِيٍّ، وَهِيَ قِسْمَةٌ لَفْظِيَّةٌ"^(٤).

بَيَّنَّ أَنَّ ابْنَ يَعِيشَ يَوْجِزُ قِسْمَةَ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ، وَيَرَى أَنَّ الْجُمْلَةَ فِي الْعَرَبِيَّةِ عَلَى ضَرْبَيْنِ فَقَطْ فَعْلِيَّةٌ وَأَسْمِيَّةٌ. أَمَّا الْجُمْلَةُ الشَّرْطِيَّةُ، فَهِيَ مِنْ قَبِيلِ الْجُمْلَةِ الْفَعْلِيَّةِ لِأَنَّ كِلْتَا جُمْلَتِي الشَّرْطِ (الشَّرْطُ وَالْجَزَاءُ) مَكُونَتَانِ مِنْ فِعْلٍ وَفَاعِلٍ. أَمَّا الْجُمْلَةُ الظَّرْفِيَّةُ فَهِيَ لِلْخَبَرِ الَّذِي تَقْدِيرُهُ (اسْتَقَرَّ) وَهُوَ فِعْلٌ وَفَاعِلٌ^(٥).

وَيَرَى د. فَاضِلُ السَّامِرَائِيِّ أَنَّ الْجُمْلَةَ الشَّرْطِيَّةَ إِمَّا تَكُونُ جُمْلَةً فَعْلِيَّةً وَإِمَّا تَكُونُ جُمْلَةً اسْمِيَّةً، وَالضَّابِطُ الَّذِي يَحْدَدُ أَحَدَ الضَّرْبَيْنِ (اسْمِيَّةً أَوْ فَعْلِيَّةً) هُوَ طَرْفِي الْإِسْنَادِ، فَإِنْ

(١) ينظر: الكتاب: ١/ ٢٣، والأصول، تمام حسان: ١٢١، والجملة العربية تأليفها وأقسامها: ١٣.

(٢) ينظر: مدخل إلى دراسة الجملة العربية: ٢٣-٢٤، والجملة العربية تأليفها وأقسامها: ١٥٧.

(٣) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب: ٤٤.

(٤) شرح المفصل: ١/ ٨٨.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٨٨.

الباب الثاني..... بناء الجُملة في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم

كان فعلاً نحو: (أي رجلٍ تكرمُ أكرمُ) فالجُملة فعلية. وإن كان اسماً نحو: (أي رجلٍ يحضر أحضر معه) فالجُملة اسمية. وأمّا الجمل المبدوءة بحرف شرط نحو: (إن زرتني أكرمتك) فهي جملٌ فعلية، وفي نحو: (لولا عليٌّ لهلك عمر) اسمية^(١).

أمّا الجُملة الظرفية نحو: (أعندك زيدٌ؟)، فقد خالف أ.د. فاضل السامرائي فيها ما ذهب إليه النحويون. وذهب إلى أنَّ " (زيداً) مبتدأ مؤخر لا فاعل بدليل أنَّه يصح أن تدخل عليه التواسخ فتقول: (إنَّ عندك زيداً؟) ولو كان فاعلاً لم يصح دخول (إنَّ) عليه ولا انتصابه. وتقول (أظننتُ عندك زيداً؟) ولو كان فاعلاً لم ينتصب، وتقول (أكان عندك زيد؟)، فزيد اسم (كان) لا فاعل، وإذا كان فاعلاً فأين اسم كان؟^(٢).

إنَّ ما ذكره ابن يعيش والسامرائي من تقسيم الجُملة على ضربين (اسمية، وفعلية)، أمرٌ مستحسنٌ؛ إذ يدفع التقسيم عن دائرة التعقيد عند اللجوء في أبواب النحو، ويجعل أبواب النحو وموضوعاته أكثر سهولة عند دراستها.

وهذه الأنواع من الجُملة نجدها تكاد تنضوي تحت نوعٍ واحدٍ هو الجُملة الخبرية، ويُقابلها الجُملة الانشائية والطلبية. ومن أجل الإحاطة بهذه الأنواع من الجمل قسّمْتُ هذا الباب على فصلين، الأوّل للجُملة الخبرية مقسّماً إياها على ضربين رئيسين (الاسمية والفعلية)، عاقداً مبحثاً مستقلاً بالجُملة الشرطية. والفصل الثاني هو للجُملة الطلبية مقسّماً إياها على مجموعة أقسام (جُملة النداء، جُملة الاستفهام، جُملة الأمر، وجمل طلبية أخرى). أمّا الانشاء غير الطلبي كالتعجب، والمدح والذم، فلم أجد له في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم ما يساعد على التّهُّوض بدراسته؛ إذ إنَّ ما ورد منه قليلٌ جدّاً قياساً بالجمل الطلبية الإنشائية.

(١) ينظر: الجُملة العربية تأليفها وأقسامها: ١٦٠-١٦١.

(٢) المصدر نفسه: ١٦٠.

الفصل الأول

بناء الجملة الخبرية

المبحث الأول

الجملة الخبرية المثبتة

أولاً: الجملة الاسمية المثبتة:

الجملة الاسمية في أبسط تعريفاتها، هي الجملة التي يكون فيها الركن الإسنادي المتصدر اسماً، وهذا الاسم هو المركز والمحور الذي لا بُدَّ من وجوده لإطلاق مصطلح (الجملة الاسمية) على أية جملة تتصدر باسم^(١).

إنَّ الجملة في العربية تقوم على عنصرين أساسيين هما المسند والمسند إليه، وهما عمدتا الجملة كما أشرنا إلى ذلك، ولا تتعدَّ أية جملة من دونهما. وفي الجملة الاسمية يكون المبتدأ مسنداً إليه، والخبر هو المسند^(٢). يقول في ذلك سيبويه (١٨٠هـ): "فالمبتدأ كل اسم ابتدئ ليبنى عليه كلاماً. والمبتدأ والمبني عليه رفع. فالابتداء لا يكون إلا بمبني عليه، فالمبتدأ الأول والمبني ما بعده عليه فهو مسند ومسند إليه"^(٣). وقد علَّل الاستربادي (٦٨٦هـ) اختصاص المسند إليه بالاسم دون غيره، بقوله: "لأنَّ المسند إليه مخبر عنه إمَّا في الحال أو الأصل"^(٤). أمَّا الخبر، فحدَّه ابن السراج (٣١٦هـ) بقوله: "الاسم الذي هو خبر المبتدأ وهو الذي يستقيده السامع ويصير به المبتدأ كلاماً، وبالخبر يقع التصديق والتكذيب"^(٥).

إنَّ المبتدأ لم يُطلق عليه مبتدأ؛ لكونه أول ما يُتلفظ به في الكلام، وكذلك الخبر لم يسمَّ خبراً لكونه يخبر عن المبتدأ أو بسبب تأخره عن المبتدأ؛ وإنَّما يسمَّى المبتدأ مبتدأ؛ لأنَّه المسند إليه المعنى والمثبت له، والخبر خبراً؛ لأنَّه المسند الذي يُثبت به المعنى،

(١) ينظر: مُغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٢ / ٤٣٣ ، والجملة الاسمية، د. علي أبو مكارم: ١٧.

(٢) ينظر: الأصول، تمام حسان: ١٢١.

(٣) الكتاب: ٢ / ١٢٦ ، وينظر: الأصول في النحو: ١ / ٥٨ ، اللمع في العربية: ٢٩ ، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ١ / ١٨٤ ، ومعاني النحو: ١ / ١٤٩.

(٤) شرح الرضي على الكافية: ١ / ٣٩.

(٥) الأصول في النحو: ١ / ٦٢.

الباب الثاني..... بناءُ الجملة في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم

فعندما تقول: (خالدٌ مُنْطَلِقٌ)، فإنَّ الانطلاق قد ثبت لخالد وأُسند معنى الانطلاق إليه، والعلاقة بين المسند والمسند إليه تسمّى الإسناد^(١).

ومن المفيد أن نشير إلى أنَّ الجملة الاسميّة أدلّ على الثبوت من الجملة الفعلية، ففي قولنا: (زيدٌ خطيبٌ) هي جملة اسميّة دلّت على الثبوت، بينما قولنا: (زيدٌ يخطبُ) جملة فعلية تدلّ على التجدّد والحدوث^(٢). يقول الخطيب القزويني (٧٣٩هـ) في ذلك: "وأما كونه، يعني المسند، فعلاً فللتقييد بأحد الأزمنة الثلاثة على أخصر ما يكون مع إفادة التجدّد، وأما كونه اسماً فلإفادة عدم التقييد والتجدّد"^(٣).

والمبتدأ والخبر اللذان نحن بصددهما، هما جوهر البنية الأساسية للجملة الاسميّة؛ إذ إنّ لهما وظيفتين نحويتين "تمثّلان العلاقة النحويّة بين العناصر التي تشغل هذه الوظائف وكلّ تعريفات النّحاة للمبتدأ قامت على إدراكهم للبنية الأساسية، وشروط شغل العنصر لتلك الوظيفة، وكذلك السّمات التركيبيّة للعنصر الذي يشغل تلك الوظيفة والأحكام المترتبة على شغله لها"^(٤).

وقد تعدّدت أنماط الجملة الاسميّة المثبتة في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم؛ تبعاً لتنوّع البنية الأساسية للجملة الاسميّة (المبتدأ أو الخبر)، وفيما يلي تفصيلٌ بالأنماط التي وردت في حِكمه (ص ١٨٩):

١ - المبتدأ والخبر معرفتان:

إنَّ الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة "ولو قلت: رجلٌ ذاهبٌ لم يحسن حتّى تُعرّفه بشيءٍ فتقول: راكبٌ من بني فلانٍ سائرٌ"^(٥). أمّا أصل الخبر، فهو "أن يكون نكرةً؛ لأنّه لأنّه محكوم به، والمحكوم به ينبغي أن يكون نكرةً؛ لأنّه إن كان معرفة كان معلوماً للمخاطب، فلا يكون للحكم فائدةً"^(٦). وعند مجيئهما معرفتين أنت بالخيار فيهما أن

(١) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٨٩.

(٢) ينظر: الجملة العربيّة تأليفها وأقسامها: ١٦٢.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني: ١ / ١٧٧ ، وينظر: دلائل الإعجاز: ١٧٤ ، وفي النحو العربيّ نقد وتوجيه: ٤١-٤٢.

(٤) بناء الجملة في السيرة النبويّة لابن هشام، عبد الغني شوقي موسى الأدبجي (أطروحة دكتوراه): ٤٥.

(٥) الكتاب: ١ / ٣٢٩.

(٦) شرح الأنموذج في النحو، الرّمخشري: ٢٩.

الباب الثاني..... بناءُ الجملةِ في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم

شئتُ تجعل أحدهما المبتدأ والآخر خبراً^(١). ومن صور هذا النمط في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم، قوله (ﷺ): "السَّكِينَةُ زِينَةُ الْعِبَادَةِ"^(٢). ففي الحديث الشريف ورد المبتدأ معرفة (السَّكِينَةُ) وهو اسم مُعرَّف بـ(الـ) التعريف، والخبر معرفة (زِينَةُ الْعِبَادَةِ) مُعرَّف بالإضافة؛ لأنَّه مضافٌ إلى معرفة.

٢ - المبتدأ معرفة والخبر نكرة:

إنَّ أصل المبتدأ في كلام العرب كما أشرنا قبل قليل أن يكون معرفة والخبر نكرة، يقول في ذلك سيبويه (١٨٠هـ): "وأحسنه إذا اجتمع نكرة ومعرفة أن يُبتدأ بالأعرَف؛ وهو أصلُ الكلام"^(٣).

وممَّا ورد على هذا النمط في حديثه المبارك، قوله (ﷺ): "النَّاسُ مَعَادِنٌ؛ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا"^(٤). نلاحظ في هذا الحديث الشريف أنَّ المبتدأ ورد معرفة، وهو (النَّاسُ). وورد خبره نكرة (مَعَادِنٌ) لتحقيق الفائدة من الإخبار. ولو قال (النَّاسُ مَعَادِنٌ): (النَّاسُ الْمَعَادِنُ) لتوهم المتلقِّي كون (المعادن) صفةً وليس إخباراً.

٣ - المبتدأ معرفة والخبر جملة فعلية:

عندما يكون الخبر جملة فلا بُدَّ أن يكون هنالك رابطاً يربط الخبر (الجملة) بالمبتدأ؛ حتَّى لا يلتبس الأمرُ فتفهم الجملة الواقعة خبر على أنَّها جملة مستقلة^(٥).

وممَّا يُستشهد به على هذا النمط، حكمته المباركة (ﷺ): "الْأَمَانَةُ تَجْلِبُ الرِّزْقَ"^(٦)؛ إذ ورد المبتدأ في الحديث الشريف معرفة وهو (الْأَمَانَةُ)، وخبره الجملة الفعلية المضارعية (تَجْلِبُ الرِّزْقَ). والرَّابِط بين الخبر (الجملة) والمبتدأ هو الضَّمير المستتر في (تَجْلِبُ) العائد على (الْأَمَانَةُ). وتقيد الجملة الفعلية الاستمرار التَّجَدُّدِي

(١) ينظر: اللع في العربية: ٢٩.

(٢) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ١٣٧ / ٥ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧ / ١٣١.

(٣) الكتاب: ١ / ٣٢٨ ، وينظر: الأصول في النحو: ١ / ٦٥.

(٤) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ١ / ١٢٩ ، وينظر: صحيح البخاري: ٣ / ١٢٣٨.

(٥) ينظر: بناء الجملة العربية: ١٠٦.

(٦) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٧ / ١١٦ ، وينظر: الكافي: ٥ / ١٣٣.

الباب الثاني..... بناءُ الجملة في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم

شيئاً فشيئاً بحسب المقام، وبمعونة القرائن... بشرط أن يكون الفعل مضارعاً^(١)، وهذا ما أفادته الجملة الفعلية في الحديث الشريف.

٤ - المبتدأ نكرة والخبر جملة فعلية:

ومثال وقوع الجملة الفعلية خبر لمبتدأ نكرة، قوله (ﷺ): "ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ... وَالْمُرَكَّبِيُّ سَلَعَتُهُ بِالْكَذِبِ"^(٢). ففي الحديث الشريف ورد المبتدأ (ثلاثة) وهو نكرة، والجملة الفعلية المنفية (لا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ) في محل رفع خبر للمبتدأ.

٥ - المبتدأ معرفة والخبر شبه جملة:

إنَّ شبه الجملة لا بُدَّ من تعلّقها "بالفعل، أو ما يُشبهه، أو ما أُوِّلَ بما يُشبهه، أو ما يُشير إلى معناه؛ فإن لم يكن شيء من هذه الأربعة موجوداً فُذِرَ"^(٣). ويرى ابن السراج (٣١٦هـ) أنَّه لا داعي لوجود التقدير؛ بل الاكتفاء بقول: إنَّ الجارَّ والمجرور أو الظرف هو في موضع رفع الخبر^(٤). وهو رأي صائب؛ لأنَّ الأصل هو عدم التقدير ما دام هنالك ما يحلُّ محله، وهو الجارَّ والمجرور والظرف، فيكون ترك التقدير أولى من اللجوء إليه.

ومن أبرز ما يمثل هذا النمط في حديثه (ﷺ)، قوله عليه الصّلاة والسّلام "مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْعَطَّارِ، إِنْ جَالَسَتْهُ نَفَعَكَ، وَإِنْ مَاشَيْتَهُ نَفَعَكَ، وَإِنْ شَارَكَتَهُ نَفَعَكَ"^(٥). ففي الحديث الشريف ورد المبتدأ معرفة (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ)، والخبر شبه جملة (كَمَثَلِ الْعَطَّارِ).

ثانياً: الجملة الفعلية المثبتة:

الجملة الفعلية هي القسم الثاني من الجملة الخبرية في العربية. وكما بيّنا في الجملة الاسمية أنَّ الاسم هو المحور والمركّز الذي تقوم عليه الجملة الاسمية. كذلك هو الفعل في الجملة الفعلية؛ إذ يُعدُّ المحور والمركّز الذي يميّز الجملة الفعلية عن غيرها^(٦).

(١) جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي: ٧٣.

(٢) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٥٠ / ٧، وينظر: تفسير العياشي: ١ / ١٧٩.

(٣) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٢ / ٤٩٩.

(٤) ينظر: الأصول في النحو: ١ / ٦٣.

(٥) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٧٠ / ٤، وينظر: كنز العمال: ١ / ١٤٧.

(٦) ينظر: اللّمع في العربية: ٢٣، ومفتاح العلوم: ٢٢٥-٢٢٦.

حدّها ابن هشام (٧٦١هـ) بأنّها الجملة "التي صَدْرُها فعل، كقام زيدٌ، وضرب اللّصُّ"^(١). وأطلق عليها د. محمّد إبراهيم عبادة (المركب الفعليّ) ناظرًا إلى العناصر التي تتكوّن منها الجملة الفعلية، يقول في ذلك: "ونريد به الهيئة التركيبية المبدوءة في الأصل بفعل تامّ، سواء أكان مبنياً للمجهول أم مبنياً للمعلوم، وسواء أكان متعدّياً أم لازماً، وهذه الهيئة التركيبية هي المعروفة بالجملة الفعلية"^(٢). وقد تحدّث سيبويه (١٨٠هـ) عن الفعل، فقال: "وأما الفعل، فأمثله أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبُنيث لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع. فأما بناء ما مضى، فذهبَ وسمِعَ ومِكتَ وحِمِدَ. وأما بناء ما لم يقع، فإنّه قولك امرأ: اذهب واقتُل واضرب، ومخبراً: يَقتُل ويذهب ويضرب ويقتل ويضرب. وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرت"^(٣).

من المعلوم أنّ للفعل الصّدارة في الجملة الفعلية، فإن تقدّم على صدارة الفعل حرفٌ أو فضلةٌ، فلا عبرة لها؛ إذ تبقى الجملة فعلية نحو: (هل سافر محمد؟) (قد قام عليّ) فهذه جملٌ فعليةٌ محضةٌ ولا تأثير للحروف عليها^(٤).

أما الأفعال الناقصة التي تنصدر بعض الجملة نحو: (كان عليّ قائماً)، فمختلفٌ فيها، فهي عند ابن هشام جملةٌ اسميةٌ^(٥)، وعند السامرائي جملةٌ فعليةٌ^(٦). وذهب بعضهم إلى أنّ هذا الضرب من الجمل هو في الأصل جملةٌ اسميةٌ؛ ولكنها تحوّلت إلى جملة فعلية، واصطلحوا على تسميتها بـ(الجمل الفعلية المحولة)^(٧).

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٤٣٣ / ٢.

(٢) الجملة العربية مكوناتها - أنواعها - تحليلها: ٤١.

(٣) الكتاب: ١٢ / ١.

(٤) ينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها: ١٥٧.

(٥) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٤٣٣ - ٤٣٤.

(٦) ينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها: ١٥٨.

(٧) ينظر: بناء الجملة العربية في ديوان النابغة الذبياني (رسالة ماجستير)، عبد الجليل عبيد حسين العاني: ٤٠، والجملة الخبرية في مجموعات الشعر العربي القديم، المفضليات والأصمعيّات (أطروحة دكتوراه)، مجهد جيجان الدليمي: ٧٦-٧٧.

الباب الثاني..... بناءُ الجملة في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم

"والجملة الفعلية أكثر الجمل شيوعاً في الاستعمال، بل التعبير بالفعل أساس التعبير في العربية"^(١) ولما كانت الأفعال أكثر شيوعاً في الاستعمال، تتوَعَّت أنماط الجمل الفعلية في الكلام، وتعددت وتباينت تبعاً للفعل المُتصدِّرة بها.

أمَّا أنماط الجملة الفعلية المثبتة الواردة في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم، فهي كالآتي:

١ - الجملة الفعلية ذات الفعل المبني للمعلوم:

أ - الجملة الفعلية ذات الفعل اللازم:

يقول الزَّمَخْشَرِيُّ (٥٣٨) في الفعل اللازم: "وغير المتعدّي ضرب واحد وهو ما تخصّص بالفاعل كذهب زيدٌ ومكثَ وخرجَ ونحو ذلك"^(٢). وعلامة الفعل اللازم بأنّه "لا يُبنى منه اسم مفعول، ولا يصحّ السؤال عنه بأيّ شيء وقع"^(٣). ومن العلامات التي ذُكرت في تمييزه من المتعدّي، ما ذكره السيوطي (٩١١هـ): "مَا لَا يَبْنِي مِنْهُ مَفْعُول تَامٌ أَيَّ بغير حرف جرٍّ"^(٤).

ومن الشواهد الواردة في حكمه (عليه السلام) على هذا النمط من الجمل، قوله (عليه السلام): "إِذَا ظَهَرَتِ الْبِدْعُ فِي أُمَّتِي فَلْيُظْهِرِ الْعَالِمُ عِلْمَهُ. فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ"^(٥). ورد في الحديث المبارك الفعل (ظَهَرَ) وهو فعلٌ ماضٍ لازم، وفاعله (البدع)، وقد اكتفى الفعل به في أداء المعنى دون الحاجة إلى مفعولٍ به. وقد يكون هذا الفعل متعدّياً، وعندئذٍ لا يتعدّى إلّا بحرف الجرِّ نحو: (ظَهَرَ الْقَائِدُ بِالْجَيْشِ إِلَى أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ)^(٦).

ب - الجملة الفعلية ذات الفعل المتعدّي إلى مفعولٍ واحدٍ:

يقول سيبويه (١٨٠هـ) في هذا الباب: "هذا باب الفاعل الذي يتعدّاه فعله إلى مفعولٍ وذلك قولك: ضَرَبَ عَبْدُ اللَّهِ زَيْدًا... وانتصب زيدٌ؛ لأنّه مفعول تعدّى إليه فعلٌ

(١) في النّحو العربيّ قواعد وتطبيق: ١٢٥.

(٢) المفصل في صناعة الإعراب: ٣٤١، وينظر: الأصول في النّحو: ١/ ١٦٩، وشرح المفصل: ١/ ٦٢.

(٣) شرح جمل الزّجاجي: ١/ ٢٧٣، وينظر: شرح ابن عقيل: ٢/ ٦٦-٦٧.

(٤) همع الهوامع: ٥/ ١٠.

(٥) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٤/ ٦٢٠، وينظر: الكافي: ١/ ٥٤.

(٦) ينظر: معجم الأفعال المتعدّية بحرف: ٢٢٦.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

الفاعل^(١). والفعل المتعدي يكون على ضرب ثلاث متعدي إلى مفعول واحد ومتعدي إلى مفعولين، وإلى ثلاثة مفاعيل^(٢).

ومن أمثلة مجيء الفعل متعدياً إلى مفعول واحد في حكم النبي الأعظم، قوله (عليه السلام): "لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْإِيمَانَ، قَالَ: اللَّهُمَّ قَوِّنِي، فَقَوَّاهُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ وَالسَّخَاءِ"^(٣). فالفعل (خَلَقَ) متعدي إلى مفعول به واحد وهو (الإيمان).

وقد يكون الفعل متعدياً بإحدى وسائل التعدية، كالهزمة والتضعيف. ومثال الفعل المتعدي بالهزمة، قوله (عليه السلام): "لَنْ يَعْمَلَ ابْنُ آدَمَ عَمَلًا أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ رَجُلٍ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ إِمَامًا، أَوْ هَدَمَ الْكَعْبَةَ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قِبْلَةً لِعِبَادِهِ. أَوْ أَفْرَغَ مَاءَهُ فِي امْرَأَةٍ حَرَامًا"^(٤). فقد ورد الفعل (أَفْرَغَ) متعدياً بالهزمة إلى مفعوله (ماء).

أمّا مثال الفعل المتعدي بالتضعيف، قوله عليه الصلاة والسلام: "حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ" فالفعل (حَصِّنُوا) أصله (حَصَّنَ) وهو فعل لازم تعدي بتضعيف العين إلى مفعوله (أموالكم).

ت- الجملة الفعلية ذات الفعل المتعدي إلى مفعولين:

وهذا الضرب الثاني من ضروب الفعل المتعدي، وسمّاه سيبويه (١٨٠هـ) "هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعولين فإن شئت اقتصرت على المفعول الأول وإن شئت تعدى إلى الثاني كما تعدى إلى الأول"^(٥). والفعل المتعدي إلى مفعولين، قد يكون متعدياً إلى مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، كظن وأخواتها، وقد يكون متعدياً إلى مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبر^(٦).

(١) الكتاب: ١/ ٣٤.

(٢) ينظر: الأصول في النحو: ١/ ١٧٧، والمفتاح في الصرف: ٥٦، والمفصل في صنعة الإعراب: ٣٤١، وتسهيل الفوائد: ٨٣.

(٣) حكم النبي الأعظم: ٤/ ٢٩٥، وينظر: المحجة البيضاء: ٥/ ٩٠.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٥/ ١١، وينظر: بحار الأنوار: ٧٩/ ٢٠.

(٥) الكتاب: ١/ ٣٧، وينظر: شرح المفصل: ٧/ ٦٢.

(٦) ينظر: شرح ابن عقيل: ٢/ ٦٦.

الباب الثاني..... بناءُ الجملة في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم

ومِمَّا يُستشهد به على هذا النَّمط من الجمل، قوله (عليه السلام): "تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ؛ فْخِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا"^(١). فقد ورد في الحديث الشريف الفعل (تَجِدُونَ) متعديًا إلى مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، الأول (النَّاسَ) والثاني (مَعَادِنَ).

وما ورد من مثال للفعل المتعدي إلى مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبر، قوله (عليه السلام): "لَمَّا سَمِعَ رَجُلًا يَسْأَلُ اللَّهَ الصَّبْرَ: سَأَلَتِ اللَّهُ الْبَلَاءَ، فَاسْأَلَهُ الْمُعَافَاةَ"^(٢). ففي الحديث المتقدم وردت الأفعال (يسأل، سألت، اسأل) متعديّة إلى مفاعيل ليس أصلهما مبتدأ وخبر. فالمفعول به الأول للفعل (يسأل) لفظ الجلالة (الله) والثاني (الصَّبْرَ). ومفعولي الفعل (سألت) لفظ الجلالة (الله) و(البلاء). أمّا الفعل الأخير (اسأل)، فالمفعول الأول (الضمير المتصل الهاء) والثاني (المعافاة). والمفاعيل التي ذكرت كلها ليس أصلها مبتدأ وخبر.

٢ - الجملة الفعلية ذات الفعل المبني للمجهول:

أطلق المبرّد (٢٨٥هـ) على الفعل المبني للمجهول، "باب المفعول الذي لا يُذكر فاعله"^(٣). ووصفه ابن جنّي (٣٩٢هـ)، بقوله: "اعلم أنَّ المفعول به في هذا الباب يرتفع من حيث يرتفع الفاعل؛ لأنَّ الفعل قبل كلِّ واحدٍ منهما حديث عنه، ومسند اليه، وذلك قولك: ضَرَبَ زَيْدٌ، وَشَتَمَ بَكْرٌ"^(٤). وقد افترض ابن الأنباريّ (٥٧٧هـ) في أسرارهِ أسئلة، وأجاب عنها، تدور في معظمها حول مفهوم الفعل المبني للمجهول وتسميته والعلّة في رفعه، ولا مجال لتفصيل ذلك هنا^(٥).

أ - الجملة الفعلية ذات الفعل المتعدي إلى مفعولٍ واحدٍ في الأصل:

إنَّ الفعل إذا كان متعديًا إلى مفعولٍ واحدٍ في الأصل، بعد بنائه للمجهول يصير فعليًا لازمًا. ومِمَّا يندرج تحت هذا النَّمط من الجمل، قوله (عليه السلام): "يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى

(١) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٣ / ٣٦٨ ، وينظر: صحيح مسلم: ٤ / ١٩٥٨.

(٢) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٣ / ٦٢٨ ، وينظر: كنز العمال: ٢ / ٦٢٧.

(٣) المقتضب: ٤ / ٥٠ ، وينظر: الجمل في النحو: ٧٦.

(٤) اللّمع في العربيّة: ٣٥.

(٥) ينظر: أسرار العربيّة: ٨٨.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

نِيَاتِهِمْ^(١). فالفعل (يُحْشَرُ) في الحديث المبارك فعلٌ مضارعٌ مبنيٌّ للمجهول، و(النَّاس) نائب فاعل له، وهو في الأصل مفعولٌ به للفعل قبل بنائه للمجهول. وغياب الفاعل في الحديث الشريف أبلغ من ذكره؛ لأنَّ الغرض الذي بُني الفعل للمجهول من أجله يتعلّق بيوم القيامة، وهو يومٌ مجهولٌ تحديده عند البشر، فضلاً عن كون الفاعل وهو الله سبحانه وتعالى معلوماً عند المخاطبين، فلا حاجة لإظهاره.

ب- الجملة الفعلية ذات الفعل المتعدي إلى مفعولين في الأصل:

ومما يُستشهد به على هذا النمط، قوله (ﷺ) الذي يذكر فيه أصناف النَّاس عند مرورهم على الصَّراط يوم القيامة: "فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُضِي عَلَيْهِ كَلَمَحِ الْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُضِي عَلَيْهِ كَمَرِّ الرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورًا إِلَى مَوْضِعِ قَدَمَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْبُو حَبْوًا، وَتَأْخُذُ النَّارُ مِنْهُ بِذُنُوبٍ أَصَابَهَا"^(٢).

نلاحظ أنَّ الفعل المبني للمجهول في الحديث المبارك (يُعْطَى) تعديٌّ إلى مفعولين، الأوّل منهما الضمير المستتر الذي يعود على من يمرُّ على الصَّراط يوم القيامة؛ إذ صار الضمير نائباً عن الفاعل، والثاني هو (نوراً) الذي بقي محافظاً على موقعه الإعرابي.

ت- الجملة الفعلية النائب فيها عن الفاعل شبه جملة:

قد ينوب الظرف أو الجار والمجرور عن نائب الفاعل، عند بناء الفعل للمجهول، وحذف فاعله، وعدم وجود مفعولٍ به ينوب عن الفاعل^(٣). ومثال ما ورد في حكم النبي الأعظم على هذا النمط، دعاؤه (ﷺ): "يَا مُنِيرُ، يَا مُبِينُ، يَا رَبِّ، اكْفِنِي شَرَّ الشُّرُورِ، وَأَفَاتِ الدُّهُورِ، وَأَسْأَلُكَ النَّجَاةَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ"^(٤). فالفعل (يُنْفَخُ) في الحديث الشريف مبنيٌّ للمجهول، وقد نابت شبه الجملة (في الصُّورِ) عن الفاعل. وبناء الفعل الذي لم يسمَّ فاعله في هذا الموضع من الحديث الشريف أبلغ من لو بُني للمعلوم؛ لأنَّ هذا الموضع يصف أهوال يوم العرض الأكبر؛ إذ لا مجال لظهور الفاعل في ذلك المشهد المرعب الذي تهلع له كلُّ البشريّة.

(١) حكم النبي الأعظم: ١٥٦ / ٥ ، وينظر: كنز العمال: ٣٣٦ / ٤.

(٢) حكم النبي الأعظم: ٥٣١ / ٢ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٠ / ٨.

(٣) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ١٣٧-١٣٨.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٦٢٨ / ٣ ، وينظر: بحار الأنوار: ٢٠٧ / ٣٦.

المبحث الثاني

الجملة الخبرية المنفية

النفي "عبارة عن الإخبار عن ترك الفعل"^(١). وهو بابٌ من أبواب المعنى، وأسلوبٌ لغويٌّ مهمٌّ، تستدعيه مناسبات الكلام، ويلجأ إليه المتحدث لنقض وإنكار شيءٍ ما يدور في ذهن المتلقي^(٢). والغاية التي يسعى إليها المتكلم عن طريق لجوئه إلى النفي هي "إخراج الحكم في تركيب لغويٍّ مثبتٍ إلى ضده، وتحويل معنى ذهنيٍّ من الإيجاب والقبول إلى حكمٍ يخالفه"^(٣).

ويُعدُّ النفي عارضاً من العوارض اللغوية التي تتعرض له بنية الجملة العربية، فيفيد عدم ثبوت نسبة المنسند للمنسد إليه في الجملة العربية، سواء أكانت الجملة فعلية أم اسمية. فالنفي في جملة: (محمد لم يحضر) يتجه في حقيقته إلى المنسد، وهو الجملة الفعلية الواقعة في محل رفع خبر، أمّا المنسد إليه فلا ينفي. والحال ذاتها في الجملة الفعلية، فالنفي لا بُدَّ أن يتجه إلى المنسد وهو الفعل نحو: لم يحضر علي^(٤).

إنَّ أدوات النفي التي تنفي الجمل في العربية كثيرة، ومبثوثة في كتب النحويين، وهي (غير، ليس، ما، لا، لم، لمّا، لن، إن، لات)؛ إذ إنَّ النحويين لم يدرسوا هذه الأدوات في بابٍ محدّدٍ، وإنّما تشتّتت تلك الأدوات في أبوابٍ متفرقة بحسب عملها، فدرسوا (ليس) مع كان وأخواتها، وألحقوا بها بعض الأدوات التي تعمل عملها كـ(ما، إن، لا) العاملة عمل كان. ودرسوا (لم، لمّا) في جوازم الفعل المضارع، والأداة (لن) تُدرست مع نواصب الفعل المضارع. أمّا (لا) النافية للجنس، فقد أُلحقت بـ(إن) وأخواتها؛ لمضارعها (إن) في العمل^(٥).

(١) التعريفات: ٢٤٠.

(٢) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٤٦.

(٣) في التحليل اللغوي، خليل أحمد عميرة: ١٥٤.

(٤) ينظر: بناء الجملة العربية: ٢٨٠.

(٥) ينظر: النحو العربي نقد وبناء: ٨٢-٨٣، في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٤٧-٢٤٨.

الباب الثاني..... بناءُ الجملةِ في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظمِ

والنَّفي في العربيّة يقسم على ضربين، الأوّل نفيّ ظاهر (صريح)، وهو لا يكون إلاّ بأداةٍ من الأدوات الّتي ذُكرت. والثّاني نفيّ ضمنيّ، يُفهم عن طريق السّياق الّذي يرد فيه دون الحاجة إلى استعمال أداة نفي (١).

وسأقتصر على دراسة الضّرب الأوّل، وهو النّفي الظّاهر (الصّريح)؛ كونه يتعلّق بالبنية السّطحيّة للجملة، الّتي هي في مدار بحثنا؛ لذا سأورّع الأدوات الّتي وردت في حِكم النَّبِيِّ الأعظم، على ثلاثة أنواع:

أوّلاً : ما ينفي الجملة الاسميّة فقط.

ثانيّاً: ما ينفي الجملة الفعلية فقط.

ثالثاً: ما ينفي كلتا الجملتين.

أوّلاً : ما ينفي الجملة الاسميّة فقط: (ليس)

(ليس) من الأدوات الّتي تختصّ بنفي الجملة الاسميّة. ضمّها النّحويّون مع (كان وأخواتها)؛ كونها تعمل عملها في رفع المبتدأ ونصب الخبر. وقد اختلف فيها كباقي موضوعات النّحو؛ إذ إنّها لم تكن محلّ اتّفاق بين النّحويّين. فقد اختلف في كونها فعلاً أم حرفاً، واختلفوا أيضاً في إلحاقها بـ(كان وأخواتها) (٢).

أمّا أصلها، فقد نُقل عن الخليل (١٧٠هـ)، والفرّاء (٢٠٧هـ) أنّ أصل (ليس) هو (لا أيس)، يقول الخليل: "معناه (لا أيس) فطُرِحَتِ الهمزة وأُلزِمَت اللام بالياء" (٣). واستدلّ الفرّاء على هذا الأصل، بأنّ العرب تقول: "انْتَبَيْ بِهِ مِنْ حَيْثُ أَيْسَ وَلَيْسَ، وَجِيءَ بِهِ مِنْ أَيْسَ وَلَيْسَ أَي: مِنْ حَيْثُ هُوَ وَلَيْسَ هُوَ" (٤).

وأمّا الخلاف في كونها فعلاً أو حرفاً، فقد ذهب سيبويه (١٨٠هـ) إلى أنّها فعل بدليل اتّصالها بالضمائر نحو: لستُ، لسنا...، وتابعه على هذا عددٌ من النّحويّين (٥).

(١) ينظر: بناء الجملة العربيّة: ٢٨٢.

(٢) ينظر: في النّحو العربيّ نقد وتوجيه: ٢٥٧-٢٦٠.

(٣) كتاب العين: ٧ / ٣٠٠ (ليس).

(٤) لسان العرب: ٦ / ٢١٢ (ليس).

(٥) ينظر: الكتاب: ١ / ٥٧، والمقتضب: ٤ / ٨٧، وشرح المفصل: ٧ / ١١١، ومغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ١ / ٣٢٣.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

بيد أن ابن السراج (٣١٦هـ)، وأبا علي الفارسي (٣٧٧هـ) ذهبا إلى أن (ليس) حرف بمنزلة (ما)^(١).

وأما نفيها، فهي تنفي مضمون الجملة في الحال، بشرط ألا تُقيد بزمن محدد. فإن قُيدت بزمن، فهي أسيرة ذلك القيد الزمني، سواء كان ماضياً أم حالاً أم مستقبلاً^(٢). وعن إلحاقها بباب (كان وأخواتها)، يرى أ. د. مهدي المخزومي أن من الخلط عدّ (ليس) مع الأفعال الناقصة؛ كونها لا صلة تربطها بهذا الأفعال سوى عملها في الجملة الاسمية، فـ(ليس) نفي، و(كان) إثبات. و(كان) فعل، و(ليس) فعل جامد وشاذ عن بقية الأفعال^(٣). وهو رأي صائب مستحسن، نظر فيه المخزومي بمنظارٍ دلاليٍّ محضٍ، أجاد فيه؛ إذ إن العلاقة التي جمع فيها النحويون (ليس) بـ(كان) علاقة إعرابية، لا علاقة دلالية.

أما أنماط الجملة الاسمية المنفية بـ(ليس) الواردة في حكم النبي الأعظم، فهي كالتالي:

١ - اسمها معرفة وخبرها شبه جملة:

ومن الشواهد الواردة في حكمه (عليه السلام) على هذا النمط، قوله (عليه السلام): "ليس البر في حسن اللباس والزّي، ولكن البر في السكينة والوقار"^(٤). فوردت أداة النفي (ليس) واسمها معرفة (البر) معرفاً بـ(ال) التعريف، وخبرها شبه جملة من الجار والمجرور (في حسن اللباس والزّي).

٢ - اسمها معرفة وخبرها معرفة:

ومن أبرز ما يمثل هذا النمط في حديثه المبارك، قوله (عليه السلام): "ليس البيان كثرة الكلام، ولكن فصل في ما يحب الله عز وجل"^(٥). فاسم ليس (البيان) وهو اسم معرفة، وخبرها (كثرة الكلام) وهو اسم معرفة أيضاً، معرف بالإضافة.

(١) ينظر: الأزهية في علم الحروف: ١٩٥، وشرح قطر الندى: ٢٨. شرح ابن عقيل: ١/ ١٢٢.

(٢) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٣٢٣، والجملة الاسمية: ١٠٦-١٠٧، وبناء الجملة العربية: ٢٨٥، ومعاني النحو: ٢٥٠-٢٥١.

(٣) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٦٠.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٤/ ٥١٣، وينظر: كنز العمال: ٣/ ٢٥٢.

(٥) حكم النبي الأعظم: ٤/ ١١٤، وينظر: كنز العمال: ١٠/ ١٩٢.

٣- اسمها ضمير مستتر وخبرها مجرور بالباء الزائدة:

ومن أمثلة هذا النمط، قوله (عليه السلام): "إِيَّاكُمْ وَتَخْشَعُ النَّفَاقَ، وَهُوَ أَنْ يُرَى الْجَسَدُ خَاشِعاً وَالْقَلْبُ لَيْسَ بِخَاشِعٍ"^(١). فاسم ليس في الحديث المبارك ضمير مستتر، تقديره (هو) يعود على (القلب)، وخبرها (بخاشع) وهو خبر ليس مجرور لفظاً منصوب محلاً.

٤- اسمها معرفة وخبرها يكون مصدرًا مؤولاً:

ومن أمثلة هذا النمط، قوله (عليه السلام): "لَيْسَ الْجِهَادُ أَنْ يَضْرِبَ بِسَيْفِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ أَنَّمَا الْجِهَادُ مَنْ عَالَ وَالِدِيهِ وَعَالَ وَلَدَهُ، فَهُوَ فِي جِهَادٍ. وَمَنْ عَالَ نَفْسَهُ يَكْفُهَا عَنِ النَّاسِ فَهُوَ فِي جِهَادٍ"^(٢). نلاحظ في الحديث المبارك قد وردت (ليس)، وورد اسمها معرفة (الجهاد)، وخبرها المصدر المؤول من (أن والفعل المضارع)، وتقدير المصدر (ضرباً)، أي: (ليس الجهاد ضرباً).

ثانياً: ما ينفي الجملة الفعلية: (لن، لم)

١- لَنْ :

(لن) من جملة أدوات النفي المختصة بالدخول على الجملة الفعلية المضارعية فقط دون غيرها؛ إذ تنفي الفعل المضارع وتحول دلالة الفعل من الحال إلى الاستقبال. أمّا تأثيرها الإعرابي، فهي تنصب الفعل المضارع^(٣).

و(لن) هي الأخرى التي لم تسلم من الخلاف بين النحويين؛ إذ اختلف فيها أهي مركبة أم بسيطة؟، فالخليل (١٧٠هـ) يرى أنّ (لن) مركبة من (لا أن)، وحذفت من هذا التركيب الألف والهمزة تخفيفاً؛ لكثرة استعمالها في الكلام، فصارت (لن) حرفاً واحداً^(٤). ويرى الفراء (٢٠٧هـ) أنّ (لن) أصلها (لا)، ثمّ أبدلت الألف نوناً^(٥). بيد أنّ سيبويه وجمهور النحويين، يرون أنّ (لن) بسيطة، وحرف بذاتها، لا تركيب فيها^(٦).

(١) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ١٦٦ / ٥ ، وينظر: بحار الأنوار: ١٦٤ / ٧٧.

(٢) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ١٦ / ٧ ، وينظر: كنز العمال: ٦٠٧ / ٤.

(٣) ينظر: الكتاب: ٢٢٠ / ٤ ، ومغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٣١٢ / ١.

(٤) ينظر: الكتاب: ٥ / ٣.

(٥) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٣١٣ / ١.

(٦) ينظر: الكتاب: ٥ / ٣ ، والمقتضب: ٨ / ٢.

أمّا دلالتها في النَّفي، فهي "لتأكيد ما تعطيه (لا) من نفي المستقبل تقول: لا أبرح اليوم مكاني فإذا وكدت وشددت قلت: لن أبرح اليوم مكاني"^(١). وذهب الزّمخشرى (٥٣٨هـ) إلى أنها تدلّ على التّأبيد، وأنّ نفيها مستمرّ ولا يتحوّل للإثبات^(٢)، وأنكر الاسترّباذى (٦٨٦هـ) في أنّ (لن) للتّأبيد^(٣). وردّ ابن هشام (٧٦١هـ) دعوى الزّمخشرى، بقوله: "ولو كانت للتّأبيد لم يقيد منفيها باليوم في ﴿فَلَنْ أَكَلَمَ الْيَوْمَ نُسِيكًا﴾^(٤) **نُسِيكًا**"^(٥)، ولكان ذكر الأبد في ﴿وَلَنْ يَسْمُوهُ أَبَدًا﴾^(٥) تكراراً، والأصلُ عدمه"^(٦).

ومما ورد من جمل فعلية منفية بـ(لن) في حِكمِ النَّبيِّ الأعظم، قوله (ﷺ): "تَقَكَّرُوا في خلقِ الله ولا تَقَكَّرُوا في الله؛ فَإِنَّكُمْ لَنْ تُقَدِّرُوا قَدْرَهُ"^(٧)، وقوله (ﷺ): "لَنْ يَشْبَعَ الْمُؤْمِنُ مِنْ خَيْرٍ يَسْمَعُهُ حَتَّى يَكُونَ مُنْتَهَاهُ الْجَنَّةُ"^(٨).

نلاحظ أنّ أداة النَّفي (لن) في الحديث الشريف الأول دخلت على الفعل المضارع (تَقَدِّرُوا)، وقد نصبته بحذف النّون؛ لأنّه من الأمثال الخمسة. وخلصته للاستقبال، ونفيها أكثر توكيداً من لو أُستعملت (لا) في موضعها، وقد أفادت التّأبيد في الحديث الشريف؛ إذ دلّت على استمرار النَّفي؛ لأنّ كلّ البشر عاجزون عن إدراك حقيقة وقدّر الله عزّ وجلّ، ولا سبيل لأحدٍ منهم على إدراكها.

أمّا في الحديث المبارك الثاني، فقد دخلت (لن) على الفعل المضارع (يشبع) ونفت (الشّبع) في المستقبل نفياً مؤكّداً. ولم تدلّ على التّأبيد في الحديث الشريف الثاني؛ لأنّ الشّبع من الخير ينتهي بدخول المؤمن الجنّة، فالنّفي مستمرّ إلى زمنٍ محدّدٍ لا مطلقاً.

(١) المفصل في صنعة الإعراب: ٤٠٧ ، وينظر: معاني النّحو: ٣ / ٣٦٠.

(٢) ينظر: الكشاف: ٢ / ٢٢١.

(٣) ينظر: شرح الرّضوي على الكافية: ٤ / ٣٨.

(٤) سورة مريم، آية: ٢٦.

(٥) سورة البقرة، آية: ٩٥.

(٦) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١ / ٣١٦ ، وينظر: معاني النّحو: ٣ / ٣٥٩ ، والبلاغة العربيّة أسسها وعلومها...: ١ / ١٩٣.

(٧) حكم النَّبيِّ الأعظم: ١ / ٥١٥ ، وينظر: تنبيه الخواطر: ١ / ٢٥٨.

(٨) حكم النَّبيِّ الأعظم: ٣ / ٥٨٠ ، وينظر: سنن الترمذي: ٤ / ٦٢٠.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

و نستشف من دلالة النفي في الحديثين المباركين، أنّ (لن) قد يكون نفيها تأبيدًا، وعند ذلك يستمرّ النفي دون أن يتحوّل للإثبات. وقد لا يكون تأبيدًا. والذي يحدّد تأبيدها من عدمه هو السياق، ودلالة القرائن المتوافرة في النصّ.

٢- لم :

وهي حرف نفي وقلب وجزم مختصّ بالدخول على الفعل المضارع فقط. درسها النحويّون في جوازم الفعل المضارع التي تجزم فعلاً واحداً، يقول سيبويه (١٨٠هـ): "هذا باب ما يعمل في الأفعال فيجزمها، وذلك: لم، ولما، واللام التي في الأمر، وذلك قولك: ليفعل، ولا في النهي" (١).

ويرى الخليل أنّ (لم) مركّبة من لامٍ و(ما)، يقول في ذلك: "اللام مفصولة من الميم، إنّما هي لامٌ ضمت إلى (ما)، ثمّ حذفت الألف" (٢).

أمّا تأثيرها الدلاليّ، فهي تقوم بقلب دلالة الفعل المضارع إلى الماضي (٣). ويرى د. فاضل السامرائي أنّ النفي بـ(لم) قد يكون "منقطعاً أي انتفى حدوث الفعل في وقت ما، ثم أنقطع النفي، وذلك نحو قولك: (لم يحفظ محمد القصيدة أمس، وإنّما حفظها اليوم). وقد يكون النفي متصلاً إلى زمن المتكلّم، نحو (لم يعد خالدٌ من سفره إلى اليوم)، وقد يكون مستمرّاً لم ينقطع ولا ينقطع وذلك نحو قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (٤) (٥).

وقد ورد دخول (لم) على الفعل المضارع في حكم النبي الأعظم، في مواضع متعددة، منها قوله (عليه السلام): "مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً، لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ لَهُ فِي حَاجَةٍ، حَتَّى يَنْظُرَ فِي حَاجَاتِهِمْ وَيُؤَدِّيَ إِلَيْهِمْ حُقُوقَهُمْ" (٦). نلاحظ في الحديث المبارك أنّ أنّ الفعل (ينظر) فعلٌ مضارعٌ مجزومٌ بـ(لم)، وقد حُرك بالكسر؛ منعاً لالتقاء ساكنين. وأمّا دلالة نفيها في الحديث الشريف، فنفيها متصل إلى زمن المتكلّم.

(١) الكتاب: ٨ / ٣ ، وينظر: شرح الرضوي على الكافية: ٨١ / ٤ ، وجامع الدروس العربيّة: ١/١٨٤.

(٢) كتاب العين: ٨ / ٣٢١ (لم).

(٣) ينظر: شرح المفصل: ٨ / ١١٠ ، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١ / ٣٠٥.

(٤) سورة الإخلاص، آية: ٣.

(٥) معاني النحو: ٤ / ١٨٩.

(٦) حكم النبي الأعظم: ٢ / ٦٢٢-٦٢٣ ، وينظر: تاريخ بغداد: ٦ / ٧٦.

الباب الثاني..... بناءُ الجملةِ في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظمِ

وفي قوله (ﷺ): "يا حَيُّ الَّذِي يَرزُقُ كُلَّ حَيٍّ، يا حَيَّا لَمْ يَرِثِ الْحَيَاةَ مِنْ حَيٍّ، يا حَيُّ الَّذِي يُحْيِي الْمَوْتَى، يا حَيُّ يا قَيُّومٌ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ"^(١). وردت (لم) في الحديث الشريف، وقد دخلت على الفعل المضارع (يَرِثُ). ونفيها مستمرٌّ وثابتٌ دون انقطاع، فلا ينقطع أبداً، وهذان الحديثان يؤكِّدان صحة ما ذهب إليه السَّامِرِيُّ.

ثالثاً: ما ينفي كلتا الجملتين: (ما، لا)

١ - (ما)

تُعَدُّ (ما) من حروف النفي التي تدخل على كلتا الجملتين: الاسميّة، والفعلية. فأما التي يكون دخولها على الجملة الاسميّة، فهي على ضربين: الأولى مهملةٌ قياساً على لغة تميم، والثانية عاملةٌ عمل (ليس) قياساً على لغة أهل الحجاز^(٢)، وقد ذكر النحويّون شروط متعددة لعملها^(٣). ويرى المبرّد (٢٨٥هـ) أنَّ سبب حمل (ما) النافية على (ليس)؛ لأنّه "لم يكن بين نفيهما فصلٌ البتّة، حتّى صارت كلّ واحدةٍ تُغني عن الأخرى لذلك أجروها مجراها"^(٤). و(ما) الدّاخله على الجمل الاسميّة سواء أكانت عاملةً عاملةً أم كانت مهملةً فهي تفيد "نفي المعنى عن الخبر في الزّمن الحالي عند الإطلاق"^(٥). وذكر أ. د. مهديّ المخزوميّ أنَّ الأصل في عمل الحرف أن يكون مختصّاً، كحروف الجزم، وحروف النّصب، و(ما) لم تختصّ بشيءٍ واحدٍ؛ ولهذا يرى الأفضل عدم إعمالها^(٦).

وقد ورد دخول (ما) على الجملة الاسميّة في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم، في دعائه (ﷺ) حين يفتح الصّلاة بعد التّكبير: "وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا

(١) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٥٩١ / ١ ، وينظر: البلد الأمين: ٤٠٨.

(٢) ينظر: الكتاب: ٦٠ / ١ و ٢٢١ / ٤ ، والمقتضب: ١٨٩ / ٤ ، والأصول في النّحو: ٢ / ٢١٠.

(٣) ينظر تلك الشّروط في : المقتضب: ١٨٨/٤-١٨٩ ، ومعاني النّحو للزّمانيّ: ٨٨ ، وشرح المفصل: ١/ ١٠٨ ، والجنى الدّاني في حروف المعاني: ٣٢٣ ، وشرح ابن عقيل: ١ / ١٤٠ ، وجامع الدّروس العربيّة: ١ / ٢٩٢.

(٤) المقتضب: ١٨٨ / ٤.

(٥) النّحو الوافي: ١ / ٥٩٣.

(٦) ينظر: في النّحو العربيّ نقد وتوجيه: ٢٤٩.

الباب الثاني..... بناءُ الجملةِ في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظمِ

أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ...^(١). ففي الحديث الشريف دخلت (ما) على الجملة الاسمية؛ إذ دخلت على معرفة وهو الضمير (أنا)، وخبرها شبه الجملة (من المشركين). و(ما) في هذا الموضع تحمل الوجهين، العمل أو الإهمال، ويرى عباس حسن "الذي يحسن الأخذ به في عصرنا هو الإعمال؛ لأنه اللغة العالية، لغة القرآن وأكثر العرب، ولا داعي للأخذ باللغة الأخرى -وهي صحيحةً أيضًا- يجوز الأخذ بها، منعًا للبلبلّة وتعدّد الآراء من غير فائدة"^(٢).

وقد وردت (ما) نافية مهمله في حكمه (ﷺ) لإخلال أحد شروط إعمالها، وهو ألاّ يتقدّم خبرها على اسمها. ففي قوله (ﷺ): "مَا لِلنَّفْسَاءِ عِنْدِي شِفَاءٌ مِثْلُ الرُّطْبِ، وَمَا لِلْمَرِيضِ مِثْلُ الْعَسَلِ"^(٣). نلاحظ أنّ الخبر (للنفساء، للمريض) ورد متقدّمًا على اسمها (شفاء، مثل العسل)، فأهملت عن العمل، ولم تعمل في المبتدأ والخبر شيئاً سوى نفت اتّصاف الخبر بالمبتدأ.

أمّا التي تدخل على الجملة الفعلية، فهي نافية غير عاملة. فإذا دخلت على الفعل المضارع نفته، وخلصه للحال، يقول سيبويه (١٨٠هـ) في ذلك: "وَأَمَّا (ما)، فهي نفية لقوله: هو يفعل إذا كان في حال الفعل، فتقول: ما يفعل"^(٤). وإذا دخلت على الجملة الفعلية الماضية، فإنّ الفعل يبقى على معناه في الماضي^(٥).

ومن شواهد نفيها للفعل المضارع في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم، قوله (ﷺ): "ما أخافُ على أمتي الفقرَ، ولكن أخافُ عليهم سوءَ التدبير"^(٦). ف(ما) في الحديث المبارك، قد دخلت على فعل مضارع (أخافُ) مُخلّصة معناه للحال.

أمّا مثال نفيها للفعل الماضي، ففي قوله (ﷺ): "ما تجرّع عبدٌ جرعةً أفضلَ عندَ الله من جرعة غيظٍ كظمها لله ابتغاءَ وجهِ الله"^(٧)، وفي قوله (ﷺ): "ما أخلصَ عبدٌ

(١) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٢٥٨ / ٥، وينظر: سنن الترمذي: ٤٣ / ٦.

(٢) النحو الوافي: ٥٩٤ / ١.

(٣) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ١٤٠ / ٤، وينظر: كنز العمال: ٤٤ / ١٠.

(٤) الكتاب: ٢٢١ / ٤.

(٥) ينظر: الكتاب: ١١٧ / ٣، ووصف المباني: ٣١٣.

(٦) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ١٣ / ٧، وينظر: عوالي اللئالي: ٣٩ / ٤.

(٧) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٦٢ / ٥، وينظر: كنز العمال: ١٣٠ / ٣.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النَّبِيِّ الأعظم

لله عز وجل أربعين صباحاً إلا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه^(١). فقد دخلت (ما) في الحديثين المباركين على فعلٍ ماضٍ (تَجَرَّعَ، أَخْلَصَ)، ونفت الفعلين مع بقاء معنى المضى عليهما.

٢- (لا)

تُعَدُّ (لا) من بين أكثر حروف العربية تنوعاً؛ لذا عُقِدَتْ لها أبواباً في كتب النحو ضمت في تضاعيفها أنواع (لا) وشروط إعمالها^(٢). وهذه الكثرة في التنوع والاستعمال يعود لشموليتها في النقي؛ إذ إنها تنفي ما بعدها نفياً شاملاً مستغرقاً^(٣). و(لا) تدخل على الجملتين، الاسمية والفعلية، فأما التي تختص بالدخول على الجملة الاسمية، فهي على ضربين: الأولى (عاملة عمل ليس)، والثانية (نافية للجنس).

فأما التي تعمل عمل (ليس)، فإعمالها قليل^(٤)، وهي غير عاملة عند الأخفش (٢٢٣هـ) والمبرد (٢٨٥هـ)^(٥). وعند إعمالها تعمل بالشروط نفسها التي اشترطها النحويون في إعمالها (ما)، ويزاد على تلك الشروط أن يكون اسمها وخبرها نكرتين^(٦)، ويجوز بها النقي مطلقاً، سواء نفي الوحدة أو نفي الجميع^(٧). ولم يرد شاهدٌ عليها في حكم النَّبِيِّ الأعظم.

أما (لا) التي تعمل عمل (إن)، فتسمى بـ(لا النافية للجنس)؛ كونها تنفي جميع أفراد الجنس الواحد دون احتمال^(٨)، وتسمى أيضاً بـ(لا التبرئة)^(٩)؛ "لأنها تفيد تبرئة المتكلم

(١) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ١٦٣/٥ ، وينظر: عيون أخبار الرضا: ٢/ ٦٩.

(٢) ينظر: الكتاب: ٢/ ٢٧٤ ، والمقتضب: ٤/ ٣٥٧ ، والأصول في النحو: ١/ ٣٧٩ ، وشرح ابن عقيل: ٢/ ٣ ، والجنى الذاني: ٢٩٠ ، ومغني اللبيب: ١/ ٢٦٤.

(٣) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٤٩.

(٤) ينظر: الكتاب: ٢/ ٢٩٥-٢٩٦.

(٥) ينظر: المقتضب: ٤/ ٣٥٩-٣٦٠ ، شرح المفصل: ١/ ١٠٩ ، وشرح التصريح: ١/ ٢٦٧.

(٦) ينظر: شرح المفصل: ١/ ١٠٨ ، ورصف المباني: ٢٦٢، وشرح التصريح: ١/ ٢٦٧ ، وجامع الدروس العربية: ١: ٢٩٤.

(٧) ينظر: النحو الوافي: ١/ ٦٨٧.

(٨) ينظر: شرح ابن عقيل: ٢/ ٣.

(٩) ينظر: الأزهية في علم الحروف: ١٤٩ ، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٢٦٤ ، وشرح التصريح: ١/ ٣٣٦.

الباب الثاني..... بناءُ الجُمْلَةِ في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم

للجنس وتنزيهه إيّاه عن الاتّصاف بالخبر^(١). والتّسمية الأولى أكثر استعمالاً بين النّحويّين من الثّانية.

تدخل (لا) النّافية للجنس على الجملة الاسميّة فقط، وتعمل عمل (إنّ) كما ذكرنا؛ إذ تنصب المبتدأ وترفع الخبر، والعلة في حمل (لا النّافية للجنس) على (إنّ) تعود لمضارعها لها من أربعة أوجه: "أحدّها أنّ كلّاً منهما يدخل على الجُمْلَةِ الاسميّة، والثّاني أنّ كلّاً منهما للتأكيد، فـ(لا) لتأكيد النّفي، و(إنّ) لتأكيد الإثبات، والثّالث أنّ (لا) نقيضة (إنّ)، والشّيء يُحمَل على نقيضه كما يُحمَل على نظيره، والرّابع أنّ كلّاً منهما له صدر الكلام"^(٢).

أمّا نفيها، فيراد به "التّنصيص على استغراق النّفي للجنس كلّ"^(٣)، يقول المبرّد (٢٨٥هـ): "إذا قلت: (لا رجل في الدّار) لم تُقصِد إلى رجلٍ بعينه، وإنّما نفيت عن الدّار صغيرَ هذا الجنس وكبيره... ألا ترى أنّ المعرفة لا تقع ها هنا؛ لأنّها لا تدلّ على الجنس، ولا يقع الواحد منها في موضع الجميع"^(٤).

ومن أمثلة الجملة الاسميّة المنفيّة بـ(لا النّافية للجنس)، قوله (عليه السلام): "لا كبير مع الاستغفار، ولا صغير مع الإصرار"^(٥). ففي الحديث الشريف دخلت (لا النّافية للجنس) للجنس على الجملة الاسميّة، فكان اسمها (كبير، صغير) وهو مبنيّ على الفتح، وخبرها يجوز أنّ يكون شبه الجملة (مع الاستغفار، مع الإصرار) أو محذوف متعلّق بشبه الجملة، تقديره: (موجود)، وأمّا (لا) التي تدخل على الجملة الفعلية المضارعية أو الماضوية، فهي حرف نفي غير عامل؛ كونها لا تؤثر من النّاحية الإعرابية في الفعل الواقع بعدها. أمّا من النّاحية الدّلاليّة، فهي تنفي المستقبل فقط عند دخولها على الفعل

(١) جامع الدّروس العربيّة: ٣٢٩ / ١.

(٢) شرح التّصريح: ٣٣٦ / ١.

(٣) شرح ابن عقيل: ٣ / ٢.

(٤) المقتضب: ٣٥٧ / ٤.

(٥) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٥٦١ / ٤، وينظر: بحار الأنوار: ٣٥٥ / ٧٣.

الباب الثاني..... بناءُ الجُملةِ في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم

المضارع^(١)، يقول سيبيويه (١٨٠هـ): "وإذا قال: (هو يفعلُ)، ولم يكن الفعل واقعاً، فنفيه (لا يفعلُ)"^(٢).

وقد وردت (لا) النافية داخلية على الجملة الفعلية المضارعية في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم في مواضع متعددة، منها في قوله (ﷺ): "اغْتَنِمُوا دُعَاءَ ضَعْفَةِ أُمْتِي؛ فَإِنَّهُ يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيكُمْ. وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ"^(٣). ففي الحديث الشريف دخلت (لا) النافية على الفعل المضارع (يُستجابُ) ودلالة الاستقبال فيه واضحة.

أمَّا (لا) التي تدخل على الفعل الماضي، فدخولها قليلٌ جداً^(٤)، وعند دخولها على الفعل الماضي يجب تكرارها تمييزاً لها من (لا) التي تدخل على الفعل الماضي وتفيد الدَّعاء^(٥).

وقد وردت (لا) داخلية على فعلٍ ماضٍ ولم تتكرر، في قوله: (ﷺ) "إِنَّ لِلَّهِ مَائِدَةً عَلَيْهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، لَا يَقَعْدُ عَلَيْهَا إِلَّا الصَّائِمُونَ"^(٦). فـ(لا) النافية دخلت على فعلٍ ماضٍ (خَطَرَ)، وقد وردت (لا) داخلية على فعلٍ ماضٍ وقد دللت على الدَّعاء، وذلك في دعائه (ﷺ) على معاوية: "لا أَشْبَحَ اللَّهُ بَطْنَهُ!"^(٧).

وبعد دراسة الجمل الاسمية والفعلية المثبتة والمنفية في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم، يتضح لنا أنَّ الجمل المنفية قليلةٌ في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم قياساً بالجمل الاسمية والفعلية المثبتة.

كما أنَّ الغالب على الجمل الخبرية في حِكمه (ﷺ) هي الجمل الممتدة والمتفرعة، أي الجمل غير البسيطة، التي لا تقتصر على المسند والمسند إليه. فالجمل التي كيانها اللغوي بسيط، التي تكون "غير موصوفة بأنها كبرى أو صغرى"^(٨) ولا ترتبط بغيرها

(١) ينظر: الأزهية في علم الحروف: ١٥٠.

(٢) الكتاب: ١١٧ / ٤ و ٢٢٢.

(٣) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٤٧٤ / ٥.

(٤) ينظر: رصف المباني: ٢٥٩.

(٥) ينظر: الأزهية في علم الحروف: ١٦٧، والجنى الداني: ٢٩٧، بناء الجملة العربية: ٣٠٣.

(٦) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٣٧ / ٦، وينظر: المعجم الأوسط: ١٧٠ / ٩.

(٧) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٥٤٩ / ٥، وينظر: ينظر: بحار الأنوار: ٣٣ / ١٩٠.

(٨) الجملة العربية تأليفها وأقسامها: ١٦٩.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

ارتباطاً إسنادياً نحو قوله (عليه السلام): "السكينة زينة العبادة"^(١) قليلة قياساً بالجمال الممتدة التي بينها علاقة إسنادية.

فالأحاديث المباركة حين تبدأ بجملة اسمية تتفرع هذه الجملة إلى فعلية أو شرطية أو إنشائية، فإن وجدت جملة بسيطة مع تلك الجملة، فهي تتضافر معها لإتمام المعنى. ومرد ذلك هو أن الأحاديث المباركة التي تتسم بكونها ذات جمل بسيطة هي في أصلها جمل مجذوة من تراكيب لغوية ممتدة، كأن تكون مجذوة من خطبه  المباركة؛ إذ إن تلك الخطب بطبيعة حالها هي تراكيب لغوية ذات جمل ممتدة ومتفرعة، تنتظم بداخلها جمل بسيطة.

(١) حكم النبي الأعظم: ١٣٧ / ٥ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧ / ١٣١.

المبحث الثالث

الجملة الخبرية المنسوخة

الجملة الخبرية المنسوخة هي الجملة التي تتصدّر بناسخٍ فعليٍّ أو حرفيٍّ، وهذا النَّاسِخ لا يدخل إلّا على جملةٍ اسميّةٍ، محدثًا تغييرًا إعرابيًا في طرفي الإسناد فيها، وتغيّر حكم المنسد أو المنسد إليه بين الرفع والنصب.

والنّواسخ بحسب الصّيغة أو التّكوين اللَّفْظيِّ، تكون على ثلاثة أضربٍ "(أفعال) مثل: كان وأكثر أخواتها، و(أسماء) وهي المشتقات من مصادر تلك الأفعال التي يمكن الاشتقاق منها، مثل مصادر كان، وأصبح، وأمسى.... فيقال: كون كائن...و(حروف) مثل: (ما) الحجازية من أخوات كان.... ومثل (إنّ) وأخواتها"^(١).

وقد أشار سيبويه (١٨٠هـ) إلى مفهوم النّسخ، والعمل الذي يقوم به النَّاسِخ عند دخوله على الجملة الاسميّة، بقوله: "وكذلك هذه الحروف، منزلتها من الأفعال. وهي أنّ، ولكنّ، وليت، ولعلّ، وكأنّ. وذلك قولك: إنّ زيدًا منطلقًا، وإنّ عمرًا مسافرًا، وإنّ زيدًا أخوك. وكذلك أخواتها. وزعم الخليل أنّها عملت عملين: الرفع والنّصب، كما عملت كان الرفع والنّصب حين قلت: كأنّ أخاك زيدًا"^(٢). فهذه النّواسخ تعمل في الجملة الاسميّة، وتغيّر في صورتها الأساسيّة، وفي حكم طرفي الإسناد فيها.

اصطلاح النّحويّون قديمًا وحديثًا على تسمية هذا الضّرب من الجمل بـ(الجملة المنسوخة) أو (نواسخ الابتداء)، وهاتان التّسميتان هما الشّائعتان في الاستعمال النّحويّ^(٣).

بيد أنّ بعض المحدثين عدلوا عن هذا المصطلح إلى مصطلحات أخرى، فهذا د. عليّ أبو المكارم ينظر إلى هذا الضّرب من الجمل بمنظارٍ دلاليٍّ محضٍ، ليسميها بـ(الجملة المقيدة)، ويعلّل عدوله هذا، بأنّ مصطلح النّسخ قد ارتبط "في تصوّر النّحاة بالتّغيّر الذي يصيب الحالة الإعرابيّة دون التّفات إلى بقيّة صور التّغيير التي تلحق

(١) النّحو الوافي: ١ / ٥٤٥ في الهامش.

(٢) الكتاب: ٢ / ١٣١ ، وينظر: توضيح المقاصد: ١ / ٤٩٢ ، وأوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك: ١ / ٢٣١.

(٣) ينظر: شرح ابن عقيل: ١ / ١٢٢ ، والنّحو الوافي: ١ / ٥٤٣.

الباب الثاني..... بناءُ الجُملةِ في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم

الجُملة الاسميّة^(١). ويصطلح أ. د. مهديّ المخزوميّ على تسميتها بـ"أفعال الكينونة أو الوجود"^(٢).

والبعض الآخر يرى أنّ هذا الضّرب من الجمل يبقى جُملة اسميّة حتّى مع دخول النَّواسخ؛ لأنّ النَّاسِخ لا يشكّل عنصراً تكوينيّاً في الجُملة سوى أنّه يضيف عليها دلالة الزّمن دون تغيير في علاقة الإسناد^(٣).

ونلفى بعض الباحثين اصطلاح تسمية (الجُملة الفعلية المحوّلة) على الجمل المنسوخة بالأفعال النَّاسِخ^(٤)؛ إذ يرون "أنّ هذا الضّرب من الجمل هو في الأصل جُملة اسميّة؛ ولكنها تحوّلت إلى جُملة فعلية"^(٥).

وعلى خلاف ذلك اصطلاح أ. د. عصام كاظم الغالبّي على تسميتها بـ(الجُملة الاسميّة المنسوخة بالأفعال النَّاقصة) جامعاً بهذا المصطلح بين التّسميتين؛ إذ يرى أنّ هذا الضّرب من الجمل اسميّة في الأصل، وتصدّر الفعل النَّاقص عليها، هو تصدّر عارضٌ ليس بأصل. كما لا يفضّل الغالبّي تسميتها بالجُملة الفعلية المحوّلة؛ لأنّ مصطلح الجُملة الفعلية لا يطلق إلّا على الجُملة المكوّنة من فعلٍ وفاعلٍ؛ لأنّهما طرفي الإسناد اللّذان يكوّنان هذا الكيان اللّغويّ (الجُملة الفعلية)، ولا فاعلٍ في الجُملة المنسوخة بالفعل النَّاقص. فضلاً عن هذا فإنّ الغالبّي ردّ دعوى من ادّعى أنّ اسم (كان) مُشابه للفاعل، بأنّه لا دليل يؤيّد، وما ذلك الادّعاء إلّا من باب المشابهة بالعلامة الإعرابية^(٦).

(١) الجُملة الاسميّة: ٧٥.

(٢) في النّحو العربيّ نقد وتوجيه: ١٧٦.

(٣) ينظر: بناء الجُملة العربيّة: ١٢٣-١٢٤.

(٤) ينظر: بناء الجُملة العربيّة في ديوان النَّابغة الذّبيانيّ (رسالة ماجستير)، عبد الجليل عبيد حسين العاني: ٤٠، والجُملة الخبريّة في مجموعات الشّعر العربيّ القديم، المفضّليات والأصمعيّات (أطروحة دكتوراه)، مجهد جيجان الدّليمي: ٧٦-٧٧.

(٥) صفحة ١٤٦ من الدّراسة الحالية.

(٦) ينظر: البناء اللّغويّ للشّعر العربيّ الأصمعيّات أنموذجاً (أطروحة دكتوراه)، عصام كاظم الغالبّي: ٢٣٢.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

وتسمية الغالبية هي الأقرب لوصف هذا الضرب من الجمل؛ لأن أصل المسند إليه في هذه الجمل هو اسم؛ ولكن دخول العارض (الأفعال الناقصة) أصبغ هذه الجمل بصبغة الفعلية، فالجمع بين التسميتين هو الصواب.

وانطلاقاً مما سبق بيانه قُسم هذا المبحث على ضربين: الأول للجملة الاسمية المنسوخة بالحرف، وسنتناول فيه (لكن) و(كأن)، أما الحروف الناقصة الأخرى فسيُدرس كل منها في موضعه بحسب معناه، والآخر للجملة الاسمية المنسوخة بالأفعال الناقصة (كان وأخواتها)، أما (ليس) فدرست في الجملة الخبرية المنفية.

أولاً: الجملة الاسمية المنسوخة بالحرفين (لكن، كأن):

١ - (لكن):

هو حرف مشبّه بالفعل، يختص بالدخول على الجمل الاسمية دون غيرها، فيعمل في المبتدأ النصب، ويبقي على الخبر الرفع^(١). يصف ابن يعيش (٦٤٣هـ) (لكن) بقوله: "أما (لكن)، فحرف نادر البناء لا مثال له في الأسماء والأفعال، وألفه أصل؛ لأننا لا نعلم أحداً يؤخذ بقوله ذهب إلى أن الالفات في الحروف زائدة"^(٢).

و(لكن) من الحروف التي اختلف فيها من حيث دلالتها، ومن حيث أصلها. فجمهور نحويي البصرة يرون أن (لكن) بسيطة، لا تركيب فيها، وجمهور نحويي الكوفة يرون أنها مركبة من (لا) و(إن) مع زيادة الكاف غير التشبيهية عليها، وحذفت الهمزة من هذا التركيب للتخفيف^(٣)، ولكل رأي من هذه الآراء ما يحسنه لدى النحويين، فرجحوا رأياً وردوا آخر^(٤)، وقال الفراء (٢٠٧هـ) أصل (لكن) هو (إن) "فزيدت على (إن) لام وكاف، فصارتا جميعاً حرفاً واحداً"^(٥). بيد أن ابن هشام (٧٦١هـ) نقل عن الفراء قوله بأن "أصلها (لكن أن)، فطُرحت الهمزة للتخفيف، ونون لكن للساكنين"^(٦).

(١) ينظر: الكتاب: ٢ / ١٣١ ، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١ / ٣٢٠.

(٢) شرح المفصل: ٨ / ٧٩.

(٣) ينظر: نتائج الفكر: ٢٠٠، وشرح المفصل: ٨ / ٧٩ ، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١ / ٣٢١ ، وشرح التصريح: ١ / ٢٩٤.

(٤) قال السهيلي (٥٨١هـ) عن رأي الكوفيين: (أصح القولين) نتائج الفكر: ٢٠٠ ، وهو عند ابن يعيش (قول حسن): شرح المفصل: ٨ / ٧٩ ، ونعت خالد الأزهرى رأي البصريين بـ(الأصح) شرح التصريح: ١ / ٢٩٤.

(٥) معاني القرآن للفراء: ١ / ٤٦٥.

(٦) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١ / ٣٢١.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

أمّا من حيث دلالتها، فذهب فريق من النحويين إلى أنها تفيد الاستدراك، وهو المذهب المشهور، والاستدراك هو إعطاء الجملة التي بعدها حكماً مناقضاً للجملة التي قبلها، ويستدرك بها أيضاً في الأحوال أغلبها بعد النفي، كقولنا: ما جاءني سعيد لكنّ عمرو^(١).

وزاد آخرون معنى التوكيد مستدلين على ذلك بأنها كحرف التوكيد (إنّ)^(٢)، وهذا المعنى لوح إليه سيبويه (١٨٠هـ) بقوله: "ولكنّ المثقلة في جميع الكلام بمنزلة إنّ"^(٣)؛ إذ يحمل قول سيبويه العمل والدلالة معاً. ومثال التوكيد قولنا: (لو جاء عليّ أكرمته لكنّه لم يجي)، يقول خالد الأزهرّي (٩٠٢هـ) معقّباً على مثل هذه الجملة: "فهذا يدلّ على امتناع المجيء؛ لأنّ (لو) إذا دخلت على مثبت نفته، فإذا أردت توكيده قلت: (لكنّه لم يجي) فأكدت ب(لكنّ) ما أفادته (لو) من الامتناع"^(٤).

أمّا أنماط الجملة الاسميّة المنسوخة بها في حكم النبي الأعظم، فهي كالتالي:-

١ - اسمها وخبرها معرفتان:

ومن صور هذا النمط، قوله (عليه السلام): "ألا إنّه قد دبّ إليكم داء الأمم من قبلكم وهو الحسد، ليس بحالقٍ الشعر، لكنّه حالقُ الدّين"^(٥). ففي الحديث الشريف دخل الحرف النّاسخ (لكنّ) على الجملة الاسميّة، وجاء اسمها معرفة وهو الضمير المتّصل بها (الهاء). أمّا خبرها، فجاء مُعرّف بالإضافة وهو (حالقُ الدّين).

٢ - اسمها معرفة وخبرها نكرة:

وممّا يندرج تحت هذا النمط، قوله (عليه السلام) عندما سألته السيّدة عائشة عن الجهاد: "يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: لا، لكنّ أفضل الجهاد حجٌّ مبرورٌ"^(٦). فاسم (لكنّ) في الحديث الشريف ورد اسم معرفة، مُعرّف بالإضافة وهو (أفضل الجهاد)، وخبرها نكرة (حجٌّ) موصوفة بـ(مبرور).

(١) ينظر: المقتضب: ١٠٧ / ٤ ، معاني الحروف للزماني: ١٣٣ ، تسهيل الفوائد: ٦١ ، الجنى الداني: ٦١٥.

(٢) ينظر: المقرب: ١ / ١٠٦.

(٣) الكتاب: ٢ / ١٤٣.

(٤) شرح التصريح: ١ / ٢٩٤.

(٥) حكم النبي الأعظم: ٤ / ٦٣٦ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٠ / ٢٥٣.

(٦) حكم النبي الأعظم: ٦ / ٢٠٨ ، وينظر: صحيح البخاري: ٢ / ٥٥٣.

٣ - اسمها معرفة وخبرها جملة فعلية:

ومن الشواهد الواردة في حكمه (ﷺ) على هذا النمط، ما ورد في الحديث المبارك الآتي: "إِنَّ نَاقَتَهُ [النَّبِيِّ ﷺ] افْتَقَدَتْ، فَأَرْجَفَ الْمُنَافِقُونَ، فَقَالُوا: يُخْبِرُنَا بِأَسْرَارِ السَّمَاءِ وَلَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ! فَسَمِعَ ﷺ ذَلِكَ فَقَالَ: إِنِّي وَإِنْ أُخْبِرْتُكُمْ بِطَائِفِ السَّمَاءِ لَكُنِّي لَا أَعْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ..."^(١). فالحرف النَّاسِخ (لَكُنَّ) ورد اسمه معرفة وهو (الياء) الضمير المتصل بها، أمَّا الخبر، فورد جملة فعلية مضارعية منفية (لا أعلم).

وفي ضوء ما تمَّ عرضه من شواهد نلاحظ أنَّ (لَكُنَّ) لم تُقدِّم التوكيد في حكمه (ﷺ) وإنَّما أفادت الاستدراك. ونلاحظ أيضًا أنَّ اسمها ورد تارة ضميرًا متصلًا بها، وتارة أخرى اسمًا ظاهرًا.

وقد تخفَّف (لَكُنَّ) لتصبح (لَكُنْ) بعد حذف إحدى نونيهما، وجَمهور التحوِّيْن يوجبون بطلان عملها؛ لزوال اختصاص (لَكُنْ) بالجملة الاسمية. بيد أنَّ يونس بن حبيب (١٨٢هـ) والأخفش نُقلَ عنهما جواز إعمالها مخففة^(٢).

وقد بيّن السهيلي (٥٨١هـ) العلة وراء إهمالها، بقوله: "إنَّما لما كانت مركبةً من (لا) و(إنَّ) ثمَّ حذفت الهمزة اكتفاء بكسر (الكاف)، بقي عمل (إنَّ) لبقاء العلة الموجبة للعمل، وهي فتح آخرها، وبذلك ضارعت الفعل، فلما حذفت النون المفتوحة وقد ذهب الهمزة للتركيب، ولم يبقَ إلَّا النون الساكنة وجب إبطال حكم العمل بذهاب طرفيها، وارتفاع علة المضارعة للفعل"^(٣). وهذا القول مستحسنٌ، يعضد المذهب القائل بأنَّها مركبةٌ.

وقد ورد في حكم النَّبِيِّ الأعظم نمطان تصدرا بـ(لَكُنْ) المخففة من الثقيلة، ولم تعمل في النمطين كليهما. وأمَّا النمطان، فهما:

(١) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٣٧٩ / ٢ ، وينظر: بحار الأنوار: ١٨ / ١٠٩.

(٢) ينظر: المقتضب: ١٠٨ / ٤ ، معاني الحروف للرماني: ١٣٣ ، والجنى الداني: ٥٨٦ ، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٣٨١ / ١ ، وشرح قطر الندى: ١٥٣ ، وشرح التصريح: ٣٣٥ / ١ ، وجمع الهوامع: ٢ / ١٨٨.

(٣) نتائج الفكر: ٢٠١ .

١ - المبتدأ معرفة والخبر جملة اسمية:

ومن أمثلة هذا النمط، قوله (ﷺ) بعد مروره من دار حمزة في واقعة أحد: "لكن حمزة لا بواكي له، فألى أهل المدينة أن لا يؤخّروا على ميّت ولا يبكّوه حتّى يبدؤوا بحمزة فيؤخّروا عليه ويبكّوه"^(١). نلاحظ في الحديث المبارك أنّ (لكن) وردت مخففة من الثّيلة ولم تعمل في المبتدأ والخبر، فالمبتدأ (حمزة) ورد مرفوعاً، وخبره الجملة الاسمية المنسوخة بـ(لا النافية للجنس) (لا بواكي له).

٢ - المبتدأ نكرة والخبر شبه جملة:

ومما ورد على هذا النمط في حديثه (ﷺ)، قوله عليه الصّلاة والسّلام: "ليس البيان كثرة الكلام. ولكن فصل في ما يجب الله عزّ وجلّ"^(٢) فقد وردت (لكن) مخففة من الثّيلة ولم تعمل في الجملة الاسمية شيئاً؛ إذ بقي المبتدأ (فصل) مرفوعاً، وخبره شبه الجملة (في ما يحبّ الله).

وقد وردت (لكن) في حديثه (ﷺ) مخففة من الثّيلة داخلية على جملة فعلية، في قوله (ﷺ): "إنّ الله لم يبعثني مُعْتَبّاً ولا مُنْعَتّاً، ولكن بَعَثَنِي مُعَلِّماً مُبَيِّنَراً"^(٣)؛ إذ دخلت على الجملة الفعلية الماضية، وهذا الشاهد يؤيد صحة الرّأي القائل بـ(إهمالها)؛ كون المخففة لم تختصّ بالجملة الاسمية فقط، والأصل في الحروف العاملة أنّ تتخصّص.

٢ - (كأنّ):

وهي حرفٌ ناسخٌ مشبّه بالفعل، تعمل في الجملة الاسمية عمليين: النّصب والرّفْع، كما عملت (إنّ) النّصب والرّفْع. و(كأنّ) كباقي الحروف العاملة لم تكن محل اتّفاق بين النّحويّين، سواء في أصلها أو في دلالتها. ففي أصلها يقول سيبويه (١٨٠هـ): "سألت الخليل عن كأنّ، فزعم أنّها (إنّ)، لحقتها الكاف للتشبيه، ولكنّها صارت مع (إنّ) بمنزلة كلمة واحدة"^(٤). أي أنّ (كأنّ) مركّبة من حرفين (الكاف) و(إنّ) ولكلّ

(١) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٦٢ / ٧، وينظر: من لا يحضره الفقيه: ١ / ١٨٣.

(٢) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ١١٤ / ٤، وينظر: كنز العمال: ١٠ / ١٩٢.

(٣) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ١١٤ / ٤، وينظر: صحيح مسلم: ١٠ / ١١٠٤.

(٤) الكتاب: ٣ / ١٥١.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

حرفٍ منهما دلالتها، فالكاف للتشبيه وقد قدّمه في بداية الجملة عنايةً واهتماماً للتشبيه؛ إذ إنّ أصل الجملة قبل تقديم الكاف، هو قولنا: (إنّ زيداً كالأسد)، وقد فُتحت همزة (إنّ) بعد التقديم؛ لأنّ (إنّ) المكسورة لا يسبقها حرف جرّ، ولا تكون إلّا في أول الجملة^(١). وهذا القول هو الزّاجح بين جمهور النّحويّين^(٢).

وذهب بعض النّحويّون إلى أنّها مبسّطة لا تركيب فيها؛ لأنّ الأصل في الألفاظ أن تكون بسيطةً، أمّا التركيب، فهو طارئ فيها، فلا ضرورةً للقول بالتركيب، مع وجود الأصل^(٣).

أمّا دلالتها، فهي عند سيبويه (١٨٠هـ) للتشبيه^(٤)، وعند ابن جنّي (٣٩٢هـ) للتشبيه المؤكّد^(٥)، والمعنى الأخير راجح لديّ، حملاً على أصل الجملة؛ إذ إنّ أصل جملة (كأنّ زيداً أسدً)، مؤكّدة بـ(إنّ)، فضلاً عن التشبيه الذي قدّم عنايةً به. فلا يمكن القول بالتشبيه دون التوكيد.

أمّا ورودها في حكم النبي الأعظم، فهو قليل، قياساً بباقي أخواتها في باب (إنّ) وأخواتها). ومن شواهد أنماط الجملة الاسميّة المنسوخة بها في حكم النبي الأعظم:

١ - اسمها معرفة وخبرها شبه جملة:

ومما يُستشهد به على هذا النمط، قوله (عليه السلام): "إنّ المؤمنَ ليرى ذنبه كأنه تحت صخرةٍ يخاف أن تقع عليه. والكافر يَرى ذنبه كأنه دُبابٌ مرّ على أنفه"^(٦). فقد وردت (كأنّ) في الحديث المبارك واسمها (الهاء) الضمير المتّصل بها، وخبرها شبه الجملة (تحت صخرةٍ)، ووردت أيضاً على نمط ثانٍ في الحديث الشريف، وهو (اسمها معرفة) وخبرها نكرة موصوفة، فاسمها (الهاء) الضمير المتّصل بها، وخبرها النكرة (دُبابٌ) الموصوف بالجملة الفعلية الماضية المصدّرة بالفعل (مرّ).

(١) ينظر: شرح المفصل: ٨ / ٨١.

(٢) ينظر: الأصول في النّحو: ١ / ٢٧٨، ومغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ١ / ٢١٥.

(٣) ينظر: الخصائص: ١ / ٣٨١، ورصف المباني: ٢٠٨-٢٠٩، ومغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ١ / ٢١٥.

(٤) ينظر: الكتاب: ٣ / ١٥١.

(٥) ينظر: الخصائص: ١ / ٣٨١، وشرح التصريح: ١ / ٢٩٤.

(٦) حكم النبي الأعظم: ٤ / ٥٥٨، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧ / ٧٧.

٢ - اسمها معرفة وخبرها جملة فعلية:

ومن أبرز ما يمثل هذا النمط في حكمه المباركة، قوله (عليه السلام): "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً"^(١). نلاحظ في الحديث الشريف أن الحرف النَّاسِخ (كأن) ورد بموضعين، وفي الموضعين كليهما جاء اسمه معرفة، وهو الضمير الكاف المتصل بها، وخبرها جملة فعلية مضارعية (تعيش، تموت).

ثانياً: الجملة الاسمية المنسوخة بالأفعال الناقصة (كان وأخواتها):

الأفعال الناقصة هي الأفعال التي تدخل على الجملة الاسمية، وتعمل الرفع في أحد طرفي الإسناد، ألا وهو (المسند إليه)، ولا يكتمل معناها دون عمل النصب في الطرف الآخر وهو (المسند)^(٢).

وتسمى هذه الأفعال بـ"الأفعال الناقصة وأفعال العبارة"^(٣)، والعلّة في تسميتها بالأفعال الناقصة تعود إلى أنّها مختلفة عن الفعل الحقيقي في الدلالة على معنى وزمان معينين، فالأفعال الناقصة "لا تدلّ على حدث بل تفيد الزمان مجرداً من الحدث"^(٤) وقصورها في الدلالة على الحدث هو من ألصق بها هذه التسمية^(٥).

إنّ نفي الحدث عن الأفعال الناقصة لم يجد مساحةً من القبول عند بعض النحويين، ولم يكن مستساغاً لهم؛ إذ يرى الاستربادي (٦٨٦هـ)، أنّ هذه العلّة في تسميتها ليست بشيءٍ من الصّحة "لأنّ (كان) في نحو: كان زيداً قائماً، يدلّ على الكون الذي هو الحصول المطلق، وخبره يدلّ على الكون المخصوص، وهو كون القيام، أي حصوله"^(٦).

ولم يكن الخلاف على دلالاتها فحسب، فقد اختلفوا في مرفوع هذه الأفعال ومنصوبها، فجَمُهور البصريين يرون أنّ الاسم المرفوع بعدها هو مرفوع بها، حملاً على عمل الفعل التام، وزعم الفرّاء (٢٠٧هـ) أنّ المرفوع بـ(كان أو إحدى أخواتها) رُفِع

(١) حكم النبي الأعظم: ٤٧٣ / ٢ ، وينظر: بحار الأنوار: ٤٤ / ١٣٩.

(٢) ينظر: شرح المفصل: ٨٩ / ٧ ، والنحو الوافي: ٥٤٣ / ١ ، والفعل زمانه وأبنيته: ٥٦-٥٧.

(٣) شرح المفصل: ٨٩ / ٧.

(٤) المصدر نفسه: ٩٧ / ٧.

(٥) ينظر: المقتضب: ٩٧ / ٣ ، والأصول في النحو: ٨٢ / ١ ، واللمع في العربية: ٣٦ ، وشرح التسهيل: ١ / ٣٢٠.

(٦) شرح الرضوي على الكافية: ١٨١-١٨٢ / ٤ ، وينظر: شرح التسهيل: ١ / ٣٢٠-٣٢٣.

الباب الثاني..... بناءُ الجملة في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم

لشبهه بالفاعل. أمّا الكوفيّون، فيرون أنّ الاسم المرفوع بعد كان باقي على موقعه الإعرابيّ، وهو رفعه بالابتداء قبل دخول الفعل النَّاسِخ، أمّا منصوب هذه الأفعال، فهو خبرٌ مشبّه بالمفعول، وهذا مذهب الجمهور، وهو عند الفراء (٢٠٧هـ) منصوبٌ تشبيهاً له بالحال، وعدّه نحويّ الكوفة حالاً^(١).

وهذه الأفعال هي : (كان - وهي أم الباب -، ظلّ، بات، دام، انفك، فتى، زال، برح، ليس، صار، أمسى، أضحى، أصبح) ولكلّ فعلٍ من هذه الأفعال دلالة خاصّة به^(٢).

وأنماط الجملة المنسوخة بهذه الأفعال في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم متنوّعة بتنوّع المبتدأ والخبر، وهي:

١ - اسم الأفعال الناقصة وخبرها معرفتان:

وممّا ورد على هذا النمط في حِكمه (ﷺ)، قوله عليه الصّلاة السّلام: "مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ"^(٣). نلاحظ في الحديث المبارك وردت كان ناقصةً محوّةً إلى خبر ليتمّ معناها، فاسمها ورد معرفة، وهو (التّاء) الضّمير المتّصل بها، وخبرها (مَوْلَاهُ) المعرّف بإضافته إلى الهاء. ودلّت (كان) في الحديث على الزّمان مجرّداً من الحدث.

٢ - اسمها معرفة وخبرها نكرة:

وممّا يُستشهد به على هذا النمط، قوله () (ﷺ) النَّاسِ مُرُوءَةً مَنْ كَانَ كَاذِباً"^(٤). نلاحظ في الحديث المبارك أنّ (كان) الناقصة قد دخلت على الجملة الاسميّة، فكان اسمها ضميراً مستترّاً تقديره (هو) يعود على الاسم الموصول (من)، وخبرها (كاذِباً) وهو نكرة. وقد دلّت (كان) على اتّصاف اسمها (الضمير المستتر) بمعنى خبرها اتّصافاً مجرّداً دون أن يتقيد بزمنٍ محدّدٍ كال مساء أو الصّباح^(٥).

وقد ورد على هذا النمط الفعل الناقص (أمسى). وهذا الفعل ذكر النحويّون فيه ثلاثة معانٍ، الأوّل اقتران مضمون الجملة بوقت خاصّ، والثّاني الدّخول بالوقت وعندئذ تكون

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٨١ / ١، والأصول في النّحو: ٨٢ / ١، والتّبصرة والتّدكرة: ١ / ١٨٥، وارتشاف الضّرب: ٣ / ١١٤٦.

(٢) ينظر: المقنضب: ٩٧ / ٣، وشرح المفصل: ١٠٦ / ٧، والنّحو الوافي: ١ / ٥٤٥-٥٤٦.

(٣) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ١٥ / ٣، وينظر: المستدرك على الصّحّاحين: ٣ / ١١٨.

(٤) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ١١٣ / ٥، وينظر: بحار الأنوار: ٧٢ / ٢٥٩.

(٥) ينظر: النّحو الوافي: ١ / ٥٤٨.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

تامة، والثالث أن تكون بمعنى صار^(١)، والمعنى الأخير هو الذي دلّ عليه الفعل الناقص (أمسى) في دعائه (عليه السلام) يوم عرفة: "اللهم إني أعوذ بك من الفقر، ومن تشئت الأمر، ومن شر ما يحدث بالليل والنهار. أمسى ظلمي مستجيرًا بعفوك، وأمسى خوفي مستجيرًا بأمانك..."^(٢). فاسم الفعل الناسخ هو (ظلمي، خوفي) وخبره نكرة (مستجيرًا، مستجيرًا).

٣- اسمها نكرة وخبرها شبه جملة مقدم:

ومن صور هذا النمط، حكمته (عليه السلام) المباركة: "إن كان في شيء شؤم، ففي اللسان"^(٣). فقد دخلت كان في الحديث الشريف على الجملة الاسمية، وكان اسمها (شؤم) مؤخرًا وجوبًا؛ لأنه نكرة لا مسوغ لها إلا تقديم الخبر عليها^(٤)، وخبر كان المقدم وجوبًا هو (في شيء).

(١) ينظر: شرح المفصل: ٧ / ١٠٣-١٠٤.

(٢) حكم النبي الأعظم: ٦ / ٢٣٣، وينظر: الكافي: ٤ / ٤٦٤.

(٣) حكم النبي الأعظم: ٣ / ٦٢١، وينظر: الكافي: ٢ / ١١٦.

(٤) ينظر: شرح ابن عقيل: ١ / ١١٢.

المبحث الرابع

الجملة الخبرية المؤكدة

إنَّ التَّوكِيدَ فِي الدَّرْسِ اللَّغَوِيِّ لَدَى الْقَدَامَى مِنَ النَّحْوِيِّينَ لَمْ يَشْكَلْ مَوْضُوعًا مُسْتَقِلًّا فِي دِرَاسَتِهِمْ، وَلَمْ يُشَبَّحْ دِرَاسَةً، سِوَاءً فِي أَسَالِيْبِهِ أَوْ فِي مَا يَتَضَمَّنُهُ مِنْ مَعْنَى عَامَّةٍ؛ إِذْ إِنَّ جُلَّ اِهْتِمَامِ النَّحْوِيِّينَ مَنْصِبٌ فِي الْعَامِلِ، فَقَدْ شَكَّلَ الْآخِرَ نَفْوَذًا فِي الدَّرْسِ النَّحْوِيِّ عَلَى حِسَابِ الْمَعَانِي وَالذَّلَالَاتِ. فَالزَّمْخَشَرِيُّ (٥٣٨هـ) مَثَلًا، لَا يَتَعَدَّى حُدُودَ التَّوكِيدِ اللَّفْظِيِّ، وَكَذَلِكَ الْاِسْتِرْبَازِيُّ (٦٨٦هـ)، كَمَا أَنَّ ابْنَ مَالِكٍ (٦٧٢هـ) وَشُرَّاحَ الْفَيْتَةِ وَكُلَّ مَنْ جَاءَ مِنْ بَعْدِهِمْ اسْتَمَرُّوا عَلَى تَرْدِيدِ مَا قَالَهُ الزَّمْخَشَرِيُّ وَالْاِسْتِرْبَازِيُّ^(١). أَمَّا فِي كِتَابِ الْبَلَاغَةِ، فَالْأَمْرُ مُخْتَلَفٌ؛ إِذْ حُظِيَ التَّوكِيدُ بِدِرَاسَةٍ مُسْتَفِيزَةٍ لِأَنْوَاعِهِ وَأَسَالِيْبِهِ وَمَعَانِيهِ، وَسُلِّطَ الضَّوْءُ عَلَيْهِ فِي كِتَابِ الْبَلَاغَةِ بِشَكْلِ مَفْصَلٍ^(٢).

والتَّوكِيدُ فِي مَفْهُومِهِ الْعَامِّ "هُوَ لَفْظٌ يَرَادُ بِهِ تَمْكِينُ الْمَعْنَى فِي النَّفْسِ، أَوْ إِزَالَةُ الشَّكِّ عَنِ الْحَدِيثِ، أَوْ الْمَحْدَثِ عَنْهُ"^(٣). وَيُرَادُ بِ(تَمْكِينِ الْمَعْنَى فِي النَّفْسِ) التَّوكِيدُ اللَّفْظِيُّ الَّذِي يَكُونُ بِتَكَرُّرِ أَلْفَاظٍ أَوْ جُمَلٍ أَوْ حُرُوفٍ، وَيُرَادُ بِ(إِزَالَةِ الشَّكِّ عَنِ الْحَدِيثِ) تَوْكِيدُ الْمَصْدَرِ، أَمَّا (إِزَالَةُ الشَّكِّ عَنِ الْمَحْدَثِ عَنْهُ)، فَهُوَ تَوْكِيدُ بِالْأَلْفَاظِ أَقْرَبَهَا النَّحْوِيُّونَ، وَهِيَ (عَيْنٌ، نَفْسٌ، كُلٌّ...) ^(٤).

أَمَّا الْأَغْرَاضُ الَّتِي وَضِعَ لَهَا التَّوكِيدُ، فَهِيَ وَاحِدَةٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: "أَحَدُهَا: أَنْ يَدْفَعَ الْمُتَكَلِّمُ ضَرَرَ غَفْلَةِ السَّامِعِ عَنْهُ، وَثَانِيهَا: أَنْ يَدْفَعَ ظَنَّهُ بِالْمُتَكَلِّمِ الْغَلْطَ،... وَالْغَرَضُ الثَّلَاثُ: أَنْ يَدْفَعَ الْمُتَكَلِّمُ عَنْ نَفْسِهِ ظَنَّ السَّامِعِ بِهِ تَجَوُّزًا"^(٥). وَمِنْ حَيْثُ الْفَائِدَةُ، يَقُولُ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ (٥٧٧هـ) فِي أَسْرَارِهِ: "الْفَائِدَةُ فِي التَّوكِيدِ التَّحْقِيقُ وَإِزَالَةُ التَّجَوُّزِ فِي الْكَلَامِ، لِأَنَّ مِنْ كَلَامِهِمُ الْمَجَازَ؛ أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: (مَرَرْتُ بِزَيْدٍ) وَهُمْ يَرِيدُونَ الْمُرُورَ بِمَنْزِلِهِ

(١) يَنْظُرُ: فِي النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ نَقْدٌ وَتَوْجِيهٌ: ٢٣٤-٢٣٦.

(٢) يَنْظُرُ: الْبَلَاغَةُ الْعَرَبِيَّةُ أُسُسُهَا، وَعِلْمُهَا، وَفَنُونُهَا: ١/ ١٧٨-١٩٣.

(٣) الْمَقْرَبُ: ١/ ٢٣٨، وَيَنْظُرُ: شَرْحُ الْحُدُودِ لِلْفَاكِهِيِّ: ٢٥٦.

(٤) يَنْظُرُ: الْكِتَابُ: ١/ ٣٧٧، وَالْأَصُولُ فِي النَّحْوِ: ٢/ ١٩-٢٠، وَالْمَقْرَبُ: ١/ ٢٣٨-٢٣٩، وَشَرْحُ شَذُورِ

الذَّهَبِ: ٢٢٠-٢٢١، وَفِي النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ قَوَاعِدٌ وَتَطْبِيقٌ: ١٩٤.

(٥) شَرْحُ الرِّضِيِّ عَلَى الْكَافِيَةِ: ٢/ ٣٥٧-٣٥٨، وَيَنْظُرُ: مَعَانِي النَّحْوِ: ٤/ ١٥٢-١٥٥.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

ومحله، ... فإذا قلت: (مررتُ بزيدٍ نفسه) زال هذا المجاز^(١). وهذا ابن يعيش (٦٤٣هـ) أيضًا يبيّن لنا الفائدة بقوله: "فائدة التأكيد تمكين المعنى في نفس المخاطب، وإزالة الغلط في التأويل"^(٢).

إنّ الدّراسة في هذا المبحث، لا تتناول التّوكيد الذي يعدّه النّحويّون من (التّوابع)؛ وإنّما تتناول بالدّراسة أدوات التّوكيد الدّاخلية على الجملة الخبريّة؛ إذ إنّ بعض هذه الأدوات تكون مختصّة بالجملة الاسميّة، وبعضها الآخر مختصّة بالجملة الفعليّة، ومنها ما يؤكّد الجملتين كليهما، وفيما يأتي تفصيل كلّ ضربٍ من هذه الصّروب الثلاثة:-

أولاً: ما يؤكّد الجملة الاسميّة:

١- إنّ وأنّ:

حرفٌ مشبّه بالفعل يدخل على الجملة الاسميّة فقط، ويعمل النّصب في المبتدأ، والزّفع في الخبر، والفائدة التي يؤتي بـ(إنّ وأنّ) لأجلها هي توكيد الجملة الاسميّة التي تدخل عليها^(٣)؛ إذ تُعدّ (إنّ) "أداة لتوكيد النّسبة في الجمل... ولا تتّصل إلّا بالمسند إليه"^(٤).

والعلّة وراء تسمية هذه الحروف بـ(الحروف المشبّهة بالفعل)، هي لمضارعة هذه الحروف الفعل من خمسة أوجه، أولها الوزن؛ إذ إنّ هذه الحروف تشابه الفعل في الوزن، لا سيّما الفعل الماضي. والثّاني البناء، فهي تضارع الفعل الماضي بالبناء، فكلاهما مبنيّ على الفتح. والوجه الثّالث، إنّ الفعل و(أنّ) كليهما يقتضيان اسمًا. والزّابع من هذه الوجوه، هو جواز اتّصال (إنّ) بنون الوقاية، كما يتّصل الفعل بها. والخامس والأخير، تحمل (إنّ) في دلالتها معنى قريب من معنى الفعل، فهي تفيد التّوكيد وهو معنى فعليّ^(٥).

(١) أسرار العربيّة: ٢٨٣.

(٢) شرح المفصل: ٤٠ / ٣.

(٣) ينظر: المقتضب: ٣٤٠ / ٢ ، والأصول في النّحو: ٢٤٣-٢٤٤ ، والجنى الذّاني في حروف المعاني: ٣٩٣.

(٤) في النّحو العربيّ نقد وتوجيه: ٢٣٧.

(٥) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١ / ١٥٩ مسألة رقم: ٢٤ ، وشرح المفصل: ١ / ١٠٢.

أمَّا المبتدأ والخبر اللذان تدخل عليهما (إنَّ)، فقد اشترط النحويون فيهما ما اشترطوه في المبتدأ والخبر اللذان تدخل عليهما (كان وأخواتها) ^(١).

ووردت (إنَّ وأنَّ) بأنماط مختلفة في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم، وتقرب هذه الأنماط في شبهها لدرجة كبيرة من أنماط الجملة الاسمية المثبتة، والجملة الاسمية المنسوخة بالأفعال الناقصة؛ إذ إنَّ كلَّ هذه الأنواع من الجمل تعتمد المبتدأ والخبر، اللذان يشكّلان طرفي الإسناد في الجملة الاسمية. وهذه الأنماط هي كالتالي:

أ- اسمها وخبرها معرفتان:

ومن أمثلة هذا النمط، قوله (عليه السلام): "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ" ^(٢). نلاحظ في الحديث المبارك دخلت (إنَّ) مكسورة الهمزة على الجملة الاسمية، فجاء اسمها معرفة وهو (الظَّنَّ)، وخبرها جاء معرفة أيضًا، مُعرِّف بالإضافة (أَكْذَبُ الْحَدِيثِ).

ب- اسمها معرفة وخبرها نكرة:

ومن الشواهد الواردة في حديثه (عليه السلام) على هذا النمط، قوله (عليه الصلاة والسلام): "إِنِّي عَدَلٌ لَا أَشْهَدُ إِلَّا عَلَى عَدَلٍ" ^(٣). فاسم (إنَّ) في الحديث الشريف معرفة، وهو (الياء) الضمير المتصل بها، وخبرها (عَدَلٌ) وهو اسم نكرة.

ت- اسمها معرفة وخبرها جملة فعلية مقترنة باللام:

اشترط النحويون في الجملة الفعلية الواقعة خبر لـ(إنَّ) والمقترنة بلام التوكيد، أن تكون جملة فعلية مضارعية، ومنعوا دخول هذه اللام على الجملة الفعلية الماضية؛ لعدم مضارعتها الاسم ^(٤).

ومن أبرز ما يمثل هذا النمط في حِكمه (عليه السلام)، قوله (عليه الصلاة والسلام): "اتَّقُوا الذَّنُوبَ فَإِنَّهَا مَمَحَقَةٌ لِلْخَيْرَاتِ، إِنَّ الْعَبْدَ لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيَنْسَى بِهِ الْعِلْمَ الَّذِي كَانَ قَدْ

(١) ينظر: الجملة الاسمية: ١٣٥-١٣٦.

(٢) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٤٢٣ / ٦، وينظر: صحيح البخاري: ٥ / ٢٢٥٤.

(٣) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٥٧٠ / ٦، وينظر: كنز العمال: ١٣ / ٧.

(٤) ينظر: شرح المفصل: ٢٥ / ٩.

الباب الثاني..... بناءُ الجملة في حكم النَّبِيِّ الأعظم

عَلِمَهُ"^(١). وردت (إِنَّ) مكسورة الهمزة في الحديث المبارك في موضعين، ومحل الشاهد على هذا النمط في الموضع الثاني؛ إذ ورد اسمها معرفة وهو (العبد)، أمّا خبرها، فكان جملة فعلية مضارعية دخلت عليها اللام المرحقة.

ث - اسمها معرفة وخبرها جملة فعلية:

ومما يندرج تحت هذا النمط، حكمته المباركة (ﷺ): "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ الشَّابَّ التَّائِبَ"^(٢). فاسم (أَنْ) معرفة هو لفظ الجلالة، وخبرها الجملة الفعلية المضارعية (يُحِبُّ الشَّابَّ التَّائِبَ).

ج - اسمها معرفة وخبرها شبه جملة:

ومن صور هذا النمط، قوله (ﷺ): "إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنِيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا"^(٣)، فقد وردت (إِنَّ) مكسورة الهمزة في الحديث الشريف، واسمها معرفة وهو (الْمُؤْمِنَ)، وخبرها شبه الجملة (لِلْمُؤْمِنِ).

ح - اسمها مصدر مؤول وخبرها شبه جملة مقدم:

ومما يُستشهد به على هذا النمط، قوله (ﷺ): "إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ"^(٤). فقد ورد اسم (إِنَّ) في الحديث المبارك مؤخرًا، وهو المصدر المؤول من (أَنْ)، والفعل المضارع (يُرْفَعُ)، وتقديره المصدر (رفع العلم). أمّا الخبر المقدم، فهو شبه الجملة (مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ).

٢ - ضمير الفصل:

ضمير الفصل هو ضميرٌ "يتوسط بين المبتدأ والخبر قبل العوامل وبعدها، صيغة مرفوع منفصل مطابق للمبتدأ يسمى فصلًا؛ ليفصل بين كونه نعتًا أو خبرًا"^(٥). يُعدُّ سيبويه (١٨٠ هـ) أول من استعمل هذا المصطلح؛ إذ عقد له بابًا تحت عنوان "هذا باب ما يكون فيه هو وأنت وأنا ونحن وأخواتهن فصلًا"^(٦).

(١) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٤ / ٥٦١ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٣ / ٣٧٧.

(٢) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٢ / ٢٠٣ ، وينظر: المحجة البيضاء: ٧ / ٧.

(٣) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ١ / ٤٢٢ ، وينظر: صحيح البخاري: ١ / ١٨٢.

(٤) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ١ / ١٨٦ ، وينظر: صحيح البخاري: ١ / ٤٣.

(٥) شرح الرضي على الكافية: ١ / ٤٥٥ ، وينظر: المساعد على تسهيل الفوائد: ١ / ١١٩.

(٦) الكتاب: ٢ / ٣٨٩.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

وتسمية هذا الضمير بـ(ضمير الفصل) هي التسمية التي اصطلح عليها البصريون، وسبب هذه التسمية؛ إنَّ هذا الضمير يفصل بين المبتدأ والخبر، أو بين النعت والخبر. أمَّا نحويو الكوفة، فيسمونه بـ(العماد)؛ لكونه يُعتمد عليه في توضيح الفائدة، ويسمونه أيضًا بـ(الدَّعامة)؛ لكونه يؤكِّد الكلام ويقويه^(١). أمَّا الفائدة التي يأتي بها ضمير الفصل، فهي "الدَّلالة على أنَّ الوارد بعده خبر لا صفة، والتَّوكيد، وإيجاب أنَّ فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره"^(٢).

وقد ورد ضمير الفصل مؤكِّدًا في حكم النبي الأعظم، في قوله (ﷺ) للإمام عليّ (عليه السلام) لما سأله عن قوله تعالى: ﴿قَتَلْنَا أَدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾^(٣)، قال (ﷺ): "سُبْحَانَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، عَمِلْتُ سُوءًا وَظَلَمْتُ نَفْسِي، فَتُبَّ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ"^(٤). فضمير الفصل الذي أُكِّد به المعنى في الحديث الشريف هو (أنت)؛ إذ توسَّط بين اسم (إنَّ) الضمير المتَّصل بها وهو (الكاف)، وخبرها (التَّوَاب). وقد جاء موافقًا لما ذكره النحويون من شروط؛ إذ ورد ضميرًا منفصلاً من ضمائر الرِّفع، متوسِّطًا بين معرفتين، ومتوسِّطًا أيضًا بين المبتدأ والخبر، أو ما كان داخلًا عليهما كـ(إنَّ وأخواتها)^(٥).

٣- لام الابتداء:

هي لامٌ مفتوحةٌ تدخل على المبتدأ، لغرض توكيد مضمون الجملة الداخلة عليها توكيدًا حقيقيًّا، مزيلاً للشكِّ. كما وتُعَدُّ من بين أكثر اللامات تصرُّفًا في العربيَّة. وهذه اللام لا عمل لها من الناحية الإعرابية^(٦).

(١) ينظر: شرح المفصل: ١١٠ / ٣ ، وشرح الرضوي على الكافية: ٤٥٦ / ١ ، وارتشاف الضرب: ٩٥١ / ٢ ، وهمع الهوامع: ٢٣٥ / ١.

(٢) الكشف: ١٦١ / ١ ، وينظر: شرح المفصل: ١١٠ / ٣.

(٣) سورة البقرة، آية: ٣٧.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٥٦٧ / ١ ، وينظر: بحار الأنوار: ٦٥ / ٧٧.

(٥) ينظر: شرح المفصل: ١١٠ / ٣.

(٦) ينظر: اللامات للرجاجي: ٧٣ ، ومعاني الحروف للزمانبي: ٥١ ، وشرح المفصل: ٢٥ / ٩ ، والجنى الداني الداني في حروف المعاني: ١٢٨ ، وارتشاف الضرب: ١٢٦٢ / ٣.

الباب الثاني..... بناءُ الجملة في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم

ومما ورد في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم من جملة مؤكدة بهذه اللام، في قوله (ﷺ): "لأنَّا في فِتْنَةِ السَّرَّاءِ أَخَوْفُ عَلَيكُمْ مِنْ فِتْنَةِ الضَّرَّاءِ؛ إِنَّكُمْ قَدْ ابْتُلِيتُمْ بِفِتْنَةِ الضَّرَّاءِ فَصَبِرْتُمْ، وَإِنَّ الدُّنْيَا خَصِرَةٌ خُلُوءٌ"^(١). ففي الحديث الشريف دخلت (لام الابتداء) على المبتدأ (أنا)؛ لتؤكد مضمون الجملة الاسمية الداخلة عليها.

ثانياً: ما يؤكد الجملة الفعلية:

١ - (قد)

وهو حرفٌ مهملٌ، لا عمل له من الناحية الإعرابية، يختص بالدخول على الجملة الفعلية (المضارع والمضوية)، وعند دخوله على الجملة الفعلية الماضية يشترط التحوين فيه أن يكون الفعل متصرفاً. أمّا عند دخوله على الجملة الفعلية المضارعية، فيشترط في الفعل أن يكون مجرداً من حروف الجزم، والنصب، وحروف التنفيس^(٢).

ومن حيث المعنى والإفادة، فتفيد (قد) التحقيق، والتوقع، والتقريب، عند دخولها على الفعل الماضي. وعند دخولها على الفعل المضارع، فتفيد التوقع، والتحقيق، والتقليل، والتكثير^(٣)، ومما ورد في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم مؤكداً بـ(قد)، قوله (ﷺ): "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ تَكَلَّمَ لِطَالِبِ الْعِلْمِ بِرِزْقِهِ خَاصَّةً عَمَّا ضَمِنَهُ لِغَيْرِهِ"^(٤). فـ(قد) في الحديث الشريف دخلت على الفعل الماضي (تَكَلَّمَ)، واستعمال (قد) مع الفعل دلّ على توكيد وتحقيق تكلف الله عزّ وجلّ برزق طالب العلم.

ومثال دخولها على الفعل المضارع، قوله (ﷺ): "يا رسولَ الله هل يسرق المؤمن؟ قال: قد يكون ذلك، قال: فهل يزني المؤمن؟ قال: بلى وإن كره أبو الدرداء. قال: هل يكذب المؤمن؟ قال: إنما يفترى الكذب من لا يؤمن، إنَّ العبدَ يزُلُّ الزَّلَّةَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى رَبِّهِ فَيَتُوبُ، فَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِ"^(٥). فالتأمل للحديث الشريف يجد (قد) دخلت

(١) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ١٦٣ / ٧ ، وينظر: مسند أبي يعلى: ١١٥ / ٢.

(٢) ينظر: معاني الحروف للرماني: ٩٨ ، ووصف المباني: ٣٩٢ ، والجنى الذاني في حروف المعاني: ٢٥٤.

(٣) ينظر: المفصل في صناعة الإعراب: ٤٣٣ ، ووصف المباني: ٣٩٢ ، الجنى الذاني في حروف المعاني:

٢٥٩ ، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١ / ١٩٤-١٩٧.

(٤) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٩٠ / ٧ ، وينظر: كنز العمال: ١٣٨ / ١٠.

(٥) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ١٠٩ / ٥ ، وينظر: كنز العمال: ٨٧٤ / ٣.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

على الفعل المضارع (يكونُ)، وهنا أفادت معنى التَّوَقُّع، أيُّ أنَّ وقوع المؤمن في أمر السرقة، توقُّعًا وليس توكيدًا، فهو ربَّما يقع في أمر السرقة أو لا يقع.

٢- نونا التوكيد:

وهما حرفان مختصَّان بالدخول على الجملة الفعلية التي فعلها فعل مضارع وأمر، أمَّا الفعل الماضي، فلا تدخل عليه؛ لأنَّه فعل قد وقع وتحقَّق، ويفيدان عند دخولهما على المضارع والأمر التوكيد؛ ولهذا أُصطلح على تسميتهما بـ(نوني التوكيد)^(١).

عقد لهما سيبويه (١٨٠هـ) بابًا في كتابه، قائلاً فيه: "هذا باب النون الثقيلة والخفيفة، اعلم أنَّ كلَّ شيءٍ دخلته الخفيفة فقد تدخله الثقيلة. كما أنَّ كلَّ شيءٍ تدخله الثقيلة تدخله الخفيفة"^(٢). وقد اختلف النحويون أيُّهما أصلٌ، الخفيفة أم الثقيلة؟، فذهب البصريون إلى أنَّ كليهما أصلٌ. وقال الكوفيون: إنَّ الثقيلة هي أصلٌ، والخفيفة فرعٌ منها^(٣). وكلاهما يفيد التوكيد؛ بيد أنَّ التوكيد بالثقيلة أبلغُ وأشدُّ، وهذا قول الخليل (١٧٠هـ) رحمه الله^(٤).

وهذه النون عند توكيدها الفعل المضارع، يكون التوكيد إمَّا واجبًا، وإمَّا جائزًا. وعند دخولها على فعل الأمر توكَّده مطلقًا دون شرطٍ أو قيد. واشترط النحويون شروطًا يجب توافرها في الفعل المضارع حتَّى يكون توكيده وجوبًا، وهذه الشروط هي^(٥):

١- أن يكون الفعل مثبًا غير منفي.

٢- أن يكون الفعل المضارع واقعًا في جواب قسم غير مفسولٍ عن لام القسم بفاصلٍ ما.

٣- أن يكون الفعل المضارع دالًّا على الاستقبال.

(١) ينظر: شرح المفصل: ٣٧ / ٩، ومعاني النحو: ١٥٥ / ٤.

(٢) الكتاب: ٥٠٨ / ٣، وينظر: المقتضب: ١١ / ٣، والأصول في النحو: ١٩٩ / ٢، والمقرب: ٧٣ / ٢.

(٣) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٥٣٨ / ٢ مسألة رقم ٩٤.

(٤) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ١٤١، ومغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٣٩١ / ٢.

(٥) ينظر: الكتاب: ٥٠٩ / ٣، والأصول في النحو: ٢٠٨ / ٢، وشرح المفصل: ٣٩-٤٠، وشرح ابن عقيل: ١٤٠ / ٣.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

ومن أمثلة الفعل المضارع التي توافرت فيه هذه الشروط في حكم النبي الأعظم، قوله (ﷺ) فُيْل غزوة خيبر: "لَأُعْطِينَ الزَّايَةَ الْيَوْمَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ"^(١). فالفعل (لَأُعْطِينَ) واجب التوكيد؛ لكونه جاء مثبتًا متصلًا بلام القسم دالًا على الاستقبال. والفعل أكثر توكيدًا؛ لأنه أكد بالنون الثقيلة.

وأما جواز توكيد الفعل المضارع بهذه النون، فقد اشترط النحويون أن يكون مسبقًا بطلب أو يسبق بـ(إمّا)^(٢). فمثال ما ورد من فعل جائز التوكيد في حديثه المبارك، قوله (ﷺ): "لَا يَقْفَنُ أَحَدُكُمْ مَوْقِفًا يُضْرَبُ رَجُلٌ فِيهِ سَوَاطِطٌ ظُلْمًا؛ فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ حَيْثُ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ"^(٣). فالفعل المضارع (يَقْفَنُ) الواردة في الحديث الشريف جائز التوكيد؛ لأنه قد سبق بطلب أدواته (لا) الناهية.

٣- المصدر:

وهو اسم يكون منصوبًا مكملًا للجملة الفعلية، مؤكّدًا لعاملها، مبيّنًا لنوعه أو عدده^(٤). يسمّيه سيبويه (١٨٠هـ) (الْحَدَّثُ أَوْ الْحَدَّثَانُ أَوْ الْمَصْدَرُ)^(٥)، ويسمّى أيضًا عند النحويين أغلبهم بـ(المفعول المطلق)؛ "صدق (المفعول) عليه غير مقيد بحرف جرّ ونحوه"^(٦).

وما يهّمنا في معرض بحثنا هذا هو التوكيد؛ إذ يكون المفعول المطلق مؤكّدًا لعامله، وهذا التوكيد هو "المصدر الذي هو مضمون الفعل بلا زيادة شيء عليه، من وصف، أو عدد، وهو في الحقيقة تأكيد لذلك المضمون"^(٧).

(١) حكم النبي الأعظم: ٣٢٦ / ٦ ، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ١٦٨ / ٢.

(٢) ينظر: شرح المفصل: ٣٩-٤٠ / ٩ ، وشرح ابن عقيل: ١٤٠ / ٣ ، والمهذب في علم التصريف: ١١٥ ، والصرف العربي أحكام ومعاني: ٦١.

(٣) حكم النبي الأعظم: ٤٨ / ٥ ، وينظر: كنز العمال: ٣٩٧ / ٥.

(٤) ينظر: المفصل في صناعة الإعراب: ٥٥ ، وشرح المفصل: ١ / ١١٠ ، وشرح التصريح على التوضيح: ١ / ٤٩٠.

(٥) ينظر: الكتاب: ٣٤-٣٥ / ١ ، و ٢٢٨ / ١ ، و ٣١١ / ١ .

(٦) شرح ابن عقيل: ٧٦ / ٢.

(٧) شرح الرضي على الكافية: ٢٩٨ / ١.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

ومما ورد في حكم النبي الأعظم من مصدر دلّ على التوكيد، قوله (عليه السلام): "قام أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أكلت الضبُع. قال: غير ذلك أخوف لي عليكم؛ الدنيا إذا صُبَّتْ عليكم صَبًّا، فإيا لَيْتُ أُمْتِي لا يلبسون الذهب" (١). فالمصدر (صَبًّا) جاء توكيداً لعامله الفعل (صُبَّتْ).

ثالثاً: ما يؤكد كلتا الجملتين (الفعلية والاسمية)

١ - (القصر)

القصر هو "تخصيص شيء بشيء وحصره فيه بطريق مخصوص" (٢). ويعدُّ القصر من جملة الأساليب التي يهدف بها المتكلم لتثبيت وتوكيد غرض ما في ذهن المتلقي، كما ويعدُّ من أبلغ وأقوى طرائق التوكيد؛ لما يحمله من قوّة دلالية تثبت وتؤكد ما يريده المتكلم (٣)، ويجري القصر على الجملتين الاسمية والفعلية، أمّا في الجملة الاسمية، فيقصر المبتدأ على الخبر أو العكس. وأمّا الجملة الفعلية، فيكون القصر فيها بين الفعل والفاعل، وبين المفعول والفاعل وبين المفعولين. ويجري أيضاً على كل ذي طرفين، كالحال وصاحبه، والصفة والموصوف بها (٤).

ولأسلوب القصر طرفان، هما: المقصور: وهو الشيء المخصّص، والمقصور عليه: وهو الشيء المخصّص به (٥). وللقصر طرائق كثيرة، أشهرها: القصر بالنفي والاستثناء، والقصر بـ(إنّما)، والقصر بالعطف بـ(لا، بل، لكن)، والقصر بتقديم ما حقّه التأخير (٦).

وسأقتصر في دراسة هذا الأسلوب بوصفه ممّا يؤكد كلتا الجملتين على الطّريقين الأوليين، وفيما يأتي أنماط كلّ من الجملتين في حكم النبي الأعظم:

أمّا الجملة الاسمية المؤكّدة بالنفي والاستثناء، فمن أنماطها:

(١) حكم النبي الأعظم: ١٦٣ / ٧، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ٤٣٣ / ٣٥.

(٢) التعريفات: ١٤٧.

(٣) ينظر: في النحو العربي قواعد وتطبيق: ٢١٠.

(٤) ينظر: مفتاح العلوم: ٥٠٧، والإيضاح في علوم البلاغة: ٢١٣ / ١.

(٥) ينظر: التعريفات: ١٤٧، جواهر البلاغة: ١٧٩.

(٦) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢١٥ / ١، وجواهر البلاغة: ١٨٠.

أ- النفي بـ(ليس) والحصر بـ(إلا):

ومن الشواهد على هذا النمط من البناء، قوله (عليه السلام): "لَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ"^(١). ففي الحديث الشريف وردت أداة النفي (ليس)، وأداة الاستثناء (إلا)، وهذا الأسلوب هو أسلوب قصر أفاد التوكيد. فقد أكد الرسول (عليه السلام) عن طريق هذا التركيب اللغوي أن الجنة هي جزاء للحجة المبرورة.

ب- النفي بـ(ما) والحصر بـ(إلا):

ومن نماذج هذا النمط، قوله (عليه السلام): "مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا شَانَهُ، وَلَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا زَانَهُ"^(٢). فقد استعمل الرسول (عليه السلام) النفي بـ(ما) والاستثناء بـ(إلا)؛ لتأكيد بأن وجود الفحش في الأعمال هو شينٌ وقبحٌ على تلك الأعمال، وأن الحياء هو زينةٌ وحسنٌ لها.

وأما الجملة الفعلية المؤكدة بالنفي والاستثناء، فمن أنماطها:

أ- النفي بـ(لا) والحصر بـ(إلا):

ومن أبرز ما يمثل هذا النمط في حكمه (عليه السلام)، قوله عليه الصلاة والسلام: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ دَارًا يُقَالُ لَهَا: دَارُ الْفَرَحِ، لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا مَنْ فَرَّحَ يَتَامَى الْمُؤْمِنِينَ"^(٣). ورد التوكيد في الحديث الشريف بـ(النفي والاستثناء)، فقد قصر (عليه السلام) الفعل (يدخل) على الفاعل وهو الاسم الموصول (من). أي قصر الدخول لتلك الدار على الشخص الذي يفرح يتامى المؤمنين.

ب- النفي بـ(لم) والحصر بـ(سوى):

ومن أمثلة هذا النمط، الحديث الشريف الآتي: "عن جبرئيل (عليه السلام) لَمَّا سَأَلَهُ النَّبِيُّ (عليه السلام) عَنِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ: الْعِلْمُ بِأَنَّ الْمَخْلُوقَ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ. وَلَا يُعْطَى وَلَا يَمْنَعُ، وَاسْتِعْمَالُ الْيَأْسِ مِنَ الْخَلْقِ، فَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ كَذَلِكَ لَمْ يَعْمَلْ لِأَحَدٍ سِوَى اللَّهِ، وَلَمْ

(١) حكم النبي الأعظم: ٦ / ٢٠٩ ، وينظر: عوالي اللئالي: ١ / ٤٢٧.

(٢) حكم النبي الأعظم: ٥ / ١٦ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٩ / ١١١.

(٣) حكم النبي الأعظم: ٧ / ٦٢٨ ، وينظر: كنز العمال: ٣ / ١٧٠.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

يَرْجُ وَلَمْ يَخَفْ سِوَى اللَّهِ، وَلَمْ يَطْمَعْ فِي أَحَدٍ سِوَى اللَّهِ، فهذا هُوَ التَّوَكُّلُ^(١). نلاحظ أنَّ القصر الوارد في الحديث المبارك كان بـ(لم)، وأداة الاستثناء (سوى)؛ إذ تكرر هذا القصر ثلاث مرّاتٍ في فضاء الحديث، أفاد في كلّ مرّة التّوكيد بأنّ العمل والتّوكل لا يكون سوى لله وحده.

ج- النّفي بـ(ما) والحصر بـ(إلا):

ومن نماذج هذا النمط، قوله (عليه السلام): "مَا سَبَّحَ الْحَاجُّ مِنْ تَسْبِيحَةٍ... إِلَّا بُشِّرَ بِهَا تَبَشِيرَةً"^(٢). ففي الحديث الشريف دخلت (ما) النّافية على الفعل (سَبَّحَ)، وجاءت أداة الاستثناء (إلا) في سياقها، وهذا التّركيب من النّفي والاستثناء أكّد مضمون الجملة الفعلية، وبَيّن أنَّ البشري من الله تعالى، هي جزاء لكلّ تسبيحة يسبّحها الحاجّ في الحجّ.

أمّا (إنّما) التي تستعمل في القصر، فهي لتوكيد مضمون الجملة الدّاخلية عليها، فمن شواهد قصر الجملة الاسميّة بها، قوله (عليه السلام): "إِنَّمَا الْبَخِيلُ حَقُّ الْبَخِيلِ الَّذِي يَمْنَعُ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ فِي مَالِهِ. وَيَمْنَعُ الْبَائِنَةَ فِي قَوْمِهِ، وَهُوَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ يُبَذِّرُهُ"^(٣). ومن شواهد قصر الجملة الفعلية بـ(إنّما)، قوله (عليه السلام): "إِنَّمَا نَصَرَ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بَضْعَانِهَا بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ"^(٤).

٢- (القسم)

هو أسلوبٌ لغويٌّ يؤتى به لتوكيد وتقوية معنى ومضمون الجملة، وإزالة الشكّ والظنّ عنها، ويفيد أيضًا إثارة شعور المتلقّي، وتحريك ما بداخله؛ لقبول الكلام، والتّفاعل معه^(٥). والفائدة من القسم هي "توكيدٌ لكلامك"^(٦). وتأكيدٌ للـ"الجملة الخبريّة وتحقيقتها عند السّامع"^(٧).

(١) حكم النبي الأعظم: ٤ / ٥٢٠، وينظر: بحار الأنوار: ٢٧ / ٢٠.

(٢) حكم النبي الأعظم: ٦ / ٢٠٩-٢١٠، وينظر: التّرجيب والتّرهيب: ٢ / ١٦٣.

(٣) حكم النبي الأعظم: ٤ / ٦١٥، وينظر: بحار الأنوار: ٧٣ / ٣٠٦.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٥ / ١٦٠، وينظر: المحجّة البيضاء: ٨ / ١٢٥.

(٥) ينظر: شرح المفصل: ٩ / ٩٠، والنّحو الوافي: ٢ / ٤٧٧، والتّراكيب اللّغويّة في العربيّة: ٢٣٧.

(٦) الكتاب: ٣ / ١٠٤.

(٧) الاتّقان في علوم القرآن: ٢ / ٢٨٣.

الباب الثاني..... بناءُ الجملة في حكم النبي الأعظم

وأسلوب القسم في العربية على ضربين: الأول (قسم ظاهر أو صريح)، يكون بألفاظ القسم أو أحد حروفه. والثاني (مضمّر غير ظاهر)، وتدّل عليه اللام الموطئة للقسم أو يدلّ عليه معنى معين نحو: (عاهدت الله) و(شهد الله)^(١).

أمّا أدوات القسم، فقد بيّنها سيبويه (١٨٠هـ) بقوله: "وللقسم والمقسم به أدوات في حروف الجرّ، وأكثرها الواو، ثمّ الباء، يدخلان على كلّ محلوف به. ثمّ التاء، ولا تدخل إلّا في واحدٍ، وذلك قولك: والله لأفعلن: وبالله لأفعلن، ﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ﴾^(٢) ﴿أَصْنَامُكُمْ﴾^(٣).

ولعلّ من المفيد ذكره أنّ أسلوب القسم لا يختصّ بجملة دون أخرى، فهو يدخل على الجملتين كليهما (الاسميّة والفعليّة). أمّا ألفاظ القسم المستعملة لتوكيد الجمل في الحديث الشريف، فهي كالآتي:

أ- القسم بلفظ الجلالة:

ومن نماذج هذا القسم، قوله (عليه السلام)، بعد ما سأله الإمام عليّ (عليه السلام) عن عدم المؤاخاة بينه وبين أحد، فقال له (عليه السلام): "وَاللّٰهُ يَا عَلِيُّ. مَا حَبَسْتُكَ إِلَّا لِنَفْسِي، أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ أَخِي وَأَنَا أَخُوكَ، وَأَنْتَ أَخِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ..."^(٤).

فالمقسم به في الحديث الشريف وهو لفظ الجلالة، قد ورد مجروراً بحرف القسم (الواو)، ويُعدّ الواو أكثر حروف القسم استعمالاً في العربية^(٥). والقسم في الحديث المبارك هو لتوكيد مضمون الجملة الفعلية (ما حَبَسْتُكَ إِلَّا لِنَفْسِي). فاجتمع توكيدان القسم والقصر بالنفي والاستثناء.

أمّا ما ورد من توكيد للجملة الاسميّة بلفظ الجلالة، فمثاله في قوله (عليه السلام): "وَاللّٰهُ لَوْ أَنَّ الْمُتَوَاضِعَ فِي قَعْرِ بئرٍ لَبَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ رِيحاً تَرْفَعُهُ فَوْقَ الْأَخْيَارِ فِي دَوْلَةٍ

(١) ينظر: معاني النحو: ٤/ ١٦٠-١٦١.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٥٧.

^٣ الكتاب: ٣/ ٤٩٦، وينظر: شرح الرضوي على الكافية: ٤/ ٣٠٠.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٦/ ٤٥٣، وينظر: بحار الأنوار: ٧٥/ ٤٤٤.

(٥) ينظر: الكتاب: ٣/ ٤٩٦-٤٩٧، والمقتضب: ٢/ ٣١٨-٣١٩.

الباب الثاني..... بناءُ الجملة في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم

الأشْرار^(١). فالمقسم به الوارد في الحديث الشريف هو لفظ الجلالة، وهو مجرور بحرف القسم (الواو)، والقسم في الحديث الشريف هو توكيدٌ لمضمون الجملة الاسمية المنسوخة بحرف التوكيد (أَنَّ).

ب- القسم بـ(والذي نفس محمد بيده، والذي نفسي بيده):

وهذه الصورة اللغوية القسمية هي ممّا تميز به الحديث الشريف؛ إذ اتّسمت بالجدّة وارتبطت بالأسلوب اللغوي للرسول الكريم (ﷺ). وممّا يُستشهد به على هذه الصورة قوله (ﷺ): "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ. مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فَفُرِقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا"^(٢). استعمل الرسول (ﷺ) حرف القسم الواو والمقسم به (الذي نفس محمد بيده)، فجاء القسم صريحاً؛ ليؤكد الجملة الفعلية (ما توادَّ اثنان).

ومثال القسم الآخر، قوله (ﷺ): "أَفْشَاوِ السَّلَامَ بَيْنَكُمْ تَحَابُّوا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تَرَاحَمُوا"^(٣). فقد أكد القسم الظاهر بـ(والذي نفسي بيده) الجملة الفعلية (لا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تَرَاحَمُوا).

ت- القسم بـ(رب الكعبة):

وهذا القسم لم يتكرّر في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم سوى مرّة واحدة، في حديثه (ﷺ) المروي عن أبي ذرٍ (رضي الله عنه)، قوله "انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) وَهُوَ يَقُولُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ: هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ! هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ! قُلْتُ: مَا شَأْنِي؟ أَيْرَى فِيَّ شَيْءٌ، مَا شَأْنِي؟ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ، فَمَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَسْكُتَ، وَتَعَشَّانِي مَا شَاءَ اللَّهُ، فَقُلْتُ: مَنْ هُمْ - بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! - يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْأَكْثَرُونَ أَمْوَالاً"^(٤). فقد أكد القسم الظاهر المجرور بواو القسم (رب الكعبة)، مضمون الجملة الاسمية السابقة عليه (هم الأخسرون).

(١) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٥٧٥ / ٧ ، وينظر: مكارم الأخلاق: ٤٣٨.

(٢) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٤٢٣ / ٦ ، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ٢٥٩ / ٩.

(٣) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٤٠٧ / ٦ ، وينظر: المستدرک على الصحيحين: ١٨٥ / ٤.

(٤) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ١٧١ / ٧ ، وينظر: صحيح البخاري: ٢٤٤٧ / ٦.

ث - القسم ب (ايم الله):

ومن شواهد استعمال هذه النمط من القسم في حكم النبي الأعظم، الحديث الشريف الآتي: "خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَنَحْنُ نَذْكُرُ الْفَقْرَ وَنَتَخَوَّفُهُ، فَقَالَ: الْفَقْرَ تَخَافُونَ؟! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُصَبَّنَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبًّا حَتَّى لَا يُزِيغَ قَلْبَ أَحَدِكُمْ إِزَاعَةً إِلَّا هَيْهَ! وَايْمُ اللَّهِ، لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلَهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ"^(١). نلاحظ أنَّ القسم في الحديث المبارك ورد صريحاً بـ (ايم الله) وقد أكّد الجملة الفعلية (تَرَكْتُكُمْ). ولا يفوتنا أن ننّبه على التوكيدات الواردة في الحديث الشريف؛ إذ تضمّن الحديث الشريف أكثر من توكيدٍ، منها ما هو ظاهرٌ ومنها ما هو مضمّرٌ، فأمثلة الظاهر (والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ)، و(نون التوكيد) في (لَتُصَبَّنَ)، والمصدر (صَبًّا)، والقصر (بالتنقي والاستثناء). وأمّا المضمّر فمثاله اللام في الفعل (لَتُصَبَّنَ)، (وفي (لقد)).

٣ - (الحروف الزائدة)

ليس معنى الحروف الزائدة أنّها لا أثر لها في الجملة، أو أنّها مجردة من أي معنى، وإنّما الحروف الزائدة تحمل دلالات متعدّدة، فهي تؤثر في وجودها على مضمون الجملة. ففي قولنا: (ما محمّد بكاذبٍ) أكثر توكيداً وتأثيراً في معنى الجملة العام من قولنا: (ما محمّد كاذباً)، فحرف (الباء) هو من أوجد هذه المفارقة الدلالية بين الجملتين^(٢).

ذكر الزركشي (٧٩٤هـ) أنّ النحويين يرفضون إطلاق مصطلح الزيادة في الدراسات القرآنية، ويفضّلون استعمال مصطلح (التوكيد) بدلاً من ذلك. وذكر أيضاً أنّ بعضهم يستعمل مصطلح (الصلة) أو (المقحم)^(٣).

والحروف الزائدة تدخل على الجملتين الفعلية والاسمية، وقد وردت جملة من الحروف الزائدة في حكم النبي الأعظم مؤكّدة للجملتين، منها (الباء)، وتزاد (الباء) في سياق التنقي "لتوكيد التنقي وتقويته... وقد كثر دخولها على مسند الجملة المنفية"^(٤). ومن

(١) حكم النبي الأعظم: ١٦٣-١٦٤، وينظر: سنن ابن ماجه: ١ / ٤.

(٢) ينظر: النحو الوافي: ٢ / ٤٥٠.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣ / ٧٠.

(٤) في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٤١، وينظر: معاني الحروف للزمانبي: ٤٠، والنحو الوافي: ١ / ٧٠.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

أمثلة دخولها على جملة منفية، قوله (ﷺ): "ألا إنه قد دب إليكم داء الأمم من قبلكم وهو الحسد. ليس بحالق الشر، لكنه حالق الدين"^(١). ففي الحديث الشريف دخل حرف (الباء) على خبر ليس (حالق)، وقد أفادت تأكيد معنى النفي؛ إذ إن الثابت في (الباء) تزداد للتوكيد في خبر ليس، يقول سيبويه (١٨٠هـ): "وقد تكون باء الإضافة بمنزلتها في التوكيد، وذلك قولك: ما زيد بمنطلي، ولست بذاهب، أراد أن يكون مؤكداً حيث نفى الانطلاق والذهاب"^(٢). فضلاً عن (الباء) فالحديث الشريف تضمن توكيدين آخرين، هما التوكيد بـ(إن)، والتوكيد بـ(قد).

ومن الحروف الزائدة للتوكيد في حكم النبي الأعظم (من)، وقد اشترط نحويو البصرة في زيادتها شرطين، الأول: أن يكون مجرورها نكرة، والثاني: أن تكون مسبوقاً بنفي أو شبهه كالنفي أو الاستفهام. أمّا نحويو الكوفة، فيجوزون دخولها على جملة مثبتة مع الاحتفاظ بشرط تكثير مجرورها^(٣).

ومن شواهد زيادتها في أحاديثه (ﷺ) الحديث الآتي: "سئل رسول الله (ﷺ): أرأيت أدوية نتداوى بها. ورقي نسترقى بها، ونقي نقيها. هل ترد من قدر الله شيئاً؟ قال: هي من قدر الله"^(٤). نلاحظ أن (من) الواردة في الحديث الشريف زائدة للتوكيد، دخلت على المفعول به (قدر الله)، وقد سبقت باستفهام تمثله الأداة (هل).

وقد وردت (من) الزائدة داخلية على اسم (ليس) في قوله (ﷺ): "تحفظوا من الأرض فإنها أمكم، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً إلا وهي مخبرة"^(٥). فاسم (ليس) في الحديث الشريف (أحد)، وقد ورد مؤكداً بـ(من) الزائدة. ووردها في سياق النفي من المواضع التي ذكرها النحويون للحكم عليها بالزيادة^(٦).

(١) حكم النبي الأعظم: ٤ / ٦٣٦ ، وينظر: بحار الأنوار: ٢٥٣ / ٧٠.

(٢) الكتاب: ٤ / ٢٢٥.

(٣) ينظر: شرح المفصل: ٨ / ١٢-١٣ ، ورصف المباني: ٣٢٤ ، ومغني اللبيب: ١ / ٣٥٣-٣٥٤ ، وشرح ابن عقيل: ٩ / ٣.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٧ / ٢٢١ ، وينظر: سنن ابن ماجه: ٢ / ١١٣٧.

(٥) حكم النبي الأعظم: ٣ / ٢٨٥ ، وينظر: المعجم الكبير للطبراني: ٥ / ٦٥.

(٦) ينظر: معاني الحروف للرماني: ٩٧.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

ومن جملة الحروف الزائدة الواردة في حكم النبي الأعظم، حرف (الكاف)، فقد ذكر النحويون أنَّ من أنواع الكاف أنَّ تكون زائدة للتوكيد؛ إذ يمكن حذفها والاستغناء عنها دون الإخلال بمعنى الجملة^(١). ومثالها في حكم النبي الأعظم ما ورد في دعائه (عليه السلام) في شهر رمضان المبارك: "يا مَنْ كَانَ وَيَكُونُ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، يا مَنْ لَا يَمُوتُ وَلَا يَبْقَى إِلَّا وَجْهُهُ الْجَبَّارُ، يا مَنْ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ..."^(٢).

فـ(الكاف) الزائدة في الحديث الشريف دخلت على خبر (ليس)، فأكدت مضمون الجملة المنفيّة الداخلة عليها. يقول الرّماني (٣٨٤هـ) معلقاً على موضع زيادتها: "والمعنى ليس مثله شيء. ولا يجوز أن تكون غير زائدة؛ لأنّه يصير كـفرًا، وذلك أنّه يكون إثبات مثل، ونفي التشبيه عن ذلك المثل، ويصير كأنّه قال: ليس مثل مثله شيء"^(٣).

ومما جاء من الحروف الزائدة في حكمه (عليه السلام)، حرف النّفي (لا)؛ إذ يُزاد بعد النّفي أو النّهي. ومثال ما ورد منها في الحديث النبويّ، قوله (عليه السلام): "صِفَتِي: أَحْمَدُ الْمُتَوَكِّلِ. لَيْسَ بِقَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ. يَجْزِي بِالْحَسَنَةِ الْحَسَنَةَ، وَلَا يُكَافِيُ السَّيِّئَةَ..."^(٤). ففي الحديث الشريف وردت (لا) زائدة لتوكيد النّفي الوارد بـ(ليس). وأسهمت (الواو) التي سبقت (لا)، إسهامًا جوهريًا؛ إذ أدت معنى دلاليّ مميز، فهي أشركت الاسمين (قَظٍّ وغليظ) بمعنى النّفي. وأمّا (لا)، فقد أضفت قوّةً وتوكيدًا للمعنى النّفي^(٥).

وأخر الحروف الزائدة التي سنتناولها، الحرف (إن)؛ إذ يكون زائدًا للتوكيد بعد (ما)^(٦)، ومثال (إن) الزائدة في حكم النبي الأعظم، قوله (عليه السلام): "إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ

(١) ينظر: رصف المباني: ٢٠١، ومغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٢٠٣ / ١.

(٢) حكم النبي الأعظم: ١٠٥ / ٦، وينظر: بحار الأنوار: ٩٨ / ٢٦.

(٣) معاني الحروف للرماني: ٤٨.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٢٢٠ / ٣، وينظر: المعجم الكبير للطبراني: ٨٩ / ١٠.

(٥) ينظر: رصف المباني: ٢٧٣.

(٦) ينظر: رصف المباني: ١٠٩، ومغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٣٢ / ١، وفي زيادة (إن) بعد (ما) خلاف، فالكوفيون قالوا: إنّها بمعنى (ما)، وجاءت (إن) لتأكيد النّفي. ويقول البصريون: إنّها زائدة للتوكيد. ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٥٢٢ / ٢ مسألة رقم ٨٩. وقد وصف المرادي (٧٤٩هـ) رأي الكوفيين بـ(الفاسد) ينظر: الجنى الداني: ٢١٠.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

التَّحْلِينَ، مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا، كِتَابَ اللَّهِ، وَعِثْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، فَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ"^(١). (إن) في الحديث الشريف زائدة، أفادت توكيد الجملة الفعلية الواقعة بعدها.

وبعد تناولنا لأسلوب التوكيد في حكم النبي الأعظم، نستشف بأنه أسلوب واضح وجلي، استعمله الرسول (ﷺ) لتوجيه كلامه إلى أمة يغلب عليها الجهل بأمور الدين الجديد. وأن استعمال هذا الأسلوب يجسد لنا حرص النبي (ﷺ) على تبليغ رسالته، وأدائها بأدق صورة؛ لأن أسلوب التوكيد يضيف طابعاً مميزاً للكلام، يتمثل بإبعاد الكلام عن دائرة الشك، وتقربه من دائرة اليقين والثقة الثابتة.

وقد تنوعت صورة التوكيد التي استعملها الرسول (ﷺ) وكثرت شواهدا في حكمه (ﷺ)، وسجلت حضوراً بارزاً؛ إذ كان بعضها ممّا استعملته العرب، وبعضها الآخر كان يتميز بالجدة وارتبط باللغة النبوية، فلم يستعمله أحد من قبله (ﷺ) ولا بعده.

(١) حكم النبي الأعظم: ٣ / ١٢ ، وينظر: بحار الأنوار: ٣٧ / ١٢٨.

المبحث الخامس

بناء جملة الشرط

من المعلوم أنّ الجملة العربية على ضربين: اسميّة وفعلية، وتصنيفها على هذين الضربين هو الأشهر عند جمهور النحويين، وهو تصنيف قائم على معيارين مهمين، الأول: العنصر النحوي المتصدر الجملة، والثاني التركيب الإسنادي فيها^(١).

وذهب بعضهم إلى تصنيف أكثر من ذلك؛ إذ صُنفت الجملة إلى ثلاثة أو أربعة أضرب. ومن هؤلاء النحويين الرّمخسريّ (٥٣٨هـ)، فقد ذكر أنّ الجملة في العربية على أربعة أضرب: (اسميّة، وفعلية، وظرفية، وشرطية)^(٢). وذكر ابن هشام (٧٦١هـ) أنّها ثلاثة أضرب: اسميّة، وفعلية، وظرفية^(٣).

وما يهمنّا في معرض بحثنا هذا هو جملة الشرط، التي عدّها ابن يعيش (٦٤٣هـ) وابن هشام (٧٦١هـ) جملة فعلية، كونها مركبة من جملتين فعليّتين، الأولى جملة الشرط، والثانية جملة جزاء الشرط^(٤).

إنّ المتنبّع لأسلوب الشرط في كتب النحويين الأوائل يلحظ أنّهم لم يتناولوا هذا الأسلوب في باب مستقلّ؛ كونه يمثل نمطاً خاصاً من الجمل؛ بل كان تناولهم له ضمن أبواب جزم الفعل المضارع، فقد درسوا أدوات الشرط الجازمة وفقاً لنظرية العامل، فدرسوا معها طائفة من الأدوات والجمل التي لا علاقة لها بالجواز، ولا ترتبط بها دلاليّاً، فكانت نظرتهم معيارية شمولية لهذا الأسلوب، فإن واجههم ما هو مخالف لنظرتهم المعيارية، سلكوا طرق التأويل والتقدير^(٥).

(١) ينظر: النحو الوافي: ١ / ١٦ ، والجملة العربية مكوناتها، أنواعها، تحليلها : ١٣٣.

(٢) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب: ٤٤.

(٣) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٤٣٣ / ٢.

(٤) ينظر: شرح المفصل: ١ / ٨٨ ، ومغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٤٣٣ / ٢.

(٥) ينظر: علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة: ٦٩-٧٠ ، والجملة الشرطية مبناها ومعناها قراءة في التراث النحوي، محمّد أبو العزّ عبده (بحث منشور): ١٢٩-١٣٠.

الباب الثاني..... بناءُ الجملة في حكم النَّبِيِّ الأعظم

ومعنى الشرط "هو وقوع الشيء لوقوع غيره"^(١)، أو هو "تعليق شيء بشيء بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني"^(٢). وجملة الشرط هي "الجملة المركبة تركيباً شرطياً، أي: المكوّنة من أداة شرط أيّا كانت ومن جملتي الشرط والجواب"^(٣)، ومن هذا يتّضح لنا أنّ الجملة الشرطيّة تتكون من ثلاثة أركان، الأول أداة الشرط، والثاني جملة فعل الشرط، والثالث جملة جزاء الشرط^(٤)، "وقد يحذف بعض هذه الأركان من جملها حذفاً لفظياً؛ ولكنها تظلّ مقدرة في سياقها وموقعها لأنها أسس البناء الذي لا يتمّ إلّا بها"^(٥).

أمّا أدوات الشرط، فهي "كلمٌ وضعت لتعليق جملة بجملة"^(٦). وتقسم من حيث أصلها أصلها ونوعها إلى "حُرُوف وَهِيَ (إِنْ) وَأَسْمَاءٌ مُضَمَّنَةٌ مَعْنَاهَا ثُمَّ مِنْهَا مَا لَيْسَ بِظَرْفٍ كـ(مِنْ) وَ(مَا) وَ(أَيُّ) وَ(مَهْمَا) وَأَسْمَاءٌ هِيَ ظُرُوفٌ (أَيْنَ) وَ(أَيْنَمَا) وَ(مَتَى) وَ(حَيْثَمَا) وَ(إِنَّمَا)"^(٧).

أمّا من حيث عملها، فتقسم على جازمة وغير جازمة، فالجازمة هي (إِنْ، إِنْما، أَيّ، أُنّى، حَيْثَمَا، مَتَى، أَيْانَ، مَهْمَا، مِنْ، أَيْنَ، مَا)^(٨)، وغير الجازمة هي "تلك الأدوات التي التي تقوم بالربط بين شيئين أحدها يترتب على الآخر فهذه الأدوات تستدعي إذن جملة شرطية كاملة... لكن هذه الأدوات لا تجزم الأفعال لا في الشرط ولا في الجواب... وهي (لو - لولا - إذا - كلما - لما: الحينية)"^(٩).

إنّ هذه الأدوات تقوم بعمل أساسي وجوهري في ربط جملتي الشرط والجزاء، مكوّنة بذلك أسلوباً ومعنى جديدين، لم يكونا موجودين؛ إذ إنّ "الشّيين إذا خلطا حدث لهما حكم ومعنى لم يكن لهما قبل أن يمتزجا"^(١٠).

(١) المقتضب: ٢/ ٤٥.

(٢) التعريفات: ١٠٨.

(٣) بناء الجملة العربيّة في ديوان النّابغة الذّبّيّ (رسالة ماجستير): ٢٠٦.

(٤) ينظر: في النّحو العربيّ نقد وتوجيه: ٢٨٤.

(٥) معجم المصطلحات النّحويّة والصّرفيّة، محمّد سمير نجيب البديّ: ٩٦.

(٦) ارتشاف الضّرب: ٤/ ١٨٦٢.

(٧) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٣٥٩، وينظر: شرح ابن عقيل: ٤/ ١٤.

(٨) ينظر: شرح التّسهيل: ٣/ ٣٨٦، والنّحو الوافي: ٤/ ٤٢١.

(٩) النّحو المصنّف، محمّد عيد: ٣٩٠-٣٩١.

(١٠) سرّ صناعة الإعراب: ١/ ٣٠٦، وينظر: معاني الحروف للرّمانيّ: ١٦٨.

كما تعمل هذه الأدوات بجعل جملة الشرط بطرفيها (الجزء والشرط) جملة واحدة، لها كيانها المستقل الذي لا يقبل الانشطار؛ لأنّ جزئيهما كليهما يعبران عن مضمون واحدٍ، وأفكار لا يمكن تجزئتها^(١). فطرفي الشرط (الشرط والجزاء) -إن صحّ لنا التشبيه- كطرفي الإسناد في الجملة الاسميّة والفعلية، فوجود الشرط يقتضي وجود الجواب، ف(الشرط والجزاء) عمدة الكلام في جملتهم ذات الكيان المستقلّ، والاقتصار على أحدهما يعني عدم وجود فائدة من تلك الجملة. وجملتي الشرط والجزاء قد تكونان "جملتين فعليّتين، أو جملتين، أحدهما فعليّة، والأخرى اسميّة"^(٢).

ولما كانت جملة الشرط جملةً واحدةً متكوّنةً من جملتين أساسيّتين (فعل الشرط) و(جزاء الشرط)، فقد تنوّعت أنماط هاتين الجملتين بتنوّعهما، ومما ورد من هذه الأنماط في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم ما يلي:

١ - الأداة تليها جملتان فعليّتان ماضويّتان:

اشتراط جمهور النحويّين في أفعال الشرط التي تقع من الفعل الماضي أن تدلّ على معنى الاستقبال؛ لأنّ دلالة الشرط على الاستقبال هي الأصل^(٣). يقول في ذلك المبرّد (٢٨٥هـ): "يجوز أن تقع الأفعال الماضيّة في الجزاء على معنى المستقبل؛ لأنّ الشرط لا يقع إلّا على فعلٍ لم يقع. فتكون مواضعها مجزومة، وإن لم يتبيّن فيها الإعراب"^(٤).

ومما ورد على هذا النمط في حِكمه (عليه السلام)، قوله (عليه الصلاة السلام): "الدُّنْبُ شُوْمٌ عَلَى غَيْرِ فَاعِلِهِ، إِنْ عَيَّرَهُ ابْتُلِيَ، وَإِنْ اغْتَابَهُ أَثِمَ، وَإِنْ رَضِيَ بِهِ شَارَكَ"^(٥).

نلاحظ في الحديث الشريف أنّ أداة الشرط (إن) وهي "أم أدوات الشرط"^(٦) قد تصدرت الجمل الشرطيّة الواردة ثلاث مراتٍ في فضاء الحديث الشريف، وفعل الشرط

(١) ينظر: دلائل الإعجاز: ٢٨٦، وفي النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٨٦.

(٢) المقرّب: ١/ ٢٧٤، وينظر: شرح ابن عقيل: ١٧-١٩.

(٣) ينظر: الأصول في النحو: ٢/ ١٥٨، والمقرّب: ١/ ٢٧٤، ورصف المباني: ١٠٤.

(٤) المقرّب: ٢/ ٤٩.

(٥) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٤/ ٥٧١، وينظر: كنز العمال: ٣/ ٧٠.

(٦) الجنى الدّاني في حروف المعاني: ٢٠٨، وينظر: معاني الحروف للرّمانيّ: ٧٤، والتراكيب اللّغويّة في العربيّة: ٢٢٣.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

في المواضع الثلاثة ورد ماضيًا (عَيَّرَهُ، اغْتَابَهُ، رَضِيَ)، وأمَّا جواب الشرط (ابْتُلِيَ، أَثِمَ، شَارَكَهُ) ورد ماضيًا أيضًا، وهذه الأفعال مبنية في محل جزم.

ومن أمثلة الشرط الذي ورد بجملتين ماضويتين، قوله (عليه السلام): "مَثَلُ النَّاطِرِ فِي الْقَدَرِ كَالنَّاطِرِ فِي عَيْنِ الشَّمْسِ، كُلَّمَا اشْتَدَّ نَظَرُهُ فِيهَا ذَهَبَ بَصَرُهُ"^(١). فأداة الشرط في الحديث الشريف (كَلَّمَا) المكوّنة "من (كلّ) المعربة بالنصب على الظرفية و(ما) المصدرية المبنية"^(٢)، وهي أداة شرط غير جازمة. دخلت على الفعل الماضي (اشتدّ)، وجوابه (ذهَبَ)، وكلاهما في محل جزم.

وقد تعرّض النقاد اللغويون لمسألة تكرار (كَلَّمَا) في أمالي بعض الكتاب، فذهبوا إلى منع تكرارها؛ "لأنّ تكرار (كَلَّمَا) أسلوب خارج على النمط العربي"^(٣). ومذهبهم القائل بالمنع جاء موافقًا لما ورد في الحديث الشريف، فد(كَلَّمَا) لم تتكرّر في الحديث النبوي، وهذا يدلّ على أنّ عدم تكرارها أسلوب فصيح لا غبار عليه.

٢ - الأداة تليها جملة فعلية مضارعية ثم جملة فعلية ماضوية:

ذكر جمهور النحويين أنّ مجيء فعل الشرط فعلًا مضارعًا، وجزاؤه فعلًا ماضيًا قليل^(٤). وحصر بعضهم هذا النمط من الجملة الشرطية بالشعر، وهو عندهم من ضروب الضرائر الشعرية، ونسب السيوطي (٩١١هـ) الرأي القائل بـ(الضرورة) لسيبويه (١٨٠هـ) وجمهور النحويين^(٥).

فالمذهب القائل بحصره بالضرورة الشعرية غير صحيح، ويفتده حديث رسول الله (ﷺ): "مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ الْقَدَرِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"^(٦). نلاحظ في الحديث المبارك أنّ أداة الشرط (من) قد دخلت على فعل الشرط (يُقيم) وهو فعل مضارع، أمّا جزاء الشرط، فورد فعلًا ماضيًا (غُفِرَ) مبنياً في محل جزم. وهذا يدلّ على

(١) حكم النبي الأعظم: ٩٤ / ٢.

(٢) التراكيب اللغوية في العربية: ١٩٩.

(٣) معجم الصواب اللغوي، أحمد مختار عمر: ١ / ٦٢٣، وينظر: اللغة والحضارة، إبراهيم السامرائي: ١١٨، وتذكّرة الكاتب، أسعد داغر: ١٠٢.

(٤) ينظر: المقرّب: ١ / ٢٧٥، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٤ / ٣٢٢، وشرح ابن عقيل: ٤ / ١٧.

(٥) ينظر: همع الهوامع: ٤ / ٣٢٢.

(٦) حكم النبي الأعظم: ٦ / ١٨٩، وينظر: صحيح البخاري: ١ / ٢٢.

أن هذا النمط الشرطي أسلوب فصيح في العربية، ولعل ما ذهب إليه النحويون من أنه محصور في الشعر يعود لاستقراءهم الناقص للنصوص اللغة، ولموقفهم من الاستشهاد بالحديث الشريف.

٣ - الأداة تليها جملة فعلية ماضوية ثم جملة طلبية مقترنة بالفاء :

ذكر النحويون أن جواب الشرط إذا كان جملة طلبية يجب أن يقترن بالفاء؛ لتحقيق الاقتران بين فعل الشرط وجزاء الشرط^(١). وقد بين الاستربادي (٦٨٦هـ) العلة في اختيار الفاء، من دون غيرها؛ إذ يقول: "لمناسبتة للجزاء معنى؛ لأن معناه: التعقيب بلا فصل، والجزاء متعقب للشرط كذلك، هذا إلى خفتها لفظاً"^(٢).

ومن نماذج هذا النمط، قوله (عليه السلام): "إن مجوس هذه الأمة المكذبون بأقدار الله تعالى. إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم، وإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم"^(٣). ففي الحديث الشريف تصدرت (إن) الجمل الشرطية في ثلاثة مواضع، وفعل الشرط في هذه المواضع (مرضوا، ماتوا، لقيتموهم). وجواب الشرط الجملة الطلبية (فلا تعودوهم، فلا تشهدوهم، فلا تسلموا) وقد اقترن الجواب بالفاء، وبهذا الاقتران حققت الفاء دلالة الربط بين فعل الشرط وجزاء الشرط.

٤ - الأداة تليها جملة فعلية مضارعية ثم جملة اسمية مقترنة بالفاء :

قيد النحويون مواضع يجب أن يقترن جزاء الشرط فيها بالفاء، ومن هذه المواضع أن يكون الجزاء جملة اسمية^(٤). ومن صور هذا النمط، قوله (عليه السلام) "لم يؤمن بالقدر بالقدَر خيرَ وخيرَ فأنا منه بريء"^(٥). نلاحظ في الحديث الشريف أن أداة الشرط (من) تصدرت الشرط، وفعل الشرط فعل مضارع (يؤمن)، ورد منفياً بـ(لم). وجزاء الشرط الجملة الاسمية المقترنة بالفاء (فأنا منه بريء)، وهي في محل جزم جزاء الشرط.

(١) ينظر: شرح شذور الذهب: ١٨١-١٨٢، وشرح ابن عقيل: ١٩ / ٤.

(٢) شرح الرضوي على الكافية: ١١٠ / ٤.

(٣) حكم النبي الأعظم: ٨١ / ٢، وينظر: سنن ابن ماجه: ٣٥ / ١.

(٤) ينظر: شرح الرضوي على الكافية: ١١٠-١٠٩ / ٤، وشرح ابن عقيل: ١٩ / ٤.

(٥) حكم النبي الأعظم: ٨١ / ٢، وينظر: مسند أبي يعلى: ٢٨٩ / ١١.

٥ - الأداة تليها جملة اسمية ثم جملة فعلية ماضوية:

ومن الشواهد على هذا النمط من البناء، قوله (عليه السلام): "اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي الْخُبْزِ. وَلَا تُفَرِّقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ؛ فَلَوْلَا الْخُبْزُ مَا صَلَّيْنَا وَلَا صُمْنَا، وَلَا أَدِينَا فَرَايِضَ رَبَّنَا"^(١). نلاحظ في الحديث الشريف تصدّرت (لولا) جملة الشرط (لولا الخبز) وهي جملة اسمية، أمّا جزاء الشرط، فورد فعلاً ماضياً منفياً بـ(ما).

إنّ الاسم المرفوع الواقع بعد (لولا) مختلف فيه، فمذهب البصريين أنّه مرفوع بالابتداء، وخبره محذوف تقديره (موجود)، ومذهب الكوفيين فيه أنّه مرفوع بها، وهي في الأصل نائبة عن فعلٍ حُذف للتخفيف، وتقديره (لو لم يمنعني...)، ولو ظهر الفعل لرفع هذا الاسم^(٢).

وبعد تناول أسلوب الشرط وأنماطه الواردة في حكم النبي الأعظم، يتّضح لنا أنّ استعمال الرسول (عليه السلام) لأسلوب الشرط كان ملائماً لأهداف الحديث الشريف الدينية. فالرسول (عليه السلام) لم يكن يوجّه الفرد المسلم توجيهاً مباشراً لتجنّب أمرٍ ما، أو للإقبال على آخر، وإنّما يوضّح حقيقة الأمور أو حكمها العام بصورةٍ شرطيةٍ؛ لأنّ كلّ عمل يقوم به المسلم يرتبط بجراء. فاستعمال الشرط والاتكاء عليه يتيح للفرد مساحة من التفكير، ويمنحه حرية الاختيار. ولأنّ أسلوب الشرط يربط السبب بالنتيجة، استعمله الرسول (عليه السلام) حتّى يبيّن أن كلّ فرد يعلم بنتيجة عمله، فلا حاجةً أمامه بعد ذلك.

(١) حكم النبي الأعظم: ٦ / ٦٠٥ ، وينظر: الكافي: ٥ / ٧٣.

(٢) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١ / ٦٠ مسألة رقم: ١٠.

المبحث السادس

التقديم والتأخير والحذف في تراكيب الجملة الخبرية

أولاً: التقديم والتأخير

يُعَدُّ التقديم والتأخير أسلوباً من أساليب العربية، يطرأ على الترتيب المعتاد للجملة العربية، محدثاً تغييراً في ترتيبها الأساسي؛ إذ يقدّم ما حقّه التأخير، ويؤخّر ما حقّه التقديم، دون أن يغيّر الوظيفة النحوية للمتقدّم أو المتأخّر، فهو يعتمد على العلامة الإعرابية، التي تُعَدُّ السراج الذي تُكتشف به الرتبة الأصلية للكلمات داخل كل تركيب^(١).

إنَّ التقديم والتأخير في تراكيب الجملة قد يكون اعتبارياً في كلام المتحدث، فيأتي به المتكلّم دون أن يشعر بذلك. وقد يكون عن قصدٍ يسعى إليه المتكلّم سعياً. وفي الحالتين كليهما يحقق إبرازاً للمعنى في الجزء المتقدّم أو المتأخّر في تلك الجملة. ويحقّق أيضاً أغراضاً ونكتاً بلاغية لم تكن موجودة في الجملة قبل تغيير ترتيبها الأساسي. فالمتكلّم إذا "أراد أن يخصّ شيئاً باهتمام السامع أو القارئ، قدّمه، وفاجأه به، وليقع ذلك في نفس سامعه أو قارئه موقعاً ثابتاً"^(٢).

وهذا الأسلوب من الموضوعات التي يهتمّ بها (علم المعاني)؛ إذ إنّ للبلاغيين باعاً طويلاً في هذا الباب، فقد ذكروا خصائصه، ومميزاته، والأغراض التي يؤتى بها. بيد أننا نجد إمام النحويين قد تحدّث في هذا الأسلوب، مشيراً إلى أصلاته وكثرته في الاستعمال العربيّ، يقول في ذلك: "فإن قدّمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول، وذلك قولك: ضَرَبَ زيداً عبْدُ الله؛ لأنك إنّما أردت به مؤخراً ما أردت به مقدّماً، ولم تُرد أن تشغل الفعل بأوّل منه وإن كان مؤخراً في اللفظ. فمن ثمّ كان حدّ اللفظ أن يكون فيه مقدّماً، وهو عربيّ جيّد كثير، كأنهم إنّما يقدّمون الذي بيانه أهمّ لهم وهم ببيانه أغنى، وإن كانا جميعاً يُهمّانهم ويغنيانهم"^(٣).

(١) ينظر: التّطوّر النّحويّ لّلغة العربيّة: ١٣٤، وينظر: في النّحو العربيّ نقد وتوجيه: ٧٢-٧٣.

(٢) التّراكيب اللّغويّة في العربيّة: ١٢٩.

(٣) الكتاب: ١/ ٣٤.

الباب الثاني..... بناءُ الجملة في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم

أمّا البلاغيون، فكانوا أكثر اهتمامًا بهذا الأسلوب، كما أوضحنا قبل قليل، فقد تحدّث عنه عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) في كتابه المسمّى بـ(دلائل الإعجاز)، وأسهب في عرض دلالاته والنكات البلاغية التي يتضمّنها، يقول في وصف هذا الباب: "بابٌ كثيرُ الفوائد، جَمُّ المحاسن، واسعُ التصرّف، بعيدُ الغاية، لا يزالُ يفتَرُّ لك عن بديعةٍ، ويُفضي بك إلى لطيفةٍ، ولا تزال تَرى شعراً يروقُك مسمّعه، ويلطّف لديك موقعه، ثم تنظر فتجدُ سببَ أن راقك ولطفَ عندك، أن قُدِّم فيه شيءٌ، وحولَ اللَّفظِ عن مكانٍ إلى مكانٍ"^(١).

والتّقديم والتّأخير في العربيّة يكون في تراكيب الجملتين الاسميّة والفعليّة. وفيما يلي أنماط التّقديم والتّأخير في الجملتين كليهما:

١ - التّقديم والتّأخير في الجملة الاسميّة:

قد مرّ بنا سابقاً أنّ الجملة الاسميّة تتكون من ركنين أساسيين هما المسند إليه وهو (المبتدأ)، والمسند وهو (الخبر). والترتيب الطّبعي للجملة الاسميّة أنّ يتقدّم فيها المسند إليه (المبتدأ) على المسند (الخبر). بيد أنّ هنالك مواضع في العربيّة يتقدّم فيها الخبر على المبتدأ وجوباً أو جوازاً، ولكلّ موضع من هذه المواضع مسوّغ ذكره النّحويّون في طيات كتبهم، وقد ورد في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم، عددٌ من الشّواهد التي تضمّنت تقديم الخبر على المبتدأ؛ إذ جاء التّقديم فيها وفق الأنماط الآتية:

أ- الخبر شبه جملة مُقدّم والمبتدأ نكرة غير مخصّصة:

ومن أمثلة هذا النمط، قوله (ﷺ): "لِكُلِّ شَيْءٍ مَعْدِنٌ، وَمَعْدِنُ النَّقْوَى قُلُوبُ الْعَارِفِينَ"^(٢). نلاحظ في الحديث المبارك قدّم الرّسول (ﷺ) الخبر شبه الجملة (لكلّ) على المبتدأ (معدن)، وهذا التّقديم واجبٌ؛ لئلا يتوهّم السّامع عند تأخير الخبر (الجملة أو شبه الجملة) بأنّه صفةٌ لا خبر للمبتدأ النّكرة غير المخصّصة^(٣).

(١) دلائل الإعجاز: ١٠٦.

(٢) حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم: ١ / ٥٠٩، وينظر: المعجم الكبير، للطّبراني: ١٢ / ٢٣٤.

(٣) ينظر: شرح قطر النّدى: ١٢٤، و النّحو الوافي: ١ / ٥٠١.

ب- الخبر شبه جملة مقدّم والمبتدأ نكرة مخصصة:

ومن نماذج هذا النمط، قوله (عليه السلام): "لِلْمُؤْمِنِ فِي كُلِّ يَوْمٍ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ"^(١). نلاحظ في الحديث الشريف تقدّم الخبر وهو شبه الجملة من الجارّ والمجرور (للمؤمن)، على المبتدأ (دعوة) وهو نكرة مخصصة بالوصف (مستجابة)، ووصف النكرة بهذا الوصف أخرجها من دائرة الشّيع إلى دائرة التّخصيص. والتّقديم في الحديث الشريف جائز غير واجب^(٢).

ت- الخبر شبه جملة مقدّم جوازاً والمبتدأ معرفة:

ومما ورد على هذا النمط في حكمه (عليه السلام)، قوله (عليه الصلاة السلام): "مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ الْمَسْكُنُ الْوَاسِعُ"^(٣). فالرسول (عليه السلام) قدّم الخبر شبه الجملة من الجارّ والمجرور (من سعادة المرء المسلم) على المبتدأ المعرفة (المسكن)، وهذا التّقديم جائز؛ لكون المبتدأ اسماً معرفةً سالحةً للابتداء بها^(٤). والتّقديم هنا هو للتّخصيص، ولشدّ انتباه المتلقّي، ودفع الوهم عن ذهنه^(٥). ولأنّ الكلمات "تقتفي في نظمها آثار المعاني، وتُرتّبها على حسب ترتب المعاني في النّفس"^(٦)؛ قدّم الرسول (عليه السلام) معنى (السّعادة) في بداية الجملة الاسميّة، وأخبر بها أولاً قبل كلّ شيء.

ث- الخبر شبه جملة مقدّم وجوباً والمبتدأ مضافاً إلى ضمير يعود على بعض الخبر:

ومن صور هذا النمط، قوله (عليه السلام): "افْتَحَرَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: يَا رَبِّ، يَدْخُلُنِي الْجَبَابِرَةُ وَالْمُنَكَّبَرُونَ وَالْمُلُوكُ وَالْأَشْرَافُ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: أَيُّ رَبِّ، يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أُصِيبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ، وَقَالَ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا"^(٧). نلاحظ

(١) حكم النبي الأعظم: ٥ / ٤٥٤ ، وينظر: كنز العمال: ١ / ١٦٥.

(٢) ينظر: كافي ابن الحاجب: ٣٦ ، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ١ / ٢١٥ ، والنحو الوافي: ١ / ٥٠١.

(٣) حكم النبي الأعظم: ٧ / ٤٢٥ ، وينظر: الكافي: ٦ / ٥٢٦.

(٤) ينظر: شرح التّصريح على التّوضيح: ١ / ٢١٣.

(٥) ينظر: معاني النحو: ١ / ١٥٠.

(٦) دلائل الإعجاز: ٤٩.

(٧) حكم النبي الأعظم: ٧ / ٤٠٩ ، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ١٧ / ١٦٣.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

في الحديث المبارك أنَّ تقديم الخبر وهو شبه الجملة (لكل واحدٍ) تقديم واجب؛ كون المبتدأ (ملؤها) اشتمل على ضمير يعود على الخبر، فلا يجوز تأخير الخبر؛ لئلا يعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة^(١).

٢- التقديم والتأخير في سياق الجملة الفعلية:

إنَّ الجملة الفعلية في نظامها العام وترتيبها الطبيعي تتكوّن من ركنين: الفعل وهو الركن الأول (المسند)، والفاعل وهو الركن الثاني (المسند إليه). وقد تكتفي الجملة بهذين الركنين، وقد لا تكتفي، فتطول بذكر بعض الفضلات كالمفعول به، والحال، وغيرها، لتكامل بالفضلة معنى الجملة ومضمونها. بيد أنَّ في مواضع يتقدّم المفعول به على الفاعل، أو على الفعل والفاعل معاً؛ لأغراض دلالية وبلاغية يسعى المتكلم لإيصالها لذهن المتلقي.

وقد ورد التقديم والتأخير في تراكيب الجملة الفعلية في حكم النبي الأعظم وفقاً للأنماط الآتية:

أ- تقديم المفعول به:

وله حالات متعددة، منها أن يتقدّم المفعول به وجوباً على الفاعل. فقد ذكر التحوّيون مواضع يكون فيها المفعول به متقدّم وجوباً على الفاعل وحده، ومن هذه المواضع أن يكون الفاعل محصوراً بـ(إنّما)، وأن يتّصل بالفاعل ضمير يعود على المفعول به، وأن يكون المفعول به ضميراً متّصلاً بالفعل ويكون الفاعل اسماً ظاهراً. وغير ما ذكر يكون التقديم جائزاً^(٢).

ومما يُستشهد به على هذا النمط، حكمته المباركة (عليه السلام): "لَمَّا قَالَ لَهُ رَجُلٌ: احْبُ أَنْ يَرْحَمَنِي رَبِّي: اِرْحَمْ نَفْسَكَ، وَاِرْحَمْ خَلْقَ اللَّهِ، يَرْحَمَكَ اللَّهُ"^(٣). ففي الحديث الشريف قدّم الرسول (عليه السلام) المفعول به وهو (الضمير المتّصل الكاف) في (يَرْحَمَكَ) على

(١) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ١ / ٢٦١ ، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ١ / ٢١٥ ، وشرح قطر الندى: ١٢٤-١٢٥.

(٢) ينظر: الخصائص: ١ / ٢٩٥ ، وشرح ابن عقيل: ٢ / ٤٣-٤٥ ، والجملة الفعلية، علي أبو المكارم: ٩٤-

(٣) حكم النبي الأعظم: ٧ / ٤١١ ، وينظر: كنز العمال: ١٦ / ١٢٨.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

الفاعل (لفظ الجلالة)، وهذا التقديم واجب؛ لكون الفاعل اسماً ظاهراً، وكون المفعول به ضميراً قد اتصل بالفعل. يقول سيبويه (١٨٠ هـ) في مثل هذا الضرب من التقديم: "وهو عربي جيد كثير، كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أغنى" (١).

ومنها أن يتقدم المفعول به على الفعل والفاعل؛ إذ إن هنالك مواضع يجب أن يتقدم المفعول به عليهما معاً. ومن المواضع التي يجب أن يتقدم المفعول به أن يكون واقعاً في جواب (أما) ولم يفصل فاصلاً بين (أما) وجوابها المقترن بـ(الفاء)، وأن يكون من الألفاظ التي لها الصدارة في الكلام، وأن يكون المفعول به ضميراً منفصلاً لو تأخر لوجب اتصالهما (٢).

ومن الشواهد التي تقدم فيها المفعول به وجوباً على الفعل وفاعله، قوله (ﷺ): "أوحى إلى بعض الأنبياء: قُلْ لِلَّذِينَ يَتَّقُهُمْ لِيُغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ... وَيَطُوبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ... وَقُلُوبُهُمْ كَقُلُوبِ الدِّثَابِ...: إِيَّايُ يُخَادِعُونَ؟! وَلَا تَحِجَّنَّ لَكُمْ فَتَنَةٌ تَذُرُ الْحَكِيمَ حَيْرَانٌ" (٣). نلاحظ في الحديث الشريف أن المفعول به ضمير منفصل (إيائي)، وقد تقدم على فعله (يخادعون)، وتقديمه هنا واجب؛ كونه ضمير نصب منفصل. وتأخيره يوجب اتصاله بالفعل ليكون (يخادعوني).

ب- تقديم الجار والمجرور:

ولهذا التقديم أنماط متعددة في حكم النبي الأعظم، منها أن يقدم الجار والمجرور على الفاعل، أو على الفعل والفاعل معاً، أو يتقدم على المفعول به. أو يتقدم على الفعل المبني للمجهول ونائبه. وسنقتصر على ذكر تقدمهما على الفاعل، والمفعول به فقط؛ تجنباً للإطالة؛ ولكون الأغراض الدلالية هي ذاتها في الضروب كلها. ولعل من المفيد ذكره أن الأغراض من تقديم شبه الجملة لا تختلف عن غيرها من ضروب التقديم الأخرى؛ إذ يدور معظمها حول العناية والاهتمام.

ومثال تقديم الجار والمجرور على الفاعل، قوله (ﷺ): "إِنَّ أَهْلَ الْمُصِيبَةِ لَتَنْزِلُ بِهِمُ الْمُصِيبَةُ فَيَجْزَعُونَ فَيَمُوتُ بِهِمْ مَارٌّ مِنَ النَّاسِ فَيَسْتَرْجِعُ فَيَكُونُ أَكْثَرُ أَجْراً مِنْ

(١) الكتاب: ١ / ٣٤.

(٢) ينظر: شرح ابن عقيل: ٢ / ٤٣ في الهامش.

(٣) حكم النبي الأعظم: ٤ / ٥٩، وينظر: بحار الأنوار: ١ / ٢٢٤.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

أهلها" ^(١). نلاحظ في الحديث الشريف أن شبه الجملة من الجار والمجرور (بهم) المكررة في موضعين، قد تقدّمت على الفاعل في الموضع الأول (المصيبة)، وفي الموضع الثاني (مار). وهذا التقديم هو للاهتمام والعناية بشبه الجملة.

ومثال تقدّمهما على المفعول به، قوله (ﷺ): "إذا أراد الله بأهل بيت خيراً فقَهُهُم في الدين، ورزَقَهُم الرِّفْقَ في معاشِهِم، والقَصْدَ في شأنِهِم، ووَقَّرَ صَغِيرُهُم كَبِيرَهُم، وإذا أرادَ بهم غيرَ ذلكَ تركَهُم هَملاً" ^(٢). فشبه الجملة (بهم) في الحديث المبارك، تقدّمت على المفعول به (غير ذلك)، وقد قدّم الرسول (ﷺ) شبه الجملة للعناية بها.

ت- تقديم الظرف:

وتقديم الظرف لا يختلف عن سابقه، فهو يقدّم على الفاعل، وعلى الفعل والفاعل والمفعول. ومثال تقدّمه على المفعول به، قوله (ﷺ): "إنّ الدنيا لو عدّلت عند الله عزّ وجلّ جناح بعوضةٍ لما سقى الكافر منها شربةً من ماءٍ" ^(٣). نلاحظ في الحديث الشريف أنّ الظرف (عند) مقدّم على المفعول به (جناح بعوضة). وتقديم الظرف في الحديث الشريف هو للعناية بالمتقدّم.

ث- تقديم جواب الشرط على أداة الشرط وجملة الشرط:

من المعلوم بأنّ الترتيب الأساسي والمعتاد للجملة الشرطية، هو أنها تتكوّن من أداة الشرط المتصدّرة، ثم يليها فعل الشرط، ثمّ جواب الشرط. وقد يتغيّر هذا الترتيب فيتقدّم الجواب على جملة أداة الشرط وفعلها، وقد وردت شواهد على ذلك في حكم النبي الأعظم، منها قوله (ﷺ): "لا يَمَنِّينَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لِضُرِّ نَزَلٍ بِهِ. فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنِّيًّا لِلْمَوْتِ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَهْنِني ما كانتِ الحَيَاةُ خَيْراً لي. وتوفّني إذا كانتِ الوفاةُ خيراً لي" ^(٤). نلاحظ في الحديث الشريف أنّ جواب الشرط ورد متقدّماً (توفّني) وهو جملة طلبية لم تقترن بالفاء، وقد تقدّم على الأداة (إذا) وفعل الشرط (كانت). كما نلاحظ أنّ

(١) حكم النبي الأعظم: ٧ / ٤٥٩ ، وينظر: بحار الأنوار: ٨٢ / ١٣٢.

(٢) حكم النبي الأعظم: ٤ / ٥٦٦ ، وينظر: كنز العمال: ١٠ / ١٣٧.

(٣) حكم النبي الأعظم: ٧ / ٥٧٦ ، وينظر: مكارم الأخلاق: ٤٣٩.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٥ / ٣٩٥ ، وينظر: صحيح البخاري: ٥ / ٢٣٣٧.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

تقدّم جواب الشرط كان مع فعلٍ ماضٍ، وهذا يؤكّد صحّة ما اشترطه المبرّد (٢٨٥هـ) من أنّه يجوز تقديم جواب الشرط إن كان فعل الشرط فعلاً ماضياً^(١).

وقد ينشطر جواب الشرط إلى شطرين، أحدهما يتقدّم على أداة الشرط، والآخر بعد أداة الشرط، ويسمّى هذا الانشطار بـ(الاكتاف)، وحدّه د. مالك المطلبي بأنّه "انشطار جملة جواب الشرط إلى شطرين يحيطان بالأداة وجملة الشرط"^(٢).

ومثال ما ورد في حكم النبي الأعظم من انشطار لجواب الشرط، قوله (عليه السلام): "احسنوا إذا وليتم، واعفوا عمّا ملكتم"^(٣). فجواب الشرط قد انشطر شطرين، وأحاط بأداة الشرط (إذا)، وجملة الشرط (وليتم). فالشرط الأول (احسنوا)، والشرط الثاني (اعفوا عمّا ملكتم). وكان الأصل أن يكون (إذا وليتم، احسنوا واعفوا عمّا ملكتم)؛ ولكن تقدم جزء من جواب الشرط، وهو الذي يتضمّن معنى (الإحسان)؛ إذ إنّ هذا التقديم هو لغرض العناية والاهتمام؛ ولشدّ ذهن المتلقّي وتحفيزه لمعرفة باقي أجزاء الكلام والله أعلم.

ثانياً: الحذف

يُعَدُّ الحذف من الظواهر اللغويّة المتجذّرة والرّاسخة في اللّغة العربيّة، وهو سمة أسلوبية تميزت بها لغتنا العريقة. والحذف هو "إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام"^(٤). أو هو "إسقاط جزء الكلام أو كلّهِ لدليل"^(٥).

وقد تطرّق النحويّون والبلاغيّون لهذا الأسلوب في مصنفاتهم بدءاً من سيبويه (١٨٠هـ)، الذي عقد باباً للحذف يقول فيه: "هذا باب ما يكون في اللفظ من الأعراض اعلم أنّهم ممّا يحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوّضون، ويستغنون بالشّيء عن الشّيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل"^(٦).

(١) ينظر: المقتضب: ٦٦ / ٢.

(٢) في التّركيب اللّغويّ للشّعر العراقيّ المعاصر: ٣١٥.

(٣) حكم النبي الأعظم: ٦٢١ / ٢، وينظر: كنز العمال: ٦ / ٦.

(٤) النّكت في إعجاز القرآن للرّمانيّ: ٧٦، وينظر: الحدود في النّحو للرّمانيّ: ٧٠، وينظر: التّعريفات: ٧٥.

(٥) والبرهان في علوم القرآن: ١٠٢ / ٣.

(٦) الكتاب: ٢٤-٢٥، وينظر: باب لحذف الفعل لكثرة استعماله ٢٨٠ / ١.

وامتدح ابن جنّي (٣٩٢هـ) هذا الأسلوب اللّغويّ بوصفه إياه بالشّجاعة، فعقد باباً في خصائصه سمّاه "باب في شجاعة العربيّة"^(١). ووصفه الجرجانيّ (٤٧١هـ) بقوله: "هو بابٌ دقيقُ المسلك، لطيفُ المأخذ، عجيبُ الأمر، شبيهٌ بالسّحر، فإنّك ترى به تركّ الذّكر، أفصحَ من الذّكر، والصّمت عن الإفادة، أزيدَ للإفادة، وتجدّك أنطقَ ما تكونُ إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكونُ بياناً إذا لم تُبّن، وهذه جملة قد تكررنا حتّى نخبر، وتدفعها حتّى تنظر"^(٢).

والحذف قد يقع في الحركة، أو الحرف، أو المفردة، أو الجملة، يقول في ذلك ابن جنّي (٣٩٢هـ): "قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلّا عن دليلٍ عليه"^(٣). وقد ذكر يحيى بن حمزة العلويّ (٧٤٥هـ) أنّ "الإيجاز بحذف المفردات أوسعُ مجالاً من حذف الجمل؛ لأنّ المفردات أخفّ في الاستعمال، فلهذا كثر فيها"^(٤).

وقد اشترط ابن هشام (٧٦١هـ) في الحذف شروطاً متعددة، أهمّهما وجود دليل معنويّ أو مقالي يدلّ على المحذوف، على ألا يكون الدليل المذكور مخالفاً للدليل المحذوف، وألا يكون المحذوف من النّصّ كالجزء، وألا يكون المحذوف مؤكّداً؛ لأنّ التّوكيد إطالة للنّصّ والحذف إيجاز له. ومن الشّروط التي أشرطها ألا يؤدّي الحذف إلى اختصار المختصر، وألا يكون المحذوف عاملاً ضعيفاً ولا عوضاً عن شيء، ومن أهمّ ما اشترطه ألا يكون الحذف مؤدّياً إلى تهيئة العامل للعمل أو قطعه عن العمل، أو يهيئ العامل الضّعيف للعمل مع إمكان إعمال العامل القوي^(٥).

وخلاصة ما سطر أنّ هذا النّمط الأسلوبيّ يهدف إلى اختصار الكلام وإيجازه دون الإخلال في التّركيب النّحويّ للنّصّ، مع شرط أن يكون هنالك قرينة أو دليلاً في سياق النّصّ يفهم عن طريقها المحذوف، سواء أكان هذا الدليل أو القرينة معنويّة أم مقاليّة

(١) الخصائص: ٢ / ٣٦٠.

(٢) دلائل الإعجاز: ١٤٦.

(٣) الخصائص: ٢ / ٣٦٠.

(٤) الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة: ٢٥٠.

(٥) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٢ / ٦٩٢-٧٠٠.

الباب الثاني..... بناءُ الجملة في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم

وإِلا كان الحذف عبثًا، مؤدّيًا إلى عقم في فهم النَّصِّ، وعندئذ يكون النَّصُّ لا فائدة ترجى منه.

إنَّ الحديث النَّبَوِيَّ الشَّريْف غنيٌّ بهذه السَّمة الأسلوبية، وقد أشرنا سلفًا إلى أن أبرز ما يميّز الحديث الشَّريْف هو الإيجاز القائم على الحذف؛ إذ إنَّ "اجتماع الكلام وقلة ألفاظه، مع اتساع معناه وإحكام أسلوبه في غير تعقيد ولا تكلف، ومع إبانة المعنى واستغراق أجزائه... شيء لم يعرف في هذه اللّغة لغيره قوله (عليه السلام)" ^(١).

والحذف يقع في الجملتين الفعلية والاسمية معًا، وفيما يلي أنماط الجملتين كلتاهما في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم :

١ - الحذف في الجملة الاسمية:

لما كانت الجملة الاسمية تتكون من مسند إليه وهو المبتدأ، والمسند وهو الخبر اللذان يمثلان عمدتا الكلام في الجملة الاسمية، فإنَّ الحذف في الجملة الاسمية يشمل أحد هذين الركنين الأساسيين، وفيما يلي حذف كلٍّ منهما في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم:

أ- حذف المبتدأ:

ذكر النَّحويُّون أن المبتدأ قد يُحذف في بعض المواضع. منها أن يكون جوابًا لاستفهامٍ صريحٍ، أو يقع بعد فاء جواب الشرط، أو هنالك قرينة تدلُّ عليه، أو يكون واقعًا بعد فاء جواب الشرط، أو جملة القول، أو يكون الخبر صفةً دالةً عليه. والحذف إمَّا واجبًا، وإمَّا جائزًا ^(٢).

ومثال ما ورد من حذف المبتدأ في حِكمه (عليه السلام): "لَمَّا سُئِلَ مَا بَرُّ الْحَجِّ؟ -: إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَطِيبُ الْكَلَامِ" ^(٣). نلاحظ في الحديث الشَّريْف أنَّ المبتدأ قد حُذِف، وأُبقِيَ على الخبر (إِطْعَامُ الطَّعَامِ)، وتقدير المبتدأ (بَرُّ الْحَجِّ). وهذا الضرب جائز في اللّغة؛

(١) إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية: ٣٠٠.

(٢) ينظر: الكتاب: ٢ / ١٣٠، والمقتضب: ٤ / ١٢٩، كافية ابن الحاجب: ٤١-٤٢، وشرح ابن عقيل: ١ /

١١٩، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٢ / ٧٢٣-٧٢٤، وشرح الرضوي على الكافية: ١ / ٢٧٢.

(٣) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٦ / ٢٤٧، وينظر: المستدرک على الصَّحیحین: ١ / ٦٥٨.

الباب الثاني..... بناءُ الجملة في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم

لوجود قرينة في سياق الحديث دلّت على المبتدأ المحذوف، وهو سؤال السائل عن (برّ الحج). وقد ذكر ابن هشام (٧٦١هـ) أن المبتدأ يكثر حذفه في جواب الاستفهام^(١).

ومثال حذف المبتدأ وجوباً، قوله (ﷺ): "بِئْسَ الْعَبْدُ الْمُحْتَكِرُ، إِنْ أَرْخَصَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَسْعَارَ حَزَنَ، وَإِنْ أَغْلَاهَا اللَّهُ فَرِحَ"^(٢). فالمبتدأ في الحديث الشريف محذوف تقديره (هو) وخبره (المحتكر)، أي: (هو المحتكر)، وحذفه واجب؛ لكونه مخصوص فعل الذم (بئس)^(٣).

ب - حذف الخبر:

وحذف الخبر هو الآخر، قد يُحذف وجوباً أو جوازاً، وقد ذكر النحويون مواضع لكلا الحذفين^(٤). ومن مواضع حذفه في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم، قوله (ﷺ): "إِنَّمَا الْأَمَلُ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لِأُمَّتِي. لَوْلَا الْأَمَلُ مَا أَرْضَعَتْ أُمٌّ وَلَدًا، وَلَا غَرَسَ غَارِسٌ شَجَرًا"^(٥). فـ(الأمَل) الواردة في الموضع الثاني من الحديث الشريف مبتدأ، وخبره محذوف وجوباً تقديره (موجود) أو (كائن)، أي: (لولا الأمَل موجودٌ...).

ومن حذف الخبر وجوباً، أن يُحذف مع الجملة القسميّة، ومثال ذلك، قوله (ﷺ): "وَاللَّهِ لَرُدُّ دَانِقٍ مِنْ حَرَامٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ سَبْعِينَ حَجَّةً مَبْرُورَةً"^(٦). نلاحظ في الحديث المبارك أن الخبر محذوف وجوباً، وتقديره (يميني) أو (قسمي). والعلة وراء حذفه وجوباً؛ لعدم وجود فائدة من ذكره في النَّص؛ فالعرب "تحذف الكلمة إذا كان ذكرها يؤدّي إلى العبث لوضوحها، وظهورها لا يزيد المخاطب شيئاً"^(٧).

(١) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٧٢٣ / ٢.

(٢) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٣٨ / ٧ ، وينظر: كنز العمال: ٩٧ / ٤.

(٣) ينظر: شرح ابن عقيل: ١١٩ / ١ ، ومغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٦٩١ / ٢.

(٤) ينظر: كافيّة ابن الحاجب: ٤١-٤٣ ، وشرح ابن عقيل: ١١٥-١١٨ ، ومغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٢٢٥ / ١.

(٥) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٤٠٥ / ٣ ، وينظر: تاريخ بغداد: ٥٢ / ٢.

(٦) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ١٨٩ / ٧ ، والدانق: هو سُدُس الدّهرم والدّينار، ينظر: لسان العرب: ١٠ / ١٠٥ (دنق).

(٧) معاني النّحو: ٣٠٤ / ١.

٢- الحذف في الجملة الفعلية:

إنَّ الحذف في الجملة الفعلية يكون في عناصرها الإسنادية (الفعل والفاعل)، أو في عناصرها غير الإسنادية (الفضلات). وقد تعددت أنماط الحذف في الجملة الفعلية، ومن هذه الأنماط:

أ- حذف الفعل والفاعل والمفعول به الأول:

ومن نماذج هذا النمط، قوله (ﷺ): "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْماً نَافِعاً، وَرِزْقاً وَاسِعاً"^(١). نلاحظ في الحديث الشريف أنَّه قد حُذِفَ الفعل والفاعل والمفعول به الأول، وأبقى المفعول به الثاني (رزقاً). والتقدير (وأسالك رزقاً واسعاً). والحذف في الحديث الشريف للإيجاز؛ إذ أضفى على النص رونقاً جمالياً، وأدى المعنى دون الحاجة إلى تكرار المحذوف، فأبعد النص عن الرتابة والملل من التكرار.

ب- حذف الفعل والفاعل، وبقاء المفعول به:

ومن الشواهد على هذا النمط من البناء، قوله (ﷺ): "سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): أَرَأَيْتَ أَدْوِيَةً نَتَدَاوَى بِهَا، وَرُقَى نَسْتَرْقِي بِهَا، وَتُقَى نَنْقِيهَا. هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ شَيْئاً؟ قَالَ: هِيَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ"^(٢). نلاحظ في الحديث المبارك قد حُذِفَ الفعل والفاعل وأبقى المفعول به (رُقَى، تُقَى)، والتقدير في كلا الموضعين (ورأيتُ) بدلالة ما قبله عليه؛ إذ إنَّ السامع على علم به، ممَّا دفع المتكلم للاستعانة بالحذف؛ تجنباً من إعادة الفعل وفاعله؛ لأنَّ "إذا طال الكلام كان الحذف أجمل"^(٣).

ت- حذف أداة الشرط، أو جوابه:

قد يقع الحذف في تركيب الجملة الشرطية على الأداة أو على الأداة والفعل معاً أو على جواب الشرط؛ إذ "تُدرس قضية الحذف في التركيب الشرطي عن طريق عرض احتمال الحذف في كلِّ جزءٍ من أجزاء التركيب في الجملة الشرطية"^(٤).

(١) حكم النَّبِيِّ الأعْظَمِ: ١/ ٣٢٤، وينظر: الكافي: ٤/ ٢٥٠.

(٢) حكم النَّبِيِّ الأعْظَمِ: ٧/ ٢٢١، وينظر: سنن ابن ماجه: ٢/ ١١٣٧.

(٣) الكتاب: ٢/ ٣٨.

(٤) النحو العربي، إبراهيم بركات: ٥/ ٤٦٧، وينظر: شرح ابن عقيل: ٤/ ٢٠-٢١.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

والحذف في تراكيب الجملة الشرطية في حكم النبي قليل جداً، قياساً بالتراكيب والأنماط الأخرى. فمثال ما ورد من حذف للأداة في حكم النبي الأعظم، قوله (ﷺ): "جواباً لمن قال: أحبُّ أن تُستجابَ دعوتي: اجتنِبِ الحرامَ تُستجبَ دعوتُكَ"^(١). نلاحظ في الحديث الشريف وجود فعل أمر (تجنب)، وقد غُلِقَ به الفعل المضارع (تُستجب) فانجزم به.

وفي مثل هذه الحال يرى عددٌ من النحويين أنَّ الفعل المضارع مجزومٌ بأداة محذوفة هي وفعلها^(٢)، وعلى هذا يكون تقدير قول الرسول (ﷺ) (اجتنِبِ الحرامَ فَإِنَّكَ إِن تَجْتَنِبَهُ تُسْتَجَبَ دعوتُكَ). بيد أنَّ المبرِّد (٢٨٥هـ) على خلاف ذلك؛ إذ يرى "أنَّ جوابَ الأمرِ والنَّهي ينجزمُ بالأمرِ والنَّهي كما ينجزمُ جوابُ الجزاءِ بالجزاءِ، وذلك لأنَّ جوابَ الأمرِ والنَّهي يرجع إلى أن يكونَ جواباً صحيحاً"^(٣).

ومثال حذف جواب الشرط قوله (ﷺ): "إِنَّ رَجُلًا جَاءَهُ الْمَوْتُ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، فَقَالَ رَجُلٌ: هَنِيئًا لَهُ مَاتَ وَلَمْ يُبْتَلْ بِمَرَضٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): وَيَحَاكَ، وَمَا يُدْرِيكَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ ابْتَلَاهُ بِمَرَضٍ يُكْفِّرُ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ"^(٤). نلاحظ في الحديث المبارك تكونت جملة الشرط من أداة الشرط (لو)، وقد دخلت على جملة اسمية منسوخة بـ(أنَّ)، وقد اُخْتَلِفَ في إعراب (أنَّ) ومعموليها في مثل هذه الحال، فذهب الكوفيون إلى أنها ومعموليها في موضع رفع فاعل لفعلٍ محذوفٍ تقديره (ثبت)، وذهب البصريون إلى أنها ومعموليها مبتدأ، وخبره محذوف تقديره (ثابت) وهو مذهب سيبويه^(٥).

وما يهَمُّنا أنَّ جواب الشرط هنا أنَّه قد حُذِفَ لعلم المتلقي به وتقديره: (لو أنَّ الله ابتلاه بمرضٍ يُكْفِّرُ به سيئاته، لكان أفضل له). يقول سيبويه (١٨٠هـ) في ذلك: "سألت

(١) حكم النبي الأعظم: ٥ / ٤٣٦ ، وينظر: كنز العمال: ١٦ / ١٢٩.

(٢) ينظر: الكتاب: ٣ / ٩٣-٩٤ ، والأصول في النحو: ٢ / ١٦٨ ، وشرح المفصل: ٧ / ٤١ ، والمقرب: ١ / ٢٧٢.

(٣) المقتضب: ٢ / ١٣٣.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٣ / ٦٠٩ ، وينظر: الموطأ، مالك بن أنس: ٢ / ١١٩.

(٥) ينظر: شرح المفصل: ٢ / ٢٩١ ، الجنى الداني في حروف المعاني: ٢٨٠ ، وشرح ابن عقيل: ٤ / ٢٣ ، والبرهان في علوم القرآن: ٤ / ٣٦٩.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

الخليل عن قوله جلّ ذكره: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾^(١) أين جوابها؟ وعن قوله جلّ وعلا: ﴿وَكُوَيْبَرَىٰ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾^(٢) ﴿وَكُوَيْبَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ﴾^(٣) فقال: إنّ العرب قد تترك في مثل هذا الخبر الجواب في كلامهم، لعلم المخبر لأيّ شيء وضع هذا الكلام^(٤).

ويمكن أن تكون (لو) في الحديث الشريف للتمني، عندئذ لا تحتاج إلى جواب؛ ولكن الشرط أقوى وأبين في سياق الحديث، فحاشا الرسول ﷺ أن يتمنى البلاء بالمرض لأحد.

(١) سورة الزمر، آية: ٧٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٦٥.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٢٧.

(٤) الكتاب: ٣/ ١٠٣.

الفصل الثاني

بناء الجملة الطلبية

توطئة

إنَّ الجملة العربيّة تنقسم وفقاً لمعناها على ضربين: جملة خبريّة، وجملة طلبيّة، والخبر "مّا أن يحتمل التّصديق والتّكذيب، أو لا؛ فإن احتملَهُما فهو الخبر، نحو: (قَامَ زيدٌ) و(مَا قَامَ زيدٌ)، وإن لم يحتملَهُما، فإمّا أن يتأخّر وُجُودُ معناه عن وجود لفظه، أو يُقْتَرِنَا؛ فإن تَأَخَّرَ عنه فهو الطَّلَبُ، نحو: (اضرب) و(لا تضرب) و(هَلْ جَاءَكَ زَيْدٌ؟)، وإن اقترنا فهو الإنشاء" (١).

وقد بيّن د. صالح الظّالمي الفرق بين الجملتين، وهو أنّ الجملة الخبريّة تسهم في الكشف عن معنى ما موجود في الخارج، وهذا المعنى الذي يتكلّم به المتحدث يحتمل الصّدق والكذب. أمّا الجملة الإنشائيّة، فهي من تسهم في إيجاد معنى لم يكن له أثرٌ موجودٌ قبل التكلّم به، نحو قولنا: (اركض)، فهي لا تغيد إيجاد طلب الرّكض، فالمعنى هذا لم يكن موجوداً وقت التكلّم بالجملة، كما بيّن أيضاً أنّ هذا الفرق محلّ اتّفاق بين علماء النّحو والبلاغة فضلاً عن الأصوليين (٢).

والإنشاء هو "كلّ كلامٍ لا يحتمل الصّدق أو الكذب" (٣)، والإنشاء الذي تتألّف منه الجملة الطلبيّة على ضربين: (طلبّي) و(غير طلبّي)، والإنشاء غير الطلبّي، هو "ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطّلَب، ويكون بصيغ المدح والذّم، وصيغ العقود، والقسم، والتّعجب، والرّجاء" (٤). أمّا الإنشاء الطلبّي، فهو "ما يستدعي مطلوباً غير حاصلٍ وقت الطّلَب؛ لامتناع تحصيل الحاصل" (٥). وهو ما نتناوله في مباحث هذا الفصل.

(١) شرح شذور الذهب: ٢١، وينظر: مفتاح العلوم: ٥٢٣، واللّغة العربيّة معناها ومبناها: ٣٦٣.

(٢) ينظر: تطوّر دراسة الجملة العربيّة بين النّحويّين والأصوليّين: ١٢٠.

(٣) الجملة العربيّة تأليفها وأقسامها: ١٧٠.

(٤) جواهر البلاغة: ٧٩.

(٥) الإيضاح في علوم البلاغة: ١ / ٢٢٧.

المبحث الأول

جملة النداء

يُعَدُّ أسلوب النداء من الأساليب الإنشائية الطلبيّة المستعملة في كلام العرب. وهو أسلوبٌ يلجأ إليه المتكلم من أجل إقبال المخاطب أو المتلقّي إليه، أو لشدّ انتباه المخاطب لأمرٍ ما. يُعَدُّ سيبويه (١٨٠هـ) أوّل من عرض لهذا الأسلوب اللّغويّ في مدونته النحويّة (الكتاب)؛ إذ وصف النّداء بالنّظر إلى موقعه الإعرابيّ، قائلاً فيه: "اعلم أن النّداء، كلّ اسمٍ مضاف فيه فهو نصبٌ على إضمار الفعل المتروك إظهاره"^(١).

أمّا مفهومه الاصطلاحيّ العامّ، فهو "التّصويت بالمُنَادَى ليعطف على المُنَادِي"^(٢)، أو هو "طلب إقبال المدعوّ على الدّاعي بحرفٍ نابٍ مناب (أدعو)"^(٣). والغرض منه هو "لتنبيه المُخاطَب؛ ليصغي إلى ما يجيء بعده من الكلام المُنادَى له، فأنت تلجأ إلى النّداء؛ لتنبيه المُخاطَب وعطفه عليك، حتّى تختصّه من بين النّاس بأمرٍ، أو نهيك، أو استفهامك، أو خبرك"^(٤).

وأسلوب النّداء من حيث تركيبه العامّ، يتكوّن من المتكلم وهو (المُنَادِي)، ومستقبل النّداء وهو (المُنَادَى)، وجواب النّداء الذي يتمثّل بالجملة التي أنشئ من أجلها النّداء^(٥). النّداء^(٥). أمّا من حيث تركيبه النّحويّ، فهو يتكوّن من ركنين أساسيين، الأوّل (أداة النّداء)، والثّاني (المُنَادَى)^(٦). ولغرض الإحاطة بهذا الأسلوب اللّغويّ في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم؛ فُيَسَمُّ هذا المبحث على شقّين. الأوّل يتناول أدوات النّداء، والثّاني أنماط المُنَادَى الواردة في حِكمه (النّداء)، وهو كما يأتي:

(١) الكتاب: ٢/ ١٨٢، وينظر: المقتضب: ٤/ ٢٠٢، والمفصل في صناعة الإعراب: ٦٠.

(٢) شرح المفصل: ٨/ ١١٨.

(٣) الإتقان في علوم القرآن: ٣/ ٢٨١، وينظر: حاشية الصّبّان: ٣/ ١٩٧.

(٤) أساليب الطّلب بين النّحويّين والبلاغيّين: ٢١٨، وينظر: في النّحو العربيّ نقد وتوجيه: ٣٠١.

(٥) ينظر: النّحو العربيّ: ٤/ ٦-٤.

(٦) ينظر: في النّحو العربيّ نقد وتوجيه: ٣٠٤.

أولاً: حروف النداء بين الذكر والحذف:

إنَّ لكلَّ أسلوبٍ لغويٍّ أدواته التي يتميز بها عن غيره، وأسلوب النداء كغيره من الأساليب اللغوية له أدواته التي أنماز بها، وهي (يا، وأيا، وهيا، والهمزة، وأي)، وتختلف هذه الأدوات من حيث استعمالها للنداء، فتستعمل (أيا، هيا) لنداء البعيد، و(الهمزة، أي) لنداء القريب، و(يا) تستعمل لنداء القريب والبعيد معاً، و(يا) أكثر الأنواع استعمالاً في الكلام^(١). وتستعمل "هذه الأدوات في مواضع تقتضي رفع الصوت ومدّه لتنبه المخاطب أو المنادى، وليس لها كما يبدو من استعمالاتها وظيفة أخرى"^(٢).

أمّا ورود هذه الأدوات في حكم النبي الأعظم، فلم ترد هذه الأدوات كلّها، فما ورد منها (يا، وأي). و(يا) هي الأكثر حضوراً في حديثه المبارك (عليه السلام)، ومن أمثلة استعمالها في الحديث الشريف، قوله (عليه السلام): "يا أبا ذرٍّ، إذا أراد الله بعبد خيراً ففقهه في الدين، وزهده في الدنيا، وبصره بعيوب نفسه"^(٣).

فقد استعمل الرسول (عليه السلام) في حديثه مع أبي ذرٍّ أداة النداء (يا) تعظيماً له، وتأكيداً لما ذكره في وصيته لأبي ذرٍّ رضوان الله عليه؛ إذ إنَّ "أصلُ النداءِ بِ(يا) أن تكونَ للبعيدِ حقيقةً أو حكماً وقد يُنادى بها القريبُ لِنكته...منها قصدُ تعظيمِ شأنِ المدعوِّ"^(٤).

أمّا أداة النداء (أي)، التي تستعمل لنداء القريب^(٥)، فقد وردت في مواضع متعددة في حكمه الشريفة (عليه السلام)، ومن تلك المواضع، قوله (عليه السلام): "الصَّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ يَقُولُ الصَّيَامُ: أَي رَبِّ، مَنْعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ؛ فَشَفَّعَنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنْعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ؛ فَشَفَّعَنِي فِيهِ قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ"^(٦). نلاحظ في الحديث

(١) ينظر: الكتاب: ٢/ ٢٢٩، والمقتضب: ٤/ ٢٣٣-٢٣٥، والأصول في النحو: ١/ ٣٢٩، وشرح الرضوي على الكافية: ٤/ ٤٢٥، ومعاني النحو: ٤/ ٣٢١.

(٢) في النحو العربي نقد وتوجيه: ٣٠٢.

(٣) حكم النبي الأعظم: ٣/ ٥٦٥، وينظر: بحار الأنوار: ٧٣/ ٥٥.

(٤) الإتيان في علوم القرآن: ٣/ ٢٨٢.

(٥) ينظر: شرح المفصل: ٨/ ١١٨، ومفتاح العلوم: ٢٤٦.

(٦) حكم النبي الأعظم: ٦/ ٤٦، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ١١/ ١٩٩.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

الحديث المبارك قد استعمل الرسول (ﷺ) أداة النداء (أي) على لسان حال (الصَّيَّام) عند مناجاته الله عزَّ وجلَّ.

وقد تحذف أداة النداء تخفيفًا وإيجازًا للكلام؛ إذ إنَّ ممَّا تميزت به اللغة النبوية هو الإيجاز، وتأدية المعنى دون الحاجة إلى الإكثار بالكلام، وهذا ما نجده في النداء، فالأداة تُحذف لفظًا، ويبقى عملها.

ومثال حذف أداة النداء، ما ورد في قوله (ﷺ): "يا سَلْمَانُ، أَكْثِرْ أَنْ تَقُولَ: رَبِّ اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وَاغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ"^(١). ففي الحديث المبارك حُذفت أداة النداء في الحديث الشريف، وأُبقي المُنَادى وهو (رَبِّ)، وهو منادى مضاف إلى (ياء المتكلم)، وقد ذهب جمهور النحويين إلى جواز حذف أداة النداء، إذا كانت في غير نداء لفظ الجلالة، واسم الجنس، والمندوب، والمستغاث، والمتعجب منه، والنكرة غير المقصودة، ففي هذه المواضع التي ذُكرت لا يجوز حذف حرف النداء^(٢). وما قاله النحويون جاء موافقًا لما ورد في الحديث المبارك.

ومن شواهد حذف أداة النداء في حديثه (ﷺ): "لَمَّا شَكا إِلَيْهِ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ حاجَتَهُ: اصْبِرْ أَبَا سَعِيدٍ، فَإِنَّ الْفَقْرَ إِلَى مَنْ يُحِبُّنِي مِنْكُمْ أَسْرَعُ مِنَ السَّيْلِ عَلَى أَعْلَى الْوَادِي، وَمِنْ أَعْلَى الْجَبَلِ إِلَى أَسْفَلِهِ"^(٣). ففي الحديث المبارك حُذفت أداة النداء، وأُبقي المنادى بعدها (أبا سعيد) وهو منادى مضاف. فالمقام يتطلب إيجازًا واختصارًا للكلام، كون المقام يدور حول شكوى حاجة أبي سعيد الخدري للرسول (ﷺ)، فلا مجال للإطالة، وإنما إسعافه فيما يسد حاجته. كما أنَّ قرب أبي سعيد من الرسول قرب ماديٍّ، فلا يحتاج إلى واسطة لندائه^(٤).

وقد كُثر حذف أداة النداء مع النكرة المقصودة (أيها) في الحديث الشريف، ومن ذلك قوله (ﷺ): "مَا مِنْ صَلَاةٍ يَحْضُرُ وَقَفْئُهَا إِلَّا نادى مَلَكٌ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ: أَيُّهَا النَّاسُ،

(١) حكم النبي الأعظم: ١١٠ / ٧، وينظر: المعجم الكبير، للطبراني: ٢٣٣ / ٦.

(٢) ينظر: الأصول في النحو: ٣٢٩ / ١.

(٣) حكم النبي الأعظم: ١٣٥ / ٣، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ٤٧٢ / ١٧.

(٤) ينظر: معاني النحو: ٣٢٥ / ٤.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على ظهوركم فأطفئوها بصلاتكم^(١). نلاحظ في الحديث المبارك أن أداة النداء قد حُذفت تخفيفاً وإيجازاً للكلام، وحذفها لم يؤثر على النص، ولم يواجه المتلقي مشقةً وعنتاً في فهم الكلام؛ للدلالة السياق عليها، ولعلم المتلقي بها.

ولا يفوتنا أن ننبه إلى النداء بلفظة (اللَّهُمَّ)، التي هي في معنى الدعاء، فقد جعلها الخليل (١٧٠هـ) رحمه الله في باب النداء، يقول سيبويه (١٨٠هـ): "قال الخليل رحمه الله: (اللَّهُمَّ) نداءٌ والميمُ ها هنا بدلٌ من (يا)، فهي ها هنا فيما زعم الخليل رحمه الله آخر الكلمة بمنزلة (يا) في أولها، إلا أن الميم ها هنا في الكلمة كما أن (نون) المسلمين في الكلمة بُنيت عليها. فالميم في هذا الاسم حرفان أولهما مجزومٌ، والهاء مرتفعةٌ؛ لأنه وقع عليها الإعراب"^(٢). فيما يرى الكوفيون أن الميم ليست بعوضٍ عن (يا) النداء، والأصل في (اللَّهُمَّ): (يا الله أَمْنَا بخير) وقد حُذف بعض الكلام طلباً للتخفيف^(٣).

والنداء بـ(اللَّهُمَّ) محوَجٌّ إلى فضلٍ تأمل، فقد ذكر محمد حسن آل ياسين بأن هذه اللفظة هي من بقايا اللفظة السامية (إلوهيم)، والتي تعني (الآلهة) في اللغة العبرية، والياء والميم هي علامة جمع، والاستعمال يريد بها لفظ الجلالة (الله)، وعلامة الجمع هي للدلالة على التعظيم. وهو خلاف لما ذهب إليه الكوفيون والبصريون^(٤). ومما يعضد ما ذكره آل ياسين أنه لم يرد في العربية علمٌ منادى حُذفت منه أداة النداء وعُوض عنها في آخره بميمٍ.

وهذا يدفعنا للقول بأن لفظة (اللَّهُمَّ) تمثل نداءً تاماً قائماً بذاته، ورد على هذه الصورة التي لا مثيل لها في كلام العرب. فلم يُحذف منها شيئاً، ولم يعوّض فيها شيئاً، ومن ثم فهي ليست بحاجة إلى تقدير أداة نداء.

(١) حكم النبي الأعظم: ٢٧٨ / ٥ ، وينظر: بحار الأنوار؛ ٨٢ / ٢٠٩.

(٢) الكتاب: ١٩٦ / ٢ ، وينظر: شرح المفصل: ١٦ / ٢.

(٣) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١ / ٢٧٩-٢٨٣ مسألة رقم (٤٧).

(٤) ينظر: الدراسات اللغوية عند العرب حتى نهاية القرن الثالث: ٤٨٢ ، ومعاني النحو: ٣٢٦ / ٤ ، ومناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة: ١٨٤.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

وقد وردت كثيرًا في حكم النبي الأعظم، لا سيما في سياق الدعاء، ومثالها قوله ﷺ : "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ، وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ" (١) .

ثانيًا: أنماط المنادى

اختلف النحويون في العامل في المنادى، فذهب جمهور النحويين إلى أنَّ العامل في المنادى هو الحرف نفسه؛ إذ ينوب الحرف عن الفعل الذي يُقدِّره النحويون بـ(أنادي، أدعو). وذهب البعض الآخر إلى أنَّه منصوبٌ بالفعل المحذوف وليس بهذه الحروف (٢) .

أمَّا من حيث بنيته اللغوية، فقسَّمه ابن السَّراج (٣١٦هـ) على ثلاثة صور "مفرد، ومضاف، ومضارع للمضاف بطوله" (٣). وقسَّمه آخرون على خمسة صور (العلم المفرد، النكرة المقصودة، النكرة غير المقصودة، المضاف، والمضارع للمضاف) (٤). ويبني المنادى على ما يرفع به إن كان المنادى علمًا مفردًا، ونكرةً مقصودةً، أمَّا إن كان نكرةً غير مقصودة، أو مضافًا، أو مضارعًا للمضاف، فإنَّه يُنصب (٥). وقد وردت هذه الصور جميعها في حكم النبي الأعظم، سوى النكرة غير المقصودة، فلم يرد شاهدٌ عليها. ولعلَّ عدم وروده في كلامه ﷺ عائدًا إلى أنَّ نداء الرسول موجَّه إلى أفراد محدَّدين ومعروفين لدى السَّامع، فليس من الحكمة أن يوجَّه ﷺ نداءً لأشخاص غير محدَّدين وغير معروفين لدى من يسمعه، والله أعلم. وفيما يأتي الأنماط التي وردت في حكم النبي الأعظم:

١ - العلم المفرد:

ويراد بالعلم المفرد "ما ليس مضافًا، ولا شبيهًا بالمضاف... فيشمل المفرد الحقيقي، ويشمل مثناه وجمعه" (٦). والحُكم الإعرابي لهذا الضرب من صور المنادى البناء على

(١) حكم النبي الأعظم: ٥ / ٥٩٢ ، وينظر: سنن الترمذي: ٦ / ٦٢ .

(٢) ينظر: المقتضب: ٤ / ٢٠٢ ، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ٧٩ ، وكافية ابن الحاجب: ٥٠-٥١ ، وشرح الرضي على الكافية: ١ / ٣٤٦ ، والتراكيب اللغوية في العربية: ٢٩٠ .

(٣) الأصول في النحو: ١ / ٣٢٩ ، وينظر: اللمع في العربية: ٧٩ .

(٤) ينظر: شرح ابن عقيل: ٣ / ١١٧ ، والنحو الوافي: ٤ / ٩ ، النحو العربي: ٤ / ١٢-١٧ .

(٥) ينظر: الجمل في النحو: ١٤٧ ، وشرح ابن عقيل: ٣ / ١١٧ .

(٦) النحو الوافي: ٤ / ٩ ، وينظر: شرح الرضي على الكافية: ١ / ٣٤٩ .

ما يُرفع به^(١). وقد علّل رضيّ الدين الاستربادي (٦٨٦هـ): قولهم (يرفع)، بقوله: "إنّما قال ما يرفع به ليكون أعمّ من قوله: يُبنى على الضّم"^(٢). والمنادى العلم في بعض أحواله يكون مرخّماً بحذف آخره^(٣)، ولم أعر على هذه الصورة من المنادى في حكم النبي الأعظم، وقد كثُر ورود المنادى علماً مفرداً في حكم النبي الأعظم، ومن شواهده، قوله (عليه السلام): "يا عليّ، أربّع خصالٍ مِنَ الشَّقَاوَةِ: جُمُودُ الْعَيْنِ، وَقَسَاوَةُ الْقَلْبِ، وَبُعْدُ الْأَمَلِ، وَحُبُّ الْبَقَاءِ"^(٤). نلاحظ في الحديث المبارك استعمال أداة النداء (يا) وهي الأكثر الأكثر استعمالاً من غيرها. أمّا المنادى (عليّ) فجاء علماً مفرداً مبنياً على الضّم. وجملة جواب النداء هي الجملة الاسميّة (أربّع خصالٍ مِنَ الشَّقَاوَةِ...).

٢- نكرة مقصودة:

ويُقصد بها "النكرة التي يزول إبهامها وشيوعها بسبب ندائها"^(٥)، والمنادى هنا يكون "غير معروف الاسم؛ لكنه مقصود بالنداء لذاته دون غيره... فالمنادى منه معيّن فهو نكرة، تعرّفت بالنداء، وذلك بقصد نداء ذات معينة منه"^(٦). وحكمها الإعرابيّ كسابقها، فهي تُبنى على الضّم^(٧).

ومن الشواهد التي تمثّل هذا النمط من المنادى، قوله (عليه السلام): "يقول الله: ابن آدم! ملكي ملكي، ومالي مالي، يا مسكين! أين كنت حيث كان الملك ولم تكن؟! وهل لك إلا ما أكلت فأفنيّت، أو لبست فأبليت، أو تصدّقت فأبقيت؟! إمّا مرحومٌ به وإمّا مُعاقبٌ عليه..."^(٨). فالمنادى في الحديث الشريف (مسكين) وهو اسم نكرة، اكتسب التعريف عند طريق ندائه بـ(يا)، فصار نكرة مقصودة (مخصّصة). وحكمها البناء على الضّم في محل نصب.

(١) ينظر: كافية ابن الحاجب: ٥٠.

(٢) شرح الرّضيّ على الكافية: ١ / ٣٤٩.

(٣) ينظر: الكتاب: ٢ / ٢٣٩، وشرح الرّضيّ على الكافية: ١ / ٣٩٣، ومعاني النّحو: ٢ / ٣٣٤.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٢ / ١٨١، وينظر: من لا يحضره الفقيه: ٤ / ٣٦٠.

(٥) النّحو الوافي: ٤ / ٢٥، وينظر: أساليب الطّلب بين النّحويّين والأصوليّين: ٢٧٠.

(٦) النّحو العربيّ: ٤ / ١٤، وينظر: الكتاب: ٢ / ١٩٩، والمقتضب: ٤ / ٢٠٥.

(٧) ينظر: الأصول في النّحو: ١ / ٣٣٠، وشرح ابن عقيل: ٣ / ١١٧.

(٨) حكم النبي الأعظم: ٧ / ٦١، وينظر: بحار الأنوار: ٧١ / ٣٥٦.

٣- المنادى المضاف :

وهو المنادى الذي أُضيف إلى ما بعده إضافةً تتمّ معناه، أي أنّه منقطعُ الإفادة دون إضافته إلى ما بعده، وحُكمه النصب بالفتحة، أو حركة تنوب عنها^(١).

وأختلف النحويّون في ناصب المنادى، فالخليل (١٧٠هـ) رحمه الله يرى أنّه نُصب لطول المضاف حين طال الكلام، يقول سيبويه (١٨٠هـ) نقلاً عن الخليل: "زعم الخليل رحمه الله أنّهم نصبوا المضاف نحو: (يا عبدَ الله) و(يا اخانا)، والنكرة حين قالوا: (يا رجلاً صالحاً)، حين طال الكلام، كما نصبوا: (هو قبلك) و(هو بعدك). ورفعوا المفرد كما رفعوا (قبلُ وبعدُ) وموضعهما واحد، وذلك قولك: يا زيدُ ويا عمرو. وتركوا التثوين في المفرد كما تركوه في قبلُ".^(٢) وقد وصف أ. د. مهديّ المخزوميّ كلام الخليل بأنّه بأنّه "إصابةٌ ووجاهةٌ، واحتكامٌ إلى الاستعمال، وانتهاجٌ لغويّ في معالجة موضوعات النحو ومسائله"^(٣). أمّا سيبويه (١٨٠هـ) والمبرد (٢٨٥هـ)، فيران أنّه منصوبٌ على الفعل المتروك إظهاره، فقولنا: يا أمير المؤمنين، تقديره: أدعو أمير المؤمنين^(٤).

ومن شواهد المنادى المضاف في حكم النبي الأعظم، قوله (عليه السلام): "أبا ذرّ، لا يُسبقُ بطيءٌ بحظه، ولا يُدركُ حريصٌ ما لم يُقدّر له. ومن أعطي خيراً فالله عزّ وجلّ أعطاه، ومن وقي شراً فإنّ الله وقاه"^(٥). نلاحظ في الحديث الشريف أنّ أداة النداء حُذفت تخفيفاً للكلام، وأُبقي على المنادى وهو (أبا ذرّ)، فالمنادى (أبا) منصوب بالألف؛ كونه من الأسماء الستّة، وقد أُضيف إلى معرفة (ذرّ) وهو مجرور بالكسرة لإضافته.

وقد ورد المنادى مضافاً إلى ياء المتكلّم، في قوله (عليه السلام): "قال إبليس: يا ربّ، ليس أحدٌ من خلقك إلّا جعلت له رزقاً ومعيشةً، فما رزقي؟ قال: ما لم يُذكر عليه اسمي"^(٦). فالمنادى في الحديث الشريف (ربّ) ورد مضافاً إلى ياء المتكلّم المحذوفة،

(١) ينظر: اللّمع في العربيّة: ٧٩، والنحو الوافي: ٤ / ٣١.

(٢) الكتاب: ٢ / ١٨٢-١٨٣، وينظر: شرح الرّضي على الكافية: ١ / ٢٥٦.

(٣) في النحو العربيّ نقد وتوجيه: ٣٠٦.

(٤) ينظر: الكتاب: ٢ / ١٨٢-١٨٣، والمقتضب: ٤ / ٢٠٢.

(٥) حكم النبي الأعظم: ٧ / ٨٣، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧ / ٧٦.

(٦) حكم النبي الأعظم: ٧ / ٣٥٣، وينظر: حلية الأولياء: ٨ / ١٢٦.

وقد دلّ الكسر على حذفها، وحذفها هو الأجود في الكلام، من بقائها^(١). وقد ذكر سيبويه (١٨٠هـ) العلة وراء حذفها، بقوله: "ياء الإضافة لا تثبت مع النداء كما لم يثبت التثوين في المفرد؛ لأنّ ياء الإضافة في الاسم بمنزلة التثوين؛ لأنّها بدل من التثوين... وصار حذفها هنا لكثرة النداء في كلامهم، حيث استغنوا بالكسرة عن الياء"^(٢).

٤ - المنادى المضارع للمضاف:

ويسمّيه ابن السّراج (٣١٦هـ) بـ"المضارع للمضاف بطوله"^(٣). والمقصود به "هو كلّ ما كان عاملاً فيما بعده نصباً أو رفعاً"^(٤). أو هو "كلّ مُنادى جاء بعد معمولٍ يتمّ يتمّ معناه، سواءً أكان هذا المعمول مرفوعاً بالمنادى، أم منصوباً به، أم مجروراً بالحرف - لا بالإضافة - والجارّ والمجرور متعلّقان بالمنادى، أم معطوفاً على المنادى قبل النداء، أم نعتاً، أيضاً"^(٥).

وهذا المنادى يكون مضارعاً للمضاف، أي يكون في صورته اللغوية مركّباً من مضافٍ ومضافٍ إليه، بيد أنّه فصل بينهما بفصلٍ منع الإضافة، وهذا الفاصل واحدٌ ممّا يلي: (التثوين، حرف الجرّ، ونونا التثنية والجمع، وأداة التعريف - سوى في مواضع -، وحرف العطف)، وحكم المنادى المضارع للمضاف نصبه بالفتحة، أو ما ينوب عنها^(٦).

ومثال ما ورد في حكم النبي الأعظم على هذه الصّورة من صور المنادى، قوله (ﷺ): "يا شاهداً غير غائب، يا قريباً غير بعيد"^(٧). نلاحظ في الحديث المبارك أنّ النداء تكوّن من ركنين، الأوّل أداة النداء (يا) المكرّرة في موضعين. والثاني المنادى (شاهداً، قريباً)، وهو منادى مضارعٌ للمضاف. والمعمول الذي تمّ معناه (غير غائب، غير بعيد) وهو منصوب به. وهذا يفسّر لنا أنّ ما قعده النحويّون من قواعد وضوابط للمنادى المضارع للمضاف جاءت موافقةً لما ورد في الحديث الشريف.

(١) ينظر: المقتضب: ٤ / ٢٤٥.

(٢) الكتاب: ٢ / ٢٠٩.

(٣) الأصول في النّحو: ١ / ٣٤٤.

(٤) اللّمع في العربيّة: ٧٩.

(٥) النّحو الوافي: ٤ / ٣٢.

(٦) ينظر: النّحو العربيّ: ٤ / ١٧-١٨.

(٧) حكم النبي الأعظم: ١ / ٦٢٤، وينظر: البلد الأمين ٦٠٤.

المبحث الثاني

جملة الاستفهام

الاستفهام بمفهومه العام هو معنى من معاني الطلب، يمثل أسلوباً لغوياً يلجأ إليه المتكلم للاستعلام عما في ضمير المخاطب، ويمثل أيضاً طلباً إنشائياً لفهم صورة ما في الذهن^(١).

وقد يسميه بعض اللغويين في استعمالاتهم اللغوية بـ(الاستخبار)، فهو عندهم مصطلح مرادف للاستفهام؛ إذ يعبران هذان المصطلحان عن مفهوم واحد. فابن فارس (٣٩٥هـ) سوى بين المصطلحين، يقول في ذلك: "الاستخبار طلب خبر ما ليس عند المستخبر، وهو الاستفهام"^(٢). والحال نفسها عند الجرجاني (٤٧١هـ)؛ إذ يقول: "الاستفهام) استخبار، والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يخبرك"^(٣).

وذكر ابن يعيش (٦٤٣هـ) أن "الاستفهام والاستعلام والاستخبار بمعنى واحد. فالاستفهام: (صدر استفهمت)، أي: طلبت الفهم وهذه السنين تفيد الطلب، وكذلك الاستعلام والاستخبار مصدر (استعملت) و(استخبرت)"^(٤).

وقد فرق بعض النحويين بين المصطلحين؛ إذ ذكر الرماني (٣٨٤هـ) في حدوده أن مصطلح (الاستخبار) يفيد معنى طلب الخبر، والاستفهام يفيد معنى طلب الفهم^(٥). وفرق الزركشي (٧٩٤هـ) بين المصطلحين بالنظر إلى سبق أحدهما في الكلام، يقول في ذلك: "الاستخبار ما سبق أولاً، ولم يفهم حق الفهم، فإذا سألت عنه ثانياً كان استفهاماً"^(٦).

(١) ينظر: التعريفات: ١٨، وينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة: ٥٣٢، وفي التحليل اللغوي: ١٠٥.

(٢) الصاحبى: ١٨٦.

(٣) دلائل الإعجاز: ١٤٠.

(٤) شرح المفصل: ٨ / ١٥٠.

(٥) ينظر: الحدود في النحو، الرماني: ٧٣.

(٦) البرهان في علوم القرآن: ٢ / ٣٢٦، وينظر: الصاحبى: ١٨٦.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

وما ذكره الرّمانيّ عين الصّواب، فطلب الخبر مختلفٌ عن طلب الفهم، إذ إنّ المصطلحين يشتركان بمعنى واحد وهو (الطلب)؛ ولكنهما يختلفان من حيث أداء ذلك المعنى.

وللاستفهام أدواته التي تميز بها عن بقية الأساليب اللّغويّة وهي: "الهمزة، وهل، وما، ومن، وأي، وكم، وكيف، وأين، وأنى، ومتى، وأيان... وهذه الكلمات ثلاثة أنواع: أحدها يختصّ طلب حصول التّصوّر، وثانيها يختصّ طلب حصول التّصديق، وثالثها لا يختصّ"^(١). وهذه الأدوات كلّها أسماء ما خلا (الهمزة وهل) فهما حرفان لا محلّ لهما من الإعراب، وهذه الأسماء مبنية كلّها سوى (أي) فإنّها معربة^(٢).

ولهذه الأدوات صدارتها على جملتها، يقول الزّمخشريّ (٥٣٨هـ): "للاستفهام صدر الكلام لا يجوز تقدم شيء ممّا في حيزه عليه لا تقول ضربت أزيداً وما أشبه ذلك"^(٣). والعلّة في تلك الصّدارة هو أن تؤدّي معنى الاستفهام الذي وضعت من أجله؛ وليكون كلّ جزءٍ في الجملة داخلاً في حيز الاستفهام؛ ولأنّ تأخيرها عن صدر الجملة يفقدها دلالتها الاستفهاميّة^(٤).

يقسّم أسلوب الاستفهام في نظر البلاغيّين والنّحويّين بحسب الطلب على ثلاثة ضروب^(٥):

الأول: ما يُطلب به (التّصديق) مرّة، والتّصوّر مرّة أخرى، ويكون هذا الضّرب بـ(الهمزة فقط).

الثّاني: ما يُطلب به (التّصديق) فقط، ويكون بـ(هل) فقط.

الثّالث: يُطلب به (التّصوّر) فقط، ويكون بأسماء الاستفهام فقط (بقية الأدوات).

(١) مفتاح العلوم: ٥٣١، وينظر: التّراكيب اللّغويّة في العربيّة: ١٤.

(٢) ينظر: النّحو العربيّ: ١ / ٤٢١.

(٣) المفصل في صنعة الإعراب: ٤٣٨.

(٤) ينظر: شرح المفصل: ٨ / ١٥٥، وشرح الرّضيّ على الكافية: ٤ / ٣٣٦، والتّراكيب اللّغويّة في العربيّة: ١٩.

(٥) ينظر: مفتاح العلوم: ٥٣١، وجواهر البلاغة: ٨٧.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

لذا سيكون تناولنا للجملة الاستفهامية في حكم النبي الأعظم على ضوء هذا التقسيم، وفيما يلي أنماط كل جملة مصدرة بأداة من تلك الأدوات:

أولاً: الجملة المصدرة بهمزة الاستفهام:

تستعمل الهمزة حرفاً غير عاملٍ للاستفهام، تميز هذا الحرف دون غيره من أدوات الاستفهام خصائص جوهرية متعددة، جعلته أكثر استعمالاً من غيره، فهو يستعمل للتصديق والتصور، ويدخل على الحرف والاسم والفعل، وعلى المثبت والمنفي^(١)؛ لذا أطلق عليها النحويون "أمّ هذا الباب والغالبة عليه"^(٢). فضلاً عن الاستفهام فقد تستعمل (الهمزة) في معانٍ أخرى، وفقاً للسياق الذي ترد فيه، ومن هذه المعاني: التسوية، والإنكار، والتقرير، والتوبيخ، والتعجب، والاستبطاء، والأمر، وغيرها من المعاني^(٣).

وأولى الخصائص التي أشرنا إليها، هي أنها تستعمل للتصديق والتصور، ويراد بالتصديق أن يكون الاستفهام "عن نسبة المسند إلى المسند إليه أو عن مضمون الجملة، فإذا استفهمت المخاطب بقولك: (هل جاء زيد؟)...إنما تستفهم عن صحة وقوع مضمون الجملة، أو عن صحة نسبة المسند إلى المسند إليه"^(٤).

وقد وردت الهمزة للتصديق متصدرة الجملة الاستفهامية في غير موضعٍ من حكم النبي الأعظم، ومن تلك المواضع، قوله (عليه السلام): "أتدرون لم سمي شعبان شعبان؟ لأنه ينشعب منه خير كثير لرمضان، وإنما سمي رمضان رمضان: لأنه ترمض فيه الذنوب - أي تحرق-"^(٥).

نلاحظ في الحديث المبارك أنّ الهمزة تصدّرت الجملة الفعلية المضارعية، والاستفهام في الحديث الشريف غير حقيقي، فالرسول (عليه السلام) لا يستفهم عن شيء مجهول، وإنما جاء بالاستفهام في بداية الحديث؛ لتشويق المتلقين، وشدّ انتباههم لما سيذكره من فضلٍ عظيمٍ لشهري شعبان ورمضان.

(١) ينظر: معاني الحروف للرماني: ٣٢، وشرح الرضوي على الكافية: ٤ / ٤٤٦، والجنى الذاني: ٣٠

(٢) شرح المفصل: ٨ / ١٥١، وينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٦٥.

(٣) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ١ / ٢٣، ومعاني النحو: ٤ / ٢٣٢.

(٤) أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ٣١٥، وينظر: مفتاح العلوم: ٥٣١.

(٥) حكم النبي الأعظم: ٦ / ١٥، وينظر: كنز العمال: ٨ / ٥٩١.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

ومن جملة شواهد الهمزة التي ترد للتصديق، قوله (عليه السلام): "لَنْ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَفَلَا أَذْلُكُمْ عَلَى مَا تَحَابُّوا عَلَيْهِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ تَحَابُّوا. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تَرَاحَمُوا"^(١). فالهمزة في الحديث الشريف دخلت على جملة فعلية مضارعية منفية، والاستفهام في الحديث الشريف للتقرير، يقول رضي الدين الاستربادي (٦٨٦هـ): "إذا دخلت الهمزة على النافي، فمحض التقرير، أي حمل المخاطب على أن يقرّ بأمر يعرفه"^(٢). وقد كان جواب الصحابة بـ(بلى) "وبلى إيجاب لما بعد النفي"^(٣)، ومعنى جوابهم: بلى دُلنا على ما نتحابُّ عليه.

وقد تدخل الهمزة على الجملة الاسمية، كما في الحديث المبارك التالي: "جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ قال: يا رسول الله، أفي المالِ حقٌّ سوى الزكاة؟ قال: نَعَمْ، على المسلم أن يُطعمَ الجائع إذا سألَهُ ويكسُو العاري إذا سألَهُ. قال: إِنَّهُ يَخَافُ أَنْ يَكُونَ كَاذِبًا، قال: أَفَلَا يَخَافُ صدقةً؟"^(٤). نلاحظ أنَّ الهمزة في الحديث الشريف وردت في موضعين، الأولُ منهما تصدّرت فيه الجملة الاسمية (في المالِ حقٌّ). وفي الموضع الثاني تصدّرت الجملة الفعلية المضارعية المنفية (أفلا يخاف).

ففي الموضع الأول كان الاستفهام حقيقياً؛ كون السائل يستفهم عن شيءٍ مجهولٍ في ذهنه. وفي الموضع الثاني خرج الاستفهام إلى غرض الإنكار التوبيخي^(٥). التوبيخي^(٥). فالرسول ﷺ استعمل الاستفهام لإنكار اعتذار الرجل عن التصدق خوفاً من أن يكون السائل كاذباً. فأنكر الرسول ذلك عليه، وحثّه على تجنب ضياع الأجر.

ومن تلك الخصائص التي تتميز بها الهمزة، تتصدّرها على أحرف العطف (الفاء، الواو، ثم)، فقد ذكر النحويون أنَّ "الأصل في ذلك تقديم حرف العطف على الهمزة؛

(١) حكم النبي الأعظم: ٤٠٧ / ٦ ، وينظر: المستدرك على الصحيحين: ٤ / ١٨٥.

(٢) شرح الرضوي على الكافية: ٤ / ٤٤٧.

(٣) المفصل في صناعة الإعراب: ٤١٥.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٤١٧ / ٧ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٥ / ٤٦١.

(٥) ينظر: معاني الحروف للرّماني: ٣٢.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

لأنّها من الجمل المعطوفة؛ لكن راعوا أصالة الهمزة في استحقاق التصدير^(١). وتدخل (الهمزة) أيضًا على الجمل المنفية^(٢). وقد وردت هاتان الخصيستان في الحديث المبارك التالي: "مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَجُلٍ وَاضِعٍ رِجْلَهُ عَلَى صَفْحَةِ شَاةٍ وَهُوَ يُحِدُّ شَفْرَتَهُ، وَهِيَ تَلَحَّظُ إِلَيْهِ بِبَصَرِهَا، قَالَ: أَفَلَا قَبْلَ هَذَا؟ أَوْ تُرِيدُ أَنْ تُمَيِّنَهَا مَوْتَتَيْنِ؟"^(٣). نلاحظ في الحديث الشريف قد وردت الهمزة في موضعين، في الأول منهما تصدّرت على حرف العطف (الفاء)، وتدخلت على جملة فعلية منفية بـ(لا)، وقد أفادت معنى التعجب^(٤). وفي الموضع الثاني تصدّرت على حرف العطف (الواو)، وخرج الاستفهام في هذا الموضع لغرض التوبيخ^(٥).

أمّا الاستفهام الذي يكون للتصوّر، فيكون فيه نسبة المسند إلى المسند إليه معروفة لدى المستفهم؛ لكنّه يستفهم عن مفردٍ طالبًا تعيينه، نحو (متى جاء عليّ؟)، فمضمون الجملة، ونسبة المسند إلى المسند إليه معروفان عند المستفهم؛ بيد أنّه يجهل وقت مجيئه، لذا يكون الجواب بتعيين وقتٍ معين^(٦).

ومثال ما وردت فيه الهمزة للتصوّر في حكم النبي الأعظم، في وصيته (عليه السلام) لأبي ذرّ: "يَا أَبَا ذَرٍّ، لَا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ أَشَدَّ مِنْ مُحَاسَبَةِ الشَّرِيكِ لِشَرِيكِهِ، فَيَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ مَطْعَمُهُ، وَمِنْ أَيْنَ مَشْرَبُهُ، وَمِنْ أَيْنَ مَلْبَسُهُ؟ أَمِنْ حِلٍّ ذَلِكَ، أَمْ مِنْ حَرَامٍ؟"^(٧). فالهمزة الواردة في الحديث الشريف هي للتصوّر، ونلاحظ في الحديث الشريف ورود (أم) المعادلة في سياقها. فقد ذكر النحويّون أنّ المستفهم عنه يستحسن أن يكون بعد (أم) مباشرة^(٨).

(١) الجنى الداني في حروف المعاني: ٣١.

(٢) ينظر: شرح الرّضي على الكافية: ٤ / ٤٤٧ ، وشرح المفصل: ٨ / ١٥١.

(٣) حكم النبي الأعظم: ٦ / ٥٤٩ ، وينظر: الترغيب والترهيب: ٢ / ١٥٦.

(٤) ينظر: معاني الحروف للرّمانيّ: ٣٣.

(٥) ينظر: معاني النّحو: ٤ / ٢٣٤.

(٦) ينظر: جواهر البلاغة: ٨٨ ، وأساليب الطّلب بين النّحويّين والبلاغيّين: ٣١٥.

(٧) حكم النبي الأعظم: ٤ / ٢٨٧ ، وينظر: كنز العمال: ٣ / ٦٩٩.

(٨) ينظر: الكتاب: ٣ / ١٦٩-١٧١ ، ومغني اللّبيب عن كتب الأعراب: ١ / ٢٢.

الباب الثاني..... بناءُ الجملة في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم

ويجوز حذف همزة الاستفهام للتخفيف إذا دلَّ عليها دليل^(١). وقد وردت الهمزة محذوفة في قوله (ﷺ): "أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ عَشِقَ الْعِبَادَةَ، فَعَانَقَهَا وَأَحَبَّهَا بِقَلْبِهِ وَبَاشَرَهَا بِجَسَدِهِ وَتَفَرَّغَ لَهَا، فَهُوَ لَا يُبَالِي عَلَى مَا أَصْبَحَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى عُسْرِ أَمْ عَلَى يُسْرٍ؟"^(٢). نلاحظ أنَّ الاستفهام الوارد في الحديث المبارك استفهامٌ حُذفت أداته للتخفيف، للتخفيف، وهي الهمزة، وقد دلَّت (أَمْ) المعادلة على حذفها، وتقديرها (أعلى عُسْرٍ أَمْ على يُسْرٍ؟). والهمزة هنا للتسوية؛ إذ إنَّ "همزة التسوية لا يراد بها الاستفهام الحقيقي، بل هي وما بعدها على معنى الخبر"^(٣).

ثانيًا: الجملة المصدرة بـ(هل):

تُعَدُّ (هل) من الحروف الهوامل^(٤)، وهي حرف الاستفهام المُناظر للهمزة؛ بيد أنَّها أقلُّ تصرفًا في الاستعمال، فالهمزة تدخل في مواضع لا تدخلها (هل)، كما أنَّ (هل) لا تكون إلَّا للتصديق، أي أنَّ الاستفهام بها يكون فقط لمضمون الجملة، فلا يُستفهم بها للتصوُّر^(٥).

ويُستفهم بـ(هل) عن الجملة الاسميَّة والفعليَّة، وقد ورد الاستفهام بها في تراكيب لغويَّة متعددة في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم. ومثال الاستفهام بها عن الجملة الاسميَّة، قوله (ﷺ): "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) إِذَا صَلَّى بِالنَّاسِ الْعَدَاةَ، أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: هَلْ فِيكُمْ مَرِيضٌ أَعُوذُ؟ فَإِنْ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَهَلْ فِيكُمْ جِنَازَةٌ أَتْبِعُهَا؟"^(٦). نلاحظ (هل) في الحديث المبارك أنَّها تكررت في موضعين، وفي كليهما كان الاستفهام حقيقيًا عن مضمون الجملة الاسميَّة.

أمَّا دخولها على الجملة الفعليَّة في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم، فمثاله في قوله (ﷺ): "مَا مِنْ صَبَاحٍ وَلَا زَوَاحٍ إِلَّا وَبِقَاغِ الْأَرْضِ تُنَادِي بَعْضُهَا بَعْضًا: يَا جَارَةُ، هَلْ مَرٌّ بِكَ

(١) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب: ٤٣٨ ، وشرح المفصل: ٨ / ١٥٤.

(٢) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٧ / ٤٨٦ ، وينظر: الكافي: ٢ / ٨٣.

(٣) معاني النَّحو: ٤ / ٢٣٣ ، وينظر: مغني اللَّيْب عن كتب الأعراب: ١ / ٢٤-٢٥.

(٤) ينظر: معاني الحروف للزمانِي: ١٠٢.

(٥) ينظر: الكتاب: ٤ / ٢٢٠ ، وشرح المفصل: ٨ / ١٥٢-١٥١ ، وشرح الرضِّي على الكافية: ٤ / ٤٤٧ ، ومغني اللَّيْب عن كتب الأعراب: ٢ / ٤٠٣.

(٦) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٧ / ٣٠٧ ، وينظر: كنز العمال: ٧ / ٥٠.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

صَالِحٌ صَلَّى عَلَيْكَ أَوْ ذَكَرَ اللَّهَ؟ فَإِنْ قَالَتْ: نَعَمْ، رَأَتْ لَهَا بِذَلِكَ فَضْلًا^(١). نلاحظ أنَّ حرف الاستفهام (هل) في الحديث الشريف دخل على جملة فعلية ماضوية (مر)، والاستفهام هنا حقيقي.

ومثال دخولها على جملة فعلية مضارعية، قوله (ﷺ): "سُئِلَ النَّبِيُّ (ﷺ): هَلْ يَأْكُلُ الشَّيْطَانُ مَعَ الْإِنْسَانِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، مَائِدَةً لَمْ يُذَكَّرْ بِسَمِ اللَّهِ عَلَيْهَا يَأْكُلُ الشَّيْطَانُ مَعَهُمْ، وَيَرْفَعُ اللَّهُ الْبَرَكَاتَ عَنْهَا"^(٢)، فـ(هل) في الحديث المبارك دخلت على جملة فعلية مضارعية (يأكل). ويرى سيبويه (١٨٠هـ) وعددٌ من البلاغيين أنَّ حرف الاستفهام (هل) عند دخوله على فعل مضارع فإنَّ الفعل يتخصَّص معه للاستقبال، ممَّا دفع بعضهم للقول بأنَّ لها تأثيرًا معنويًا في الفعل^(٣).

ثالثًا: الجملة المتصدرة باسم استفهام:

أسماء الاستفهام هي "كناياتٌ حُمِلت على الهمزة وهل، ويُستفهم بها عن المفرد اسمًا كان أو جملة، وهي: مَنْ، مَا، وَأَيُّ، وَكَيْفَ، وَأَيْنَ، وَأَيَّانَ، وَمَتَى، وَأَنَّى، وَكَمْ الاستفهامية. وهذه الأسماء جميعها مبنية إلَّا (أَيَّا) فإنَّها معربة"^(٤). والعلة وراء بناء هذه هذه الأسماء هي لتضمَّن معناها الهمزة^(٥).

وهذه الأسماء لها الصدارة في الكلام كما بيَّنا، فهي "لا تكون مفعولاً به، ولا مفعولاً فيه من فعل قَبَلَهَا بل من فعلٍ بَعْدَهَا إلَّا (ماذا)، فإنَّهم قالوا فيها: (فعلت ماذا)، ولا تكون مبتدأ إلَّا مُقَدِّمًا على الخبر، ولا خبرًا إلَّا مُقَدِّمًا على المبتدأ، ولا حالًا إلَّا مُقَدِّمًا على صاحبه، ولا مفعولًا مُطْلَقًا إلَّا مُقَدِّمًا على عامله"^(٦).

وقد وردت هذه الأسماء في حكم النبي الأعظم كلها ما خلا (أَيَّانَ) لم ترد، وفيما يلي الأدوات التي وردت في حكمه المباركة:

-
- (١) حكم النبي الأعظم: ٢٥٠ / ٥ ، وينظر: بحار الأنوار: ٢٣٤ / ٨٢ .
(٢) حكم النبي الأعظم: ٣٥٣ / ٧ ، وينظر: بحار الأنوار: ٢٥٨ / ٩٢ .
(٣) ينظر: الكتاب: ١٧٥ / ٣-١٧٦ ، ومفتاح العلوم: ٥٣٢ ، وأساليب الطلب بين النحويين والبلاغيين: ٣٦٩ .
(٤) التراكيب اللغوية في العربية: ١٩ .
(٥) ينظر: المقرب: ٢٨٩ / ١ ، وشرح المفصل: ٤١ / ٢ .
(٦) التراكيب اللغوية في العربية: ١٩ ، وينظر: النحو العربي: ٤٤٤ / ٤ .

١- (من):

اسم استفهام مبني على السكون، تستعمل للسؤال عن كل ما هو عاقل، وهي لا تستعمل إلا للتصوّر^(١). يقول السكاكي (٢٢٦هـ): "وأما (من)، فالسؤال عن الجنس من ذوي العلم، تقول: من جبريل؟ بمعنى أبشّر هو أم ملك أم جني"^(٢). وقد وردت في حكم النبي الأعظم الجملة الاستفهامية مصدرية ب(من)، ومثالها قوله (عليه السلام): "الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأنمة المسلمين، وعامتهم"^(٣). نلاحظ أن اسم الاستفهام الوارد في الحديث الشريف هو (من)، وقد أستخدم للسؤال عن العاقل. ويُعرب هنا في محل جر بحرف الجر (اللام).

٢- (ما):

ذكرها سيبويه (١٨٠هـ) ضمن أدوات الاستفهام؛ إذ قال: "وعلى هذا الحد^(٤) يجري ما، ومتى، وكيف، وكم، وأين"^(٥). أما استعمالها، فهي لذات غير آدميين، ولصفات الآدميين^(٦)، ومثال ورودها في حكمه (عليه السلام)، ما ورد في الحديث الشريف التالي: "كان النبي (عليه السلام) إذا بلغه عن الرجل الشيء، لم يقل: ما بال فلان يقول؟ ولكن يقول: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا؟"^(٧). نلاحظ في الحديث الشريف أن الرسول (عليه السلام) استفهم بها عن صفة الشيء العاقل استفهاماً مجازياً خرج لغرض الإنكار التوبيخي. أما إعرابها، فهي في محل رفع مبتدأ.

٣- أئى:

ذكر سيبويه (١٨٠هـ) (أئى) ضمن أدوات الاستفهام بقوله: "و(أئى) تكون في معنى كيف وأين"^(٨). و(أئى) هي اسم استفهام تستعمل للسؤال عن الحال وتكون بمعنى (كيف)، والمكان وتكون بمعنى (أين)، والزمان وتكون بمعنى (متى)^(٩).

(١) ينظر: الكتاب: ٢٢٨ / ٤ ، ومغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٣٣٠ / ١ ، ومعاني النحو: ٢٦٧ / ٤ .

(٢) مفتاح العلوم: ٥٣٥ .

(٣) حكم النبي الأعظم: ٦٣٢ / ٢ ، وينظر: صحيح مسلم: ٧٤ / ١ .

(٤) يُريد به الاستفهام.

(٥) الكتاب: ١٧٥ / ٣ ، وينظر: النحو العربي: ٤٤٩ / ٤-٤٥٠ .

(٦) المقتضب: ٦٣ / ٤ ، وينظر: اللّمع في العربية: ١٥٠ .

(٧) حكم النبي الأعظم: ٣١٦ / ٤ ، وينظر: شعب الإيمان: ٢٦٥-٢٦٦ .

(٨) الكتاب: ٢٣٥ / ٤ .

(٩) ينظر: اللّمع في العربية: ١٥٠ ، وشرح الرّضي على الكافية: ٢٠٢-٢٠٣ ، ، والتراكيب اللّغوية في العربية: ٢٦ .

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

وهذه الأداة من أقل الأدوات حضوراً في حكمه (ﷺ)؛ إذ لم ترد إلا بمعنى (كيف، وأين). ومن الجمل التي تصدرتها (أنى) بمعنى (كيف)، قوله (ﷺ): "الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّي بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ"^(١). نلاحظ في الحديث الشريف الشريف استعمل الرسول (ﷺ) أداة الاستفهام (أنى) وهي هنا بمعنى (كيف)؛ إذ تعرب في محل نصب حال. وأن الاستفهام في الحديث الشريف مجازي غرضه النفي أي: لا يُستجاب له ذلك. وقد يُحمل المعنى المجازي في الحديث المبارك على غرض التعجب.

ومثال مجيئها بمعنى (أين)، قوله (ﷺ): "يَجِيءُ الرَّجُلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ مِنَ الْحَسَنَاتِ كَالسَّحَابِ الزُّكَامِ أَوْ كَالْجِبَالِ الرَّوَاسِي، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَّى لِي هَذَا وَلَمْ أَعْمَلْهَا؟" فَيَقُولُ: هَذَا عِلْمُكَ الَّذِي عَلَّمْتَهُ النَّاسَ يُعْمَلُ بِهِ مِنْ بَعْدِكَ"^(٢). فأسم الاستفهام (أنى) في الحديث الشريف بمعنى (أين)، أي: من أين لي هذا؟! ، وهي في هذا الموضع في محل نصب مفعول فيه ظرف مكان. والاستفهام هنا مجازي خرج لغرض التعجب.

٤ - أين:

وهي اسم استفهام مبهم، خاص للاستفهام عن الامكان، وذكر النحويون أنه لا يستعمل إلا لهذا الغرض، قال سيبويه (١٨٠هـ): "ونظير متى من الأماكن: (أين) ولا يكون (أين) إلا للأماكن، كما لا يكون متى إلا للأيام"^(٣)، ومثال ما ورد في حكم النبي الأعظم من استعمال اسم الاستفهام (أين)، قوله (ﷺ): "يَقُولُ الْبَلَاءُ كُلَّ يَوْمٍ: إِلَى أَيْنَ أَتَوَجَّهُ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِلَى أَحِبَابِي وَأُولِي طَاعَتِي، أَلْبُو بِكَ أَخْبَارَهُمْ، وَأَخْتَبِرُ بِكَ صَبْرَهُمْ، وَأَمَحِّصُ بِكَ دُنُوبَهُمْ، وَأَرْفَعُ بِكَ دَرَجَاتِهِمْ"^(٤). فد(أين) في الحديث الشريف أستمِلت للاستفهام عن المكان، وهي في محل نصب مفعول فيه ظرف مكان.

(١) حكم النبي الأعظم: ٥ / ٤٣٦ ، وينظر: صحيح مسلم: ٢ / ٧٠٣.

(٢) حكم النبي الأعظم: ٤ / ٢١ ، وينظر: بحار الأنوار: ٢ / ١٨.

(٣) الكتاب: ٢١٩ / ١-٢٢٠ ، وينظر: شرح المفصل: ٧ / ٤٥ ، ومفتاح العلوم: ٥٣٧.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٢ / ٢٤٤ ، وينظر: كنز العمال: ٣ / ٣٤١.

٥- متى:

وهي اسم استفهام يستعمل للسؤال عن الزمان، سواءً أكان ماضيًا أم مستقبلاً، وهي بمعنى (أي حين)، واستعمالها للاستفهام عن الزمان يُغني عن استعمال أسماء الزمان جميعها^(١). ومثال ما ورد من شاهد استعملت فيه (متى) أداة للاستفهام، قوله (عليه السلام): "حتى متى ترعؤون عن ذكر الفاجر؟! اهتكوهُ حتى يحذرهُ الناس"^(٢). نلاحظ أن اسم الاستفهام الوارد في الحديث الشريف هو (متى)، وقد استفهم به الرسول (عليه السلام) عن الزمان استفهاماً مجازياً خرج لغرض التوبيخ. وتعرب (متى) في الحديث المبارك في محل جر بحرف الجر (حتى).

٦- كم:

وهي اسم يُستفهم به عن العدد المبهم، وتمييزها لا يكون إلا نكرة مفرداً منصوباً، وقد يكون مجروراً حين تدخل (الباء) عليها، نحو: (بكم درهمٍ سعر القماش؟)^(٣). اختلف جمهور النحويين في أصل (كم)، فذهب نحويو البصرة إلى أن (كم) مفردة لا تركيب فيها؛ لكون الأفراد هو الأصل. وذهب نحويو الكوفة إلى أنها مركبة من (كاف) التشبيه، و(ما) الاستفهامية، فصارت (كما)، وحذفت الألف منها؛ لكثرة الاستعمال، فصارت (كم)^(٤).

ومثال ما ورد في حديثه المبارك، قوله (عليه السلام): "إن الله إذا أدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، قال: يا أهل الجنة، كم لبثتم في الأرض عدد سنين؟ قالوا: لبثنا يوماً أو بعض يوم. قال: لنعم ما اتجرتُم في يومٍ أو بعض يومٍ، رحمتي ورضواني وجنتي، امكثوا فيها خالدين مُخلدين"^(٥). فالاستفهام الوارد في الحديث الشريف هو استفهام عن عددٍ مبهم، استعملت فيه أداة الاستفهام (كم)، وتمييزها محذوف تقديره (يوماً) بدلالة السياق عليه.

(١) ينظر: الكتاب: ٢٣٣ / ٤، شرح المفصل: ٤٥ / ٧، وشرح الرضي على الكافية: ٢٠٤ / ٣.

(٢) حكم النبي الأعظم: ٧٨ / ٥، وينظر: كنز العمال: ٥٩٦ / ٣.

(٣) ينظر: الجمل في النحو: ١٣٤-١٣٥، وشرح المفصل: ١٢٦ / ٥، والتراكيب اللغوية في العربية: ٢٦-٢٧.

(٤) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١ / ٢٤٣-٢٤٦ مسألة رقم (٤٠)، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٢١٠ / ١.

(٥) حكم النبي الأعظم: ٥٢٦ / ٣، وينظر: الدر المنثور: ١٧ / ٥.

٧- كيف:

وهي اسم استفهام يجري مجرى الظروف، ويكون بمعنى (على أية حال)، يستعمل للاستفهام عن الأحوال العامة^(١). و(كيف) محل خلاف بين سيويه (١٨٠هـ) وبين الأخفش والسيرافي (٣٦٨هـ)، فهي عند سيويه ظرف وموضعها عنده النصب دائماً. وعند الأخفش والسيرافي اسم غير ظرف، وموضعها عندهما الرفع مع المبتدأ، والنصب مع غيره^(٢). وقد رد الأستاذ الدكتور هادي نهر القول القائل بظرفيتها، بقوله: "أما كونها ظرفاً، فغير مقبول؛ إذ إنها ليست زماناً أو مكاناً؛ ولكنها تفسر بقولك: (على أي حال)؛ لكونها سؤالاً عن الأحوال العامة. ولهذا سميت ظرفاً، ولأنها في تأويل الجار والمجرور. فتسميتها ظرفاً من باب المجاز"^(٣).

ومثال ما ورد منها في حكم النبي الأعظم، قوله (عليه السلام): "كيف أنتم بعدي إذا شيعتم من خبز البُرِّ والزَّيْتِ، وأكلتم ألوان الطَّعامِ ولَبِستم أنواع الثَّياب؛ فَأَنْتُمْ الْيَوْمَ خَيْرُ أَم ذَاكَ؟ قُلْنَا: ذَاكَ. قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ الْيَوْمَ خَيْرٌ"^(٤). فقد وقع بعد اسم الاستفهام اسماً معرفة (أنتم)، فتعرب في هذا الموضع في محل رفع خبر مقدم وجوباً على رأي الأخفش والسيرافي، والصَّмир المنفصل بعدها مبتدأ مؤخر.

وقد وردت (كيف) في محل نصب في قوله (عليه السلام): "كيف يُقَدِّسُ اللَّهُ قَوْمًا لَا يُؤْخَذُ لِضَعْفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ؟!"^(٥). نلاحظ أنَّ اسم الاستفهام الوارد في الحديث الشريف (كيف)، يعرب في هذا الموضع في محل نصب حال باتِّفاق النحويين. والاستفهام في الحديث الشريف خرجت عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي دلَّ فيه على النقي، أي: لا يُقَدِّسُ اللَّهُ قَوْمًا.

٨- أي:

وهذا الاسم يتميز دون غيره من أسماء الاستفهام بكونه معرباً، مُلَازِماً للإضافة معنى ولفظاً، يستفهم به عما يُمَيِّز أحد المشاركين في أمرٍ يعمُّها^(٦).

(١) ينظر: الكتاب: ٢ / ١٢٨ ، والمفصل في صناعة الإعراب: ٢١٧ ، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ٢٤٢.

(٢) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ١ / ٢٣٠-٢٣١.

(٣) التراكيب اللغوية في العربية: ٢٣.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٧ / ١٨٣ ، وينظر: شعب الإيمان: ٧ / ٢٨٣.

(٥) حكم النبي الأعظم: ٦ / ٥٠٤ ، وينظر: عوالي اللئالي: ١ / ٣٧١.

(٦) ينظر: الكتاب: ٢ / ٣٩٨ ، ومفتاح العلوم: ٥٣٥-٥٣٦ ، والنحو الوافي: ٣ / ١٠٤ ، والتراكيب اللغوية في العربية: ٢١.

قال المبرد (٢٨٥هـ): "إنَّ (أيًا) يُسأل بها عن شيءٍ من شيءٍ، تقول: أيُّ القوم زيدٌ؟ فزيدٌ واحدٌ منهم، وأيُّ بنيك أحبُّ إليك؟"^(١). أمّا استعمالها، فتحدده الإضافة، فهي بحسب ما تُضاف إليه، فـ"إنَّ أضفتها إلى الزمان فهي زمان، وإنَّ أضفتها إلى المكان فهي مكان، إلى أي شيءٍ أضفتها كانت منه"^(٢).

ومن الجمل المتصدرة بـ(أي)، قوله (عليه السلام): "ما أدري بأيّهما أنا أسرُّ بقدم جعفر أو بفتح خبير"^(٣). نلاحظ أنَّ اسم الاستفهام الوارد في الحديث الشريف هو (أي)، استقهم به عن غير العاقل؛ إذ أُضيفت إلى الضمير المتصل بها، العائد على حدث قدوم جعفر ونصر خبير، والاستفهام في الحديث الشريف خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى التعجب والسرور.

وحررنا بنا في هذا الموضوع التطرق إلى ما ذكره الأستاذ الدكتور مصطفى جواد في مصنفه الشهير (قل ولا تقل) من أنه لا يجوز عودة الضمير على متأخر لفظاً ورتبة في قولنا: (أيّهما أفضل الصدق أم الكذب) ويرى أنَّ هذا التركيب اللغوي غير جائز في العربية^(٤).

وما ذكره الأستاذ خلاف لما ورد في الحديث الشريف؛ إذ إنَّ استعمال الرسول (عليه السلام) لـ(أيّهما) يفند ما ذهب إليه الأستاذ. فضلاً عن ذلك فإنَّ النحويين لم يذكروا هذه المسألة في المواضع التي يعود فيها الضمير على متأخر لفظاً ورتبة^(٥).

ومن جملة تلك الشواهد التي وردت فيها (أي) أداة للاستفهام، قوله (عليه السلام): "أيُّكم مالٌ وارثه أحبُّ إليه من ماله؟ قالوا: يا رسول الله، ما مِنّا أحدٌ إلّا ماله أحبُّ إليه من مالٍ وارثه. قال: فإنَّ ماله ما قدَّم، ومال وارثه ما أخر"^(٦). فاستعملت (أي) في الحديث الشريف للاستفهام عن العاقل؛ لأنها أُضيفت إليه، وقد أزيل إبهامها بإضافتها إلى اسم معرفة، وهو الضمير (الكاف)؛ إذ دلّت في هذا الموضوع على متعدّد حقيقي وهم الحضور الذين وجه إليهم السؤال^(٧)، وتعرب في هذا الموضوع مبتدأ.

(١) المقتضب: ٢١٧ / ٤.

(٢) شرح المفصل: ٤٤ / ٧.

(٣) السيرة النبوية: ٨١٨ / ٣.

^٤ ينظر: قل ولا تقل: ٢٣-٢٤.

(٥) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٥٦٢ / ٢، والنحو الوافي: ٢٥٨ / ١.

(٦) حكم النبي الأعظم: ٥٠٦ / ٤، وينظر: الترغيب والترهيب: ٥٠ / ٢.

(٧) ينظر: النحو الوافي: ١٠٥ / ٣.

المبحث الثالث

جُملة الأمر

جملة الأمر هي الجملة التي يكون فيها المنسند إليه فعل أمر أو ما تضمّن معناه، وتمثّل هذه الجملة أسلوبًا لغويًا يندرج تحت أساليب الطلب الإنشائي. وهذا الأسلوب اللّغويّ نقيض النّهي، وذلك لأنّ النّهي طلبٌ يراد به ترك إيقاع الفعل، والأمر خلاف لذلك^(١).

عقد سيبويه (١٨٠هـ) في موسوعته النّحوية بابًا لهذا الأسلوب تحت عنوان "هذا باب الأمر والنّهي"^(٢) تحدّث فيه عن طبيعة هذا الأسلوب، والصّيغ التي تستعمل فيه. ومع تناول سيبويه لهذا الباب إلّا أنّه كغيره من أساليب الطلب لم يحضّ ببابٍ مستقلٍّ في كتب النّحو المتأخّرة؛ إذ لم يُعقد له بابٌ يُبحث فيه تضاعيفه عن صيغته وتراكيبه وطبيعته العامّة، والمعاني التي يستعمل فيها؛ إذ كانت دراستهم إليه في أبوابٍ متفرقة من كتب النّحو^(٣).

وبالعودة إلى جملة الأمر، وتركيبها من فعل الأمر أو صيغٍ أخرى، نجد أنّ الرّمخسريّ (٥٣٨هـ) قد وصف فعل الأمر وصفًا دقيقًا؛ إذ يقول فيه: "وهو الذي على طريقة المضارع للفاعل المخاطب لا تخالف بصيغته صيغته، إلّا أن تتزع الزائدة فتقول: في تضعُ ضع، وفي تضاربُ ضارب، وفي تدحرجُ دحرج، ونحوها ممّا أوله متحرك؛ فإن سَكَنَ زدتَ همزة وصلٍ لئلا يُبتدأ بالسّاكن، فتقول في تَضَرَّبُ اضرب، وفي تتطلَّقُ وتستخرجُ انطلق واستخرج"^(٤).

أمّا المفهوم العامّ لهذا الأسلوب، فقد حدّه يحيى بن حمزة العلويّ (٧٤٩هـ)، بأنّه "صيغةٌ تستدعي الفعل، أو قولٌ يُنبئُ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء"^(٥). وفي حدّ العلويّ توضيحًا دقيقًا لمعنى هذا الأسلوب؛ إذ جمع بين طلب

(١) ينظر: لسان العرب: ١/ ٢٠٣ (أمر).

(٢) الكتاب: ١٣٧/١-١٤٤.

(٣) ينظر: أساليب الطلب بين النّحويّين والبلاغيّين: ٨٣.

(٤) المفصل في صنعة الإعراب: ٣٣٩، وينظر: شرح المفصل: ٧/ ٥٨.

(٥) الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة: ٥٣٠، وينظر: التعريفات: ٣٤.

الباب الثاني.....بناءُ الجملة في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم

القيام بالفعل، وطلب القيام به على جهة الاستعلاء؛ إذ إنّ الأصل في هذا الأسلوب أن يكون على جهة الاستعلاء.

فالأمر حين يكون صادرًا من جهةٍ غُلا يسمّى (أمرًا حقيقيًا)، أمّا إذا كانت الرتبة بين الأمر والمأمور متساويةً عندئذٍ يخرج عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي كالالتماس أو الدّعاء، ويُفهم هذا المعنى عن طريق قرينة معنويّة أو سياقيّة تتوافر في النصّ^(١)، وقد نبّه سيبويه (١٨٠هـ) إلى أنّ الدّعاء في حقيقته أمرٌ، يقول في ذلك: "اعلم أنّ الدّعاء بمنزلة الأمر والنّهي، وإنّما قيل: (دعاء) لأنّه استُعْظِمَ أن يقال: أمرٌ أو نهْيٌ"^(٢).

وأما الصّيغ التي يكون بها هذا الأسلوب، فهي أربع^(٣):

- ١- فعل الأمر (افْعَلْ)، نحو: طهّر، خُذ، ارم، ادْعُ...
- ٢- لام الأمر (لِيَفْعَلْ)، التي تتّصل بالفعل المضارع، نحو قوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعِيهِ﴾^(٤).

٣- اسم فعل الأمر، نحو قوله تعالى: ﴿وَعَلَّتِ الْأَبْوَابُ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾^(٥).

٤- المصدر النائب عن فعل الأمر، نحو قولنا: (ضربًا العدو) و(سعيًا في عمل الخير).

وقد وردت هذه الصّيغ الأربعة في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم، وفيما يأتي تفصيل لكل صيغة من تلك الصّيغ:

أولًا: صيغة فعل الأمر:

إنّ فعل الأمر شكّل محط خلاف بين النّحويّين، بصريّين وكوفيّين، سواءً في أصله أم في حكمه. فمن حيث أصله كان الخلافُ دائرًا حول الإجابة عن أهو قسم قائم في

(١) ينظر: مفتاح العلوم: ٥٤٣، والتلخيص في علوم البلاغة: ١٧٠، النّحو الوافي: ٤/ ٣٦٦.

(٢) الكتاب: ١/ ١٤٢.

(٣) ينظر: التلخيص في علوم البلاغة: ١٦٨، وجواهر البلاغة: ٨٠، والأساليب الإنشائيّة في النّحو العربي: ١٤.

(٤) سورة الطلاق، آية: ٧.

(٥) سورة يوسف، آية: ٢٣.

الباب الثاني..... بناءُ الجملة في حكم النَّبيِّ الأعظم

ذاته كالفعلين المضارع والماضي أم هو جزءٌ مقتطعٌ من غيره؟. فنحويُّو الكوفة ذهبوا إلى أنَّه مقتطعٌ من المضارع وأصله (ليفعل)، وذهب البصريُّون إلى أنَّه قسمٌ قائمٌ بذاته وليس بمقتطعٍ من فعل آخر. وترتَّب على خلافهم في أصله خلافهم في حكمه، فذهب نحويُّو البصرة إلى أنَّه مبنيٌّ على السَّكون، وذهب الكوفيُّون إلى عكس ذلك؛ إذ يرون أنَّه معربٌ مجزومٌ بالسَّكون، أو ما ينوب عنها^(١).

أمَّا أحوال بنائه عند البصريِّين، فهي أربعٌ، الأولى بناؤه على السَّكون، إذا لم يتَّصل به شيء يغير حركة بنائه الأصليَّة، نحو (قم، اضرب، اسمع). والحال الثَّانية بناؤه على الفتح إذا اتَّصلت به نون التَّوكيد (الخفيفة والتَّقيَّة)، نحو: (اضربن، اكتبن)، والثَّالثة بناؤه على حذف حرف العلة إذا كان معتلًّا الآخر نحو (ارم، ادع)، والحال الرَّابعة والأخيرة هي بناؤه على حذف النُّون إذا أُسند إلى ياء المخاطبة أو ألف الاثنين أو واو الجماعة نحو (اكتبني، اذهبا، اخرجوا)^(٢).

ويتميز فعل الأمر عن غيره من الأفعال بأمرين: الأوَّل منهما دلالاته على الطَّلَب (الأمر) نحو: (اترك، قم...)، والثَّاني قبوله ياء المخاطبة، عند أمر المؤنث نحو: (اتركي، قومي)، وزاد النُّحويُّون على هذين الأمرين قبوله (نون التَّوكيد) نحو: (اضربن)^(٣).

وتُعَدُّ صيغة فعل الأمر من أكثر صيغ أسلوب الأمر استعمالاً في حكم النَّبيِّ الأعظم؛ إذ تنوعت أنماطها بتنوُّع حالات بنائه، فورد مبنيًّا على السَّكون، لم يتَّصل به شيء، أُسند الفعل فيها إلى المفرد المخاطب، ومثال ذلك ما ورد في حكمته (ﷺ) للإمام عليٍّ (عليه السَّلام) لما استعمله على اليمن: "قَدِّمِ الوُضِيْعَ قَبْلَ الشَّرِيفِ، وَقَدِّمِ الضَّعِيفَ قَبْلَ القَوِيِّ"^(٤). نلاحظ في الحكمة المباركة فعل الأمر (قَدِّم)، وقد ورد مبنيًّا على السَّكون، وحُرك بالكسر منعًا لالتقاء ساكنين، وفاعله ضميرٌ مستترٌ فيه تقديره

(١) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢ / ٤٢٧ مسألة رقم (٧٢)، وشرح الرّضي على الكافية: ٤ / ١٢٥،

وشرح ابن عقيل: ١ / ٢٠، وجمع الهوامع: ١ / ٢٦-٢٧.

(٢) ينظر: النُّحو الوافي: ١ / ٨٠-٨١.

(٣) ينظر: شرح قطر الندى: ٣٠، وشرح شذور الذهب: ١٦، وجمع الهوامع: ١ / ١٦.

(٤) حكم النَّبيِّ الأعظم: ٢ / ٦٢٢، وينظر: السنن الكبرى: ١٠ / ٢٢٧.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

(انت). والأمر في الحديث الشريف، أمرٌ حقيقيٌّ لم يخرج لأيّ غرضٍ آخر؛ إذ هو أمر بين الحاكم المتمثل بالرسول (ﷺ)، وعامله في اليمن المتمثل بالأمام عليّ (عليه السلام).

وأما النمط الذي يكون فيه الفعل معتلاً الآخر، فمثاله ما ورد في الحديث الشريف: عندما قال له ثعلبة بن حاطب: "يا رسول الله، ادعُ الله، أن يرزقني مالاً: قليلٌ تُؤدّي شكره خيرٌ من كثيرٍ لا تُطيقه"^(١). فالفعل الوارد في الحديث المبارك (ادعُ) مبنيٌّ على حذف حرف العلة وهو (الواو)، والاستفهام هنا مجازيٌّ غرضه الالتماس؛ إذ إنّ الرجل يلتبس من النبي (ﷺ) الدعاء له.

أمّا بناؤه على حذف النون، فمثاله في قوله (ﷺ): "حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزِنوها قبل أن تُوزنوا، وتجهّزوا للعرض الأكبر"^(٢). فقد وردت في الحديث الشريف أفعال أمر هي: (حاسبوا، وزِنوها، وتجهّزوا) وهي أفعالٌ أمرٌ بُنيت على حذف النون؛ لاتصالها بواو الجماعة. والأمر في الحديث الشريف خرج لغرض التوجيه والإرشاد^(٣).

وآخر نمط من أنماط بناء فعل الأمر، هو بناؤه على الفتح، وذلك عند اتصاله بنوني التوكيد، ومما ورد من مثالٍ في حكمه (ﷺ) المباركة جاء فيه فعل الأمر مبنيّاً على الفتح، ما ورد في قوله (ﷺ) يوم الأحزاب: "فَإَنْزِلُنَّ سَكِينَةً عَلَيْنَا"^(٤). نلاحظ أنّ الفعل (انزلن) الوارد في الحديث مبنيٌّ على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة. وقد خرج الأمر عن معناه الحقيقي إلى غرض الدعاء.

ثانياً: صيغة لام الأمر المتصلة بالفعل المضارع (لِيَفْعَلْ):

وهذه الصيغة الثانية من صيغ أسلوب الأمر، بيد أنّ هذه الصيغة لا تأتي على هيئة فعل الأمر نحو: (اضرب)، وإنّما لامٌ مقترنةٌ بالفعل المضارع نحو: (ليضرب)، فتؤدّي

(١) حكم النبي الأعظم: ١٩٦ / ٧ ، وينظر: بحار الأنوار: ٤٠ / ٢٢.

(٢) حكم النبي الأعظم: ٥٤٢ / ٢ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٣ / ٧٠.

(٣) ينظر: مفتاح العلوم: ٥٤٣ ، والتلخيص في علوم البلاغة: ١٦٩.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٣٢٠ / ٦ ، وينظر: كنز العمال: ٣٣٤ / ١٠.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

وظيفة معنوية وهي طلب حدوث الفعل^(١). فضلاً عن الوظيفة الإعرابية وهي (الجزم) الذي تحدثه في الفعل المضارع^(٢)، ويكثر اطرادها في فعل الغائب، ويقل دخولها على فعل المتكلم^(٣).

ومما وردت فيه اللام في حكم النبي الأعظم، قوله (ﷺ): "مَنْ أَتَاهُ أَخُوهُ مُتَّصِلًا فَلْيَقْبَلْ ذَلِكَ مِنْهُ. مُحِقًّا كَانَ أَوْ مُبْطِلًا. فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ لَمْ يَرِدْ عَلَيَّ الْحَوْضُ"^(٤)، وقوله عليه الصلاة والسلام: "إِذَا ظَهَرَتِ الْبِدْعُ وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوْلَهَا، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ فَلْيُنْشُرْهُ؛ فَإِنَّ كَاتِمَ الْعِلْمِ يَوْمَئِذٍ ككَاتِمٍ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ"^(٥). نلاحظ في الحديثين المباركين وردت (لام الأمر) متصلة بالفعل المضارع (فَلْيَقْبَلْ، فَلْيُنْشُرْ)؛ إذ جزمت الفعل المضارع بعدها. وقد سُكِّنَتْ هذه اللام في الموضعين كليهما؛ كونها مسبقة بحرف العطف (الفاء)، وأصل "تحريكها الكسر، وسُليمت فتحتها، وإسكانها بعد الفاء والواو أكثر من تحريكها"^(٦).

ووردت أيضاً مسبقة بـ(الواو) العاطفة، وبـ(الفاء) الواقعة في جواب الشرط، في قوله (ﷺ): "إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلْيَنْصَرِفْ وَلْيَرْقُدْ"^(٧). واللام في الحديث الشريف كسابقة؛ إذ إنَّها دخلت على الفعل المضارع (فَلْيَنْصَرِفْ، وَلْيَرْقُدْ) وجزمتها، وأفادت معنى طلب إحداث الفعل.

ثالثاً: صيغة اسم فعل الأمر:

إن لغتنا العربية تتضمن ألفاظاً تؤدي ما يؤديه الفعل من معنى، بيد أنَّها ليست من أصناف الفعل؛ إذ تخالفه من حيث الصيغة، والتصرف، كما أنَّها لا تقبل علامات الفعل^(٨)، فهي في الأصل أسماء "وضعت للفعل تدلّ عليه، فأجريت مجراه ما كانت في

(١) ينظر: التعريفات: ١٦٠ ، ومعاني النحو: ٧ / ٤.

(٢) ينظر: الكتاب: ٨ / ٣ ، ومعاني الحروف للرمانى: ٥٧.

(٣) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٨٤ / ٤ ، ومغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٢٤٩ / ١-٢٥٠.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٤٧٩ / ٧ ، وينظر: كنز العمال: ٣ / ٣٧٨.

(٥) حكم النبي الأعظم: ٣٦ / ٤ ، وينظر: كنز العمال: ١ / ١٧٩.

(٦) مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٢٤٩ / ١.

(٧) حكم النبي الأعظم: ٢٧٠ / ٥ ، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ٣٤ / ١٩.

(٨) ينظر: شرح ابن عقيل: ١٣٧ / ٣ ، والنحو الوافي: ١٤٠ / ٤ ، وفي النحو العربي قواعد وتطبيق: ١٤٠.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

في موضوعها؛ ولا يجوز فيها التقديم والتأخير؛ لأنها لا تصرف تصرف الفعل... وذلك قولك: صه، مه، فهذه إنما معناه: اسكت، واكفف^(١).

ذكر جمهور النحويين أن هذه (الألفاظ)، هي ضرب من الأسماء، يقول سيبويه (١٨٠هـ): "واعلم أن هذه الحروف التي هي أسماء للفعل لا تظهر فيها علامة المضمر، وذلك أنها أسماء"^(٢).

وقد ذكر رضي الدين الاستربادي (٦٨٦هـ) العلة وراء تسميتها بهذا الاسم؛ إذ يقول: "والذي حملهم على أن قالوا إن هذه الكلمات وأمثالها ليست بأفعال مع تأديتها معاني الأفعال: أمر لفظي وهو أن صيغها مخالفة لصيغ الأفعال، وأنها لا تتصرف تصرفها ويدخل اللام على بعضها والتثوين في بعض، وظاهر كون بعضها ظرفاً، وبعضها جاراً ومجروراً"^(٣).

ولما كانت الأفعال في قسمتها ماضية، ومضارعة، وأمر، كانت هذه الأسماء على هذه القسمة أيضاً، فمنها ما يختص بالماضي نحو: (هيات) بمعنى (بعد)، ومنها ما يختص بالمضارع نحو: (أف) بمعنى (أضجر)، ومنها ما هو مختص بفعل الأمر نحو: (صه) بمعنى (اسكت)^(٤).

وما يهمننا في معرض بحثنا هذا هو ما ورد في حكم النبي الأعظم من اسم الفعل الأمر؛ إذ ورد اسم فعل الأمر (هلم)، في قوله (عليه السلام): "ما طلعت شمس قط إلا بعث بجنبتَيْها ملكان يُناديان، يُسمعان أهل الأرض إلا الثقلين: يا أيها الناس. هلموا إلى ربكم! فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى"^(٥). فاسم فعل الأمر (هلموا) الوارد في الحديث المبارك هو بمعنى (اقبلوا، وتعالوا)؛ إذ يحمل دلالة الطلب، وهي دلالته على معنى (افعل).

(١) المقتضب: ٢٠٢ / ٣.

(٢) الكتاب: ٢٤٢ / ١.

(٣) شرح الرضي على الكافية: ٨٣ / ٣، وينظر: معاني النحو: ٤٠ / ٤.

(٤) ينظر: شرح ابن عقيل: ١٣٧ / ٣، وجامع الدروس العربية: ١٥٥ / ١، وفي النحو العربي قواعد وتطبيق: ١٤٠-١٤١.

(٥) حكم النبي الأعظم: ١٩٥ / ٧، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ٥٣ / ٣٦.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

ومن أسماء الأفعال الواردة، (آمين)، في قوله (ﷺ): "إِنَّ جَبْرِيْلَ أَتَانِي فَقَالَ: مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ"^(١). فاسم فعل الأمر (آمين) الوارد في حديثه  هو بمعنى (استجب، أو اجب)، وهو أمر مجازي خرج لغرض الدعاء، واسم الفعل هذا ملازم للدعاء، لا يفارقه لغيره.

رابعاً: المصدر النائب عن فعل الأمر:

تكلم سيبويه (١٨٠هـ) عن هذه الصيغة في كتابه؛ إذ قال: "حَمْدًا وَشُكْرًا لَا كُفْرًا وَعَجَبٌ، وَأَفْعَلُ ذَلِكَ وَكَرَامَةً وَمَسْرَةً وَنُعْمَةً عَيْنٍ، وَحُبًّا وَنِعَامَ عَيْنٍ، وَلَا أَفْعَلُ ذَاكَ وَلَا كَيْدًا وَلَا هَمًّا، وَلَا أَفْعَلَنَّ ذَاكَ وَرَغَمًا وَهَوَانًا. فَإِنَّمَا يَنْتَسِبُ هَذَا عَلَى إِضْمَارِ الْفِعْلِ، كَأَنَّكَ قُلْتَ: أَحْمَدُ اللَّهُ حَمْدًا وَأَشْكُرُ اللَّهَ شُكْرًا، وَكَأَنَّكَ قُلْتَ: أَعْجَبُ عَجَبًا...وَأِنَّمَا اخْتُزِلَ الْفِعْلُ هَهُنَا لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا هَذَا بَدَلًا مِنَ اللَّفْظِ بِالْفِعْلِ"^(٢).

وقد ورد المصدر النائب عن فعل الأمر في حكم النبي الأعظم في قوله (ﷺ): "خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمًا وَنَحْنُ نَتَمَارَى فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ ، فَعَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا لَمْ يَغْضَبْ مِثْلَهُ ، ثُمَّ انْتَهَرَنَا « ٢ » ، فَقَالَ : مَهَلًا يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ! إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِهَذَا ، ذَرُوا الْمِرَاءَ لِقَلَّةِ خَيْرِهِ ، ذَرُوا الْمِرَاءَ « ٣ » فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُمَارِي"^(٣). نلاحظ في الحديث المبارك أَنَّ الرَّسُولَ  استعمل المصدر (مهلاً)، وهو مصدرٌ نابٍ عن فعل الأمر (امهل).

(١) حكم النبي الأعظم: ٣٠ / ٦ ، وينظر: بحار الأنوار: ٩٦ / ٣٤٢.

(٢) الكتاب: ٣١٨-٣١٩.

(٣) حكم النبي الأعظم: ٤٩٠ / ٦ ، وينظر: المعجم الكبير للطبراني: ٨ / ١٥٢.

المبحث الرابع

جُمْلٌ طلبيةٌ آخر

يتناول هذا المبحث جملاً طلبيةً آخر في حِكمِ النَّبيِّ الأعظم، وهي جملة النهي، وجملة الإغراء والتَّحذير وجملة العرض والتَّحضيض، وجملة التَّمْنِي والترجِّي، وفيما يلي تفصيل لكل جملة من هذه الجمل:

أولاً: جملة النهي:

النَّهي هو أسلوبٌ لغويٌّ يُطلب فيه الكف عن العمل، ويكون ذلك الطَّلَب على سبيل الاستعلاء^(١). ويتحقَّق هذا الأسلوب اللُّغويُّ عن طريق أداته الوحيدة التي يتميز بها وهي (لا)، إذ تعمل هذه الأداة الجزم عند دخولها على الفعل المضارع^(٢)، وتُخْلِصُهُ من دلالته على الحال إلى دلالته على الاستقبال^(٣).

والنَّهي كالأمر من حيث المعنى؛ إذ يدلُّ على طلب شيءٍ ما، يجب تحقيقه على وجه الفور، مع اشتراط الاستعلاء فيه، وفقد الأخير يخرج به إلى معانٍ أخرى، تتوقف على توافر القرائن في سياقه^(٤).

وقد تنوَّع الفعل المنهِيٌّ بهذه الأداة في حِكمِ النَّبيِّ الأعظم، فورد مؤكِّداً وغير مؤكِّدٍ، فمثال ما ورد مؤكِّداً، قوله (ﷺ): "لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا قَدَّمَ لِنَفْسِهِ"^(٥). نلاحظ في الحديث الشريف أنَّ الفعل المنهِي عنه هو (يَتَمَنَّيَنَّ)، وقد ورد مؤكِّداً بالنون التَّعْظِية، وهو مبنيٌّ على الفتح في محل جزم.

أمَّا ما ورد من أفعال منهِيٍّ عنها غير مؤكِّدة، فأمثلتها كثيرة تفوق ما هو مؤكِّد. ومن تلك الشُّواهد قوله (ﷺ): "لَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ فَتَكُونَ مِثْلَهُ"^(٦). فالفعل المنهِي عنه

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ١/ ٢٤٤، والتعريفات: ٢٠٩، والإتقان في علوم القرآن: ٣/ ٢٧٨.

(٢) ينظر: الكتاب: ١/ ١٣٦، ورصف المباني: ٢٦٧، همع الهوامع: ٤/ ٣١٠.

(٣) ينظر: رصف المباني: ٢٦٨، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٢٧٣.

(٤) ينظر: المقتضب: ٢/ ١٣٣، ومفتاح العلوم: ٥٤٥، والتلخيص في علوم البلاغة: ١٧٠.

(٥) حكم النَّبيِّ الأعظم: ٢/ ٤٩٧، وينظر: كنز العمال: ١٥/ ٥٥٥.

(٦) حكم النَّبيِّ الأعظم: ٤/ ٦٥٢، وينظر: بحار الأنوار: ١٠٣/ ١٧٥.

الباب الثاني..... بناءُ الجملةِ في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظمِ

(تَحْنُ)، وهو فعلٌ مضارعٌ مسندٌ إلى المُخاطَب، وقد جُزم بالسَّكون؛ كونه صحيح الآخر.

ومن الشواهد التي أُسند إليها الفعل المنهي إلى المُخاطَب، ما كان إسنادُه إلى واو الجماعة، نحو قوله (ﷺ): "لا تُرَوِّعُوا المُسْلِمَ؛ فَإِنَّ رَوْعَةَ المُسْلِمِ ظُلْمٌ عَظِيمٌ"^(١). وقوله (ﷺ): "لا تُسَبُّوا النَّاسَ فَتَكْتَسِبُوا الْعَدَاوَةَ بَيْنَهُمْ"^(٢)، نلاحظ في الحديثين الشَّريفين أن الفعل المنهي عنه وهو (تُرَوِّعُوا، تُسَبُّوا) أُسند إلى واو الجماعة، وقد جُزما بحذف النون؛ كونهما من الأفعال الخمسة.

ولعلَّ من المفيد ذكره أن الأفعال المنهيَّ عنها التي وردت في حديثه (ﷺ)، هي في أغلبها مُسندةٌ إلى واو الجماعة؛ ومردُّ ذلك أنَّ حديثه (ﷺ) موجَّه لجماعة المسلمين، وهذا يدفعنا للقول بأنَّ النهي الموجَّه للجماعة هو النمط الغالب على أسلوب النهي في كلامه (ﷺ)، من النهي الموجَّه إلى الفرد.

ثانيًا: جملة العرض وجملة التَّحْضِيض:

تمثِّل جملة العرض والتَّحْضِيض إحدى جمل أسلوب الطَّلَب؛ إذ إنَّ كلا الجملتين يدلَّان على طلب شيءٍ ما، بيد أنَّ أسلوب العرض يكون الطَّلَب فيه برفقٍ ولينٍ. والتَّحْضِيض يكون فيه الطَّلَب بشدَّةٍ وحثٍّ وإظهارٍ للقوَّة، والأخيرُ أشدُّ توكيدًا من الأوَّل. وهاتان الجملتان ترتبطان بالتَّغْيِيم ارتباطًا واضحًا؛ إذ إنَّهما يظهران غالبًا في صوت المتكلِّم، فضلًا عن اختياره للألفاظ التي من شأنها تحديد أيِّ المعنيين^(٣).

وحروف العرض والتَّحْضِيض في العربيَّة، هي: لولا، لوما، هلا، ألا، ألا، أما وغيرها^(٤). ولم يرد من هذه الحروف في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم سوى (ألا، أما).

(١) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٤ / ٥٩٨، وينظر: كنز العمال: ١٦ / ١١.

(٢) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٥ / ١٧، وينظر: الكافي: ٢ / ٣٦٠.

(٣) ينظر: الجنى الدَّاني في حروف المعاني: ٣٨٢، ومغني اللَّيْب عن كتب الأعراب: ١ / ٨٢، والنحو الوافي: ٤ / ٣٦٩، والأساليب الإنشائيَّة في النحو العربي: ١٦.

(٤) ينظر: شرح الرُّضي على الكافية: ٤ / ٤٤٢، والجمل في النحو: ٢٤٠-٢٤١، والنحو الوافي: ٤ / ٥١٢، وأساليب الطَّلَب بين النُّحويِّين والبلاغيِّين: ٤٩٨.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم

فأما (ألا)، فتُعدّ من أكثر الأدوات استعمالاً في العرض؛ إذ تكاد أن تتفرد به دون غيرها^(١). ومثال ما وردت فيه (ألا)، ما روي عن أنس عن رسول الله: "أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَقْرَأُ، زَمَزَمَ قِرَاءَتَهُ، إِلَّا أَنَّهُ يُفْهِمُنَا الْآيَةَ بَعْدَ الْآيَةِ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَرْفَعُ صَوْتَكَ بِالْقُرْآنِ، قَالَ: أَكْرَهُ أَنْ أُؤْذِيَ بِهِ رَفِيقِي وَأَهْلَ بَيْتِي"^(٢). نلاحظ في الحديث المبارك وردت الأداة (ألا) وقد أفادت العرض هنا؛ لأنّ الطلب في الحديث الشريف فيه رفقٌ ولين.

وقد تكون (ألا) أداة (استفتاح وتنبيه)، فتكون بأول الكلام بقصد التنبيه إلى ما يليها، والاهتمام بما يجيء بعدها^(٣). ومن الشواهد التي وردت بها (ألا) أداة استفتاح للتنبيه، قوله (ﷺ): "أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ؟ الضَّعِيفُ الْمُسْتَضَعْفُ ذُو الطَّمَرَيْنِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَأَ اللَّهُ قَسَمَهُ"^(٤). نلاحظ أن (ألا) في الحديث المبارك وقعت في بداية الكلام؛ إذ استفتح الرسول ﷺ حديثه بها، وقد أدّت عملاً جوهرياً في النص؛ إذ أكدت مضمون الجملة التي أُستفتحت بها، وعملت على تنبيه المخاطبين، وشدّ انتباههم لما سيقوله الرسول عليه الصّلاة والسّلام^(٥).

وأما ما ورد من شواهد في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم على (أما)، قوله (ﷺ) للإمام عليّ (عليه السّلام) بعد ما آخى الرسول بين المهاجرين والأنصار: "وَاللَّهِ يَا عَلِيُّ. مَا حَبَسْتُكَ إِلَّا لِنَفْسِي، أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ أَخِي وَأَنَا أَخُوكَ، وَأَنْتَ أَخِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَأَنْتَ وَصِيِّي وَوَزِيرِي وَخَلِيفَتِي فِي أُمَّتِي..."^(٦). نلاحظ في قوله المبارك للإمام عليّ (عليه السّلام) قد وردت الأداة (أما)، وقد أفادت معنى العرض، كون السّياق تضمّن طلباً فيه رفقٌ ولين.

(١) ينظر: النّحو الوافي: ٥١٣ / ٤.

(٢) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٦٠٠ / ٤، وينظر: مسند الشّاميين: ٣٠٥.

(٣) النّحو الوافي: ٥١٢ / ٤ في الهامش، وينظر: شرح الرّضوي على الكافية: ٤ / ٤١٢.

(٤) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٥٧١ / ٣، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ٤٤٥ / ٣٨.

(٥) ينظر: شرح الرّضوي على الكافية: ٤ / ٤٢١.

(٦) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٤٥٣ / ٦، وينظر: بحار الأنوار: ٤٤٤ / ٧٥.

ثالثاً: جملة التمني، وجملة الترجي:

إنَّ جملة التَّمَنِّي تمثِّل أسلوباً لغوياً إنشائياً في العربيَّة، وهو أسلوبٌ يتضمَّن طلب تحقيق شيءٍ ما، لا يرجى وقوعه والحصول عليه؛ لكونه مستحيلاً، أو لكون الحصول عليه ممكناً بيد أنه غير مطموح في الحصول عليه^(١).

وقد فرَّق رضي الدِّين الاسترْباذي (٦٨٦هـ) بين التَّمَنِّي والترجِّي بقوله: "وماهية التَّمَنِّي غير ماهية التَّرجِّي، لا أنَّ الفرق بينهما من جهةٍ واحدة، وهي استعمال التَّمَنِّي في الممكن والمحال، واختصاص التَّرجِّي بالممكن؛ وذلك لأنَّ ماهية التَّمَنِّي: محبة حصول الشيء، سواء كنت تنتظره وترتقب حصوله أو لا، والتَّرجِّي: ارتقاب شيءٍ لا وثوقٌ بحصوله"^(٢).

اختلف النحويون في حقيقة هذا الأسلوب اللغوي، فذهب بعضهم إلى أنَّ هذا الأسلوب (إنشاء)، مستدلّين على ذلك بأنَّ (التَّمَنِّي) لو كان خبراً لجاز تصديق وتكذيب قائله. وذهب آخرون إلى أنَّه (إخبار) بدليل قول القائل: (ليت لي داراً)، فإنَّ معناه: (ليس لي دار) أي: أنَّه إخبار^(٣).

أمَّا الأدوات التي تستعمل في تحقيق هذا الأسلوب، فهي (ليت، لو، هل)، و(ليت) أمَّ هذا الباب والأكثر استعمالاً من سائر الأدوات، فقد ذكر النحويون أنَّ معناها (أتمنى)، أمَّا عملها، فهي تدخل على الجملة الاسميَّة، فتعمل النَّصب في المبتدأ، والرفع في الخبر^(٤). ولم يرد من هذه الأدوات في حِكم النبي الأعظم سوى (لو، وليت).

فمن الشواهد التي ورد فيها التَّمَنِّي بـ(ليت)، قوله (عليه السلام) في موعظته لابن مسعود: "يا بن مسعود، أكثر من الصَّالحات والبرِّ؛ فإنَّ المُحسِنَ والمُسيءَ يندمان يقول

(١) ينظر: مفتاح العلوم: ٥٢٩، والنحو الوافي: ١/ ٦٣٥، ومعاني النحو: ١/ ٣٠٣، وجواهر البلاغة: ١٠١.

(٢) شرح الرُّضي على الكافية: ٤/ ٣٣٢.

(٣) ينظر: الصَّاحبي: ١٩٤، وشرح المفصل: ٢٥/ ٧-٢٦.

(٤) ينظر: الكتاب: ٤/ ٢٣٣، والمقتضب: ٤/ ١٠٨، ومعاني الحروف للزمانِي: ١١٣، وشرح المفصل: ٨/ ٨٤.

٨٤، وشرح الرُّضي على الكافية: ٤/ ٣٣٢.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم

المُحْسَنُ: يا ليتني ازدَدْتُ مِنَ الحَسَنَاتِ! ويقولُ المُسِيءُ: قَصَّرْتُ، وتَصَدِّقُ ذلكَ قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾^(١)^(٢)

نلاحظ في الحديث الشريف أنَّ أداة التَّمَنِّي (ليت) وهي أم الباب دخلت على الجملة الاسميّة، فاسمها الضَّمير المتَّصل بها (الياء)، وخبرها الجملة الفعلية الماضويّة (ازدَدْتُ). وقد دلَّت (ليت) في الحديث المبارك على تَمَنِّي حصول المستحيل وهو عودة المحسن إلى دار الدُّنيا، حتّى يزيد في حسناته.

ومن الأحاديث الشريفة التي تضمّنت أداة التَّمَنِّي (ليت)، الحديث المبارك الآتي: "قام أعرابيٌّ إلى رسولِ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، أكلتُما الضَّبْعُ. قال: غيرُ ذلكَ أخوفُ لي عليكم؛ الدُّنيا إذا صُبَّتْ عليكم صَبًّا، فَيَا لَيْتَ أُمَّتِي لَا يَلْبَسُونَ الذَّهَبَ"^(٣).

فالتَّمَنِّي في الحديث الشريف ورد بأداته الأمّ (ليت)، وقد عملت النصب في المبتدأ (أُمَّتِي)، والزفع في الخبر وهو الجملة الفعلية المضارعية (يلبسون الذهب). وقد خرج هذا التَّمَنِّي عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي يدور حول تحذير الأمة من هذا العمل، وترغيبها إلى الزهد بالدُّنيا، وهذا المعنى المجازي يتولّد منه معنى النهي من لبس الذهب^(٤).

ومن الحروف التي أدّت معنى التَّمَنِّي في حِكمِ النَّبِيِّ الأعظم (لو)، وهذه (لو) التي تقع للتَّمَنِّي اختلف النحويون فيها؛ إذ قالوا فيها ثلاثة آراء: "الأول أنها قسم برأسه، فلا تُجاب كجواب الامتناعية... الثاني أنها امتناعية، أُشربت معنى التَّمَنِّي... الثالث أنها مصدرية أغنت عن التَّمَنِّي، لكونها غالبًا لا تقع إلّا بعد مفهم تمنٍّ"^(٥).

فمثال (لو) التي لا تحتاج إلى جواب كجواب الشرط، ما ورد في الحديث المبارك التالي: "رُويَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا كُسِرَتْ رِباعِيَّتُهُ وَشُجَّ وَجْهُهُ يَوْمَ أَحَدٍ، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى

(١) سورة القيامة، آية: ٢.

(٢) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ٥٤٢/٣، وينظر: بحار الأنوار: ١٠٤/٧٧.

(٣) حكم النَّبِيِّ الأعظم: ١٦٣/٧، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ٤٣٣/٣٥.

(٤) ينظر: مفتاح العلوم: ٥٢٩.

(٥) الجنى الداني في حروف المباني: ٢٨٩، وينظر: شرح ابن عقيل: ٢٣/٤-٢٤، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٢٩٥-٢٩٦.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

أصحابه شقاً شديداً، وقالوا: لو دعوت عليهم، فقال: إني لم ابعث لعاناً ولكني بعثت داعياً ورحمةً، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون^(١). نلاحظ في الحديث المبارك أستعملت أداة التمني (لو)، والملاحظ في هذا الموضع أنها لم تحتج إلى جواب كجواب الشرط، وهذا تأييد لمذهب النحويين القائل بأنها قسم مستقل غير محوج لجواب.

أمّا ورود (لو) شرطية مشربة معنى التمني، فمثالها فيما روي عن النعمان بن بشير "سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب فقال: أنذرتكم النار! أنذرتكم النار! أنذرتكم النار! فما زال يقولها حتى لو كان في مقامي هذا لسمعه أهل السوق..."^(٢). وأيضاً وفي قوله (عليه السلام): "لو بعثت إليهم فنهيتهم أن يأتوا الحجون لأتاه بعضهم، وإن لم يكن له به حاجة"^(٣).

نلاحظ في الحديثين الشريفين استعمال أداة التمني (لو) في موضعين (لو كان في مقامي...)، و(لو بعثت إليهم...). وقد احتاجت إلى جواب، فجاء جوابها في الموضعين كليهما فعلاً ماضياً مقترناً باللام. وهذا ما يعضد الرأي الثاني من أن (لو) شرطية أشربت معنى التمني.

أمّا أسلوب الترجي، فهو أسلوب لغوي يطلب به الشيء المحبوب المستقرب حصوله، والأدوات التي يؤتى بها لأداء هذا الأسلوب هي: (لعل، عسى، حرى، اخلوق)، وتعد (لعل) الأكثر استعمالاً في هذا الأسلوب اللغوي^(٤).

ولم يرد في حكم النبي الأعظم سوى (لعل، وعسى)، أمّا (لعل)، فهي كـ(أن) حرف مشبهة بالفعل تعمل في المبتدأ النصب وفي الخبر الرفع، يقول سيبويه (١٨٠هـ) فيها: "وإذا قلت (لعل) فأنت ترجوه أو تخافه في حال ذهاب. فلعل وأخواتها قد عملن فيما بعدهن عملين: الرفع والنصب"^(٥).

(١) حكم النبي الأعظم: ٥ / ٥٢٨ ، وينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ٢ / ١٠٤.

(٢) حكم النبي الأعظم: ٤ / ٣٧ ، وينظر: سنن الدرامي: ٢ / ٣٣٠.

(٣) حكم النبي الأعظم: ٤ / ٦٣٢ ، وينظر: كنز العمال: ١٦ / ١٢٣ ، (والحجون جبل بمكة) ينظر: لسان العرب: ٣ / ٦٩ (حجن).

(٤) ينظر: المقتضب: ٣ / ٧٣ ، والمفصل في صناعة الإعراب: ٤٠٠ ، وقطر الندى: ١٤٩.

(٥) الكتاب: ٢ / ١٤٨ ، وينظر: شرح المفصل: ٨ / ٨٦-٨٧ ، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١ / ٣١٥.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

ومثال ما ورد منها في حكم النبي الأعظم، قوله (عليه السلام): "ما يمنح المؤمن أن يتخذ أهلاً، لعل الله أن يرزقه نسمة تثقل الأرض بلا إله إلا الله"^(١). نلاحظ في الحديث المبارك استعمل الرسول (عليه السلام) (لعل) طلباً للأمر المستقرب حصوله، وهو الرزق بعد الزواج. وقد تكون (لعل) في هذا الموضع هي لتحقيق مضمون الجملة التي دخلت عليها^(٢)، أمّا عملها فقد دخلت على الجملة الاسمية، فاسمها في الحديث المبارك اسم ظاهر وهو (لفظ الجلالة)، وخبرها المصدر المؤول (أن يرزقه نسمة). وهذا الحديث خلاف لما ذكره المبرد (٢٨٥هـ) من أن الأحسن في خبر (لعل) أن يكون بغير (أن)؛ كونه خبر ابتداءً، وذكر أن مجيء الخبر مقترناً بـ(أن) محصور بالشعر، بقوله: "فإن قال قائل في الشعر: لعل زيداً أن يقوم، جاز"^(٣).

وما ذكره المبرد من حصر خبر (لعل) المقترن بـ(أن) بالشعر ليس بصحيح، ويفتده حديث رسول الله (عليه السلام)؛ إذ ورد خبر (لعل) مقترناً بـ(أن)، وكلامه (عليه السلام) خير ما يُستشهد به بعد كلام الله عز وجل.

وقد ورد خبر (لعل) جملة فعلية مضارعية في قوله (عليه السلام) لأبي ذر: "رُر القُبور تذكُر بها الآخرة، وأغسل الموتى؛ فإنَّ مُعالِجةَ جسدِ خاوٍ مَوْعِظَةٌ بليغةٌ، وصلِّ على الجنائز لعلَّ ذلك يحزُنُك؛ فإنَّ الحزين في ظلِّ الله يومَ القيامةِ"^(٤). فاسم (لعل) في الحديث الشريف اسم الإشارة (ذلك)، وخبرها الجملة الفعلية المضارعية (يحزُنُك). ولا أرى في هذا الحديث أن (لعل) أدت معنى التَّرجي المحض، فلم يكن هذا الأسلوب طلباً للحزن بقدر ما هو تحضيض على أن يكون الإنسان في حذرٍ من غفلة الدنيا ومتاعها الزائل؛ إذ ينبغي عليه أن يبقى في حزنٍ وتفكيرٍ بالموت وما يقدمه للآخرة، والله أعلم.

وأما أداة التَّرجي الثانية الواردة في حكم النبي الأعظم، فهي (عسى)؛ إذ تفيد هذه الأداة ما تفيد (لعل) من معنى، يقول سيبويه (١٨٠هـ): "(لعل) و(عسى): طمعٌ

(١) حكم النبي الأعظم: ٤ / ١٣١، وينظر: من لا يحضره الفقيه: ٣ / ٣٨٢.

(٢) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٤ / ٣٣٣.

(٣) ينظر: المقتضب: ٣ / ٧٤.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٢ / ٤٧٦، وينظر: المستدرک على الصحيحين: ٤ / ٣٦٦.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

وإشفاق^(١)، وقد ذكر ابن هشام (٧٦١هـ) أن معنى (عسى) الترجي في الأمر المحبوب، والإشفاق في الأمر المكروه^(٢). وعسى على ضربين: الأول أن تكون ناقصة فتعمل عمل كان وأخواتها، والثاني أن تكون تامة فعندئذ ترفع فاعلاً، وذلك عند إسنادها إلى مصدر مؤول من (أن والفعل المضارع)، والأخير هو الأكثر في الاستعمال^(٣).

فمن الشواهد التي وردت فيها (عسى) ناقصة في حكم النبي الأعظم، قوله (ﷺ): "ألا هل عسى رجل منكم أن يتكلم بالكلمة يضحك بها القوم فيسقط بها أبعده من السماء"^(٤). نلاحظ في الحديث المبارك وردت (عسى) ناقصة، فاسمها الذي ارتفع بها (رجل). أمّا خبرها، فهو المصدر المؤول (أن يتكلم).

أمّا ما ورد من (عسى) تامة في حديثه المبارك، فيمثل قوله (ﷺ): "يَهُمُّ الْعَبْدُ بِالْحَسَنَةِ فَيَعْمَلُهَا، فَإِنْ هُوَ لَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ حَسَنَةً بِحُسْنِ نِيَّتِهِ، وَإِنْ هُوَ عَمِلَهَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَشْرًا، وَيَهُمُّ بِالسَّيِّئَةِ أَنْ يَعْمَلَهَا فَإِنْ لَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَإِنْ هُوَ عَمِلَهَا أَجَلَ سَبْعِ سَاعَاتٍ، وَقَالَ صَاحِبُ الْحَسَنَاتِ لَصَاحِبِ السَّيِّئَاتِ وَهُوَ صَاحِبُ الشِّمَالِ: لَا تَعَجَلْ عَسَى أَنْ يُتْبِعَهَا بِحَسَنَةٍ تَمْحُوهَا؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾"^(٥) (٦).

فـ(عسى) في الحديث الشريف وردت تامة، وقد أسندت إلى المصدر المؤول من (أن) والفعل المضارع (أن يتبعها)، وهو في موضع رفع فاعل لـ(عسى) التامة. إنَّ الملاحظ على أسلوب التمني والترجي في الحديث الشريف أنهما أقلّ أساليب الطلب وروداً؛ ولعلّ السبب وراء هذه القلة متعلقاً بمقام النبوة، وبطبيعة الخطاب النبوي؛ إذ إنَّ من غير الحكمة أن يطغى أسلوب التمني على حديثه (ﷺ) وهو حديث تشريعي تربوي للأمة.

(١) الكتاب: ٢٣٣ / ٤.

(٢) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ١ / ١٧٢.

(٣) ينظر: المقنضب: ١ / ٦٨، وشرح ابن عقيل: ١ / ١٥١، والنحو الوافي: ١ / ٦٢٢-٦٢٣.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٧ / ٤٩٦، وينظر: الترغيب والترهيب: ٣ / ٥٣٧.

(٥) سورة هود، آية: ١١٤.

(٦) حكم النبي الأعظم: ٥ / ٥٨٨، وينظر: الكافي: ٢ / ٤٢٩.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

ولأنَّ الرِّسالة الإلهية أخبارٌ ووعدٌ وتحذيرٌ؛ فقد خلا كلامه (ﷺ) من التَّمَنِّي والترجِّي الذي يظهر الرِّغبة الشَّخصية؛ لأنَّ إظهار تلك الرِّغبة التي تتعلَّق بالأمور المحال نيلها يمسُّ بمقام النُّبوة. فكلَّ ما ورد من شواهد يدور التَّمَنِّي في معظمها نحو النَّصح والإرشاد للأمة.

رابعاً: جملة الإغراء والتحذير:

وهذان الأسلوبان اللُّغويان من الأساليب المهمة في العربية، ويقصد بالإغراء "أمر المخاطب بلزوم ما يحمّد"^(١). أمَّا التحذير، فهو "تنبيه المخاطب على أمرٍ يجب الاحترازُ منه"^(٢).

لم يكن هذا الباب ببعيدٍ عن دراسة النحويين؛ إذ عقد سيبويه (١٨٠هـ) باباً في كتابه يخصُّ به هذا الأسلوب اللُّغوي، يقول فيه: "هذا باب ما جرى من الأمر والنهي على إضمار الفعل المستعمل إظهاره إذا علمت أنَّ الرجل مُستغن عن لفظك بالفعل"^(٣). تكلم فيه سيبويه عن هذا الأسلوب اللُّغوي؛ إذ قال فيه عن التحذير: "وأمَّا النهي، فإنَّه التحذير، كقولك: الأسدَّ الأسدَّ، والجدارَ الجدارَ، والصَّبِيَّ الصَّبِيَّ، وإنَّما نهيتُه أن يَقْرَبَ الجدارَ المَخوفَ المائلَ، أو يَقْرَبَ الأسدَّ، أو يوطئ الصَّبِيَّ. وإن شاء أَظْهَرَ في هذه الأشياء ما أضمر من الفعل"^(٤).

يقوم هذان الأسلوبان على أركانٍ ثلاث، أولهما (المُغْري/ المُحذِّر) وهو المتكلم، والثاني (المُغْري/ المُحذِّر) وهو المُخاطَب الذي يتلقَّى هذا الكلام، والثالث (المُغْري به/ المُحذَّر منه) وهو الأمر (المرغوب/ المكروه) الذي يُراد من المتلقِّي الإقبال عليه أو تجنُّبه^(٥). و (المُغْري به/ والمُحذَّر منه) في الأسلوبين كليهما يأتيان على ثلاث صور: ١- مفرد: نحو (الصَّلاة، السَّيل) ٢- المكرَّر: نحو (الصَّيَامَ الصَّيَامَ، النَّارَ النَّارَ)، ٣- المعطوف عليه: نحو (الصَّلاة والصَّيَامَ، النَّارَ والسَّيلَ)^(٦).

و(المُغْري به/ والمُحذَّر منه) إن كان مفرداً يكون منصوباً بفعلٍ جائز الإضمار أو الإظهار. وإن كان معطوفاً أو مكرَّراً وجب إضمار الفعل. وقد تميَّز التحذير من نظيره

(١) شرح ابن عقيل: ٣/ ١٣٦، وينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ١٩٢، والنحو الوافي: ٤/ ١٣٦.

(٢) شرح ابن عقيل: ٣/ ١٣٥، وينظر: همع الهوامع: ٣/ ٢٧-٢٨، وفي النحو العربي نقد وتوجيه: ٢١٣.

(٣) الكتاب: ١/ ٢٥٣، وينظر: المقتضب: ٣/ ٢١٢، والجمل في النحو: ٢٤٤.

(٤) الكتاب: ١/ ٢٥٣.

(٥) ينظر: النحو الوافي: ٤/ ١٢٦، والنحو المصقَّى: ٤٢٥.

(٦) ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ١٩٢، وهمع الهوامع: ٣/ ٢٧-٢٨.

الباب الثاني..... بناء الجملة في حكم النبي الأعظم

بأنه خُصَّ بالضمير (إياك) وأخواته؛ إذ استعمل للتحذير، وهو مفعولٌ به لفعلٍ واجب الإضمار، سواءً أكان مفردًا أم معطوفًا أم مكرّرًا^(١).

وقد ورد عددٌ من الشواهد في حكم النبي الأعظم على هذا الأسلوب، منها في قوله (عليه السلام): "مَنْتُكُمْ أَيْتُهَا الْأُمَّةُ كَمَثَلِ عَسْكَرٍ قَدْ سَارَ أَوْلَهُمْ وَنُودِيَ بِالرَّحِيلِ، فَمَا أَسْرَعَ مَا يَلْحَقُ آخِرُهُمْ بِأَوَّلِهِمْ! وَاللَّهِ، لَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَنَفْحَةِ أَرْنَبٍ، الْحَدَّ الْحَدَّ عِبَادَ اللَّهِ! وَاسْتَعِينُوا بِاللَّهِ رَبُّكُمْ"^(٢).

نلاحظ أن في الحديث الشريف أسلوبَ إغراء، فالمُغري رسول الله (عليه السلام)، والمُغرى (عباد الله) وهو في الأصل منادى حُذفت عنه أداة النداء. أمّا المُغرى به، فهو (الحدّ)، وقد ورد مكرّرًا، وعامله محذوف وجوبًا تقديره (الزموا الحدّ).

ومن جملة تلك الشواهد، ما ورد عن أبي الحمراء، قوله: "إِنَّ النَّبِيَّ (عليه السلام) كَانَ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ يَمُرُّ بَبَيْتِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ عَلَيْهِمَا السَّلَامَ، فَيَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ، الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ ﴿لِنَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾"^(٣)^(٤).
فالمغري به في الحديث الشريف (الصلاة)، وقد جاء بصورة مكرّرة، وهو كالمثال السابق مفعولٌ به لفعلٍ محذوفٍ وجوبًا تقديره: (الزموا الصلاة).

وقد ورد التحذير بالضمير (إياك) كثيرًا في حديثه المبارك، منها في قوله (عليه السلام): "إِيَّاكُمْ وَفُضُولَ النَّظَرِ؛ فَإِنَّهُ يَبْذُرُ الْهَوَى، وَيُوَلِّدُ الْغَفْلَةَ"^(٥). نلاحظ قد ورد في الحديث الشريف أسلوب التحذير بالضمير (إياكم)، وهو المُحذّر، وحُكمه النَّصب بفعلٍ محذوفٍ وجوبًا. أمّا المُحذّر منه، فهو (فضول النظر) وهو اسمٌ معطوفٌ على الضمير المنفصل (إياك).

(١) ينظر: شرح ابن عقيل: ١٣٥/٣-١٣٦.

(٢) حكم النبي الأعظم: ٤/٦٩، وينظر: كنز العمال: ١٥/٧٩٧.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٣.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٣/٧٩، وينظر: أسد الغاية: ٦/٧٤.

(٥) حكم النبي الأعظم: ٧/٥٣٥، وينظر: بحار الأنوار: ٧٢/١٩٩.



الباب الثالث

بناء النصّ في حكم النّبيّ
الأعظم

الفصل الأوّل

معياري الاتّساق والانسجام

الفصل الثّاني

القصدية والمقامية
والمقبولية

الفصل الثالث

معياري التّناسّ والإعلامية



الباب الثالث

بِنَاء النَّصِّ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

توطئة :-

إنَّ الأهميّة اللّغويّة للنّصّ بصفته الوحدة اللّغويّة الأكبر، لا يمكن تجاوزها أو الاستغناء عنها؛ لأنّ النّصّ عنصرٌ مهمٌّ وجوهريٌّ في بناء اللغة. فالبناء اللّغويّ الذي كنّا في صددّه، وتناولنا فيه بناء الكلمة وبناء الجملة، أرى أنّه لا يكتمل دون دراسة النّصّ بوصفه الوحدة اللّغويّة الكبرى. ولذلك فإنّ دراسة النّصوص لا يمكن فصلها عن باقي أجزاء البناء اللّغويّ، فالنّصّ ليس مجموعةً من المفردات والجمال المرصوفة؛ بل هو استيعابٌ شاملٌ لكلِّ جزئيةٍ لغويّةٍ يمكن إدخالها في النّصّ؛ إذ إنّ مفردات المعجم ما هي إلّا جثثٌ هامدةٌ خاليةٌ من روح النّصيّة، ودخولها في عالم النّصّ هو من يبعث الحياة فيها. وهذان أحدهما عند إصابته بالحمل لا يمكن اعتباره نصًّا متماسكًا؛ لأنّه خالٍ من معايير النّصيّة.

اختلفت نظرة اللّغويين إلى مفهوم النّصّ وماهيته، باختلاف اتجاهاتهم اللّغويّة؛ "إذ إنَّهم استندوا إلى نظريّات المدارس اللّغويّة السّابقة، ثمّ أدخلوا بعض التّعديلات التي تميزها على المبادئ الأصليّة، وهذا يؤكّد عمق الصّلة بينها وبين نظريّات النّصّ بوجهٍ عامٍّ"^(١).

فالنّصّ عند فان دايك "بنيةٌ سطحيّةٌ توجّهها وتحفّزها بنيةٌ عميقةٌ دلاليّةٌ"^(٢). أي أنّ لكلّ نصٍّ بنيةً سطحيّةً ظاهرةً، متمثّلة بالجمال المرصوفة المرتبطة فيما بينها، وبنيةً عميقةً غير ظاهرةٍ (جوهر النّصّ) متمثّلة بالأفكار والمعاني والعلاقات المنطقيّة التي تربطها فيما بينها داخل النّصّ. وأنّ إدراك هذه البنية العميقة يسير بنا إلى فهم النّصّ، ومن ثمّ يتبيّن لنا أنّ لكلّ نصٍّ هيكلًا داخليًّا أو خطّةً يسير عليها في عرض الأفكار^(٣).

(١) علم لغة النّصّ المفاهيم والاتجاهات: ٧٦-٧٧.

(٢) مدخل إلى علم النّصّ مشكلات بناء النّصّ، زتسيسلاف، ترجمة سعيد حسن بحري: ٥٦.

(٣) ينظر : المصدر نفسه: ٥٦.

ومنهم من نظر للنص نظرة بنيوية محضة؛ إذ حدّ هاريس النصّ "بأنّه تتابع من جملٍ كثيرة ذات نهاية"^(١). وفي هذا الحدّ تضيقٌ شديدٌ لمفهوم النصّ؛ إذ إنّهُ حصر المفهوم بظاهر النصّ فقط.

أمّا هبلنش، فقد أكّد على التماسك النصّي وصرّح بأنّ النصّ هو "تتابع متماسك من الجمل على نحوٍ أدقّ من الوحدات النصّية"^(٢). وأكّد هذا التماسك هاليداي ورقية حسن في رؤيتهما لمفهوم النصّ، فكانت نظرتهما إليه "مبنيةً على فكرة التماسك أو الارتباط: تشكّل كلّ متتالية من الجمل نصّاً، شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات، أو على الأصحّ بين بعض عناصر هذه الجمل علاقات، تتمّ بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة أو جملة لاحقة، أو بين عنصر بين متتالية برمتها سابقة أو لاحقة"^(٣).

بيد أنّنا نجد هلمسليف نظر إلى النصّ نظرة مغايرة؛ إذ "يأخذ هلمسليف كلمة «نصّ» في معناها الواسع، ويشير بها إلى أيّ ملفوظ، منطوقاً كان أو مكتوباً، طويلاً أو مختصراً، جديداً أو قديماً"^(٤).

ونجد جوليا كرسيفا نظرت إلى النصّ بمنظارٍ سيميائيّ إنتاجيّ، فالنصّ في منظارها إنّما هو "جهازٌ عبر لسانيّ يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الرّبط بين كلامٍ تواصليّ يهدف إلى الأخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه، والمتزامنة معه. فالنصّ إذن إنتاجيّة"^(٥). والملاحظ على كرسيفا أنّها أخرجت النصّ من مفهومه الشّكلانيّ المغلق، وألقت به في فسحة التّاريخ والمجتمع. فقد سلّطت الأضواء بنظرتها السيميائيّة على علاقة النصّ بالنصوص الأخرى (التّناص)^(٦).

وأما شميث، فقد نظر إلى النصّ نظرةً وظيفيّةً تواصليةً. بوساطة الحدّ الذي قدّمه؛ إذ حدّ النصّ بأنّه: "كلّ جزءٍ لغويّ منطوقٍ من فعل التّواصل في حدث التّواصل، يحدّد

(١) مدخل إلى علم النصّ مشكلات بناء النصّ، زتسيسلاف، ترجمة سعيد حسن بحري: ٥٤.

(٢) المصدر نفسه: ٥٤.

(٣) التّرابط النصّي في ضوء التحليل اللّسانيّ للخطاب : ٢٨.

(٤) مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه : ٢٠ ، وينظر: مدخل إلى علم النصّ مشكلات بناء النصّ: ٥٣.

(٥) علم النصّ، جوليا كرسيفا، ترجمة فريد الزّاهي: ٢١.

(٦) ينظر: مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه: ٢٣.

من جهة الموضوع، وفي بوظيفة تواصلية يمكن تعرفها أي يحقق كفاءة إنجازية يمكن تعرفها^(١). يتضح من هذا أن شميث أكد على أن لكل نص وظيفة تواصلية. فقد اهتم "بإدخال عوامل توليدية - تداولية إلى جانب العوامل اللغوية، وربط بين مفهومي النص والحدث الاتصالي"^(٢).

ثم يصف لنا روبرت دي بوجراند النص بقوله: "قد يكون النص أكثر من كلمة واحدة، وقد يتألف من عناصر ليس لها ما للجملة من الشروط مثلاً علامات الطرق، والإعلان، والبرقيات، ونحوها"^(٣). كما جمع بوجراند في نظريته إلى النص بين المفهومين البنيوي والتواصلية فالنص عنده "يعد حالة تواصلية تحادثية تحقق سبعة معايير لسمات النص، وفي حالة عدم تنفيذ أي من هذه المعايير فلا يعد النص نصاً تواصلياً"^(٤). أي أن النص محكوماً بعدد من المعايير، وهذه المعايير هي من تصقل النص بصفة الشمولية والتكامل، وهي من تلبسه رداء النصية أو تجرده من ذلك الرداء.

يتداخل مع مفهوم النص مصطلح آخر وهو الخطاب، فقد تعددت رؤية اللغويين إليهما. فمنهم من ذهب إلى أن النص مرتبط بالوظيفة النصية، ودراسة النظام الداخلي للنص. والخطاب مرتبط بالوظيفة التواصلية أي علاقة النص بالمحيط الخارجي، من حيث اتصاله بمتلقي النص^(٥).

ومنهم من ميز بينهما على أساس الشفاهي والكتابي. فالخطاب هو الجزء الشفوي والنص هو الجزء المدون^(٦).

وفيما أرى أن لا فرق بينهما، سوى أن الخطاب أعم من النص، فكلاهما يدلان على مفهوم واحد، فدراسة البنية النصية، ودراسة السياق الداخلي للنص، وتسليط الضوء على

(١) مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص: ٥٨.

(٢) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ٨٠.

(٣) النص والخطاب والإجراء: ٩٧.

(٤) النص والخطاب، شتيفان، هابشايد، ترجمة موفق جواد المصلح: ٤٥.

(٥) ينظر: لسانيات النص والخطاب الشعري دراسة في شعر محمد الماغوط: ١٨٨.

(٦) ينظر: نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال: ٦٠.

القواعد المنظمة لبناء النصّ، لا يمكن فصلها عن المحيط الخارجي، أي دراسة علاقة النصّ بظروف الإنتاج المحيطة بالنصّ، وعدم الفصل بين النصّ والوظيفة التواصلية له، فقد أكد بوجراند على عدم فصل النصّ عن الظروف المحيطة به، يقول في ذلك : "ينبغي للنصّ أن يتّصل بموقف يكون فيه، تتفاعل فيه مجموعة من المراكز والنوّعات والمعارف، وهذه البيئة الشّاسعة تسمّى سياق الموقف"^(١) .

ومن المفيد أن نشير إلى أنّ دراسة النصّ بوصفه الوحدة اللّغويّة الكبرى لا يعني مغادرة دراسة نحو الجملة، أو الاستغناء عنها، بل أنّ دراسة نحو الجمل هي بداية الطريق للوصول إلى دراسة النصّ كاملاً؛ "لأنّ الوصول إلى المعنى الكلّي يقتضي تجاوز الجملة إلى وحدة أكبر وهي النصّ وذلك بتوظيف الآليات النّحويّة في الرّبط بين أجزائه لما للنّحو من أهميّة كبيرة في تشكيل المعنى"^(٢) .

والفرق بين نحو الجملة ونحو النصّ، أنّ نحو الجملة يدرس الجملة ذاتها، وقد يرتبط بالمعنى فقط، أو بالشكل فقط، أو بكليهما الشّكل والمعنى. أمّا نحو النصّ، فيتناول النصّ كاملاً، فينظر إليه بنظرة الانسجام والتّرابط، مكوناً من وحدات لغويّة محكومة بمجموعة من المعايير، وهذه الوحدات اللّغويّة يمكن تحليلها إلى وحدات أصغر^(٣). وإنّ الجملة تصنّف إلى أنواع متعددة: اسميّة، فعليّة، بسيطة، مركّبة... الخ، بحسب المعايير اللّغويّة التي يعتمدها الباحث في تصنيف تلك الجمل. ولكن في النصّ يكون المضمون هو المعيار الوحيد في التّصنيف، فتصنّف النّصوص إلى تعليميّة، قانونيّة، فلسفيّة... الخ^(٤) .

(١) النصّ والخطاب والإجراء: ٩١.

(٢) آليات التماسك النصّي في إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة لمطصفي الرّافعي أنموذجاً (أطروحة دكتوراه)، منور عائشة: ٣١.

(٣) ينظر: نسيج النصّ: ١٥ ، والنصّ والخطاب والإجراء: ٨٩-٩٠ ، ومدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه: ٧٦-٧٧.

(٤) ينظر: نسيج النصّ: ١٧.

الفصل الأول

معياري الاتساق والانسجام

المبحث الأول

معيار الاتساق

أولاً: مفهوم الاتساق النصّي

يُعَدُّ الاتساق عنصراً جوهرياً مهماً في تشكيل بنية النصّ وتفسيره؛ إذ يمثل أهمّ معياراً من معايير النصّيّة، وترجع تلك الأهميّة إلى أنّ الاتساق يقوم بعملٍ جوهريّ في النصّ بوساطة الرّبط بين الجمل داخل النصّ الواحد، فكلّ جملةٍ تحتوي على وسائل ربط تربطها بالجمل السّابقة واللاحقة لها. وأنّ إقصاء النصّ من هذا العنصر الجوهريّ يودّي إلى دفع النصّ نحو الإبهام والغموض وعدم الوضوح. فمن خلال وسائل الرّبط يتحقّق للنصّ الفائدة، ويتّسم بالوضوح، والتّماسك بين أجزائه، ويحافظ النصّ على وحدته واستقراره واستمراريّة أفكاره^(١).

عرض دي بوجراند حدّين للاتّساق النصّي. الأوّل بقوله: "وهو يترتّب على إجراءات تبدو بها العناصر السّطحيّة على صور وقائع يودّي السّابق منها اللاحق بحيث يتحقّق لها التّرابط الرّصفيّ، وبحيث يمكن استعادة هذا التّرابط"^(٢)، وعرض في موضعٍ ثانيّ، متمّماً للأوّل بقوله: "أريدُ بالتّابع الرّصفيّ أن أشير إلى نشاط وكلّ إجراء غايته رصف عناصر اللّغة في ترتيب نسقيّ مناسب، بحيث يمكن للكلام، أو الكتابة، أو السّماع، أو القراءة، أن تتمّ في توالٍ زمنيّ"^(٣).

يشترط في الاتساق أن يكون هنالك ترابط وتفاعل بين أجزاء النصّ، وذلك التّرابط لا يكون إلّا بوسائل لغويّة شكلية، نحويّة ومعجميّة، على أنّ تفاعل وترابط الوسائل

(١) ينظر: نظريّة علم النصّ: ٨٠، وعلم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات: ١٤٥، ومدخل إلى علم لغة النصّ:

٧١، ومدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه: ٨٨.

(٢) النصّ والخطاب والإجراء: ١٠٣.

(٣) المصدر نفسه: ٢٩٩.

النحويّة والمعجميّة داخل النصّ هي من تحقّق ذلك الاتّساق، ومن ثمّ تؤدّي إلى ثبات واستمراريّة النصّ^(١).

ومن المفيد أن نشير إلى أنّ كثافة هذه الروابط والوسائل وقربها فيما بينها وتضافرها لتشكيل وحدة لغويّة واحدة، تزيد من الترابط والتماسك بين أجزاء النصّ^(٢).

إنّ للاتّساق أهميّة جوهريّة في بناء النصّ. فضلاً عن أنّه يعمل على ترابط النصّ. فإنّه يعمل أيضاً على ملء فجوات النصّ. فالذي يتلقّى النصّ سواء كان ذلك النصّ منطوقاً أم مكتوباً يدرك روابط النصّ والعلاقات بين أجزائه، ثم يتّخذها منطلقاً للتفاعل مع النصّ، وهذا التفاعل يسير به إلى ملء الفجوات داخل النصّ^(٣).

كما يعود الفضل للاتّساق في تحقيق الاقتصاد اللغويّ في بناء النصّ؛ إذ "يلعب الرّبط اللفظي دوراً هاماً في عمليّة بناء النصّ، وتنظيم بنية المعلومات داخله، كما يسمح للكاتب أن يكون مقتصدًا"^(٤).

إضافة إلى ذلك أنّ الاتّساق يعمل على تحقيق الكفاءة داخل النصّ، وهذه الكفاءة تتمثّل بتوفير أكبر قدر ممكن من المعلومات بأقلّ كمّيّة من وسائل الرّبط عند بناء النصّ^(٥).

ميّزت عرّة شبل بين الاتّساق اللفظي (الرّبط اللفظي) والاتّساق المعنوي (الرّبط الدلالي) للنصّ. فالأول يكون في البنية السّطحيّة للنصّ، ويتمّ من وسائل ربط داخل النصّ، التي تعمل على زيادة الترابط والاتّساق في فضائه. أمّا الثاني (التماسك المعنوي)، فهو أنّ ترتبط جمل وفقرات النصّ أي هيكلية النصّ بتتابع منطقيّ للأفكار والمعاني، وهذا التّابع المنطقيّ يقيمه القارئ عند قراءته لأيّ نصّ متكامل ومنسجم انسجاماً تامّاً. وهذا يدلّ على أنّ التماسك المعنويّ يمثّل إدراك ومعرفة متبادلة بين النصّ والقارئ^(٦).

(١) ينظر : لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام النصّ : ٥.

(٢) ينظر: نظريّة علم النصّ : ٨١.

(٣) ينظر : مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه : ٨٧-٨٨.

(٤) علم لغة النصّ النظريّة والتّطبيق : ٩٩.

(٥) ينظر: النصّ والخطاب والإجراء : ٢٩٩.

(٦) ينظر: علم لغة النصّ النظريّة والتّطبيق : ١٠٠.

ثانياً: وسائل الاتساق النصية:

إنَّ وسائل الاتساق النصية التي عن طريقها يتحقّق الاتساق في النصوص هي كالآتي:-

١- الاتساق الصوتي ويشمل: السجع، الجناس، التّغيم، القافية؛ ولأنّ دراستنا تتعلّق بنصوصٍ نثرية مدوّنة لم نقف على الكيفية التي نُطقت بها، نستبعد التّغيم والقافية من مضمّار بحثنا.

٢- الاتساق النّحويّ ويشمل: الإحالة، الحذف، الاستبدال، الوصل.

٣- الاتساق المعجميّ ويشمل: التكرار، المصاحبة المعجمية.

١- الاتساق الصوتي:

يُعَدُّ المستوى الصوتيّ عنصراً مهمّاً في الدّراسات اللّغويّة، ولا سيّما في اللّسانيّات النصّية. وإقصاء هذا العنصر اللّغويّ الفعّال عند تناول اللّغة يعني إغفال جانبٍ مهمٍّ وجوهريٍّ من العناصر المكوّنة للّغة؛ إذ "إنّ الأصوات هي اللّبنات التي تشكّل اللّغة، أو المادّة الخام التي تبنى منها الكلمات والعبارات. فما اللّغة إلّا سلسلة من الأصوات المتتابة، أو المتجمعة في وحدات أكبر ترتقي حتّى تصل إلى المجموعة النّفسية . وعلى هذا فإنّ أي دراسة تفصيليّة للّغة ما، تقتضي دراسة تحليليّة لمادّتها الأساسيّة، أو لعناصرها التّكوينيّة، وتقتضي دراسة تجمعاتها الصوتيّة"^(١).

يقوم الاتساق الصوتيّ بربط جمل النصّ فيما بينها بالاعتماد "على وجود عناصر صوتيّة تشبع جواً من التّوحد السّمعيّ بين جمل النصّ عند القارئ، عن طريق تكرار نفس المقاطع الصوتيّة بإيقاعٍ منتظمٍ على مسافاتٍ ثابتة. ويجعل هذا الانتظام الإيقاعيّ جمل النصّ تبدو للوهلة الأولى مترابطة، فيؤدّي هذا إلى قبولها مبدئياً من القارئ. إلّا أنّ السّبك الصوتيّ يظلّ عاملاً مساعداً يشترك مع العوامل الأخرى المعجميّة والتّركيبية والدّلالية في إظهار نصيّة النصّ"^(٢).

(١) دراسة الصوت اللّغويّ: ٤٠١.

(٢) نظرية علم النصّ : ٨١.

وقد نوّه دي بوجراند لأهميّة تناول المستوى الصّوتيّ في الدّرس اللّسانيّ النَّصّيّ بقوله: "إنّ تنظيم الوحدات الصّوتية والصّرفيّة من وجهة نظر لسانيات الاستعمار ليس من الأمور الهيئّة"^(١).

إنّ الاتّساق الصّوتيّ يقوم بعملٍ جوهريّ في تماسك النَّصِّ، بوساطة ربط النَّصِّ عن طريق تجانس الأصوات فيما بينها، وكذلك عن طريق أسس موسيقيّة متمثّلة بالإيقاعات المختلفة داخل النَّصِّ. والإيقاع "هو عبارة عن رجوع ظاهرة صوتيّة ما على مسافات زمنيّة متساوية ومتجاوبة"^(٢).

إنّ التّوازن الإيقاعيّ داخل النَّصِّ يؤدّي "إلى المساعدة في ربط النَّصِّ على مستويين: المستوى الأوّل: يخصّ المتكلّم؛ حيث إنّ التّوازن الإيقاعيّ هو لا شعوريّاً إدراج العنصر الأوّل من التّوازن في العنصر الثّاني، أما المستوى الثّاني، فيخصّ المتلقّي حيث يمثّل التّوازن الإيقاعيّ وسيلة ربط موسيقيّة توحد بين العنصرين المتوازنين، أو في أقلّ تقدير يكون اللّجوء إلى التّوازن الإيقاعيّ عاملاً للفت انتباه المتلقّي يؤدّي إلى جذبه، أو وصله بالنّصّ الملقي"^(٣).

ومن المفيد أن نشير إليه أنّ الإيقاع الذي ذُكر لا نتناوله في دائرة الشّعور والعروض، وإنّما سنتناوله في دائرة النّثر؛ لتسليط الضّوء على بعدين صوتيّين في حِكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ، أحدهما السّجع، والآخر والجناس؛ لما لهما من دورٍ في انسجام وترابط البنية النَّصّيّة؛ إذ إنّ الإيقاع يمثّل "المظهر الصّوتيّ لتماسك عناصر الإطار الواحد"^(٤).

إنّ لهذين البعدين السّجع والجناس أهميّة لا تقتصر على الجانب الصّوتيّ فحسب، وإنّما هناك أهميّة دلاليّة يحملها النَّصِّ في تضاعيفه، يقول عبد القاهر الجرجانيّ (٤٧١هـ): "وعلى الجملة فإنّك لا تجد تجنيساً مقبولاً، ولا سجعاً حسناً، حتّى يكون

(١) النَّصِّ والخطاب والإجراء: ١٣٦.

(٢) في الميزان الجديد: ٢٥٧.

(٣) إشكاليات النَّصِّ: ٤١٨.

(٤) نظريّة علم النَّصِّ: ١١٧.

الباب الثالث..... بِنَاء النَّصِّ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوّه، وحتىّ تجده لا تبتغي به بدلاً، ولا تجد عنه جَوْلاً^(١) .

يتمثّل البعد الأوّل في دراستنا للاتّساق الصّوتيّ بالسّجع، وحدّه "تواطؤ الفاصلتين من النّثر على حرفٍ واحدٍ، وهو معنى قول السّكاكيّ: هو في النّثر كالفافية في الشعر"^(٢). فالقافية في النّصّ النّثريّ المسجوع "عنصرٌ جوهريٌّ في ماهية السّجع؛ لأنّها لو فقدت لخرج النّثر من باب السّجع، كما أنّها ذات أهمّيّة بالغة في نسيج الإيقاع"^(٣) .

أمّا أنواع السّجع التي وردت في حديثه الشريف، فمنها المطرّف وهو "ما اختلفت فاصلته في الوزن وانثقت في الحرف الأخير"^(٤)، وإذا طالعنا حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ فِي فَضْلِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وجدنا هذا النوع من السّجع في قوله ﷺ: "إِنَّ مَنْ تَمَسَّكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ بِسِتِّ خِصَالٍ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ: أَنْ يَحْفَظَ دِينَهُ، وَيَصُونَ نَفْسَهُ، وَيَصِلَ رَحِمَهُ، وَلَا يُؤْذِيَ جَارَهُ، وَيَرْعَى إِخْوَانَهُ، وَيَخْزَنَ لِسَانَهُ. أَمَّا الصَّيَامُ فَلَا يَغْلُمُ ثَوَابَ عَامِلِهِ إِلَّا اللَّهُ"^(٥).

نلاحظ في الحديث المبارك أنّ الكلمات المسجوعة أسهمت في تحقيق الاتّساق الصّوتيّ بين أجزاء النّصّ، فجاء النّصّ متناغماً ومنسجماً مع الإيقاع الموسيقيّ الذي حقّقه حرف (الهاء) في آخر الكلمات: (ذنوبه، دينه، نفسه، رحمه، جاره، إخوانه، لسانه)، فضلاً عن السّجع نلاحظ في الحديث المبارك أنّ الأفعال المضارعة المتتابعة (يحفظ، يصون، يصل، يؤذي، يرعى، يخزن، يعلم) كوّنت نمطاً صوتياً متكرّراً في فضاء النّصّ، وربطت النّصّ بإيقاعٍ موسيقيّ موحّد بالتّضافر مع السّجع؛ إذ منح هذا الإيقاع النّصّ نغمةً موسيقيّةً هادئةً، وقوّةً صوتيّةً متماسكةً قادرةً على التّأثير في

(١) أسرار البلاغة: ١١.

(٢) التّليخيص في علوم البلاغة: ٣٩٧ ، وينظر: علم البديع، بسيوني عبد الفتاح: ٢٩٦ ، وعلم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق: ١٢٥ - ١٢٩.

(٣) الإيقاع في شعر الحداثة: ٢٣-٢٤.

(٤) المقاييس البلاغيّة عند الجاحظ: ٢٥٢، وينظر: التّليخيص في علوم البلاغة: ٣٩٨.

(٥) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ١٦ / ٦ ، وينظر: مستدرك الوسائل: ٧ / ٣٧٠.

المتلقي. وهذا الترابط الصوتي منسجم مع القصد الذي سعى إليه الرسول ﷺ في بيان أهميّة شهر رمضان، والتّمسك به من الخصال الستة التي ذكرت في النصّ.

إنّ البنية الصوتيّة المتماسكة أسهمت في ربط تلك الخصال بخيط واحد من المعنى، وأسهمت أيضاً للدلالة على ارتباط روحية العبادة في هذا الشهر العظيم مع الله عزّ وجلّ، وأكدت على المعنى المحوريّ للنصّ، وهو أنّ الصّيام ليس امتناعاً عن الطّعام فحسب، وإنّما هو سلوكٌ في حفظ دين الله، وحسن التعامل مع النّاس، وكبح عنفوان النّفس. كلّ ذلك تحقّق عن طريق الأفعال المتوازية صوتيّاً المتضافرة مع السّجع؛ إذ أدّى هذا التّضافر الصوتي دوراً بارزاً في النصّ، لا سيّما السّجع الذي أضفى تأثيراً قوياً في المتلقي؛ لأنّ "الإقناع عن طريق السّجع من المفاهيم الثّابتة في الثّقافة العربيّة"^(١).

وعند البحث عن ألوان السّجع الأخرى في حِكْمه المباركة نجد ألواناً قد وردت في مناجاته ﷺ لطلب الرّزق، فجاء في بدء المناجاة السّجع المرصّع، وهو ما كان "في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثره مثل ما يقابله من الأخرى وزناً وتقفيّة"^(٢). فضلاً عن ورود السّجع المطرّف، والمتوازيّ ويقصد بالآخر "هو ما كان الاتّفاق فيه في الكلمتين الأخيرتين فقط"^(٣).

وقد ورد كلّ ذلك في دعائه ﷺ: "وَإِكْسِنِي اللَّهُمَّ سَرَابِيلَ السَّعَةِ، وَجَلَابِيبَ الدَّعَةِ، فَإِنِّي يَا رَبِّ مُنْتَظِرٌ لِإِنْعَامِكَ بِحَذْفِ الْمَضِيقِ، وَلِتَطْوُلَكَ بِقَطْعِ التَّعْوِيقِ، وَلِتَقْضُكَ بِإِزَالَةِ التَّقْتِيرِ، وَلِوُصُولِ حَبْلِي بِكَرَمِكَ بِالتَّيْسِيرِ، وَأَمْطِرِ اللَّهُمَّ عَلَيَّ سَمَاءَ رِزْقِكَ بِسَجَالِ الدِّيمِ، وَأَغْنِنِي عَنْ خَلْقِكَ بِعَوَائِدِ النِّعَمِ، وَارْمِ مَقَاتِلَ الْإِقْتَارِ مِنِّي. وَاحِيلْ كَشَفَ الضَّرِّ عَنِّي عَلَى مَطَايَا الْإِعْجَالِ، وَاضْرِبْ عَنِّي الضِّيقَ بِسَيْفِ الْإِسْتِثْصَالِ، وَأَتَحْفَنِي رَبِّ مِنْكَ بِسَعَةِ الْإِفْضَالِ، وَامْدُدْنِي بِنُمُوِّ الْأَمْوَالِ، وَاحْرُسْنِي مِنْ ضَيْقِ الْإِقْلَالِ، وَاقْبِضْ عَنِّي سَوْءَ الْجَدْبِ، وَابْسُطْ لِي بِسَاطَ الْخِصْبِ، وَاسْقِنِي مِنْ مَاءِ رِزْقِكَ غَدَقًا، وَانْهَجْ لِي مِنْ عَمِيمِ

(١) نظريّة علم النصّ: ١١٧.

(٢) علم البديع، بسيوني عبد الفتاح: ٣٠٠.

(٣) المقاييس البلاغيّة عند الجاحظ: ٢٥٢، وينظر: التّليخيص في علوم البلاغة: ٣٩٨-٣٩٩، وفي البلاغة

العربيّة علم البديع، عبد العزيز عتيق: ٢١٩.

بِذَلِكَ طُرْقًا، وَفَاجِئَنِي بِالثَّرْوَةِ وَالْمَالِ، وَانْعَشْنِي بِهِ مِنَ الْإِقْلَالِ. وَصَبِّحْنِي بِالِاسْتِظْهَارِ، وَمَسِّنِي بِالْتَّمَكِينِ مِنَ الْيَسَارِ؛ إِنَّكَ ذُو الطُّوْلِ الْعَظِيمِ، وَالْفَضْلِ الْعَمِيمِ، وَالْمَنْ الْجَسِيمِ، وَأَنْتَ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ^(١).

نلاحظ في النص المبارك أنه يقوم على شبكة من التكرار الصوتي والتوازي التركيبي والسجع الممتد، مما يجعل النص أقرب إلى نفس دعائي متصل منه إلى جمل منفصلة، فقد تحقق له التماسك عن طريق تنوع الفواصل في السجعات، ففي السجع المرصع كانت فاصلة التاء في (الدعة، السعة). أمّا في السجع المطرّف، فقد تنوعت الفواصل، فكانت فاصلة القاف في (المضيق، التّعويق)، وانتقل إلى فاصلة اللام في (مال، الإقلال)، ثم الرّاء في (الاستظهار، اليسار). وأمّا السجع المتوازي، فتنوعت فواصله أيضًا في النص، فكانت فاصلة الرّاء في (التقّير، التيسير) والميم في (الديم، النعم)، والقاف في (غدقًا، طرُقًا)، ويختم المناجاة بفاصلة الميم أيضًا في (العظيم، العميم، الجسيم، الكريم).

فالسجع الممتد في فضاء النصّ حول النصّ إلى سلسلة متساوية ومتصلة، عن طريق تنوع الأسجاع، وهذا التنوع في فواصل السجعات خلق لنا ما يمكن تسميته بـ(السجع الشبكي الممتد) لا السجع الثنائي التقليدي، فلم تظهر الأسجاع على مستوى الجمل القصيرة، بل على شكل سلاسل صوتية ممتدة.

فقد تضافرت الأسجاع المتنوعة على تحقيق الاتساق الصوتي في بناء النصّ وتماسكه. ورصع هذا التنوع النصّ بالإيقاعات الموسيقية المستمرة والفواصل المتنوعة، التي منحت النصّ صفة الفاعلية والاستمرارية؛ إذ تحقق في النصّ "الرّبط من خلال التكرار الصوتي على مستوى السجعة الواحدة، ويمتد إلى أكثر من سجعة مكونًا وحدة صوتية ذات إيقاع مستمر"^(٢).

إنّ تعدّد الإيقاعات الموسيقية، وأثرها في تماسك النصّ، لها دور في الوجدان، لا سيّما وأنّ المعنى المحوري للنصّ هو في طلب الرزق؛ إذ إنّ السجع "يمثل إحدى

(١) حكم النبي الأعظم: ٥٩٥ / ٦، وينظر: مهج الدعوات: ٢٦١.

(٢) علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: ١٢٩.

وسائل الإقناع التي يرضى بها المتلقي، ويتقبل من خلالها قول الآخر^(١). فالنص شكل سلسلة متصلة من الأدعية المرتبطة بوساطة القفل الإيقاعي المستمر؛ إذ مثل هذا التضرع والتذلل لله سبحانه وتعالى مع تعدد تلك السجعات والإيقاعات على طول النص بعداً نفسياً ممزوجاً بالروحانية والاتصال مع الله عز وجل والتوكل عليه من دون الحاجة إلى الخلق؛ لأن الله واهب كل العطايا. وبذلك حقق النص أعلى درجات الاتساق الصوتي بوساطة السجعات الممتدة، فضلاً عن القفل الإيقاعي الذي أعتمد على التوازي التام في النهايات.

أمّا البعد الآخر الذي سنتناوله في معرض بحثنا في الاتساق الصوتي، فهو الجنس، وحده "عبارة عن اتفاق اللفظين في وجه من الوجوه مع اختلاف معانيها"^(٢).

وتتمثل أهمية الجنس ووظيفته في بناء النص، بالبعد الجمالي الذي يضيفه على فضاء النص، فهو من المحسنات البديعية. وكذلك البعد الصوتي؛ إذ يسهم الإيقاع الذي يحققه الجنس في تماسك بنية النص، ويسهم أيضاً في إبراز المعنى الذي من أجله سيق بالجناس إلى فضاء النص^(٣). وسأغض طرفي عن ماهية الجنس، والغور في تفاصيل أنواعه، وأتجه مباشرة إلى بيان ما ورد منه في حكم النبي الأعظم، وهو الجنس غير التام، على أنني لم أجد شواهد من الجنس التام في حكمه ﷺ المباركة، ربما يعود ذلك لقصر نصوص حكمه ﷺ يقصد بالجناس غير التام أو الناقص، هو "مقطعان صوتيان مختلفان في الإيقاع مختلفان في المدلول"^(٤). وعند تأمل هذا الضرب من الجنس نجد جلياً في قوله ﷺ: "وَإِكْسَنِي اللَّهُمَّ سَرَابِيلَ السَّعَةِ، وَجَلَابِيبَ الدَّعَةِ"^(٥)، وقوله ﷺ: "وَلِنَقْضِكَ بِإِزَالَةِ النَّقْتِيرِ، وَلِوُصُولِ حَبْلِي بِكَرَمِكَ بِالنَّيْسِيرِ"^(٦)، وقوله عليه الصلاة والسلام "وَاقْبِضْ عَنِّي سَوْءَ الْجَدْبِ، وَابْسُطْ لِي بِسَاطَ الْخَصْبِ"^(٧).

(١) نظرية علم النص: ١١٩.

(٢) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة: ٥٦٢.

(٣) ينظر: نظرية علم النص: ١١٩.

(٤) البديع تأصيل وتجديد، منير سلطان: ٧٦.

(٥) حكم النبي الأعظم: ٦ / ٥٩٥.

(٦) المصدر نفسه: ٦ / ٥٩٥.

(٧) المصدر نفسه: ٦ / ٥٩٥.

نلاحظ في الشواهد السابقة، قد تحقق الجنس غير التام بين الألفاظ التالية (الدعة، السعة)، (التقير، التيسير)، (الجذب، الخصب)؛ إذ أسهم هذا الجنس في تماسك النص عن طريق الإيقاع الذي حققه في بناء النص، والتعلق مع فواصل السجع، فهذا التعلق يكون عن طريق دعم "العنصر الصوتي للجوانب الدلالية للإطار أكبر؛ فهو إذ يذكر الكلمات المرتبطة بالمعاني المحورية من خلال الجنس، فإنه يعرض هذه الكلمات في نهايات التراكيب والجملة مسجوعة، لما يحققه هذا العرض من وقع أشد تأثيراً لدى القارئ مما لو أتت في منتصف التراكيب: فالوقوف عليها في النهايات يظهرها دلاليًا دون منافسة من دلالات باقي الكلمات المشاركة لها في التركيب"^(١).

كما منح هذا الجنس فرصة لمتلقي النص لتأمل البعد الروحي الذي يحمله النص، عند طريق حسن الإيقاعات الموسيقية المنتظمة داخل بناء النص، "وجه حسنه أنك تتوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة -التي زيد فيها الحرف- أنها هي التي مضت، وإنما أتت بها للتأكيد، حتى إذا تمكّن آخرها من نفسك ووعاه سمعك، انصرف عنك ذلك التوهم، وفي ذلك حصول الفائدة، ووضوح معنى الكلمتين المتجانستين معاً"^(٢).

فالجناس في داخل النص أسهم في دعم الجوانب الدلالية في بنية النص عن طريق المجيء بكلمات مسجوعة داخل سطح النص وهذه الكلمات مرتبطة بخيط واحد من المعنى المركزي للنص؛ إذ يشد ذلك الإيقاع الموسيقي المتحقق في نهاية الجملة ذهن المتلقي لتأمل ما تحمله هذه الكلمات من معانٍ. وهذا التأمل الدلالي يكون أكثر في الكلمات المسجوعة المتحققة في نهاية الفواصل من غيرها من الكلمات التي يتضمنها سطح النص.

٢ - الاتساق النحوي:

يمثل الاتساق النحوي عنصراً مهماً في تماسك النص. فلسانيات النص تنظر إلى النص بمنظارٍ شموليٍّ كليٍّ وترى فيه وحدة متماسكة. وهذه الرؤية التكاملية للنص لا تتحقق إلا بأدوات تعمل على ربط النص ليظهر نصاً متكاملًا؛ إذ "لا بُدَّ في كلِّ من

(١) نظرية علم النص: ١٢٠.

(٢) المصدر نفسه: ١١٩.

الأدوات التي يلجأ إليها الناظم، أو الناثر، أو المتكلم، من أن يسوقها سوقاً تراعي فيه وحدة الغرض^(١).

ذهب هاليداي ورقية حسن إلى أن النص يتكوّن من جملٍ متتالية متعددة، وترتبط هذه الجمل فيما بينها عن طريق الأدوات اللغوية، بعلاقات معنوية تسهم في تنظيم استمرارية النص وتماسكه. ولا يمكن أن يرتدي النص رداء النصية إلا بعد أن يعتمد على وسائل متعددة، وروابط لغوية تسهم في وجود النص، وربطه بوحدة كلية شمولية. وخلو النص من تلك الوسائل والروابط تجرّد النص من ذلك الرّداء؛ ليكون عبارة عن جملٍ مرصوفةٍ رصفاً اعتباطياً لا يربطها رابطٌ محدّد، ولا تؤدّي إلى معنى معين^(٢). فعن طريق أدوات الربط في النص نستطيع أن نتحرّك داخل أنواع مختلفة من العلاقات الدلالية^(٣).

إنّ الاتّساق النحويّ الذي يكون في النصّ عبر الأدوات والوسائل التي تربط النصّ، يركّز الربط فيه "على استمرار تواجد تلك العناصر النحوية عبر الجمل المتتابعة، ممّا يوجد نوعاً من الربط بين تلك الجمل، المعتمد على الوظيفة النحوية لتلك العناصر. ويتأسس السبك المعجمي على وجود مجموعة من العناصر المعجمية المترابطة على مدار النصّ، ممّا يعني استمرار تلك القضايا والمعاني التي تثيرها، فيعمل هذا على ربط قطاعات طويلة من النصّ"^(٤).

وسنتناول الوسائل اللغوية التي يعتمد عليها النصّ لتحقيق التّرابط والاستمرارية بين أجزائه، وتتمثّل هذه الوسائل اللغوية بالإحالة، والحذف، والربط؛ ولكون الحديث النبويّ أبلغ وأبين كلام بعد القرآن الكريم، تظهر فيه وسائل التماسك النصّي بوضوح تامّ.

أ- الإحالة

تُعَدُّ الإحالة عنصراً جوهرياً من عناصر الاتّساق النحويّ؛ إذ إنّ من دونها لا يمكن للنصّ أن يستمر. حدّها بوجراند بقوله: "هي العلاقة بين العبارات والأشياء

(١) في اللسانيات ونحو النصّ: ٢٢٣.

(٢) ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٣.

(٣) علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: ١١٠.

(٤) نظرية علم النصّ: ٨١.

والأحداث والمواقف في العالم الذي يُدلُّ عليه بالعبارات ذات الطابع الاختياري في نصٍّ ما؛ إذ تشير إلى شيءٍ ينتمي إلى نفس عالم النصِّ" (١) .

تتحقق الإحالة في النصِّ بمجموعةٍ من الكلمات الإحاليّة "وكلمات الإحالة أكثر وسائل الرّبط شيوعاً، وهي في العربيّة عديدة تدخل فيها الضّمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة" (٢)

إنّ هذه الوسائل الإحاليّة التي تربط النصّ وتخرجه وحدة متكاملة "لا تكتفي بذاتها من حيث التّأويل؛ إذ لا بُدَّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها" (٣) .

إنّ للإحالة وظيفةً محوريّةً في بناء النصّ؛ إذ تسهم برّبط المعاني بين الجمل المتتالية داخل النصّ، وتستعمل الإشارة إلى شيءٍ سبق ذكره؛ بدلاً من تكراره مرّة أخرى في النصّ؛ إذ تسهم تلك الإشارة بتحقيق اقتصادٍ لغويٍّ في النصّ. وتسهم أيضاً بحفظ فحوى الخطاب في الدّهن من دون الحاجة للتّصريح به في كلّ مرّة داخل النصّ. زد على ما تقدّم أنّ لها دوراً مهمّاً بتسويق كمٍ جديدةٍ من المعلومات، ممّا يجعل الأفكار مترابطة داخل بناء النصّ (٤) .

إنّ الإحالة في مفهومها العامّ هي علاقةٌ دلاليّةٌ نصّيّةٌ، بين العنصر المحيل، والعنصر المحال عليه، قبل أن تكون علاقةً نحويّةً تحكمها قوانين وأحكام النّحو الصّارمة. ولكي يتحقّق الترابط النّصّي بين أجزاء النصّ، ويفهم المتلقّي النصّ بصورةٍ سليمةٍ وسلسلةٍ دون جهدٍ وعناءٍ، ينبغي التّطابق والانسجام بين طرفي الإحالة، العنصر المحيل والعنصر المحيل عليه على مستوى المعنى الدّلالة، ولا يكتفي بالارتباط النّحوي فقط (٥) .

وتقسّم الإحالة على أنواع متعددة (٦)، وهي :

(١) النصّ والخطاب والإجراء: ٣٢.

(٢) علم لغة النصّ النّظريّة والتّطبيق: ١١٩.

(٣) نظريّة علم النصّ: ٨٣.

(٤) ينظر: علم لغة النصّ النّظريّة والتّطبيق: ١٢٠ ، ونظريّة علم النصّ: ٨٤ ، ونسيج النصّ: ١٢١.

(٥) ينظر: الترابط النّصّي في ضوء التّحليل اللّسانيّ في الخطاب: ١٦٥، ولسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٧.

(٦) ينظر: علم لغة النصّ النّظريّة والتّطبيق: ١٢٣ ولسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٧.

١- إحالة خارجيّة مقاميّة:- وهي الإحالة على عنصرٍ غير موجودٍ في النصّ، وإنّما خارج النصّ. ويتمّ التّعريف عليه عن طريق الإمام بمعرفة سياق النصّ.

٢- إحالة داخلية نصيّة:- وهي الإحالة التي تكون العناصر اللغويّة المحال إليها موجودة داخل النصّ. وهي على ضربين:

أ- إحالة سابقة (قبليّة): وهي الإحالة على عنصرٍ لغويٍّ سبق ذكره في النصّ، وتُعَدُّ هذه الإحالة من بين أكثر أنواع الإحالة شيوعاً في عالم النصّ.

ب- إحالة لاحقة (بعديّة): وهي الإحالة التي تعود على عنصرٍ سيذكر بعدها في النصّ.

فرّق هاليداي ورقية حسن بين الإحالة النصيّة والإحالة المقاميّة؛ إذ إنّ "الإحالة المقاميّة تسهم في إنتاج النصّ؛ لكونها تربط اللغة بسياق المقام، في حين تقوم الإحالة النصيّة بدور فعال في اتّساق النصّ" (١).

وأكد عفيفي على الإحالة المقاميّة ودورها في بناء النصّ وتماسكه. مشيراً إلى العلاقة المتّصلة بين النصّ والمواقف الخارجيّة المحيطة بالنصّ الاجتماعيّة والثقافيّة. وأكد أيضاً على أنّ الإحالة التي تكون خارج النصّ تقوم على ثلاثة مرتكزات، هي: (النصّ، المتلقّي، الموقف المحيط بالنصّ). على أن تتفاعل هذه المرتكزات الثلاثة فيما بينها، ومن دون ذلك التفاعل يفقد النصّ الفائدة من قرائته. ونوّه عفيفي أيضاً إلى أنّ اتّصال نحو النصّ بالمواقف الاجتماعيّة راجعاً لارتباطه بالنصّ كاملاً وما يحيط به فلم يرتبط بالجمال فقط (٢).

ومن مواضع الإحالة بالضّمائر في حَكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ، قوله ﷺ: "إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ؛ فَقَدْ مَضَى الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ [إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ]؛ فَلَوْ جَهَدَ النَّاسُ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِأَمْرٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ لَكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَلَوْ جَهَدُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِأَمْرٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ" (٣). نلاحظ أنّ الحديث المبارك قد تضمّن سلاسل إحاليّة متنوّعة (مقاميّة وسياقيّة) من الضّمائر، تمثّلت النصيّة منها بالعنصر الإحاليّ

(١) التّرابط النصّي في ضوء التّحليل اللّساني في الخطاب: ١٦٥.

(٢) الإحالة في نحو النصّ: ٤٠.

(٣) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٨١ / ٧.

(الهاء)؛ إذ تكرر أربع مراتٍ في النَّصِّ في اللَّفْظَيْنِ المكررين (يكتبه، عليه)، وهو عنصرٌ إحصائيٌّ داخليٌّ (إحالة سابقة) يعود على (الأمر).

والسلسلة الثانية من الإحالة النَّصِّيَّة متمثلة بالعنصر الإحصائي (الواو)؛ إذ تكرر خمس مراتٍ في (ينفعوك، يقدروا، يضروك، جهدوا، يقدروا)، وهذه الإحالة هي إحالةٌ داخليةٌ نصِّيَّة سابقة، تعود على المحيل عليه وهو (النَّاس) الَّذِي سبق ذكره.

وآخر الإحالات النَّصِّيَّة هو ما تمثّل بالضّمير المنفصل (هو)، وهي إحالةٌ سابقةٌ على (القلم). إنّ للضمير (هو) أهمّيَّة في كونه يحيل إلى "عناصر سبق ذكرها في النَّص... وميزتا الضّمير «هو» هما: الغياب عن الدائرة الخطابيَّة، والقدرة على إسناد أشياء معيَّنة. وتجعل هاتان الميزتان من هذا الضّمير موضوعاً على قدر كبير الأهمّيَّة في دراسة تماسك النَّصوص" (١).

وعند انعام النَّظر في النَّصِّ بحثاً عن عناصر إحاليَّة مقاميَّة، نجد سلسلةً من هذه الإحالات في النَّصِّ. فقد تمثّلت السلسلة المقاميَّة الأولى بالعنصر الإحصائي (التاء)؛ إذ تكرر مرتين في (سألت، استعنت) وهو عنصرٌ إحصائيٌّ خارج النَّصِّ. أمّا العنصر المحيل في السلسلة الثانية تمثّل بالضّمير المستتر في (اسأل، استعن)، وهو عنصرٌ إشاريٌّ خارج النَّصِّ أيضاً. وتمثّلت السلسلة الأخيرة من الإحالة المقاميَّة بالضّمير (الكاف) في (ينفعوك، يضروك، عليك، لك)، وهي إحالةٌ خارجيّةٌ للمحيل عليه نفسه الَّذِي ذُكر في السلسلتين المقاميَّتين الأولى والثانية من السّياق؛ إذ "تعتمد الإحالة لغير مذكور في الأساس على سياق الموقف شأنها في ذلك شأن الإحالة لمذكور سابق، والإحالة لمتأخّر" (٢).

تضافرت هذه الإحالات بالضّمائر المتعدّدة على دعم تماسك النَّصِّ، محقّقة بذلك استمراريَّة للنَّصِّ، وفهم المعنى المحوريّ للسّياق الَّذِي يدور حول التّوكّل على الله تعالى، والاستعانة به؛ لأنّه تبارك وتعالى هو الرّكن الشّديد الَّذِي يلجأ إليه الإنسان وقت الشّدة والضّيق؛ إذ فهم المعنى بصورة واضحةٍ دون كدر أو عي. وكلّ ذلك تحقّقت عن

(١) مدخل إلى مناهج النّقد الأدبي، مجموعة من اللّغويين الغربيين، ترجمة رضوان ظاظا: ١٩٦.

(٢) النَّصِّ والخطاب والإجراء: ٣٣٢.

طريق الإحالات المختلفة التي جاء بها النص. مما جعلته نصاً متماسكاً منسجماً مع المعنى المركزي للنص؛ لأنَّ تشكيل المعنى أو إبرازه يعتمد على وضع الضمائر داخل النص؛ إذ إنَّ هذه الضمائر من بين الوسائل التي تحقق التماسك الداخلي والخارجي^(١).

ومن أمثلة الإحالة بالضمير أيضاً، ما روي عن النبي الأعظم في تحريم شرب الخمر وتقبّحه، وعدّه من كبائر الأفعال، قوله ﷺ: "مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ سُمِّ الْأَفَاعِي وَمِنْ سُمِّ الْعَقَارِبِ شَرْبَةً يَتَساقَطُ لَحْمٌ وَجْهَهُ فِي الْإِنَاءِ قَبْلَ أَنْ يَشْرِبَهَا، فَإِذَا شَرِبَهَا تَفْسَخَ لَحْمُهُ وَجِلْدُهُ كَالْجِيفَةِ، يَتَأَذَى بِهِ أَهْلُ الْجَمْعِ حَتَّى يُؤْمَرَ بِهِ إِلَى النَّارِ، وَشَارِبُهَا وَعَاصِرُهَا وَمُعْتَصِرُهَا فِي النَّارِ، وَبَايِعُهَا وَمُبْتَاعُهَا وَحَامِلُهَا وَالْمَحْمُولَةُ إِلَيْهِ وَآكِلُ ثَمَنِهَا سَوَاءٌ فِي عَارِهَا وَاثْمِهَا. أَلَا وَمَنْ سَقَاهَا يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا أَوْ صَابِيًّا أَوْ مَنْ كَانَ مِنَ النَّاسِ فَعَلَيْهِ كَوْزِرٌ مَنْ شَرِبَهَا. أَلَا وَمَنْ بَاعَهَا أَوْ اشْتَرَاهَا لغيره لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ صَلَاةً وَلَا صِيَاماً وَلَا حَجًّا وَلَا اعْتِمَاراً حَتَّى يَتُوبَ مِنْهَا، وَإِنْ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَتُوبَ كَانَ حَقّاً عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَسْقِيَهُ بِكُلِّ جُرْعَةٍ شَرِبَ مِنْهَا فِي الدُّنْيَا شَرْبَةً مِنْ صَدِيدِ جَهَنَّمَ؛ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الْخَمْرَ بَعَيْنِهَا وَالْمُسْكِرَ مِنْ كُلِّ شَرَابٍ، أَلَا وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ"^(٢).

نلاحظ في الحديث المبارك أنَّ الضمير (الهاء) قد شكّل عنصراً بارزاً في بناء النص؛ إذ تكرر ثماني وعشرين مرّة، وتنوّع المحيل إليه بين إحالة خارجية يحددها المقام الخارجي للنص، وبين إحالة داخلية موجودة في بناء النص ذاته. وتمثّلت الإحالة المقاميّة بالعنصر الإحاليّ (الهاء) في (سقاها، وجهه، لحمه، جلده، به -المكرر مرتين-، المحمولة إليه) وهو عنصرٌ إحاليّ خارجيٌّ، يعود على من شارب الخمر "وهو مرجعٌ غيرُ مشارٍ إليه في عالم النصّ، وإنّما يعتمد في فهمه على سياق الموقف"^(٣).

(١) علم لغة النصّ بين النظرية والتطبيق: ١ / ١٦١.

(٢) حكم النبي الأعظم: ٤ / ٥٦٦ - ٥٦٧.

(٣) علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: ١٧٧.

أما الإحالة الداخلية النصية، بالعنصر الإحالي (الهاء)، فتأتيت في المفردات التالية: (يشربها، شربها، عاصرها، معتصرها، بايعها، مبتاعها، حاملها، ثمنها، عارها، إثمها، سقاها، شربها، باعها، اشتراها، منها -المكررة مرتين-، بعينها)، وهي إحالة سابقة تعود على عنصر لغوي سبق ذكره في النص وهو (الخمير)، الذي يعدّ المركز الرئيس في النص. وقد أحيل الهاء في (فعليه، لغيره، منه، يسقيه) أحالة داخلية سابقة، تعود على الاسم الموصول (من).

أسهمت الإحالة بهذه الضمائر في تجنب تكرار اللفظ المحيل إليه، وحققت اقتصاداً لغوياً في بناء النص. ولو تكرّر المحيل إليه في النص؛ لأدى ذلك التكرار لضعف بنية النص، و لأضفى على مقام النص الملل والتضجر .

إن تكرار الضمير (الهاء) بهذه الكثافة في النص، مع تعدّد المحيل عليه، أسهم في تماسك البنية اللغوية للنص؛ "إذ كانت الضمائر كعناصر إحالية تعقد صلة وثيقة بين أجزاء النص" (١) .

فالضمائر داخل النص "تعدّ العصب الرئيس الساري في بناء النص؛ فيها ومن خلالها يتبدى تماسكه، وبها ومن خلالها أيضاً يمكن تلقّيه، ومن دونها يغدو النص مفككاً، فالضمائر تقوم بدور الربط بين أجزاء النص بشكل عام" (٢) .

وأسهم ذلك الضمير في إيضاح الدلالة المركزية المقصودة في النص، وهو تحريم الاقتراب من الخمر. فالحديث الشريف يحمل في تضاعيفه وعيداً شديداً لشارب الخمر، ولم يقتصر ذلك الوعيد لشاربها فقط؛ إذ وسّع دائرة الوعيد لكل من له صلة بها. فالخمر آفة اجتماعية حذر منها النبي الكريم ﷺ؛ لأنها تنخر بنية المجتمع والدين.

إن تصوير عقوبة شارب الخمر في بداية الحديث أعطى للنص بعداً نفسياً، وهذا البعد النفسي أثار في المتلقي دافعاً أكبر للتفاعل مع الملقى، بحثاً على مزيد من المعطيات التي تحقّر المقصود وهو شارب الخمر. وكل ذلك حصل عن طريق الاتساق

(١) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة: ١٦٠.

(٢) النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، محمد عبد الباسط: ٢١٤.

النَّحْوِيّ الَّذِي مَثَّلْتَهُ (الهَاء) فِي النَّصِّ، "وَلَا تَكْمُنْ أَهْمِيَّةَ وَسَائِلِ الرِّبْطِ فِي أَنَّهَا تَكْفُلُ لِلنَّصِّ تَرَابِطَهُ فَحَسْبُ، بَلْ تَيْسَّرُ أَيْضًا لِلسَّمَاعِ أَوْ الْقَارِئِ مَتَابَعَةَ الْخَطَابِ وَفَهْمَهُ"^(١).

وَمِنْ وَسَائِلِ الْإِحَالَةِ الْأُخْرَى أَسْمَاءُ الْإِشَارَةِ، وَهِيَ أَسْمَاءٌ مُبْهَمَةٌ، وَهَذَا الْإِبْهَامُ "لَا يَفْهَمُ إِلَّا مَنْ خِلَالَ مَا يَرْتَبِطُ بِهِ، سِوَاءٍ أَكَانَ مَعْلُومًا مِنْهُ أَوْ مَذْكُورًا فِي السِّيَاقِ أَوْ مُشَارًا إِلَيْهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ"^(٢).

إِنَّ أَسْمَاءَ الْإِشَارَةِ تَسْهَمُ بِعَمَلٍ جَوْهَرِيٍّ فِي رِبْطِ أَجْزَاءِ النَّصِّ وَتَمَاسُكِهِ؛ إِذْ إِنَّهَا لَا تَقْلُ أَهْمِيَّةً عَنْ بَاقِي وَسَائِلِ الْاِتِّسَاقِ النَّحْوِيِّ فَهِيَ "تَقُومُ بِالرِّبْطِ الْقَبْلِيِّ وَالْبَعْدِيِّ، وَإِذَا كَانَتْ أَسْمَاءُ الْإِشَارَةِ بِشَتَّى أَصْنَافِهَا مُحِيلَةً إِحَالَةً قَبْلِيَّةً، بِمَعْنَى أَنَّهَا تَرِبْطُ جُزْءًا لِأُخْرَى بِجُزْءٍ سَابِقٍ، وَمِنْ ثَمَّ تَسَاهِمُ فِي اِتِّسَاقِ النَّصِّ، فَإِنَّ اسْمَ الْإِشَارَةِ الْمَفْرَدَ يَتَمَيَّزُ بِمَا يَسْمِيهِ الْمُؤَلِّفَانِ^(٣) «الْإِحَالَةُ الْمَوْسَّعَةُ»، أَيْ إِمْكَانِيَّةُ الْإِحَالَةِ إِلَى جُمْلَةٍ بِأَكْمَلِهَا أَوْ مُتَتَالِيَةٍ مِنْ الْجُمْلِ"^(٤).

وَمِنْ أَمْثَلَةِ الْإِحَالَةِ بِأَسْمَاءِ الْإِشَارَةِ مَا وَرَدَ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ ﷺ فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الدُّنْيَا، وَالْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ: "هَذِهِ الدُّنْيَا قَدْ ارْتَحَلَتْ مُدْبِرَةً وَهَذِهِ الْآخِرَةُ قَدْ ارْتَحَلَتْ مُقْبِلَةً وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ؛ فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا فَافْعَلُوا؛ فَإِنَّكُمْ الْيَوْمَ فِي دَارِ عَمَلٍ وَلَا حِسَابٍ، وَأَنْتُمْ غَدًا فِي دَارِ حِسَابٍ وَلَا عَمَلٍ"^(٥).

نَلْحِظُ فِي الْحَدِيثِ الْمُبَارَكِ قَدْ تَكَرَّرَ اسْمُ الْإِشَارَةِ (هَذِهِ) مَرَّتَيْنِ فِي النَّصِّ، وَهِيَ إِحَالَةٌ بَعْدِيَّةٌ تَعُودُ عَلَى لَاحِقٍ؛ إِذْ أَحَالَ اسْمُ الْإِشَارَةِ فِي الْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ إِلَى (الدُّنْيَا). وَأَحَالَ فِي الْمَوْضِعِ الثَّانِي إِلَى (الْآخِرَةِ). وَهَذِهِ الْإِحَالَةُ الْإِشَارِيَّةُ جَمَعَتْ بَيْنَ مُتَضَادِّينِ (الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ) مِمَّا قَرَّبَتْ الْمَفْهُومَيْنِ مِنْ ذَهْنِ الْمُتَلَقِّي.

(١) مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه: ٨٧.

(٢) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة: ١٤٣.

(٣) أي هاليداي ورقية حسن.

(٤) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٩.

(٥) حكم النبي الأعظم: ٢ / ٤٧٠، وينظر: الخصال: ٥١.

فقد أسهمت أسماء الإشارة بربط أجزاء النصّ، وهذا الارتباط متّصل بالدلالة والمعنى اللّذان يحملها النصّ وهو أنّ الدّنيا مؤقتة وذاهبة لا محال، وهي في طريقها للزّوال؛ لأنّ كلّ يوم يمرّ من عمر الإنسان يقربه من الحساب. والآخرة مقبلة علينا، طال الرّمن أو قصر.

كما تضافرت وسائل الإحالة داخل النصّ (أسماء الإشارة مع الضّمائر المختلفة) مع تعدّد المحيل إليه، على تماسك واستمراريّة النصّ، "فإذا كانت الضّمائر تحدّد مشاركة الشّخوص في التّواصل أو غيابها عنه، فإنّ أسماء الإشارة...تحدّد مواقعها في الزّمان والمكان داخل المقام الإشاري. وهي تماماً مثلها لا تفهم إلّا إذا ربطت بما تشير إليه"^(١).

ومن الأحاديث المباركة التي تضمّنت إحالة بأسماء الإشارة ما ورد في حديثه عليه السلام الذي يبيّن فضل الصّلاة على النّبي وآله: "ما من دُعاءٍ إلّا بينه وبين السّماء جِبابٌ. حتّى يُصلّى على النّبيّ وعلى آلِ مُحَمَّدٍ، فإذا فُعِلَ ذَلِكَ خُرِقَ ذَلِكَ الْحِجَابُ وَدَخَلَ الدُّعَاءُ. فإذا لم يُفَعَلْ ذَلِكَ رَجَعَ الدُّعَاءُ"^(٢).

نلاحظ في الحديث المبارك أنّ اسم الإشارة (ذلك) تكرر ثلاث مراتٍ في النصّ؛ إذ أسهم هذا التّكرار "في تحديد القضية الأساسيّة في النصّ بالتأكيد على محتوى معين"^(٣)، وهي الصّلاة على مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ.

فقد أحال اسم الإشارة في المرّة الأولى والثّالثة إحالةً سابقةً تعود على عنصرٍ لغويّ سبق ذكره وهو الجملة السّابقة لاسم الإشارة المتمثّلة بالصّلاة على مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ. وتكرار اسم الإشارة في (فإن لم يفعل ذلك) هو لتوجيه ذهن المتلقّي لأهميّة تلك الصّلاة، وأنّ لا دعاء مقبولٍ من دونها. فهي بمثابة الحاجز الذي يسمح للدّعاء بالقبول من لدن الله تبارك وتعالى.

ويحيل اسم الإشارة في المرّة الثّانية، في قوله عليه السلام (ذلك الحجاب) إلى الحجاب الذي ذُكر في مطلع النصّ. وهذه الإشارة الإحاليّة هي لتأكيد المانع الذي يمنع الدّعاء

(١) نسيج النصّ: ١١٧-١١٨.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٣٤٩ / ٥، وينظر: بشارة المصطفى: ٣٦١.

(٣) علم لغة النصّ النّظريّة والتّطبيق: ١٠٥.

من القبول. فقد أسهمت بثبات الأمر في ذهن متلقي النص، وشدّت ذهنه نحو المعنى المركزي للنص.

فأسماء الإشارة في النص منعت تكرار الجمل وحققت اقتصاداً لغوياً ومنحت النص تماسكاً نصياً محكماً. فالنص يُقرأ بوصفه حلقات متواصلة مترابطة لا بوصفه جمل متفرقة، كل ذلك تحقق عن طريق وسائل الاتساق التي أسهمت في بناء النص وتماسكه، فاسم الإشارة "يقوم بالوظيفة نفسها التي يقوم بها الضمير في عملية تماسك النص" (١).

وما زلنا في عرض وسائل الإحالة في حِكم النبي الأعظم ﷺ، ومنها الأسماء الموصولة، وهذه الأسماء لها دورٌ بارزٌ في بناء النص (٢)؛ إذ تتضافر مع بقية وسائل الربط الإحالية من ضمائر وأسماء إشارة في "عملية التعويض، فهي ألفاظٌ كنانيةٌ لا تحمل دلالةً خاصةً، وكأنّها جاءت تعويضاً عما تحيل إليه، وهي أيضاً تقوم بالربط الاتساقى من خلال ذاتها ومرتبطة بما يأتي بعدها من صلة الموصول" (٣).

ومن استعمالات الأسماء الموصولة في حِكم النبي الأعظم ما روي عنه ﷺ في وصف الإمام عليّ (عليه السلام) يوم القيامة قوله ﷺ: "بِيَدِهِ لَوَاءُ الْحَمْدِ، وَكُلُّ الْخَلَائِقِ تَحْتَ اللَّوَاءِ، يَخُفُّ بِهِ الْأَئِمَّةُ وَالْمُؤَدِّنُونَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَالْأَذَانِ. وَهُمْ الَّذِينَ لَا يَنْبَدُّونَ فِي قُبُورِهِمْ" (٤).

نلاحظ أنّ الاسم الموصول (الذين) أحوال إحالة نصية لاحقة تعود على الأئمة الأطهار والمؤدّنين وقراء القرآن. وهذه الإحالة بالاسم الموصول أسهمت إسهاماً فعالاً في بناء النص عن طريق اختزاله لتركيب نحوي، فحققت رشاقة للنص، ومنعته من التشتت، وأبعدته من تكرار المحيل إليه مرة أخرى، وربطته بخيطٍ واحدٍ من المعنى.

(١) الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب: ١٧٦.

(٢) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٣٢.

(٣) الإحالة في نحو النص: ٢٧-٢٨.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٥/ ٢١٧، وينظر: تفسير فرائد الكوفي: ٥٠٧.

وقد شكّلت الإحالة بالاسم الموصول إحالةً موسَّعةً^(١)، فهو يحيل إلى جملةٍ بأكملها، متمثلةً بجملة (يحفّ به الأئمة والمؤدّنون بتلاوة القرآن والأذان). إنّ الوسائل الإحاليّة تضافرت لبيان المعنى المحوريّ للنّصّ، ووجّهت ذهن المتلقّي لذلك المعنى. إنّ الضّمائر التي شكّلت حضوراً بارزاً، مع الاسم الموصول تحيل كلّها إلى الإمام عليّ (عليه السّلام)، وإلى الأئمة الأطهار والمؤدّنين وقراء القرآن؛ إذ يصرّ لنا النّصّ مشهداً عظيماً للإمام عليّ (عليه السّلام) وهو يحمل لواء رسول الله المقدّم في ذلك الموقف في يوم القيامة أمام الخلائق كلّها، ويحفّ به الأئمة الأطهار ويحيط بهم المؤدّنون وكأنّهم يكبرون يوم الفرع الأكبر جنباً إلى جنب مع الأئمة وقراء القرآن.

إنّ الأسماء الموصولة "تعوّض وتربط ربطاً تركيبياً. وهي بحكم إبهامها تحتاج إلى صلةٍ تفسرها"^(٢)، وصلتها التي تفسرها الجملة الفعلية (لا يتبددون في قبورهم)، والعائد فيها هو الضمير المتّصل (الواو). وصلة الموصول منحت صفةً خاصّةً للأئمة الأطهار والمؤدّنين وقراء القرآن وهي عدم التبدد في القبر، وهذه بشارة لهم بأنّهم في نعيمٍ وطمأنينةٍ وثباتٍ عند الفرع الأكبر، فلا وحشة ولا ضياع في عالم البرزخ بخلاف سائر البشر. وبهذا الوصف القيّم حافظت الإحالة بالاسم الموصول على تسلسل النّصّ وانسجامه.

ومن الأسماء الموصولة التي وردت في حكمه المباركة قوله ﷺ: "يا أباذر، إياك والغيبّة؛ فإنّ الغيبّة أشدّ من الرّنا ... قلت: يا رسول الله، وما الغيبّة؟ قال: ذكرك أخاك بما يكره، قلت: يا رسول الله، فإن كان فيه ذاك الذي يُذكر به؟ قال: علّم أنّك إذا ذكّرتُ بما هو فيه فقد اغتبتُهُ. وإذا ذكّرتُ بما ليس فيه فقد بهتُهُ"^(٣).

نلاحظ في الحديث المبارك أنّه تضمّن عناصرَ إحاليّةً متنوّعةً، منها الأسماء الموصولة؛ إذ شكّلت حضوراً بارزاً في بناء النّصّ. فقد تكرّرت تلك الأسماء في أربعة مواضع، أحال الاسم الموصول (ما) في قوله (بما يكره، بما هو فيه، بما ليس فيه) إحالةً نصيّةً سابقةً تعود على عنصرٍ لغويّ سبق ذكره وهو (أخاك). وقد أحال الاسم

(١) ينظر: الإحالة في نحو النّص: ٢٥.

(٢) نسيج النّص: ١١٨.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٥ / ٧٦، وينظر: مكارم الأخلاق: ٤٧٠.

الموصول (الَّذِي) إِحَالَةً نَصِيَّةً سَابِقَةً أَيْضًا تَعُودُ عَلَى اسْمِ الْإِشَارَةِ (ذَلِكَ) الَّذِي يُشِيرُ بِدَوْرِهِ إِلَى (الْقَوْلِ الْمَذْمُومِ) الَّذِي يَجْرِي الْحَدِيثُ حَوْلَهُ دَاخِلَ سَطْحِ النَّصِّ. أَمَّا جُمْلَةُ صِلَةِ الْمَوْصُولِ فِي الْإِحَالَاتِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي النَّصِّ، فَقَدْ فَسَّرْتُ الْاسْمَ الْمَوْصُولَ، وَأَسْهَمْتُ فِي تَرَابُطِ بَنِيَةِ النَّصِّ. وَسَاعَدَ هَذَا التَّرَابُطُ عَلَى إِفْهَامِ الْمُتَلَقِّي أَنْ مَوْضُوعَ النَّصِّ يَدُورُ حَوْلَ الْغَيْبَةِ، وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا مِنْ أُمُورٍ أَخْلَاقِيَّةٍ تَتَعَلَّقُ بِالْآخِرِينَ. فَالْإِحَالَاتُ بِالْأَسْمَاءِ الْمَوْصُولَةِ مَعَ صَلَاتِهَا قَدْ "جَعَلَتِ النَّصَّ عَلَى مَسْتَوًى وَاحِدٍ مِنَ الْإِتْسَاقِ وَالْتِمَاسِكَ يَدْرِكُهُ الْمُتَلَقِّي حَالِ النَّظَرِ إِلَيْهِ"^(١).

وَأَكَّدْتُ هَذِهِ الْإِحَالَاتُ بِالْاسْمِ الْمَوْصُولِ فَضْلًا عَنِ الضَّمَائِرِ وَاسْمِ الْإِشَارَةِ، الْمَعْنَى الْمُرَكِّزِي لِلنَّصِّ، وَأَسْهَمْتُ بِاسْتِمْرَارِيَّتِهِ، وَوَجَّهْتُ ذَهْنَ الْمُتَلَقِّي إِلَى النَّصِّ عَنْ طَرِيقِ التَّحْذِيرِ الَّذِي أَطْلَقَهُ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي بَدَايَةِ الْحَدِيثِ الْمَتَمَثِّلِ بِالضَّمِيرِ الْمُنْفَصِلِ (إِيَّاكَ). وَبَيَّنَّ النَّصَّ بِذَلِكَ التَّحْذِيرِ أَنَّ الْغَيْبَةَ مِنْ كِبَائِرِ الذَّنُوبِ، وَأَنَّ الزَّانَا مَعَ قُبَاحَةِ وَشَنَاعَةِ ارْتِكَابِهِ؛ لَكِنِ الْغَيْبَةُ أَشَدُّ مِنْهُ مِنْ حَيْثُ الذَّنْبُ وَصُعُوبَةُ التَّكْفِيرِ عَنْهَا؛ لِأَنَّهَا مُرْتَبِطَةٌ بِحَقُوقِ الْآخِرِينَ. إِنَّ هَذَا الْإِحَالَاتِ الَّتِي أُسْهَمْتُ فِي بِنَاءِ النَّصِّ "سَوَاءٌ كَانَتْ الْإِحَالَةُ إِلَى بَعِيدٍ أَوْ إِلَى قَرِيبٍ، فَإِنَّ عَامِلَ الْإِحَالَةِ يَسْهَمُ بِدَوْرٍ فَعَّالٍ فِي تَرَابُطِ النَّصِّ وَتِمَاسُكِهِ، إِلَى جَوَارِ الْعَامِلِ التَّرْكِيبِيِّ وَالْعَامِلِ الزَّمْنِيِّ؛ إِذْ إِنَّ الْمَلْفُوظَ نَصًّا يَكْتُمِلُ عِنْدَمَا تَتَرَابُطُ أَجْزَاؤُهُ بِاعْتِمَادِ الرِّوَابِطِ الْإِحَالِيَّةِ"^(٢).

وَقَدْ اقْتَصَرْتُ فِي تَنَاوُلِ الْإِحَالَةِ عَلَى مَا عَرَضَتْهُ مِنْ وَسَائِلِ الْإِحَالَةِ (الضَّمَائِرِ، أَسْمَاءِ الْإِشَارَةِ، الْأَسْمَاءِ الْمَوْصُولَةِ)؛ لِأَنَّ الْهَدَفَ مِنْ دَرَسَةِ بَنِيَةِ النَّصِّ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ، هُوَ الْإِشَارَةُ إِلَى الدَّورِ الْمَهْمِّ الَّذِي تَقُومُ بِهِ تِلْكَ الْوَسَائِلُ فِي تِمَاسُكِ النَّصِّ. وَهَذَا لَا يَعْنِي التَّقْلِيلَ مِنْ شَأْنِ وَأَهْمِيَّةِ الْوَسَائِلِ الْآخَرَى؛ إِذْ إِنَّ كُلَّ جُزْءٍ يَرِدُ فِي سَطْحِ النَّصِّ هُوَ لَخْدْمَةِ النَّصِّ.

(١) الرِّسَالَتِ وَالْوَصَايَا فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ (أَطْرُوحَةُ دَكْتُورَاه) وَرُودُ سَعْدُونِ عَبْدٍ: ٩٠.

(٢) دَرَسَاتُ لُغَوِيَّةٍ تَطْبِيقِيَّةٍ فِي الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الْبَنِيَةِ وَالذَّلَالَةِ: ١٥١.

ب- الحذف

يُعَدُّ الحذف وسيلةً من وسائل الاتِّساق النَّحْوِيَّةِ المِهْمَّةِ، وسمَةً بارزةً من سمات الإيجاز في اللُّغة؛ إذ إنَّ الحذف أفصح من الذِّكر، فهو يُزَيِّن النَّصَّ بخلٍّ من الإيجاز، المرصَّع بالجمال والبلاغة، جاعلاً أيَّاه نصّاً متماسكاً ومترابطاً ومجرّداً من التكرارات التي لا طائلَ منها. حدّه بوجراند بقوله: هو "استبعاد العبارات السّطحيّة التي يمكن لمحتواها المفهوميّ أن يقوم في الدّهن أو أن يوسّع أو أن يعدّل بواسطة العبارات النّاقصة" (١).

يظهر الحذف جلياً في بنية النَّصِّ عندما يكون هناك تواصل وتفاهم بين مُلقّي النَّصِّ ومتلقّيه. فالمتكلّم يقوم بإسقاط بعض العناصر اللّغويّة من سطح النَّصِّ بعد أن يقدّم قرائن تدلّ عليها، ويرسم بتلك القرائن علاقةً إحاليّةً بين العنصر المحذوف والقرائن المتوفرة داخل النَّصِّ؛ لأنّ وجود تلك القرينة في فضاء النَّصِّ يسهم في فهم المحذوف وتقديره، فهي بمثابة مرشدٍ للقارئ داخل النَّصِّ. على أن يفهم المتلقّي النَّصَّ دون جهدٍ أو تكلف، ويسدّ الفجوات داخل بنية النَّصِّ بالاعتماد على المعلومات التي اكتسبها من النَّصِّ (٢). ومن المفيد أن نشير إلى أنّ "أهميّة دور الحذف في الاتِّساق ينبغي البحث عنه في العلاقة بين الجمل وليس داخل الجملة الواحدة" (٣).

إنّ تحقيق الفائدة من الحذف داخل النَّصِّ مقرونٌّ بأمرين، الأوّل: هو أنّ هنالك قرينةً حاليّةً، عقليّةً، لفظيّةً سبق ذكرها في فضاء النَّصِّ، تدلّ على العنصر المحذوف، وتعمل على تكوين مرجعيّة بين العنصر المحذوف والمذكور داخل بناء النَّصِّ. والأمر الآخر منهما: هو ألاّ يؤدي الحذف إلى الإبهام واللّبس في فهم معاني النَّصِّ من قبل المتلقّي. وإن فقد الحذف هذين الأمرين في النَّصِّ، يكون لغواً لا فائدة منه في بنية النَّصِّ (٤).

(١) النَّصِّ والخطاب والإجراء: ٣٠١.

(٢) ينظر: نظرية علم النَّصِّ: ٨٧-٨٨.

(٣) لسانيات النَّصِّ مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٢.

(٤) ينظر: علم لغة النَّصِّ النّظريّة والتّطبيق: ١١٦.

إنَّ الحذف كما أشرنا يسهم بربط أجزاء النص وتماسكها. وهذا التماسك والاتساق يقوم على محورين^(١):

١- المرجعية: هذه المرجعية التي تسهم في فهم وتقدير المحذوف لا تتحقق إلا بوجود قرينة أي: إحالة العنصر المحذوف على العنصر اللغوي (القرينة) الذي ذكر في فضاء النص.

٢- التكرار: من المعلوم أنَّ الحذف يقوم بربط جمل متتالية داخل النص، ويسهم باستمرارية النص. وإنَّ المحذوف داخل النص يقوم مقام المذكور فيه، بمعنى أنَّه تكرر؛ ولكن دون إعادة اللفظ.

يقع الحذف داخل البنية النصية، عند لسانَي النص تحت ثلاثة أنواع (الحذف الاسمي، الحذف الفعلي، الحذف الجملي)؛ على أنَّ الحذف الجملي كثير ما يعول عليه لسانيو النص؛ لأنَّه منبثق من العلاقات بين الجمل؛ ولأهميته في بناء واتساق النص^(٢)

ومن شواهد الحذف الاسمي في حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ ﷺ: "إنَّ رجلاً جاء إلى النَّبِيِّ ﷺ فقال: يا رسول الله ما عَمَلُ الْجَنَّةِ؟ قال: الصَّدَقُ ، إذا صَدَقَ الْعَبْدُ بَرًّا، وإذا بَرًّا آمَنَ، وإذا آمَنَ دَخَلَ الْجَنَّةَ. قال: يا رسول الله، وما عَمَلُ النَّارِ؟ قال: الكَذِبُ، إذا كَذَبَ الْعَبْدُ فَجَرَ، وإذا فَجَرَ كَفَرَ، وإذا كَفَرَ يَئِسَ دَخَلَ النَّارَ"^(٣).

عند تأمل بنية النص نلاحظ فيها مواضع متعدّدة للحذف. كانت القرينة في كل موضعٍ مقالِيَّةً حاليَّةً، دلَّ عليها سؤال الرّجل المستفهم عن عمل الجنّة وعمل النار، وإجابة الرّسول ﷺ على استفهام الرّجل. ففي الموضع الأوّل كان موضع الحذف في (الصّدق...) والمحذوف (عمل الجنّة) بدليل السّؤال الأوّل للمتكلّم، والتّقدير (الصّدق عمل الجنّة)، وفي الموضع الثّاني كان الحذف في (الكذب...) والمحذوف (عمل النار) بدليل السّؤال الثّاني للمتكلّم نفسه، والتّقدير (الكذب عمل النار)، أمّا الموضع الثّالث، فكان الحذف مع الأفعال (بَرًّا، آمَنَ، فجر، كفر)، إذ حُذِفَ الفاعل (العبد) مع هذه

(١) ينظر: علم اللغة النصّي بين النّظريّة والتّطبيق: ٢ / ٢٠٨-٢٠٩ ، وعلم لغة النصّ النّظريّة والتّطبيق: ١١٦ ، ١٧٢.

(٢) ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٢ ، وعلم لغة النصّ النّظريّة والتّطبيق: ١١٨.

(٣) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٥ / ١٠٩ ، وينظر: التّرهيب والتّرهيب: ٣ / ٥٩٢.

الأفعال؛ لعلم المتلقي به، فـ(العبد) منذ انطلاق النصّ مثل مرجعاً مركزياً متكرراً حُذف من فضاء النصّ، وحقق اقتصاداً لغوياً أبعد النصّ عن الرّتابَة والملل.

أسهم الحذف في تحقيق دورٍ بارزٍ في اتّساق وتماسك النصّ، وحقق اقتصاداً لغوياً في بنية النصّ؛ إذ جعل الجمل داخل النصّ قصيرةً ومتقابلةً؛ ممّا أزاح البعد بينها وجعلها أكثر قرباً، ويتّضح من ذلك أنّ "ما يقوم به الحذف من تقريب المسافة بين المفردات الظاهرة في سطح النصّ، والتي كان العنصر المحذوف يفصل بينها تعكس رغبة الكاتب في إظهارها لقارئه لهدفٍ ما. وهذا مما يؤكّد أنّ التشكيلات اللغويّة انعكاسٌ مباشرٌ لتشكيلات نفسيّة"^(١).

فالنصّ يصوّر سلسلةً من السلوكيات النفسيّة التي تؤدّي إلى الجنّة أو النّار. وأوّل تلك السلوكيات (الصّدق/الكذب)، فالإنسان حتّى يكون صادقاً يجب عليه أن ينسجم بما يؤمن به، فالإيمان يمنح الشّخص المؤمن جنّةً روحيّةً وسعادةً في الدّنيا، ونعيمًا في الآخرة. وعلى العكس من هذا فإنّ الإنسان عندما يختار طريق الكذب، يضطر للاستمرار به بسلوكيات (الفجور)، فيتولّد لديه الشّعور بالضّياح والتّيه في الدّنيا. فتكون حياة الكافر في الدّنيا جحيماً، ويجد العذاب الأليم.

وأسهم الحذف أيضاً في إيجاد مقابلةٍ بين طرفي النصّ (الجنّة والنّار) (الصّدق والكذب)، وهذه الثّنائيات المتضادة مع الحذف فضلاً عن التراكيب المتوازية المتّصلة بسلسلةٍ شرطيةٍ تعليليةٍ جعلت النصّ أكثر تماسكاً، ورسّخت المفاهيم التي يحملها النصّ في ذهن المتلقي، ومن ثمّ حقّق الحذف داخل النصّ "التّرابط من خلال البحث عمّا يملأ الفراغ فيما سبق من خطاب وبذلك يقوم المتلقي للنصّ بعملية الرّبط التلقائي بين السّياق الحالي وما سبق من خطاب"^(٢).

ومن شواهد الحذف الفعليّ في حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ، ما رواه الإمام الصّادق (عليه السّلام) عن جدّه رسول الله ﷺ في فضل الصّدقة، قوله: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ،**

(١) نظرية علم النصّ: ٩٠.

(٢) التّرابط النصّي في ضوء التّحليل اللّساني للخطاب: ٧١.

الباب الثالث..... بِنَاءُ النَّصِّ فِي حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

لَيَدْفَعُ بِالصَّدَقَةِ الدَّاءَ، وَالذُّبِيلَةَ، وَالْحَرَقَ، وَالْعَرَقَ، وَالْهَدَمَ، وَالْجُنُونَ، وَعَدَّيْلُهُ سَبْعِينَ بَاباً مِنْ السَّوِّ (١) .

نلاحظ أنَّ الحديث المبارك قد تضمَّن فجواتٍ متعددة، أسهم الحذف في وجودها وعمل المتلقي على سدِّ تلك الفجوات بالاستعانة بالقرينة المتوافرة داخل النصِّ. فقد تمثَّلت هذه الفجوات بالأفعال المحذوفة في المواضع التالية (و... الذُّبِيلَةَ، وَ... الحَرَقَ، وَ... العَرَقَ، وَ... الهَدَمَ، وَ... الجُنُونَ، وَ... عَدَّيْلُهُ سَبْعِينَ بَاباً مِنْ السَّوِّ)، والمحذوف في هذه المواضع كلّها هو الفعل (يدفع) بدليل القرينة المذكورة في سياق النصِّ.

كما أسهم الحذف في اختصار النصِّ، وجعله أكثر تماسكاً، وركّز على الرِّبط بين الصَّدقة وما تدفعه من بلاء، عن طريق جعل النصِّ قصيراً متماسكاً، كأنّه جملةٌ واحدةٌ. فلم يُفصل بين الصَّدقة وما ترفعه من بلاء بأيّ فاصلٍ داخل النصِّ، بل سارع إلى ذكر ما تدفعه مباشرة؛ للدلالة على سرعة أثرها في رفع البلاء.

إنَّ التَّركيز على المعنى والتَّقارب بين الجمل، اللَّذان أحدثهما الحذف في النصِّ جعل معنى النصِّ ذا قوةٍ، وواضحاً للمتلقّي؛ إذ "ترك هذه الوسيلة الاتِّساقية مساحةً للقارئ ليمارس فعل القراءة، فيعمل على استحضار العناصر المحذوفة في ذهنه حتّى يصل بها البنية السَّطحية للنصِّ، التي تبدو للوهلة الأولى بنية متقطّعة وغير مستمرة؛ أي أنّه بحث عن العنصر اللّغويّ المفترض" (٢) .

كما نلاحظ أنَّ حذف الأفعال داخل النصِّ جاء بأسلوب العطف، فيدرك متلقّي النصِّ أن ما بعد (الواو) هو استمرارٌ لما قبلها "فباشترك المعطوف والمعطوف عليه في المعنى أو الحكم واتّحاد السياق الدّاخليّ للتركيب، والاعتماد على القرائن اللفظيّة، تمّ الاستغناء عن تلك المحذوفات ... وقد أهدى إليها وقدّرت تقديراً اعتماداً على العلاقة القبلية" (٣) .

وإذا طالعنا حِكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ بحثاً عن نصوص تتضمَّن الحذف الجمليّ ألفينا نصوصاً كثيرةً تتضمَّن هذا الحذف. منها على سبيل المثال قوله ﷺ : "أتى النَّبِيُّ

(١) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٦٢٧/٣ ، وينظر: الكافي: ٥/٤ .

(٢) لسانيات النَّصِّ، لينده قَيَّاس: ٢٩ .

(٣) الرِّسائل والوصايا في نهج البلاغة (أطروحة دكتوراه) ورود سعدون : ١١١ .

رجل فقال: لقد لقيتُ من وسوسةٍ صَدْرِي شِدَّةً وأنا رجلٌ مُعِيلٌ مَدِينٌ مَحْجُوجٌ فقال له: كَرُرْ هذهَ الكَلِمَاتِ «تَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا» فَلَمْ يَلْبَثِ الرَّجُلُ أَنْ عَادَ إِلَيْهِ. فقال: يا رسولَ اللهِ، أَذْهَبَ اللهُ عَنِّي وَسُوسَةَ صَدْرِي، وَقَضَى دِينِي وَوَسَّعَ رِزْقِي" (١) .

فالمحذوف في النصِّ المبارك هي الجملة الإسمية المتمثلة بجملة (الحمدُ لله الذي)، وقد حُذفت كُلُّها بركنيها المبتدأ والخبر إضافةً إلى الاسم الموصول. ومواضع الحذف في النصِّ هي (١... ولم يكن له شريك في الملك)، (٢... ولم يكن له ولي من الذل)، والمحذوف في كلا الموضعين جملة (الحمدُ لله الذي) بدليل القرينة اللفظية التي ذُكرت في سطح النصِّ.

فقد أسهم حذف الجملة الذي أشرنا إليه، فضلاً عن حذف لفظ الجلالة (الله) في (وقضى ديني ووسَّع رزقي) في تشكيل فجواتٍ داخل بنية النصِّ، يملأها متلقي النصِّ عن طريق القرائن اللفظية التي قدَّما النصِّ إليه، وهذه وسيلةٌ مهمةٌ لتشويق متلقي النصِّ، ولتنشيط ذهنه؛ ليفهم المعاني عن طريق السياق ويسهم في بناء نصٍّ متكاملٍ، فمتلقي النصِّ له "دورٌ مركزيٌّ في عملية الحذف، فهو الذي يوجَّهها ويتحكَّم فيها، فالحذف عمليةٌ لا يجريها المتكلِّم إلَّا وهو يقرأ فيها حساباً للمخاطب" (٢) .

فالحذف أغنى عن تكرار الجملة المحذوفة (الحمدُ لله الذي)، وحافظ على المعنى داخل النصِّ، فلو تكرر المحذوف في الموضعين كليهما لكان النصُّ مملاً. وحقَّق الحذف ربطاً بين الجمل "عن طريق إحالة المحذوف على المذكور السابق في النصِّ، واستمرار المعنى عبر التكرار، ممَّا ينشأ عنه استمرار التَّواصل عبر دلالات الغياب" (٣) .

ج- الرِّبْط

تُعَدُّ أدوات الوصل إحدى وسائل الاتِّساق النحويَّة المهمَّة؛ إذ تقوم هذه الأدوات بعملٍ فعَّالٍ داخل بنية النصِّ. فهي تعمل على ربط شتات الجمل في سطح النصِّ،

(١) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ١ / ٤٤١-٤٤٢ ، وينظر: من لا يحضره الفقيه: ١ / ٣٣٨.

(٢) أصول تحليل الخطاب في النظرية النحويَّة العربيَّة: ٢ / ١١٧٥.

(٣) علم لغة النصِّ النظرية والتطبيق: ١٧٢-١٧٣.

مشكلةً كياناً نصّياً متماسكاً على المستويين الدلالي واللغوي. فأدوات الربط لا تقل أهمية عن باقي وسائل الاتساق النحوي من ضمائر وأسماء موصولة وأسماء إشارة، فهي تتضافر مع هذه الوسائل؛ لإنتاج نصّ يتسم بسمّة النصّية^(١).

حدّها بوجراند بقوله: "الربط يشير إلى العلاقات التي بين المساحات أو بين الأشياء التي في هذه المساحات"^(٢).

إنّ لأدوات الوصل ميزة خاصة تميّزها عن غيرها من وسائل الاتساق الأخرى، وهي خلوها من إشارة موجهة نحو البحث عن المفترض داخل النصّ، سواء كانت هذه الإشارة إلى سابق أو لاحق، فهي ليست إحالة، ولا تتضمن أيّاً من تلك الإشارات؛ ولكن بواسطة هذه الأدوات تتربط الجمل السابقة بالجمل اللاحقة لتكوين النصّ المترابط^(٣).

فالجمل داخل النصّ تمثّل حلقات مبعثرة يمكن الوقوف عند أيّة حلقة منها؛ ولكن يمكن لأيّة حلقة "أنّ تفهم معزولة عنها. فكلّ مكونٍ من مكوناته يمثل معلماً أو نقطة Repère تتقدّم بها الأحداث إن كانت حدثاً، وتتعدّد بها الدّوات إن كانت ذاتاً"^(٤). فأدوات الربط هي من تقوم بنظم هذه الحلقات بصورة صحيحة؛ لتكون لنا نصّاً متماسكاً، عن طريق ربط الجمل مع بعضها، ممهدة لنا الطريق لفهم النصّ وتتابع أحداثه.

يضمّ الوصل أدوات متعددة، وهذه الأدوات تصنّف حسب هاليداي ورقية حسن على أربعة أقسام، وهي: الوصل الإضافي، الوصل السببي، الوصل الاستدراكي، الوصل الزمّني^(٥).

وسأتجاوز غور البحث في دقائق كلّ قسمٍ من هذه الأقسام الأربعة. جاعلاً البوصلة تتّجه نحو نماذج من هذه الأدوات؛ لأبيّن أثرها في اتساق وتماسك حكم النبي الأعظم. وهذه الأقسام على النحو الآتي:

(١) ينظر: في اللسانيات ونحو النصّ: ٢٠٤، ومدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه: ١٢٩، وبناء الجملة العربية: ١٩٣.

(٢) النصّ والخطاب والإجراء: ٣٤٦.

(٣) ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٢-٢٣، ونظرية علم النصّ: ٩٤.

(٤) نسيج النصّ: ٤٣.

(٥) ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٣.

● الرِّبْطُ الْإِضَافِي

وهو الرِّبْطُ الَّذِي يَقُومُ بِالرِّبْطِ بَيْنَ "صُورَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ صُورِ الْمَعْلُومَاتِ بِالْجَمْعِ بَيْنَهُمَا؛ إِذْ تَكُونَانِ مُتَحَدَّتَيْنِ مِنْ حَيْثُ الْبَيِّنَةُ أَوْ مُتَشَابِهَتَيْنِ" (١) .

وأدوات هذا النوع من الرِّبْط هي (و، أو، أم، كذلك) ولكلِّ أداةٍ من هذه الأدوات معنى بلاغيٌّ تتَّسِمُ به، وتُسْتَعْمَلُ فِيهِ (٢) .

ومن أمثلة ذلك في حَكَمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ، ما ورد في قوله ﷺ: "يَا مُعَاذُ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَدَى الْحَقِّ أَسِيرٌ. يَعْلَمُ أَنَّ عَلَيْهِ رَقِيْبًا، عَلَى سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَلِسَانِهِ وَيَدِهِ وَرِجْلِهِ وَبَطْنِهِ وَفَرْجِهِ، حَتَّى اللَّحْمَةِ بِبَصَرِهِ وَفَتَاتِ الطَّيْنِ بِإِصْبَعِهِ وَكُلِّ عَيْنِيهِ وَجَمِيعِ سَعْيِهِ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَأْمَنُ قَلْبُهُ وَلَا يَسْكُنُ رَوْعَتُهُ وَلَا يَأْمَنُ اضْطِرَابُهُ، يَتَوَقَّعُ الْمَوْتَ صَبَاحًا وَمَسَاءً، فَالْتَقَى رَقِيْبُهُ، وَالْقُرْآنُ دَلِيلُهُ، وَالْخَوْفُ حُجَّتُهُ، وَالشَّرَفُ مَطِيئَتُهُ، وَالْحَذَرُ قَرِيْنُهُ، وَالْوَجَلَ شِعَارُهُ، وَالصَّلَاةُ كَهْفُهُ، وَالصِّيَامُ جُنَّتُهُ، وَالصَّدَقَةُ فَكَاكُهُ، وَالصِّدْقُ وَزِيرُهُ، وَالْحَيَاءُ أَمِيرُهُ، وَرَبُّهُ تَعَالَى مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ بِالْمِرْصَادِ" (٣) .

نلاحظ في الحديث الشريف أنَّ أداة الرِّبْط (الواو) سجَّلت حضوراً لافتاً في بنية النصِّ؛ إذ تكرَّرت ثلاثة وعشرون مرةً في سطح النصِّ. كانت (الواو) في سبعة مواضع رابطةً بين المفردات، وفي ستة عشر موضعاً رابطةً بين الجمل.

إنَّ أداة الرِّبْط (الواو) تفرَّدت عن سائر الأدوات الأخرى بميزة جوهريَّة، وهي يمكن للنَّاص أن يستعملها للتعبير والتَّصريح في أنواع الرِّبْط المختلفة (٤) .

ووجود (الواو) كان مناسباً للنَّصِّ؛ إذ منحتة إيقاعاً خطابياً قوياً؛ لأنَّ الرسول ﷺ أخذ يعدِّد صوراً وصفاتٍ للمؤمن الصادق، وحقَّقت الواو الرِّبْط الدَّلاليَّ والتَّركيبيَّ في بنية النصِّ، ومنعت تفكُّك المعاني وتقطُّعها.

وأسهمت بهذا الحضور الفعَّال بربط شتات الجمل في النصِّ، وجعلته كياناً لغوياً متماسكاً، عن طريق ربط الصِّفات داخل بنية النصِّ دون تفكيك؛ إذ إنَّ كلَّ الصِّفات

(١) النَّصِّ وَالْخُطَابُ وَالْإِجْرَاء : ٣٤٦.

(٢) ينظر: علم لغة النَّصِّ النَّظَرِيَّةُ وَالتَّطْبِيقُ : ١١١.

(٣) حَكَمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ١/ ٤٢٨ ، وينظر: حلية الأولياء: ١/ ٢٦.

(٤) ينظر: النَّصِّ وَالسِّيَاقُ، فَنَ دَايِك: ٩٠.

تشير إلى مركزٍ واحدٍ وهو (المؤمن)، وهذا تأكيدٌ على مركزية المعنى في النص. فقد أسهمت (الواو) "في وصل المعاني بعضها ببعض، وربط أجزاء الكلام، وتحقيق الفائدة منه، ولولاه لاحتاج المتكلم إلى ذكر أشياء يتعذر معها ائتلاف أجزاء القول ومعاملته شكلاً واحداً"^(١).

كما تضافرت وسائل الربط في بنية النص المتمثلة بالأدوات (الواو والفاء وحتى) على "تحقيق تماسك النص عبر تتابع أدوات الربط بين الجمل"^(٢).

من المفيد أن نشير إلى أن عزة شبل ذكرت عبارات تتضوي تحت مفهوم الربط الإضافي تحمل في طياتها معانٍ متعددة، منها التشبيه الدلالي، أو استعمال المقارنة المنفية، أو عبارات تدل على معاني الشرح أو التمثيل أو التخصيص. ومن هذه العبارات: بنفس الطريقة، على نحو خاص، بالمصادفة، من ناحية أخرى، بكلمات أخرى. وغيرها من العبارات الأخرى^(٣). وهذه العبارات التي ذكرتها عزة شبل تملو منها اللغة النبوية؛ لأن كلامه ﷺ يتسم بالإيجاز والبلاغة، وتأدية الكلام بألفاظ قليلة ذات معانٍ كثيرة، دون عناء وتكلف.

● الربط السببي

وهو ربطٌ "بين عنصرين يعتمد أحدهما على وجود الآخر. وتُمثل تلك الأدوات عدّة أنواع، كالسبب والنتيجة لا تظهر النجوم نهاراً؛ لأنّ الشّمس موجودة. ومن تلك الأدوات: ل... - لأن - لكي - لذلك - من أجل ..."^(٤).

ومن شواهد الربط السببي ما روي عن رسولنا الكريم ﷺ قوله: "رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ مَكْتُوباً: الصَّدَقَةُ بَعْشِرِ أَمْثَالِهَا، وَالْقَرْضُ بِثَمَانِيَةِ عَشَرَ، فَقُلْتُ: يَا جَبْرِئِيلُ، مَا بَالُ الْقَرْضِ أَفْضَلَ مِنَ الصَّدَقَةِ؟ قَالَ: لِأَنَّ السَّائِلَ يَسْأَلُ وَعِنْدَهُ، وَالْمُسْتَقْرِضُ لَا يَسْتَقْرِضُ إِلَّا مِنْ حَاجَةٍ"^(٥).

(١) نحو النصّ إطار نظريّ ودراسات تطبيقية، عثمان أبو زيد: ١٣٢.

(٢) علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: ١٦٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١١١.

(٤) نظرية علم النصّ: ٩٥.

(٥) حكم النبي الأعظم: ٤ / ٤٨٦، كنز العمال: ٦ / ٢١٠.

نلاحظ في الحديث المبارك ترابطاً نصّياً ودلالياً حقّقته الأداة (لأنّ) التي ربطت الكلام السابق لها بالكلام اللاحق. وفُسّرت الحكمة من تفضيل القرض على الصدقة. وحدّدت العلاقة المنطقيّة داخل النصّ، وهذه "العلاقة بين صورتين من صور المعلومات هي علاقة التدرج، أي: أنّ تحقّق إحداها يتوقف على حدوث الأخرى"^(١). فأنّجت كيّاناً لغويّاً متماسكاً، بالتّضافر مع وسائل الرّبط الأخرى المتمثّلة بأداتي الرّبط (الواو) التي حقّقت الجمع بين عناصر النصّ، و(الفاء) التي ربطت النصّ بعد تعقيب الرّسول على كلام جبرائيل، فحقّق هذا الرّبط انسجاماً منطقيّاً في بنية النصّ، "فالتّماسك إذن شكليّ الأداة دلاليّ المضمون والمعنى؛ لذلك لا تكتسب أداة العطف معناها العطفيّ إلّا من خلال وقوعها في تركيب العطف"^(٢).

● الرّبط الزّمنيّ

ويقصد به "ربط بين الأحداث أو الحركات حسب تعاقبها على محور الزّمن"^(٣). يستعمل هذا الرّبط ألفاظاً وتعبيرات متعدّدة، منها: (ثمّ، الفاء، مبكراً، في هذه اللّحظة، أثناء ذلك، على نحو تاليّ، في الوقت ذاته)... وغير ذلك من الألفاظ التي تربط العلاقات الزّمنيّة بين أحداث النصّ^(٤).

ومن مواضع الرّبط الزّمنيّ في حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ ﷺ، الحديث الذي رواه جابر: "لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَاسْتَلَمَ الْحَجَرَ، ثُمَّ مَضَى عَلَى يَمِينِهِ، فَرَمَلَ ثَلَاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا. ثُمَّ أَتَى الْمَقَامَ فَقَالَ: وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى. فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، وَالْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ. ثُمَّ أَتَى الْحَجَرَ بَعْدَ الرُّكْعَتَيْنِ فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّفَا"^(٥).

(١) النصّ والخطاب والإجراء: ٣٤٧.

(٢) علم اللغة النصّي بين النّظريّة والتّطبيق: ١ / ٢٤٩.

(٣) نسيج النصّ: ٤٦.

(٤) ينظر: علم لغة النصّ النّظريّة والتّطبيق: ١١٢.

(٥) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٦ / ٢٢٦، وينظر: سنن التّرمذي: ٢ / ٢٧٤.

أدى الرِّبْطُ الزَّمَنِيَّ فِي النَّصِّ إِلَى رَسْمِ صُورَةٍ مَنَاسِكِ الْحَجِّ. فَقَدْ قَدَّمَ النَّصُّ أَحْدَاثًا زَمَنِيَّةً مُتتَالِيَةً تُرْبِطُهَا أَدَوَاتُ الرِّبْطِ الزَّمَنِيَّ (الفاء، ثُمَّ)، فَضْلًا عَنْ حَرْفِ الْعُطْفِ (الواو)، فَقَدْ تَضَافَرَتْ هَذِهِ الْأَدَوَاتُ عَلَى إِنْتَاجِ نَصٍّ لُغَوِيٍّ مُتَمَاسِكٍ.

تَكَرَّرَتْ (الفاء) خَمْسَ مَرَّاتٍ فِي سَطْحِ النَّصِّ، وَهَذَا التَّكَرُّارُ "يُشِيرُ إِلَى التَّتَابُعِ الزَّمَنِيِّ السَّرِيعِ"^(١). فَعَمِلَتْ عَلَى رِبْطِ كُلِّ حَدَثٍ مِنْ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ (فَاسْتَلَمَ، فَرَمَلَ، فَقَالَ، فَصَلَّى، فَاسْتَلَمَهُ) بِتَعْقِيبٍ سَرِيعٍ بِمَا قَبْلُهَا، فَلَا يَشْعُرُ قَارِئُ النَّصِّ بِانْقِطَاعِ النَّصِّ وَتَفَكُّكَ أَوْ يَشْعُرُ بِوُجُودِ فَجَوَاتٍ زَمَنِيَّةٍ دَاخِلِ بَنِيَةِ النَّصِّ. أَمَّا الْأَدَاةُ (ثُمَّ)، فَتَكَرَّرَتْ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فِي النَّصِّ. وَهِيَ تَقِيدُ التَّرْتِيبَ مَعَ التَّرَاخِي فِي الزَّمَنِ. وَدَلَّتْ فِي النَّصِّ عَلَى وَجُودِ مَهْلَةٍ زَمَنِيَّةٍ بَيْنَ أَحْدَاثِ النَّصِّ الْمَتَمَثِّلَةِ بِ(مَنَاسِكِ الْحَجِّ)، وَبَيَّنَّتْ أَنَّ بَيْنَ كُلِّ نَسَكٍ مِنْ هَذَا الْعَمَلِ الشَّعَائِرِيَّ مَسَافَةً زَمَنِيَّةً، فَأَسْهَمَتْ (ثُمَّ) بِتَرْتِيبِ تِلْكَ الْأَحْدَاثِ دَاخِلِ النَّصِّ.

أَمَّا حَرْفُ الْعُطْفِ (الواو)، فَقَدْ أَسْهَمَ فِي تَمَاسِكِ النَّصِّ وَانْسِجَامِهِ؛ إِذْ تَكَرَّرَ فِي (وَمَشَى، وَاتَّخَذُوا، وَالْمَقَامَ، وَبَيْنَ الْبَيْتِ) تَرْتِيبًا قَائِمًا عَلَى الْعِلَاقَةِ بَيْنَ السَّبَبِ وَالنَّاتِجَةِ دَاخِلِ النَّصِّ. "فَمَعَ اخْتِلَافَ مَعَانِي أَدَوَاتِ الْوَصْلِ الزَّمَنِيِّ فِيمَا بَيْنَهَا...إِلَّا إِنَّ وَظِيفَةَ الْوَصْلِ هِيَ نَفْسُهَا تَقْوِيَةُ الْعِلَاقَاتِ بَيْنَ الْجُمْلِ الْمَتَعَاقِبَةِ أَفْقِيًّا، وَجَعَلَهَا مُتَرَابِطَةً نَصِّيًّا، وَهِيَ بِذَلِكَ وَسِيلَةٌ مِنْ وَسَائِلِ الْإِتْسَاقِ النَّصِّيِّ الَّتِي لَا غِنَى عَنْهَا فِي إِقَامَةِ النَّصِّ"^(٢).

● الرِّبْطُ الْإِسْتِدْرَاكِيّ

وَيُسَمَّى الرِّبْطُ الْعَكْسِيّ أَيْضًا. وَهَذَا الضَّرْبُ "يُرْبِطُ الْإِسْتِدْرَاكَ عَلَى سَبِيلِ السَّبَبِ بَيْنَ صَوْرَتَيْنِ مِنْ صُورِ الْمَعْلُومَاتِ، بَيْنَهُمَا عِلَاقَةٌ تَعَارُضُ، وَيُمْكِنُ اسْتِخْدَامَ لَكِنْ، بَلْ، مَعَ ذَلِكَ"^(٣).

ذَهَبَ بُوْجْرَانْدُ إِلَى أَنَّ الْإِسْتِدْرَاكَ "أَضْعَفُ مِنَ التَّخْيِيرِ...؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْمَوْقِفَيْنِ أَوْ الْحَدَثَيْنِ أَوْ أَيْ أَمْرَيْنِ آخَرَيْنِ يَعْذَّانِ فِي ذَوَاتِهِمَا غَيْرَ قَابِلَيْنِ أَنْ يَجْتَمَعَ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ؛

(١) نظريّة علم النص: ٩٩.

(٢) الاتّساق والانجسام في روايات كتاب التّوحيد للشيخ الصّدوق (رسالة ماجستير) زينب حمديّ الجزائريّ:

١٠٧-١٠٨.

(٣) نحو النص: ١٢٩.

ولكنهما مع ذلك يوجدان في عالم نصّ واحد^(١)، ومن شواهد هذا الرّبط ما روي عنه عليه السلام: "لَمَّا زَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاطِمَةَ قَالُوا: بِالزَّفَاءِ وَالْبَنِينَ، فَقَالَ: لَا بَلْ عَلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ"^(٢).

نلاحظ في الحديث المبارك أَنَّ الأداة (بل) أسهمت في ترابط وتماسك النصّ، وربطت الزّمن بالحدث، عن طريق الإضراب الانتقالي^(٣)، الَّذِي حَقَّقَتْهُ بل في سطح النصّ؛ إذ بيّنت المعنى الَّذِي أُضْرِبَتْ عنه متمثلاً بالجملة الأولى، فهي مكروه استعمالها؛ لما فيها من نزعة جاهليّة^(٤)، وانتقلت إلى معنى بيّن وسليم تمثّل بالجملة الثّانية الّتي قدّمها الرّسول ﷺ بدلاً من الأولى، وهي العبارة الإسلاميّة الصّحيحة الّتي تتطّلق من مفهوم الخير والبركة.

وأصفت (بل) على بنية النصّ قوّة بلاغيّة عن طريق المقابلة بين الصّواب والخطأ والانتقال من النّفي إلى الإثبات. والرّبط بين شيئين "غير متّسقين معاً في عالم النصّ"^(٥). وبهذا تضافرت (بل) مع وسائل الوصل الأخرى في بناء نصّ لغويّ متماسك؛ "ولأنّ وظيفة الوصل هي تقوية الأسباب بين الجمل وجعل المتواليات مترابطة متماسكة فإنّه لا محالة يعتبر علاقة اتّساق أساسيّة في النصّ"^(٦).

إنّ من خلال تناولنا لأدوات الوصل يتّضح قلّة توظيف بعض الأدوات في حديثه الشّريف؛ وذلك يعود لقصر تلك الأحاديث. ولعلّ هذه الأحاديث كانت في أصلها خطباً طويلاً، ثمّ تفكّكت تلك الخطب عند رواية الحديث الشّريف. أو أنّ الرّاوي يروي هذا الجزء القصير من خطبة النّبي ﷺ لمناسبة القصد أو المقام الَّذِي يروم إليه. أو للاستشهاد على حُكم دينيّ معين، ومن ثمّ تروى هذه الحكمة مجذوذة عن نصّ كامل.

٣- الاتّساق المعجميّ

يُعَدُّ الاتّساق المعجميّ أحد وسائل الاتّساق النّصّيّة؛ إذ يعمل على تماسك واستمراريّة النصّ، ويعمل كذلك على انسجام أجزائه السّطحيّة عن طريق تفسير العلاقة المحضة

(١) النصّ والخطاب والإجراء: ٣٤٩.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٤٥٧ / ٣، وينظر: الكافي: ٥ / ٥٦٨.

(٣) ينظر: الكتاب: ٢٢٣ / ٤.

(٤) ينظر: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرّسول، العلّامة المجلسي: ٢٠ / ٤٢٥.

(٥) نظريّة علم النصّ: ٩٥.

(٦) لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٤.

التي تقع بين كلمتين أو أكثر، على أن هذه العلاقة المعجمية المحضة تخلو من عناصر نحوية تعمل على إظهارها، علاوة على ذلك فإن الاتساق المعجمي يمنح النص صفة النصية عن طريق تنشيط مفردات النص وتماسكها^(١).

ذكر هاليداي ورقية حسن عاملين يعملان على تحقيق الاتساق المعجمي، يتمثل الأول منهما بعامل المسافة بين الوحدات المعجمية التي تظهر على سطح النص. والعلاقة بين المسافة وهذه الوحدات علاقة عكسية، فكلما تقترب هذه الوحدات فيما بينها داخل سطح النص زاد اتساق النص صلابة وقوة. أما العامل الثاني، فيتمثل بعامل الكثافة كثافة الوحدات المعجمية؛ إذ يضعف اتساق بنية النص كلما زاد تواتر استعمال الودعتين المعجميتين داخل سطح النص^(٢).

يتحقق الاتساق المعجمي في بناء النص بوسيلتين^(٣):

١- التكرار.

٢- التّضامّ المصاحبة المعجمية.

أ- التكرار:

ويُقصد به "إعادة ذكر لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة؛ وذلك باللفظ نفسه أو بالتّرادف وذلك لتحقيق أغراض كثيرة أهمّها تحقيق التماسك النصّي بين عناصر النص المتباعدة"^(٤).

أطلق عليه بوجراند إعادة اللفظ وحدّه بقوله: "هي التكرار الفعليّ للعبارات. ويمكن للعناصر المعادة أن تكون هي بنفسها أو مختلفة الإحالة أو متراكبة الإحالة. ويختلف مدى المحتوى المفهوميّ الذي يمكن أن تنشّطه هذه الإحالات بحسب هذا التّنوع"^(٥).

(١) ينظر: نظرية علم النص: ١٠٦، ولسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٤، وعلم لغة النصّ النظرية والتطبيق: ١٤١.

(٢) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ١ / ١٤٣.

(٣) ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٤.

(٤) علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق: ٢ / ٢٠.

(٥) النصّ والخطاب والإجراء: ٣٠١.

إنَّ للتكرار أهميّة في عالم النصّ، وترجع هذه الأهميّة لدوره الجوهريّ في تماسك النصّ؛ إذ يسهم في ترابط بنية النصّ واتّساقها، وفي التأكيد على البؤرة الدلاليّة في عالم النصّ ودعمها عن طريق التكرار؛ ممّا يسهم ذلك بترسيخها في ذهن المتلقّي؛ إذ إنَّ التكرار "يستمر بالإشارة إلى الكيان ذاته في عالم النصّ، وعندئذ يتدعم ثبات النصّ بواسطة هذا الاستمرار الواضح. فيخلق تعدد التكرار أساسًا مشتركًا بين الجمل؛ ممّا يسهم في وحدة النصّ وتماسكه"^(١).

جعل الأزهر الزّناد التكرار المعجميّ نوعًا من أنواع الإحالة داخل فضاء النصّ إحالة سابقة تحيل العنصر المكرّر إلى عنصر لغويّ سبق ذكره، سمّاها بـ(الإحالة التكراريّة). وأنَّ الغرض من هذه الإحالة التكراريّة في سطح النصّ هو تأكيد للعنصر المحيل عليه^(٢).

أمّا جمعان عبد الكريم، فقد جعل فروقًا بين الإحالة وبين التكرار المعجميّ، وذهب إلى أن "التكرار لا يعني أن اللفظ الثّاني المكرّر قد يحيل بالضرورة إلى نفس معنى اللفظ الأوّل، ولذلك فقد تكون بين اللفظين المكرّرين علاقة إحاليّة، وقد لا تكون... إنَّ أيّ إعادة لفظ المعجميّ في التّلفّظ أو في الكتابة تمثّل ربطًا حتّى إن اختلف المعنى"^(٣)، وفيما أرى أن التكرار من حيث مفهومه العامّ هو إحالة إلى عنصر سبق ذكره في فضاء النصّ، وأنّ العمليات الذهنيّة لدى متلقّي النصّ هي من تحدّد هل هذا العنصر اللفظيّ المتكرّر يشير إلى سابق أم هو عنصر مستقلّ في ذاته لا يحمل إشارة إلى سابق؟ وفي الحالتين كليهما يسهم التكرار بربط واتّساق النصّ ممّا يجعله كيانًا لغويًا متماسكًا.

صنّف لسانيو النصّ التكرار إلى أنواع متعدّدة^(٤). و سنقتصر في معرض بحثنا هذا على شواهد من التكرار الكلّي والتّرادف؛ لما لها من أثر في تماسك وانسجام النصّ.

(١) علم لغة النصّ النظريّة والتّطبيق: ١٠٥.

(٢) ينظر: نسيج النصّ: ١١٩.

(٣) إشكالات النصّ: ٣٦٠.

(٤) ينظر: نظريّة علم النصّ: ١٠٧، ولسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٤، ونحو النصّ: ١٠٦ -

١٠٧.

يقصد بالتكرار الكلي "أن المتكلم يواصل الحديث عن نفس الشيء، بما يعني استمراره عبر النص. وهو ما يطلق عليه التكرار المعجمي البسيط ويحدث عندما يتكرر العنصر المعجمي دون تغيير"^(١). ومن أمثلة هذا النوع ما ورد في قوله ﷺ: "أفضل الزهد في الدنيا ذكر الموت، وأفضل العبادة ذكر الموت، وأفضل التفكير ذكر الموت، فمن أثقله ذكر الموت وجد قبره روضة من رياض الجنة"^(٢).

نلاحظ أن الحديث المبارك تضمن تكراراً كلياً محضاً؛ إذ امتدت العناصر المتكررة من بداية النص حتى نهايته، متمثلة بإعادة اللفظين (ذكر الموت) و(أفضل). فقد تكرر ذكر (الموت) أربع مرات في سطح النص. وتكررت اسم التفضيل (أفضل) ثلاث مرات. فأسهم هذا التكرار بربط المتواليات الجمالية بخيط واحد من المعنى "التكرار في مثل هذا النموذج يؤدي دوراً واحداً هو ... تذكير الدال الثاني بالدال الأول، والتذكير يؤدي إلى ربط اللاحق بالسابق، أي أنه يُعد شكلاً من أشكال سبك النص"^(٣).

وأن تكرار الوحدات الصوتية نفسها في فضاء النص تسهم بشكل كبير في اتساق النص؛ إذ إن "التكرار الكلي هو إيقاع صوتي لكلمات محددة شكلت نوعين من التنغيم داخل النص: الوزن بصوته، والتكرار بلفظه، فولد هذا الإيقاع تطريزاً خارجياً لسطح النص"^(٤).

أما تكرار البنية التركيبية (أفضل + اسم + ذكر الموت) في سطح النص، فقد أضفى على النص إيقاعاً لغوياً؛ إذ أسهمت هذه البنية التركيبية المتكررة باستمرارية المعنى، وتماسك التراكيب اللغوية داخل النص، فإذا "كان التوازي يساهم في الاتساق من خلال استمرار بنية شكلية في سطور عديدة فإنه في الوقت نفسه يمنح فرصة لتنامي النص، وذلك بإضافة عناصر جديدة"^(٥).

(١) علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٠٦.

(٢) حكم النبي الأعظم: ٢ / ٤٩٣ ، وينظر: جامع الأخبار: ٤٧٣.

(٣) النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، محمد عبد الباسط: ١٥٠.

(٤) التطريز الصوتي لسطح النص، نوال الحلوة: ٢٠.

(٥) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٣٠.

والفائدة من شحن النصّ بهذه التكرارات هو لتدعيم المعنى المركزي في ذهن المتلقّي، وربطه ببؤرة النصّ المتمثلة بـ(الموت)، فكلّ ما يقوم به الإنسان من أعمالٍ عباديّة من وزهد وتفكّر يجب أن يرتبط بالموت. فالتكرار أسهم بشدّ ذهن المتلقّي إلى المحاور الأساسيّة في بنية النصّ المتمثلة بـ(الزهد، والعبادة، والتفكّر). فإذا كان "كلّ نصّ محاور رئيسيّة، فيجب أن تقوم ظاهرة التكرار بتدعيم تلك المحاور"^(١). وهذا ما سعى إليه التكرار؛ إذ أسهم بربط المحاور الثلاثة بخيطٍ واحدٍ من المعنى وهو ذكر الموت، ممّا جعل النصّ كتلة لغويّة متماسكة.

فالتكرار داخل النصّ لم يكن حشواً لا فائدة فيه، بل مهّد لوضع استنتاج نهائيّ تمثّل بالجنّة. وهذا الاستنتاج بناه التكرار في فضاء النصّ، لا سيّما تكرار لفظة (الموت)؛ إذ رسم تكرارها طريقاً لإيقاظ القلب من غفلة دار الدنّيا والعمل لدار الآخرة.

أمّا الشكل الآخر من التكرار الذي سنتناوله في بحثنا، فيتمثّل بالتّرادف. فقد عرّفه الشّريف الجرجانيّ (٨١٦ هـ) بقوله: "المترادف ما كان معناه واحداً وأسماءه كثيرة"^(٢). عدّ لسانيو النصّ التّرادف من محددات الاتّساق المعجميّ؛ لما له من دورٍ مهمّ في تماسك النصّ وانسجامه. فهو يُعدّ "وسيلة من وسائل الرّبط المعجميّ، يسهم في امتداد المعنى داخل النصّ باعتباره شكلاً من أشكال التكرار"^(٣).

ومن أمثلة التّرادف في حَكَمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ، قوله ﷺ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الْحَقِّ الْمُبِينِ، ذِي الْقُوَّةِ الْمَتِينِ، وَالْفَضْلِ الْعَظِيمِ، الْمَاجِدِ الْكَرِيمِ، الْمُنْعِمِ الْمُتَكَرِّمِ، الْوَاسِعِ... الْقَابِضِ الْبَاسِطِ الْمَانِعِ... بَاسِطِ الْيَدَيْنِ بِالرَّحْمَةِ... مُنْزِلِ الْغَيْثِ، بَاسِطِ الرِّزْقِ"^(٤).

نلاحظ أنّ الحديث الشّريف تضمّن مفرداتٍ مترادفةً مع لفظ الجلالة الله، وهي أسماء الله الحسنی (الحقّ، المبين، القوي، المتين، العظيم، الماجد، الكريم، الواسع، القابض، الباسط، المانع). فكلّ هذه الأسماء تُرادف لفظ الجلالة (الله)؛ ولكن هذه الأسماء لا

(١) نظريّة علم النصّ: ١٠٧.

(٢) التّعريفات، الشّريف الجرجاني: ١٩٩.

(٣) علم لغة النصّ النظريّة والتّطبيق: ١٤٩.

(٤) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ١ / ٥٥٣، وينظر: الدّروع الواقية: ٨٧.

تترادف فيما بينها؛ لأنَّ هنالك اختلاف في دلالة الصِّفة. وتبيان دلاليّ، فكلّ اسم منها يدلّ على معنى واحد^(١).

إنَّ لفظ الجلالة (الله) جامعٌ لتلك الصِّفات كلّها؛ لأنَّ "هذا الاسم الشَّريف دلّ على الذات المقدَّسة الموصوفة بجميع الكمالات، وباقي الأسماء لا تدلّ أحادها إلّا على آحاد المعاني كالقادر على القدرة... إنَّ جميع أسمائه الحسنی تتسمّى بهذا الاسم ولا يتسمّى هو بشيءٍ منها فلا يقال الله اسم من أسماء الغفور أو الرّحيم؛ ولكن يقال الغفور اسم من أسماء الله تعالى"^(٢).

أسهم التّكرار بالمترادف في تماسك النصّ، واستمرار المعنى داخل بنية النصّ، وأضفى تنوّعاً دلاليّاً في فضاء النصّ؛ إذ ربط النصّ بخيطٍ من المعنى المستمر وهو مناجاة الله سبحانه وتعالى بمختلف صفاته التي تدلّ عليه. وأسهم أيضاً في تأكيد المعنى في ذهن المتلقّي، وشدّ ذهنه إلى بؤرة النصّ عن طريق ترادف هذه الأسماء في النصّ مع لفظ الجلالة. "وبما أنَّ التّطابق بين الوحدات في التّكرار الدلاليّ ليس تطابقاً تامّاً؛ فإنّه يحدث فرقاً طفيفاً يكسب المعنى تلوّناً في باطن النصّ، وتنوّعاً في ظاهره مما يدعم تماسك النصّ وترابطه"^(٣).

ب- التّضامُّ (المصاحبة المعجميّة)

يُعَدُّ التّضامُّ ثاني أشكال الاتّساق المعجميّ. ويُقصد به: "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوّة نظراً لارتباطها بحُكم هذه العلاقة أو تلك"^(٤). إنَّ التّضام يسهم إسهاماً فعّالاً في تماسك النصّ واستمراره، عن طريق احتواء سطح النصّ على كلمات تربطها علاقةٌ ما، وذكر إحدى الكلمتين يستلزم ذكر الأخرى في فضاء النصّ، يزيد النصّ قوّةً وتماسكاً، فهو وسيلةٌ مهمّةٌ في بناء كيان لغويّ متماسك^(٥).

(١) ينظر: انتقاء التّرادف في أسماء الله الحسنی بين الدّلالة المعجميّة والدّلالة الصّرفيّة (بحث منشور)، أحمد مختار عمر: ٥.

(٢) نور الأنوار، نعمة الله الجزائريّ: ٣٢٠-٣٢١، وينظر: التعريفات، الجرجانيّ: ٢٣-٢٤ الاسم الأعظم.

(٣) أثر التّكرار في تماسك النصّ بحث منشور، نوال الحلوة: ٤٨.

(٤) لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٥.

(٥) ينظر: إشكالات النصّ: ٣٦٦.

وترجع أهميّة التّضامّ في عالم النّصّ إلى كونه "وسيلة من وسائل الرّبط المعجميّ تعمل على استمراريّة المعنى عبر وجود مجموعة من الكلمات التي يتكرّر استخدامها في سياقات متشابهة، ممّا يخلق أساساً مشتركاً بين الجمل في النّصّ"^(١).

ذهب هاليداي ورقية حسن إلى أنّ علاقة المفردات داخل عالم النص هي التي تحكّم نظم النّصّ، وقد تكون هذه العلاقة تعارض أو جزء من كلّ أو اشتمال أو غير ذلك. وأنّ توضيح بعض هذه العلاقات طريق شائك على المتلقّي تزلّ فيه قدمه، ولكي يتجاوز هذا الطّريق يعتمد على حدسه اللّغويّ وقدرته على معرفة أكبر قدر من معاني المفردات؛ لأنّنا نفتقر إلى آلية تساعدنا على فهم علاقة المفردة بهذه المجموعة أو تلك^(٢).

يقوم التّضامّ على علاقات كثيرة، منها التّضاد، الارتباط بموضوع محدّد، علاقة الجزء بالكلّ، علاقة الكلّ بالجزء، الدّخول في سلسلة مرتّبة ... الخ^(٣).

وقد اقتصرنا في هذه الدراسة بالوقوف عند التّضاد، وعلاقة الجزء بالكلّ؛ لعدم سعة البحث لكلّ العلاقات؛ ولما لهاتين العلاقتين من دور مهمّ في تماسك وترابط سطح النّصّ، وتظهر لنا براعة النّاصّ، وثراء قاموسه اللّغويّ.

وأولى علاقات المصاحبة المعجميّة التي سنتناولها هو التّضاد ويقصد به: "الجمع بين الشّيء وضدّه في جزء من أجزاء الرّسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة؛ مثل الجمع بين البياض والسّود، واللّيل والنّهار، والحرّ والبرد"^(٤).

ومن أمثلة التّضاد الوارد في حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ قوله ﷺ: "اللَّهُمَّ ... فَلَكَ الْحَمْدُ كَمَا خَلَقْتَ وَصَوَّرْتَ وَقَضَيْتَ، وَأَضَلَلْتَ وَهَدَيْتَ، وَأَضَحَكْتَ وَأَبْكَيْتَ، وَأَمَتَّ وَأَحْيَيْتَ، وَأَمَرَضْتَ وَشَفَيْتَ، وَأَطَعَمْتَ وَسَقَيْتَ"^(٥).

نلاحظ في دعاء النّبيّ المبارك أنّه قد تضمّن مصاحبة معجميّة متمثّلة بـ(التّضام)، عن طريق مجموعة من الأفعال المتقابلة في سطح النّصّ، التي أسهمت في تماسك النّصّ، وتلاحم أجزائه، واستمراريته. فذكر النّصّ أفعالاً مقرونة بنقيضها؛ ممّا ولّد شعوراً لدى المتلقّي بالكمال والشّموليّة في وصف قدرة الله تعالى، والتأكيد على إبراز

(١) علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق: ١٥٣.

(٢) ينظر: لسانيات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٥.

(٣) ينظر: علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق: ١٠٩-١١٠، وإشكالات النّصّ: ٣٦٦.

(٤) كتاب الصّناعتين: ٣٠٧. وينظر: لسانيات النّصّ نحو منهج تحليل الخطاب الشّعريّ، أحمد مداس: ٦٣.

(٥) حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٢٢٢ / ٧، وينظر: البلد الأمين: ٣٥٠.

قدرته في كلِّ شيءٍ؛ لأنَّ الله عزَّ وجلَّ خالق كلِّ متضادٍّ ومتعدِّدٍ، فهو خالق الهداية والضلال، والحياة والموت، والضحك والبكاء، والمرض والشفاء.

إنَّ سلسلة الأفعال المتضادة في سطح النصِّ أسهمت في انسجامه وتماسكه. وحَقَّقت هذه المتضادات قوَّة للنصِّ ووضوحاً للمعاني، وارتباطاً بين أجزائه. وعلاقة التَّضاد "لا يخفى ما لها من وظيفة في تحقيق التماسك بين المتضادين"^(١).

إنَّ القرب بين هذه المتضادات أسهم في إنتاج كيانٍ لغويٍّ متماسك؛ إذ إنَّ "التَّجاور المتضام يؤدي إلى علاقةٍ أشدَّ تماسكاً في النصِّ"^(٢)، فقد جاءت الجمل المتقابلة في سطح النصِّ معطوفةً على بعضها البعض؛ إذ شكَّل هذا العطف بالتآزر مع التَّضاد كياناً لغوياً واحداً، وأسهم التقارب الشَّدِيد بين هذه المتضادات بترسيخ المعنى المركزي للنصِّ في ذهن المتلقِّي بشكلٍ واضحٍ ودقيقٍ.

أمَّا علاقة الجزء بالكلِّ فهي "تشتمل على معنى جزئيٍّ محدَّد يندرج تحت معنى عامٍ"^(٣). ومن شواهد هذه العلاقة في حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ قوله ﷺ: "إِذَا تَوَضَّأَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ. فَإِنْ قَعَدَ قَعَدَ مَغْفُوراً لَهُ"^(٤).

فالحديث الشريف تضمَّن علاقة الجزء بالكلِّ، فالرجل هو الكلُّ الذي تخرج الخطايا بعد الوضوء من أجزاء جسمه المتمثلة (بسمعه، وبصره، ويديه، ورجليه). وهذه العلاقة مهمَّة في تماسك وتلاحم النصِّ؛ إذ جعلت النصَّ كتلةً لغويَّةً متماسكةً. وأنَّ "الغرض من تلك العلاقة هو تقديم وصفٍ خاصٍّ للمفهوم الكلِّي بذكر بعض أجزائه. كما أنَّ وجودها يقدِّم وظيفةً عامَّةً تتمثَّل في خلق مقاطعٍ كليَّةٍ متوحِّدةٍ في النصِّ"^(٥).

فقد بيَّنت هذه العلاقة أنَّ الوضوء ليس طهارةً البدن فحسب، وإنَّما هو طهارةً للروح من المعاصي؛ كونه يغسل الذُّنُوب والخطايا الناتجة عن أعضاء الإنسان، فأُسهمت هذه العلاقة بربط النصِّ بخيطٍ واحدٍ من المعنى وحَقَّقت اتِّساقاً في بنية النصِّ عبر تجمُّع "الدَّلالة في معنى واحد، ثمَّ تعود لتتوزَّع أجزاؤها في أرجاء النصِّ؛ ممَّا شدَّ من تماسكه، فتنوَّع سطحه، وحَقَّق توازناً بين باطنه وظاهره"^(٦).

(١) علم لغة النصِّ بين النَّظَرِيَّة والتَّطْبِيق: ١٤٩ / ٢.

(٢) إشكاليات النصِّ: ٣٦٦.

(٣) المصاحبة اللَّفْظِيَّة ودورها في تماسك النصِّ بحث منشور، نوال الحلوة: ٧٥.

(٤) حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ١٧٤ / ٥، وينظر: كنز العمال: ٢٨٤ / ٩.

(٥) نظريَّة علم النصِّ: ١١٤.

(٦) أثر التَّكرار في التَّماسك النَّصِّي بحث منشور، نوال الحلوة: ٥٥.

المبحث الثاني

معيار الانسجام

أولاً: مفهوم الانسجام النصي:

الانسجام هو المعيار الثاني من المعايير النصية التي وضعها بوجراند، ويُعدُّ هذا المعيار عصب النص الذي بوساطته تتحرك أفكار النص ودلالاته بشكلٍ منظم. وعن طريق الانسجام يرتبط النص بشبكة من العلاقات داخل بنية النص. وأي انقطاع في ذلك العصب يؤدي إلى صعوبة في فهم النص من لدن المتلقي، ويؤدي أيضاً إلى تشتت أفكار النص، وتمزق مركزيته. وعندئذ يخفق النص في تحقيق جوهر التواصل مع المتلقي.

حدّه بوجراند بقوله: "وهو يتطلب من الإجراءات ما تنتشّط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي واسترجاعه، وتشتمل وسائل الالتحام على:

- ١- معلومات العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص.
 - ٢- معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف.
 - ٣- السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية، ويدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم"^(١).
- فالانسجام عنصرٌ مهمٌّ في عالم النص؛ إذ يتضافر مع وسائل الاتساق الأخرى؛ لكي ينتج كياناً لغوياً متماسكاً مُشيداً على قاعدةٍ دلاليةٍ مترابطةٍ ومتناسقةٍ تتألف من عناصر متعددة "تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات الداخلية التي تعمل على إيجاد نوع من الانسجام والتماسك بين تلك العناصر، وتسهم الروابط التركيبية والروابط الزمانية والروابط الإحالية في تحقيقهما"^(٢).

وترجع أهميّة الانسجام إلى أنّه يمثّل البنية التحتيّة للنص؛ إذ هو من يقوم بتحريك البنية السطحية للنص ويساعد على فهم بنائه، فلا ينظر لتماسك النص عن طريق الظواهر السطحية بل يُفتش عنها في البنية الدلالية التحتية المكونة للنص. فضلاً عن

(١) النص والخطاب والإجراء: ١٠٣.

(٢) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة: ٩٤.

أنّه يمثل العلاقات المفهوميّة التي يستعملها النَّاصُّ أو المتلقّي عند تعاملهم مع النَّصِّ^(١)؛ إذ إنّ الانسجام "ليس رهين نسقه الدّاخليّ الذي ينتظم مكوناته فحسب إنّما هو كذلك رهين جملة المعارف الحاصلة في ذهن منشئه أو متقبّله"^(٢).

وتكمن أهمّيّته أيضاً في تحقيق الاستمراريّة في الأحداث المكوّنة للنّصّ. وهذه الاستمراريّة تُعدّ السّمة النّصيّة الجوهريّة لإقامة أيّ كيانٍ لغويّ متماسك؛ لأنّ انقطاع هذه الاستمراريّة يعني عدم استمرار المعاني في النَّصِّ، ومن ثَمَّ يصبح النَّصّ مجرد جمل مرصوفة دون رابطٍ يربطها. لذا يسهم الانسجام بتحقيق "الاستمراريّة الدّلاليّة التي تتجلّى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرّابطة بين هذه المفاهيم، وكلا هذين الأمرين هو حاصل العمليات الإدراكيّة المصاحبة للنّصّ، إنتاجاً، وإبداعاً، وتلقياً، واستيعاباً، وبها يتمّ احتباك المفاهيم من خلال قيام العلاقات أو إضافتها عليها، إنّ لم تكن واضحةً مستعلنةً على نحوٍ يستدعي فيه بعضها بعضاً، ويتعلّق بواسطته بعضها ببعض"^(٣).

يرى محمّد الخطابي أنّ التّرابط الذي يحقّقه الانسجام داخل بنية النَّصِّ أعمق منه في الاتّساق؛ لأنّه يوجّه ذهن المتلقّي إلى العلاقات الخفيّة في النَّصِّ (ما وراء النَّصِّ)، التي تربط وتنظّم أجزاء النَّصِّ ويتجاوز به العلاقات المتحقّقة على سطح النَّصِّ إلى ما هو كامنٌ في البنية التّحتيّة للنّصّ^(٤).

ثانياً: العلاقات الدّلاليّة:

إنّ فان دايك اشترط في ترابط النَّصِّ إلى وجود علاقة تربط بين الدّلالات المختلفة أو معاني المفردات التي يوفرها النَّصّ؛ ولكن ذلك لا يكفي وحده في ترابط النَّصِّ، بل يجب في أحداث النَّصِّ أن ترتبط بخيطٍ واحد. وبهذا تصبح الجمل متّصلة بشكلٍ صحيح فيما بينها^(٥).

(١) ينظر: نظريّة علم النَّصّ: ١٢٧، والترابط النَّصّي في ضوء التّحليل اللسانيّ للخطاب: ٧٥.

(٢) أصول تحليل الخطاب في النّظريّة النّحويّة العربيّة: ١١٢ / ١.

(٣) نحو أجروميّة النَّصِّ الشعريّ، دراسة في قصيدة جاهليّة بحث منشور سعد مصلوح: ١٥٤.

(٤) ينظر: لسانيات النَّصِّ مدخل إلى انسجام الخطاب: ٥-٦.

(٥) ينظر: النَّصّ والخطاب، فان دايك: ٧٧.

ويمكن أن يُشرح ويُفهم الانسجام بوساطة عددٍ من العلاقات الدلالية التي تنظم النصّ، وتجعله سلسلةً مستمرةً من الأفكار والأحداث. ولهذه العلاقات أثرها الفعّال في انسجام وتماسك النصّ. والعلاقات الدلالية هي "علاقاتٌ لا يكاد يخلو منها نصٌّ يحقق شرطي الإخبارية والشفافية مستهدفًا تحقيق درجة معينة من التواصل، سالكاً في ذلك بناءً اللاحق على السابق، بل لا يخلو منها أي نصّ يعتمد الرّبط القوي بين أجزائه"^(١).

والعلاقات الدلالية في اللسانيات النصّية كثيرةٌ جدًّا، والإحاطة بها جميعًا طريقٌ شائكٌ، يصعب اللّجوج به، لذا سنسلط الضّوء على جملةٍ من هذه العلاقات المهمّة الواردة في حكم النبيّ الأعظم. وهي على النحو الآتي:

أولاً: علاقة الشرط والجزاء

وهي علاقة منطقية^(٢)، تسهم في انسجام النصّ وترابطه بخيطٍ واحدٍ من المعنى. والشرط هو "أسلوبٌ لغويٌّ يبنّي بالتحليل العقليّ على جزأين. الأول منزله منزلة السبب، والثاني منزله منزلة المسبب، يتحقّق الثاني إذا تحقّق الأول، وينعدم الثاني إذا انعدم الأول؛ لأنّ وجود الثاني معلقٌ على وجود الأول"^(٣).

ومن نماذج علاقة الشرط بالجواب في حديث النبيّ المبارك ما ورد في قوله ﷺ : "ما بال أقوامٍ إذا ذُكِرَ عندهم آل إبراهيم فرحوا واستبشروا، وإذا ذُكِرَ عندهم آلُ مُحَمَّدٍ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُهُمْ؟! وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ عَبْدًا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِعَمَلٍ سَبْعِينَ نَبِيًّا مَا قَبِلَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْهُ حَتَّى يَلْقَاهُ بِوَلَايَتِي وَوَلَايَةِ أَهْلِ بَيْتِي"^(٤).

نلاحظ في بنية الحديث المبارك أنّها قد تضمنت ثلاثة تراكيب شرطية، تركيبان بالأداة (إذا). وتركيبٌ ثالثٌ بالأداة (لو). فالشرط باستعمال (إذا) أظهر التّضاد في سطح النصّ (فرحوا واستبشروا _ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُهُمْ). وبيّنت الأداة (لو) امتناع قبول الأعمال؛ لوجود سببٍ متمثّلٍ بخلوها من ولاية النبيّ ﷺ وآل بيته. فعزّز الشرط انسجام النصّ وتماسكه؛ إذ إنّ "هذا النوع من التراكيب أكثر تماسكاً وتلازماً من غيره،

(١) لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٦٩، وينظر: الدلالة والنحو: ٢٢٧-٢٢٨.

(٢) ينظر: البديع بين البلاغة العربيّة واللّسانيات النصّية: ١٤٧.

(٣) في النحو العربيّ نقد وتوجيه: ٥٦.

(٤) حكم النبيّ الأعظم: ٣ / ١٢٣.

فالرّبط فيه على مستوى الشّكل اللفظ والمعنى، والرّابط حرف الشّروط والرّابط المعنويّ أن الثّانية جزء الأولى وتتمّ بها الفائدة، والأولى جملة الشّروط في حاجة إليها فلا فائدة إلا بالثّانية فهي في مقام الخبر^(١).

فضلاً عن تعالق علاقة الشّروط مع علاقات آخر؛ متمثلة بعلاقة المقابلة بين (آل إبراهيم وآل محمّد)، فقد جذبت هذه العلاقة ذهن المتلقّي إلى مركزيّة النّصّ (الموقف من آل محمّد). إضافة إلى القسم الذي أضفى على دلالة النّصّ عمقاً صادقاً، وزاده توكيداً. وأردف القسم بمثالٍ مبالغٍ فيه، منبهاً عن طريقه على خطورة الكلام، ممّا منح النّصّ قوّة دلاليّة.

فالنّصّ نُسجٌ نَسَجًا مُحْكَمًا بِأَلْوَانٍ مِنَ الْخِيوطِ الدَّلَالِيَّةِ مِنْ بَدَايَةِ النَّصِّ حَتَّى آخِرِهِ؛ إِذْ إِنَّ "مَعَ الرِّبْطِ الشَّرْطِيِّ يَنْتَسِعُ مَدَى الرِّبْطِ بَيْنَ الْجُمْلِ، فَلَا يَقْتَصِرُ الرِّبْطُ عَلَى الْجُمْلِ الْمُتَعَاقِبَةِ فَقَطْ، بَلْ نَرَاهُ بَيْنَ الْجُمْلِ غَيْرِ الْمُتَعَاقِبَةِ... وَيَشْكَلُ تَكَرُّرُ الرِّبَاطِ الشَّرْطِيَّةِ عَنَاقِيدَ لِلرِّبْطِ"^(٢). فقد تعالقت جملة الشّروط وجوابه على المستوى الدّلاليّ مع العلاقات الأخرى المتوافرة في الجمل، وجعل هذا التّعالق النّصّ كيئناً لغوياً واحداً، مهّد الطّريق إلى النّتيجة النّهائيّة وهي (قرن قبول الأعمال بولاية أهل البيت -عليهم السّلام-).

ثانياً : علاقة السّؤال والجواب

تسهم هذه العلاقة المفهوميّة في تلاحم بنية النّصّ؛ إذ تضمّ الكلام بعضه إلى بعض، مكوّنة نسيجٍ نصّيٍّ مُحْكَمٍ التّرابط، وتبنى هذه العلاقة بأدوات الاستفهام المختلف. ويستعمل هذه العلاقة ملقي النّصّ للسيطرة على مجريات الأحداث، بل وللسّيطرة على ذهن المرسل إليه، وتسيير الخطاب اتجاه ما يريده المرسل، لا حسب ما يريده الآخرون^(٣).

وإذا طالعنا حِكْمَ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ وجدنا هذا النوع من العلاقة بشكلٍ موسّع؛ إذ إنّ الرّسول الكريم ﷺ اعتمد في بعض حواراته مع أصحابه على أسلوب الاستفهام، ومن ذلك الحديث المبارك: "جاء أعرابيٌّ إلى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَّمَنِي

(١) تحليل النّصّ، محمود عكاشة: ١٦٤.

(٢) علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق: ١٦٦-١٦٧.

(٣) استراتيجيات النّصّ: ٣٥٢.

مِنْ غَرَائِبِ الْعِلْمِ. قَالَ: مَا صَنَعْتَ فِي رَأْسِ الْعِلْمِ حَتَّى تَسْأَلَ عَنْ غَرَائِبِهِ؟ قَالَ الرَّجُلُ: مَا رَأْسُ الْعِلْمِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَعْرِفَةُ اللَّهِ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ. قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: وَمَا مَعْرِفَةُ اللَّهِ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ؟ قَالَ: تَعْرِفُهُ بِلا مِثْلٍ وَلَا شَبَهٍ وَلَا نِدٍّ، وَأَنْتُهُ وَاحِدٌ أَحَدٌ ظَاهِرٌ بَاطِنٌ أَوَّلٌ آخِرٌ، لَا كُفُوَ لَهُ وَلَا نَظِيرٌ، فَذَلِكَ حَقُّ مَعْرِفَتِهِ^(١).

فقد تضمّن النصّ علاقة السّؤال والجواب، الّتي تمثّلت بحوار الرّجل مع الرّسول محمّد ﷺ، فقد وردت في النصّ أربعة أسئلة، ثلاثة منها بأداة الاستفهام (ما)، وسؤال بجملة طلبية تمثّلت بجملة الأمر (علمني غرائب العلم)؛ إذ إنّ هذه المحاورّة أسهمت في تماسك نسج النصّ، وحقّقت استمراريّة له عن طريق ربطه بخيطٍ معنوي واحد.

إنّ كلّ جملة تردّ في سطح النصّ هي استجابة لما طُرِحَ قبلها من سؤال. فجاءت الأسئلة مرتبة ترتيباً منطقيّاً في بنية النصّ. فالاستفهامات الواردة في النصّ فضلاً عن أجوبتها مرتبطة دلاليّاً بعضها ببعض. وهذا الارتباط وقر لها "إمكاناً غير محدود لتجاوز "المظهر الشكليّ" للغة -البنية السّطحيّة- المتضمّن تلك الثّغرات والانقطاعات، لتتسج مع سواها شبكة العلاقات النّصّيّة الّتي تمثّل بنية باطنة والّتي يمتلك بفضلها النصّ انسجامه"^(٢).

ثالثاً : التفصيل بعد الإجمال

وهي من العلاقات المفهوميّة الّتي تسهم إسهاماً فعّالاً في تماسك النصّ عن طريق استمراريّة دلالة معينة يسعى إليها النّاصّ في المقاطع المتتالية داخل سطح النصّ؛ إذ تقوم بوصل تلك المقاطع بخيطٍ واحدٍ بعضها ببعض^(٣). وهذه العلاقة لها دورٌ مهمٌّ في عالم النصّ، لا سيّما في التّحليل اللّغويّ؛ إذ تخرج به من نطاق الجملة الضّيق إلى نطاق النصّ الفسيح. مشكّلة بذلك علاقة إحاليّة بين الإجمال الّذي يمثّل مرجعيّة مركزيّة في سطح النصّ، وبين التفصيل الّذي يمثّل العناصر المحيلة إلى الإجمال^(٤).

(١) حكم النّبّي الأعظم: ٩٨ / ٤ ، وينظر: التّوحيد، الشّيخ الصّدوق: ٢٨٤-٢٨٥.

(٢) لسانيات الاختلاف: ٢٩٥.

(٣) ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٧٢ ، وينظر: البديع بين البلاغة العربيّة واللّسانيّات النّصّيّة: ١٤٦.

(٤) ينظر: علم اللّغة النّصّي بين النّظريّة والتّطبيق: ١٨٤-١٨٥ / ٢.

ومن شواهد هذه العلاقة في حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ قوله ﷺ: "خَمْسَةٌ لَا تَطْفَأُ نِيرَانُهُمْ وَلَا تَمُوتُ أَبْدَانُهُمْ: رَجُلٌ أَشْرَكَ، وَرَجُلٌ عَقَّ وَالِدِيهِ، وَرَجُلٌ سَعَى بِأَخِيهِ إِلَى السُّلْطَانِ فَقَتَلَهُ، وَرَجُلٌ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ، وَرَجُلٌ أَذْنَبَ وَحَمَلَ ذَنْبَهُ عَلَى اللَّهِ"^(١).

نلاحظ أَنَّ العلاقة الدَّلَالِيَّةَ الَّتِي يَحْمِلُهَا الْحَدِيثُ الْمُبَارَكُ هِيَ عِلَاقَةٌ (التفصيل بعد الإجمال)؛ إذ يَجْمَلُ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَدِيثَهُ بِعِبَارَةٍ (خَمْسَةٌ لَا تَطْفَأُ نِيرَانُهُمْ وَلَا تَمُوتُ أَبْدَانُهُمْ)، ثُمَّ يَفْصِّلُ الْكَلَامَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي هَؤُلَاءِ الْخَمْسَةِ وَهُمْ (رَجُلٌ أَشْرَكَ، رَجُلٌ عَقَّ وَالِدِيهِ، رَجُلٌ سَعَى بِأَخِيهِ إِلَى السُّلْطَانِ فَقَتَلَهُ، رَجُلٌ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ، رَجُلٌ أَذْنَبَ وَحَمَلَ ذَنْبَهُ عَلَى اللَّهِ). فَهَذَا الْإِجْمَالُ، وَالتَّفْصِيلُ الَّذِي أُرْدِفَهُ، فَضلاً عَنْ التَّكَرَّارَاتِ وَالرَّوَابِطِ اللَّفْظِيَّةِ، أَسْهَمَتْ بِرَبْطِ أَجْزَاءِ النَّصِّ، وَشَدَّ طَرْفِيهِ، وَمُنَحَّتِهِ اسْتِمْرَارِيَّةً، وَجَعَلَهُ صُورَةً وَاحِدَةً مَنْسُجَةً.

إِنَّ الْعِبَارَةَ الْمَجْمُوعَةَ (خَمْسَةٌ لَا تَطْفَأُ نِيرَانُهُمْ وَلَا تَمُوتُ أَبْدَانُهُمْ) مَثَلَتْ إِشَارَةً لِلْمُتَلَقِّي، فَقَدْ جَذَبَتْ ذَهَنَهُ لِلْمَتَابَعَةِ الْحَدِيثِ؛ لِأَنَّهَا ذَكَرَتْ عَقُوبَةَ وَجْزَاءِ هَؤُلَاءِ الْخَمْسَةِ، وَشَوَقَتْ الْمُتَلَقِّيَ لِلْبَحْثِ عَنْ تَفَاصِيلِ أَكْثَرِ دَاخِلِ النَّصِّ. وَهَذِهِ التَّفَاصِيلُ رَسَمَتْ فِي النَّصِّ صُورَةً مُتَكَامِلَةً عَنْ تِلْكَ الْكِبَائِرِ وَجْزَائِهَا فِي الْآخِرَةِ. وَأَضَفَتْ وَضُوحًا فِي الْمَعَانِي الْمَتَاحَةِ لِلْمُتَلَقِّي. سَاعِيَةً إِلَى تَحْقِيقِ انْسِجَامٍ قَوِيٍّ فِي بَنِيَّةِ النَّصِّ.

وَهَذَا التَّفْصِيلُ الَّذِي ذَكَرَهُ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ جَاءَ بِهِ؛ كَيْ يَحَقِّقَ غَايَةً مَنْشُودَةً فِي فِضَاءِ النَّصِّ؛ لِأَنَّ "عِلَاقَةَ التَّفْصِيلِ بِالْإِجْمَالِ لَا تَخْلُو مِنْ غَايَةٍ، وَهِيَ تَأْكِيدُ التَّفْصِيلِ لِلْإِجْمَالِ"^(٢)، فَجَاءَ هَذَا التَّفْصِيلُ ضَرُورِيًّا لِتَأْكِيدِ الْمَعْنَى وَالتَّأْثِيرِ فِي الْمُتَلَقِّي.

رَابِعًا : عِلَاقَةُ السَّبَبِ وَالنَّتِيجَةِ

وَيَقْصِدُ بِهَذِهِ الْعِلَاقَةِ "الطَّرْقَ، وَالْوَسَائِلَ الَّتِي فِيهَا يُوَثَّرُ مَوْقِفٌ، أَوْ حَدَثٌ عَلَى الظَّرُوفِ الْمَهِيئَةِ لَوُقُوعِ حَدَثٍ آخَرَ"^(٣)؛ إِذْ تَرْتَبِطُ هَذِهِ الْعِلَاقَةُ الدَّلَالِيَّةُ بَيْنَ حَدِيثَيْنِ، تَوْفُرَا

(١) حِكْمُ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٩٧ / ٢ ، وَيَنْظُرُ: كَنْزُ الْفَوَائِدِ: ٤٧ / ٢.

(٢) لِسَانِيَاتُ النَّصِّ مَدْخُلٌ إِلَى انْسِجَامِ الْخُطَابِ: ١٨٨.

(٣) الدَّلَالَةُ وَالنَّحْوُ: ٢٢٨.

في النَّصِّ؛ إذ يسهمان هذان الحدثان في تماسك النَّصِّ وترابطه. فالحدث الأول يمهد الظروف المناسبة لوقوع الحدث الثاني. وقد تتوسع هذه العلاقة لتشمل أحداثاً أخرى^(١).

ومن الشواهد التي مثلت هذه العلاقة في حَكْمِ النَّبِيِّ، الحديث التالي: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا احْمَرَّ النَّاسُ وَأَحْجَمَ النَّاسُ قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ ، فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ السَّيْفِ وَالْأَسِنَّةِ، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقُتِلَ حَمْرَةُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقُتِلَ جَعْفَرُ يَوْمَ مُؤْتَةَ"^(٢).

تضمّن النَّصُّ أحداثاً متّصلة، أحدها سببٌ في وجود الآخر، فالأول هو (اشتداد القتال). والثاني (تقديم أهل بيت النبي)، فتقديم أهل البيت هو نتيجة لسبب الحدث الأول المتمثل بشدة القتال، وتقديم أهل البيت أيضاً هو سبب لنتيجة الحدث الثالث في النَّصِّ المتمثل بوقاية أصحابه من وقع السيوف وطعن القنا، وذكر الشهداء كان نتيجة لسبب نفسه أيضاً، وهو تقديم أهل البيت في حومة القتال.

فكانت علاقة السبب والنتيجة هي العلاقة الرئيسية في بناء النَّصِّ؛ إذ أسهمت بالترابط بين أحداث النَّصِّ، فالجملة داخل سطح النَّصِّ تتولد من الجملة السابقة لها، وأسهمت أيضاً في تماسك المفاهيم والمعاني داخل بنية النَّصِّ. وعلاقة السبب والنتيجة هي "من العلاقات التي تعطي معقوليّةً لكيفية تتابع قضايا الرسالة وتعمها دائماً بسمة المنطقيّة، خاصة وأنها من العلاقات ذات الحضور المكثف. وانتشارها يؤدي إلى قوّة البناء المنطقي"^(٣).

فضلاً عن تضافر علاقاتٍ أخرى متمثلة بعلاقة التدرّج الزمّني (بدر، أحد، مؤتة). وعلاقة التمثيل فقد ذكرت أمثلة على من قدّمهم من أهل بيته في وقائعه مع المشركين. بالإضافة إلى وجود روابط لفظيّة في سطح النَّصِّ، فقد أسهمت هذه العلاقات الدلاليّة مع الروابط اللفظيّة في ترابط النَّصِّ وانسجام معانيه، وأضفت على النَّصِّ صفة الاستمراريّة.

(١) ينظر: البديع بين البلاغة العربيّة واللّسانيات النصّيّة: ١٤٢، وينظر: الدلالة والنحو: ٢٢٨.

(٢) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٣٦١ / ٤، وينظر: بحار الأنوار: ٣٣ / ١١٥.

(٣) نظريّة علم النَّصِّ: ١٤٣.

خامساً : علاقة الاستثناء

وهي من العلاقات الدلالية التي تضيفي على النصّ انسجاماً وترابطاً في مضمونه^(١). ويُقصد بالاستثناء هو "إخراج الشيء من الشيء؛ لولا الإخراج لوجب دخوله فيه، وهذا يتناول المتصل حقيقةً وحكماً، ويتناول المنفصل حكماً فقط"^(٢). ومن شواهد هذه العلاقة قوله ﷺ: "إِنَّ لِلَّهِ مَائِدَةً عَلَيْهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، لَا يَقَعُذُ عَلَيْهَا إِلَّا الصَّائِمُونَ"^(٣).

نلاحظ أنّ مطلع النصّ المبارك تضمّن جذباً للمتلقّي عن طريق تقديم عظيم النعم من عند الله، فخلق هذا الجذب جواً من التشويق. ثمّ جاء الاستثناء ليقصر تلك النعم العظيمة على فئة مخصوصة وهم (الصائمون)؛ وتحقّقت علاقة الاستثناء في سطح النصّ بالأداة (إلا)؛ إذ ربطت هذه الأداة بداية النصّ مع نهايته؛ ممّا جعلته وحدة لغويّة متماسكة، وعززت تلاحم وترابط سطح النصّ، وأسهمت بربط النصّ بمعنى مركزيّ واحد، بعد أن قصرت المعنى على الصائمين، فكانت أهميّة الاستثناء هي إتمام المعنى داخل كيان النصّ، فصار النصّ أكثر ترابطاً وانسجاماً.

سادساً : علاقة الإضافة

تُعَدُّ من العلاقات المهمّة في بناء النصّ؛ إذ تسهم بتلاحم نسيج النصّ واستمراره عن طريق تتابع جمل القول. وتسهم هذه العلاقة أيضاً بضمّ الكلام بعضه ببعض؛ كي توجد بناء نموذج ذهنيّ من الانسجام المنطقيّ بين الأجزاء المشكّلة للنصّ^(٤). ومن شواهد هذه العلاقة في حِكمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ، قوله ﷺ: "الْبُكَاءُ مِنَ خَشْيَةِ اللَّهِ مِفْتَاحُ الرَّحْمَةِ، وَعَلَامَةُ الْقَبُولِ، وَبَابُ الْإِجَابَةِ"^(٥).

عند تأمل بنية النصّ السطحيّة نلاحظ وجود علاقة إضافة تربط أجزاء النصّ، عن طريق حرف الوصل (الواو)؛ إذ ربطت أجزاء النصّ نحويّاً ودلاليّاً. فالجمل المتواصلة

(١) ينظر: علم لغة النصّ النّظريّة والتّطبيق: ٢١٢.

(٢) التعريفات، الجرجاني: ٢٢، وينظر: التّوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف بن المناوي: ٤٧ / ١.

(٣) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ : ٣٧ / ٦، وينظر: حلية الأولياء: ٨٣ / ٥.

(٤) علم لغة النصّ النّظريّة والتّطبيق: ٢٠١-٢٠٣، ينظر: البديع بين البلاغة العربيّة واللّسانيّات النّصيّة،

جميل عبد المجيد: ١٤٤.

(٥) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٣٥٤ / ٥، وينظر: إرشاد القلوب: ٩٨ / ١.

في سطح النصّ تعبّر عن معنى واحد؛ ولكن مع تغيّر التعبير بين جملة وأخرى^(١)؛ إذ إنّ هذه التعبيرات تسهم في استتمام بعضها البعض، معززةً بذلك ترابط النصّ وانسجامه. فالعبارات الثلاثة (مفتاح الرّحمة، علامة القبول، باب الإجابة) هي أجزاء متتابعة، تجعل النصّ وحدةً واحدةً. فهذه العلاقة تُعدُّ "من أكثر الأدوات شيوعاً، يلجأ المرسل إليها لغرض بناء النصّ عن طريق تتابع الجمل التي تسير على وفق خطّ هندسيّ يتجه باتجاه تنامي النصّ دلاليّاً وصولاً الى ذروته"^(٢).

وأسهمت هذه العلاقة أيضاً في بيان المعنى المركزي للنصّ، ومنحته وحدة موضوعيّة مركزيّة وهي (أثر البكاء في خشية الله تبارك وتعالى)؛ إذ ربطت هذه العلاقة (البكاء) بالعبارات الثلاث في النصّ برابطٍ سببيّ منطقيّ، فقد أسهم ذلك الرّابط في تماسك النصّ وانسجامه.

سابعاً: علاقة المقابلة

ويقصد بهذه العلاقة الدلاليّة "أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثمّ بما يقابلها أو يقابلها على الترتيب، والمراد بالتوافق خلاف التقابل"^(٣)، كقوله جلّ وعلا: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً﴾^(٤)، فالعلاقة في الآية المباركة علاقة مقابلة.

ومن أمثلة علاقة المقابلة في حديث النبيّ الكريم، ما ورد في دعائه ﷺ في شهر رمضان المبارك: "يَا مَنْ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، يَا مَنْ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، يَا مَنْ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، يَا مَنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، يَا مَنْ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ، يَا مَنْ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ، يَا مَنْ يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ، يَا مَنْ يُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ، يَا مَنْ يُصَوِّرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا يَشَاءُ، يَا مَنْ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ"^(٥).

(١) ينظر: البديع بين البلاغة العربيّة واللّسانيّات النّصّيّة، جميل عبد المجيد: ١٤٤.

(٢) المعايير النّصّيّة في خطب نهج البلاغة (رسالة ماجستير) محمّد عزيز العقابي: ٨٩.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٥٩، وينظر: البديع بين البلاغة العربيّة واللّسانيّات النّصّيّة، جميل عبد المجيد: ١٤٥.

(٤) سورة التّوبة، آية: ٨٢.

(٥) حكم النبيّ الأعظم: ٦ / ١٤٣، وينظر: بحار الأنوار: ٩٤ / ٣٨٤.

نلاحظ أنَّ الحديث الشريف قد بُني على مجموعةٍ من المعاني المتقابلة، تمثلت بهذه العلاقات المتضادة (يهدي-يضل) (يعذب-يغفر) (يعزّز-يذل)، وهذا التقابل بالمتضادات يجسّد لنا أنَّ (الهداية والضلالة، والعزة والذلة، والعذاب والمغفرة) كلّها بيد الله سبحانه وتعالى، فشكّل هذا التجسيد ربطاً لأجزاء النصّ، وانسجماً لمعانيه التي يتضمّنها. فضلاً عن جذب ذهن متلقّي النصّ للتفاعل مع مضمون النصّ.

إنَّ علاقة التقابل والتضاد تضافرت مع علاقاتٍ شكليةٍ أخرى على إيضاح المعنى المركزي في النصّ وتأكيدِه؛ إذ إنَّ التضاد داخل بنية النصّ يزداد "فاعليةً بارتباطه بعلاقاتٍ أخرى تتكاتف معه في إظهار المعنى"^(١). ومن هذه العلاقات الترادف الذي تضمّنه النصّ نحو: (يخلق، يفعل، يعزّز... الخ)، وهي صفاتٌ مترادفةٌ للقدرة الإلهية. فضلاً عن التكرار المتمثّل بتكرار التراكيب (يا من ...) الذي أوجد انسجماً صوتياً يتناغم مع الانسجام الدلالي في بنية النصّ. فشكّل تضافر هذه العلاقات كياناً لغوياً مترابطاً.

ثامناً: علاقة التمثيل

وهي من العلاقات الدلالية المهمة في عالم النصّ التي تربط نصّاً سابقاً بنصّ لاحقٍ له؛ إذ تقوم بدورٍ فعالٍ في ربط القضايا التي يتضمّنها النصّ في طياته وتوضيحها. وتستعمل روابط شكلية تعبّر عنها في التمثيل منها (الكاف، هكذا، كأن) وغيرها من الروابط اللفظية. ولهذه العلاقة دورٌ بارزٌ في بناء النصّ وشحنه بالمعلومات، والعناصر اللغوية، بالتضافر مع علاقاتٍ دلاليةٍ أخرى^(٢).

ولهذه العلاقة أهميّة أخرى تتمثّل بإبانة معاني النصّ وإيضاحها بصورةٍ حسية؛ إذ تقرب تلك المعاني إلى ذهن المتلقّي بصورةٍ حسيةٍ واضحة^(٣)، ومن شواهد هذه العلاقة قوله: **﴿إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ تَحَاطُّ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَحَاطُّ وَرَقُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ﴾**^(٤).

(١) نظرية علم النصّ: ١٤٢.

(٢) ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: ٢١٤.

(٣) ينظر: من بلاغة القرآن: ١٦١.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٥ / ١٧٤، وينظر: كنز العمال: ٩ / ٢٨٤.

عند ملاحظة بنية الحديث الشريف نجد علاقة تشبيه قائمة بين طرفي التشبيه. فالمشبه في الحديث المبارك هو (الذنوب)، والمشبّه به هو (أوراق الشجر)، وأداة التشبيه هي (كما) التي ربطت طرفي النص، ووجه الشبه بين الجانبين الانقطاع والتبدد التام بين الذنب والعبد.

فقد أسهمت علاقة التشبيه في إيضاح المعنى وصوّرت به بصورة ماديّة قريبة من ذهن المتلقّي؛ إذ إنّ المتلقّي يتخيل الذنوب عند الوضوء تسقط حقيقةً عنه، وكأنّ الذنوب شيء ملموس متعلّق بالإنسان، وبعد الوضوء يتهاوى ويسقط كورق الشجر. فهذا التشبيه الذي احتواه النصّ أثر في ذهن المتلقّي ونفسيّته لما رسمه من صورة محسوسة الغرض منها التأثير في نفسيّة المتلقّي وجعله متواصلاً مع النصّ، وإيصال المعنى المقصود من هذه الصورة، ويتحقّق الحبك بفعل الدلالة المشتركة بين الجملتين اللتين ربط التشبيه بينهما دلاليّاً؛ لأنّه من الروابط التي تربط بين القضايا الدلاليّة^(١).

وهذا التشبيه القائم أسهم في تماسك النصّ وتلاحمه لغويّاً ودلاليّاً؛ لأنّه جعل معنى النصّ وفكرته المركزيّة أكثر وضوحاً. فقد وظّف النصّ كلّ عنصر لغويّ موجود في سطح النصّ لخدمة تماسكه وانسجامه. فلم يكن في النصّ حشو، ولا عنصر لغويّ لا فائدة منه؛ بل كلّ عنصر لغويّ وظّف بدقّة لخدمة انسجام النصّ. فضلاً عن العلاقات الأخرى التي تضمّنّها النصّ والتي كان لها دور فعّال في تماسك النصّ وانسجامه.

(١) السبك والحبك في جزء المجادلة (رسالة ماجستير)، باقر محيسن: ١٦٨.

الفصل الثاني

القصدية والمقامية والمقبولية

المبحث الأول

معيار القصدية

تطورت النظرية النصية على يد بوجراند في كتابه النص والخطاب والإجراء، ولم يعد يُنظر للنص على أنه مجموعة من العلامات اللغوية فحسب، وإنما هو نشاط تواصلِي تفاعلي بين منتج النص ومتلقيه، ولهذا فإن بوجراند قد أكد على معيار القصدية الذي يرتبط بمنتج النص، وعلى معيار المقبولية الذي يرتبط بمتلقي النص، فضلاً عن معيار المقامية أو السياق. وهذه المعايير الثلاثة تتداخل فيما بينها تداخلاً شديداً، وتتضافر لإيجاد قناة تواصلية بين طرفي النص، ويتم أحدها الآخر عند إنتاج نص ما؛ ليتمتع ذلك النص بصفة النصية^(١).

لذا سنتناول بالبحث هذه المعايير الثلاثة تتمّة لما تناولناه من معايير في هذا الباب الذي خصصناه لدراسة بناء النص في حكم النبي الأعظم.

أولاً: مفهوم القصدية

يُعدُّ القصد من المعايير الجوهرية النصية، التي يمكن بوساطتها أن نصف أي نص بصفة النصية أو اللانصية. فالقصد يُعدُّ ركناً أساسياً في بناء النص.

حدّ بوجراند هذا المعيار المهم بقوله: "وهو يتضمن موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصاً يتمتع بالسبك، والالتحام، وأن مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطّة معينة للوصول إلى غاية بعينها"^(٢).

وعلى هذا فإن النص سلسلة متصلة من المتواليات اللغوية المسبوكة سبباً منسجماً. ينتجها الناص بقصد تحقيق فائدة مقصودة يسعى إليها الناص. فالقصد عنصر فعّال في بناء النص؛ إذ إنّ الناص ينتقي الوسائل اللغوية التي تؤهله لكي يحقق القصد الذي يسعى إليه، ومن ثمّ يتمكن متلقي النص من فهم الدلالات التي يحملها النص، فيصبح

(١) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ١٠٣-١٠٤، ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ٢٨.

(٢) النص والخطاب والإجراء: ١٠٣.

انتقاء النصّ للوسائل اللغوية وفهم المتلقي هما جوهر التفاعل النصّي، ومن ثمّ يكون معيار القصدية قد حقّق غايته^(١). فالنصّ ليس بنية عشوائية وإنّما هو عمل مقصودّ به أن يكون متناسقاً ومتربطاً من أجل تحقيق هدفٍ محدّد، وبمعنى آخر هو عمل مخطّط، له غاية يودّ بلوغها^(٢).

فمرسل النصّ عندما يرسل نصّاً ما لتحقيق قصديّة معينة، فإنّه يضع خطّة تتناسب مع القصدية التي يسعى إليها. فيقوم بتوجيه بوصلته لاختيار وتنظيم عبارات وتراكيب وسياقات لغوية منسجمة تتلائم مع ذهن المتلقي، فلا يواجه المتلقي صعوبة في فهم النصّ المرسل إليه؛ كون النصّ إذ فقد هذا العنصر الجوهريّ المتمثّل بـ(القصدية) يفقد صفة التفاعل بينه وبين المتلقي؛ إذ إنّ "لا غنى لأية تشكيلة لغوية، يراد استغلالها في التفاعل الاتصالي، عن توافر القصد بأن تكون نصّاً، وعن قبولها بهذا الاعتبار"^(٣).

فإذا فقد النصّ عنصر التفاعل يصبح نصّاً بلا فائدة ويفقد استمراريته؛ إذ "تعود إفادة النصّ معنى ما إلى استمرارية المعاني المقصودة في إطار المعرفة التي تستثيرها تعبيرات النصّ. والنصّ الذي لا معنى له أو معانيه غير معقولة هو النصّ الذي يعجز مستقبلوه عن اكتشاف هذه الاستمرارية منه. ويعود هذا إلى وجود خلل كبير في المزاوجة بين تشكيلة المفاهيم والعلاقات التي يعبر عنها النصّ من ناحية وبين المعرفة القبلية للعالم في أذهان المستقبلين من ناحية أخرى. إنّ استمرارية المعاني المقصودة في النصّ هي أساس للتّساق"^(٤).

يرى بوجراند أنّ معيار القصد من الجانب العمليّ يبقى ماثلاً وموجوداً، حتّى وإن فقد النصّ معايير اتّساقه وانسجامه. فالقصد هو الخطوة التأسيسية الأولى التي يخطوها النصّ لتشييد بنية نصيّة متماسكة ومتلاحمة^(٥).

(١) ينظر: مدخل إلى علم لغة النصّ: ٣٠، ينظر: مدخل إلى علم لغة النصّ ومجالات تطبيقه: ٩٧.

(٢) من لسانيات الجملة إلى علم النصّ بحث منشور، بشير إبرير: ٨٩.

(٣) مدخل إلى علم لغة النصّ: ١٥٢.

(٤) الدلالة والنحو، صلاح الدّين صالح: ٢٧٣.

(٥) ينظر: النصّ والخطاب والإجراء: ١٠٣.

في حين نجد ميكائيل ريفاتير يرى ضرورة وجودة علاقة بين القصد ومعيارى الاتساق والانسجام؛ إذ يقول في ذلك "تلتزم محاولة الانطلاق من مقاصد المؤلف، وبعد ذلك يُلاحظ كيف تحققت هذه المقاصد في النص... فإنَّ الأسلوبى ينبغي أن يختار فقط تلك السمات التي تَبُتُّ المقاصد الأكثر وعياً عند المؤلف"^(١).

ثم يضع النَّاص "مجموعة من الأهداف والأغراض والمرامي البعيدة المدى التي تستوطن النص، وعلى المتلقى أن يتصيدها ولا يقف عند القصد القريب بل يسعى إلى القصد البعيد لينتج عن ذلك "ثنائية قصديّة"؛ القصد الأول ثابت والقصد الثاني متعدّد ومتغيّر، وهذا الأخير لا يدركه كل قارئ عدا الذكيّ والمتقف والواعى من خلال تمنّعه في النصّ وتوظيف إمكاناته المعرفيّة والسياقيّة"^(٢).

وفهم ممّا سَطَرَ أنَّ النَّاص عندما يضع نصّاً ما ويتمتع ذلك النصّ بانسجام واتساق عالين، فإنَّ وراء ذلك الاتساق والانسجام قصدٌ يسعى إليه؛ ليؤثّر في المتلقى. فتماسك النصّ وانسجامه هو نتاجٌ للقصد الذي يمثّل الخطوة الأولى نحو نصّ متماسك ومنسجم. كما أنَّ القصدية علاقة تفاعليّة تواصلية بين منتج النصّ وبين متلقيه. وجوهر هذه العلاقة يكمن في المقصد الذي يروم إليه النَّاص. وإنَّ إدراك هذا المقصد وفهمه يعتمد بشكلٍ أساسيٍّ على بصيرة المتلقى وعلى العمليات الذهنية التي تحدث في ذهنه.

ولكي تتمّ هذه العلاقة (القصدية) يجب توفّر شروط ثلاثة، وهي^(٣):

- ١- وجود منتج للنصّ: الذي ينتج لنا كياناً لغوياً متماسكاً، يحمل في طياته دلالات معينة، لها مقاصد يسعى إلى تحقيقها.
- ٢- وجود متلقى للنصّ: قادراً على تحليل النصّ، وفهم معانيه، وفكّ شفراته، حتّى يصل إلى خفايا النصّ التي يحملها. أي الأهداف المتخفية وراء النصّ.
- ٣- وجود قناة تواصل واتصال، تربط بين طرفي النصّ، منتج النصّ ومتلقيه.

(١) معايير تحليل الأسلوب، ميكائيل ريفاتير، ترجمة حميد لحداني: ٣٤.

(٢) الثنائية القصدية بين التراث العربي والدراسات الغربية بحث منشور، مريم أقرين: ٦.

(٣) ينظر: في مفهوم النصّ ومعايير نصيّة القرآن الكريم دراسة نظرية بحث منشور، بشرى حمدي البستاني،

وسن عبد الغني: ١٨٨-١٨٩.

إنَّ القصد في عالم النص على ضربين:

الأول: القصد المباشر الظاهر:

وهي مقاصد وأهداف يسعى إليها النص بكلماتٍ وعباراتٍ واضحةٍ ومباشرة، لا يكتنفها الغموض، ولا تحتاج إلى تفسيرٍ أو تأويل، يستقبلها المتلقي دون جهدٍ أو تكلفٍ في فهمها، ولا تحمل معاني مضمرةً أو دلالاتٍ بعيدة^(١).

الثاني: القصد غير المباشر المضمَر:

وهي مقاصدٌ تتضمنها بنية النص وتحمل هذه المقاصد دلالاتٍ ومعاني مضمرةً غير ظاهرة في عالم النص. وهذا الضرب يعتمد بشكلٍ رئيسٍ على ذهن المتلقي؛ لأنه هو من يقوم بتلقف تلك المعاني التي يضمها النص^(٢).

إنَّ هذين الضربين اللذان يمثلان معيار القصد يُعدّان أداةً مهمّةً في بناء النص، وعنصرًا فعليًا في تحليل النصوص، لا سيّما نصوص الحديث النبوي الشريف، ومنها حكم الرسول ﷺ؛ إذ يمثل الحديث النبوي لسان القرآن الناطق، والحبل المتصل بين السماء والأرض. فالحديث الشريف يتضمّن في تضاعيفه بيانًا يوضح فيه مجمل الأحكام والتعاليم السماوية السمحاء التي تضمنها القرآن الكريم.

وبناءً على هذا فإنَّ النصوص النبوية المباركة تتضمن مقاصدَ تحتويها في بنيتها؛ وهذه المقاصد ذات تأثيرٍ عالٍ قادرٍ على التأثير في متلقي تلك النصوص. وهذه المقاصد تتمثّل في بعدين:

١ - بعد اجتماعي :

يتمثّل هذا البعد في حكمه ﷺ في الأمور والأحكام التي تخصّ المجتمع ومعالجة قضاياها، منها ما يتعلّق بالصدق، والأمانة، والأخلاق، والتسامح، وحسن التعامل مع الآخرين، وغيرها من الأمور والقضايا التي يكون القصد من ورائها إصلاح الأمة وتربيتها تربيةً حسنة، ورسم طريقٍ إصلاحيٍّ للمجتمع من خلال هذه الأحاديث^(٣).

(١) ينظر: نظرية علم النص: ٤٨.

(٢) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ٤١.

(٣) ينظر: نظرية المقام عند العرب في ضوء البراغماتية: ٢٠٤.

٢- بعد ديني :

يتمثل هذا البعد في حِكمِ النَّبِيِّ ﷺ بأحاديثه التي قصد بها بيان تعاليم الدين الإسلامي الحنيف من عبادات كالصلاة، والصيام، والحج، وغيرها من العبادات الأخرى، وأحكام دينية معينة كالأمور المتعلقة بالبيع والشراء وغيرها^(١).

ومن المفيد أن نشير إلى أن القصدية من وراء هذه الأحاديث لا تقتصر على زمان ومكان محددين فحسب، وإنما للحديث النبوي تأثير في كل زمان ومكان، وفي ذهن كل متلقٍ له؛ إذ تتضمن نصوص الحديث المبارك تألفاً فكرياً موحّداً وجهه الرسول ﷺ توجيهاً قصدياً دقيقاً نحو غاية محددة وهي إصلاح الأمة وإبلاغ رسالة ربّه إلى البشرية كافة^(٢). وسنعرض بدراسة تطبيقية لأحاديثه الشريفة لهذه المقاصد المباشرة وغير المباشرة.

ثانياً: أشكال القصد وأنواعه في حِكمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ:

١ - المقاصد المباشرة:

من شواهد القصد المباشر في حِكمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ قوله ﷺ: "أَسْوَ النَّاسِ سَرِقَةً الَّذِي يَسْرِقُ صَلَاتَهُ، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَسْرِقُ صَلَاتَهُ؟ قَالَ: لَا يُتِمُّ زُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا"^(٣).

يجسد هذا الحديث النبوي نموذجاً واضحاً لـ(القصد المباشر)؛ إذ يتّجه الخطاب إلى تحقيق مقاصد مباشرة تتمثل بالتحذير من الأخلال بأداء الصلاة، لا سيما أركانها الأساسية؛ لأنها عمود الدين، ومفتاح قبول الأعمال الأخرى.

يفتح الرسول عليه الصلاة والسلام حديثه المبارك بصيغة (أَسْوَ النَّاسِ سَرِقَةً)، وهي بنية تفضيلية تقويمية تقوم على اسم التفضيل (أَسْوَ) وأضافها إلى (الناس) مما منح النص المبارك شحنة حكيمية قوية، أسس الرسول الكريم بوساطتها توجيهاً ادراكياً حاداً، عكس هذا التوجيه الادراكي قصداً مباشراً واضحاً في تعظيم الفعل وتقبيحه.

(١) ينظر : نظرية المقام عند العرب في ضوء البراغماتية: ٢٠٤ .

(٢) ينظر: عبقرية محمد: ٦٧ ، ومعالم البيان في الحديث النبوي بحث منشور : ١٠٢ .

(٣) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٥ / ٢٧٦ .

فضلاً عن ذلك فقد تضمّن الحديث بنيةً حواريةً (قالوا...)، وهذه البنية مثّلت استجابة المتلقين (الصّحابة)، وكشفت عن نجاح الخطاب ومقاصده، فضلاً عن نجاحه في إثارة الانتباه. فقد عكست هذه الآلية حضور المتلقين داخل النصّ، مما يؤكّد أنّ القصديّة لم تبَنَ فقط على الإرسال؛ بل على توقع التفاعل بين الملقّي والمتلقّي. ثمّ تأتي البنية التفسيرية المباشرة (لا يتمّ ركوعها، ولا سجودها)

فالحديث الشريف مع كونه قصيراً؛ إلّا أنّه يحمل في تضاعيفه رسالةً تحذيريةً للعبد المسلم مضمونها ضرورة إتمام الصّدق في العبادات لا سيّما الصّلاة، وعدم التّعامل معها شكلياً، وإنّما إتمامها وإتقانها روحياً.

فقد حقّقت هذه الرّسالة قصداً أخلاقياً وعبادياً في آنٍ واحد. فالبعد الأخلاقيّ تمثّل بأنّ السّارق أسوأ النّاس، فالسرقة عمل يفسد الأخلاق. أمّا البعد العبادي، فتمثّل بضرورة إتمام الصّلاة في ظاهرها وباطنها، وعدم إخلالها وسرقة حقّ الله. فالقصديّة المتحقّق في النصّ "تدفع المتكلّم إلى اختيار ما يراه أسلوبياً مناسباً وحالة المتلقّي ووضعه هو نفسه كمتكلّم والموقف والظّروف المحيطة"^(١).

إنّ التّشكيلات اللّغويّة المتوافرة في سطح النصّ، فضلاً عن الاتّصال الذي حقّقه النّاصّ مع الحضور المتلقّين للنّصّ، وتأثيره في أذهانهم، أسهمت هذه العوامل إسهاماً فعّالاً في استمراريّة النصّ، وفي إبانة المعنى المركزيّ للنّصّ وتوضيحه؛ إذ إنّ "التّشكيلات اللّغويّة يختفي وراءها قصد ليس بإمكانها الاستغناء عنه. وما دام الأمر يقتضي توافر القصد على النصّ، فلا بُدّ له من أن يأخذ دور الموجه، والمخطّط له، والمحفّز لولادة نسيج مُهذّب، ومُشدّب يحمل في طياته شبكات اتّصاليّة يوعز من خلالها إلى المتلقّي بالوقوف على تلك المقاصد"^(٢).

من المفيد أن نشير إليه أنّ الاستعارة الواردة في سطح النصّ أسهمت بدورٍ بارزٍ في جذب ذهن المتلقّي وشدّ انتباهه للبؤرة التي حقّقها القصد في سطح النصّ. وتمثّلت هذه الاستعارة بالسرقة؛ إذ كان لها دورٌ بارزٌ في إيصال قصد الحديث ومعناه. فقد

(١) نظرية علم النصّ: ٦٥.

(٢) النثر الصوفيّ دراسة في لسانيات النصّ: ١٢٧.

أثارت هذه الاستعارة صدمة واضحة للمتلقّي، وحققت تأثيراً فعالاً في نفسه؛ إذ إنّ سرقة الصلاة جريمةً روحيةً؛ ممّا جعلت المتلقّي يعيد النظر بأعماله العباديّة التي يقوم بها، ورسّخت في نفسه قيمة الخشوع الرّوحيّ عند العبادة، والتأكيد على إتمامها دون نقص.

وعند البحث عن مقاصد مباشرة أخرى في حكمه، نجد في قوله: "لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةُ الْقَلْبِ إِنَّ أْبَعَدَ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي" (١).

تتجلى الوسائل النصّية في الحديث المبارك بعددٍ من الآليات اللّغويّة التي أسهمت اسهاماً فعالاً في تحقيق مقاصد الرّسول الكريم، منها صيغة النّهي الموجهة إلى جماعة المسلمين (لا تكثروا)؛ إذ منحت هذه الصّيغة النصّ قوّة تحذيريّة، وشحنة توجيهيّة، للتحذير من كثرة الكلام والإطالة به من دون فائدة تحقيق معنى منشود، أو خلوه هذا الكلام من ذكر الله تعالى. ثم أرشدهم ﷺ إلى الاقتصاد بالكلام؛ لأنّ الإفراط بالكلام مضرّ غير نافع يورث القساوة في القلب (٢).

إنّ الإفراط في الكلام يحقّق مضرّة للإنسان تتمثّل بوجود عاهة روحية تولّد قسوة في القلب، وعلاج هذا المرض الرّوحيّ يكون بذكر الله تبارك وتعالى؛ فالإفراط بالكلام يبعد الإنسان من التّقرب لله عزّ وجلّ (٣)؛ إذ عمد ﷺ إلى ترسيخ هذا القصد ومفهومه باستعمال التّوكيد بـ(أنّ) المكرّرة مرتين في سطح النصّ.

ثمّ يتّجه الحديث الشّريف ليوضح لنا النتيجة من كثرة الكلام وهي قساوة القلب، وهذه القساوة الدّنيويّة تربطه بنتيجة أخرى وهي البعد من الله تبارك وتعالى. فقد قرن الرّسول السّلوک الإنسانيّ المتمثّل بالإفراط بالكلام مع قساوة القلب، وعمد أيضاً إلى ربط هذا الاقتران بين السّلوک والقساوة بالنتيجة المتمثّلة بالبعد من الله تبارك وتعالى؛ إذ جسّد هذا الاتّصال صورة توضّح بأنّ القلب هو حلقة الوصل بين العبد وربّه وهو موضع التّقرب من الله عزّ وجلّ. فهذا التسلسل المنطقيّ المنسجم بين السّبب والنتيجة حقّق قصداً

(١) حكم النّبّي الأعظم: ٧/ ٤٩٧.

(٢) ينظر: مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبليّ، عبد الرحمن بن أحمد الحنبليّ: ١/ ٢٦١.

(٣) ينظر: جواهر الاحسان في تفسير القرآن، النّعالبيّ ٨٧٥هـ: ٥/ ٨٧.

تحذيرًا مباشرًا. فالنَّصُّ بُني على تسلسلٍ منطقيٍّ للأفكار التي تضمَّنَها، وهذا البناء يحقق قصديَّة ذات قوَّة تأثيريَّة عالية في المتلقِّي.

"ولمَّا كان النَّصُّ مظهرًا من مظاهر السلوك اللُّغويِّ، وشكلًا من أشكال اللُّغة، فإنَّه يحتوي لا محالة، عن قصد معيَّن" (١)؛ فقد تضمَّن النَّصُّ الشَّريف مقاصد ذات أبعادٍ اجتماعيَّة واضحة، تعمل هذه الأبعاد بتأثيرها القوي الَّذي حقَّقه البناء المنطقيُّ على تحقيق مقاصد وأهداف أخلاقيَّة وتربويَّة.

ومن جملة الشَّواهد الواردة في حِكْمه المباركة، الَّتِي حملت في بنيتها النَّصيَّة قصداً مباشراً، ما ورد في قوله عليه الصَّلاة والسَّلام: "إِنَّ الْجَنَّةَ لَتُوجَدُ رِيحُهَا مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِمِئَةٍ عَامٍ، وَلَا يَجِدُهَا عَاقٌّ وَلَا دَيُّوثٌ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الدَّيُّوثُ؟ قَالَ: الَّذِي تَرْنِي امْرَأَتُهُ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهَا" (٢).

نلاحظ في الحديث المبارك أنَّه حمل مقاصد ذات أبعادٍ دينيَّة واجتماعيَّة، وهذه المقاصد تحقَّقت عن طريق آليات نصيَّة متعدِّدة، تضمَّنَها الحديث الشَّريف، فالبعد الدِّيني قصد فيه الرَّسول ﷺ بيان عظمة وسعة الجنَّة؛ إذ إنَّ ريحها يُشَمُّ من مسافة خمسمئة عامٍ وهذه مسافة ليست بالقليلة، تفوق ما هو موجود بالدُّنيا. فالقصد في النَّصِّ رسم تعظيمًا للجنَّة، وجسد تشويقاً وترغيباً للمتلقِّي، وشدَّ انتباهه إلى الرَّسول ﷺ، وهذا القصد "يحقق الاستمراريَّة بين المتلقِّي والنَّصِّ، فعند قراءة النَّصِّ يتأوَّله القارئ من خلال التَّجوال في دوائره ذات التَّركيب المتناسك بحثاً عن قصد الكاتب، وبعد الحصول عليه، وفهمه يكون قد حقَّق الاستمراريَّة الَّتِي تُعَدُّ النَّصيَّة بعينها" (٣).

ثمَّ أَرَدَفَ ﷺ هذا التَّرجيب والتَّشويق لنعيم الجنَّة، بقصدٍ ثانٍ ذي أبعادٍ اجتماعيَّة بقوله ﷺ: (ولا يجدها عَاقٌّ وَلَا دَيُّوثٌ)؛ ليبين جوهر المقصد الثَّاني وهو التَّحذير الشَّدِيد من ذنب عقوق الوالدين، وعدم الحفاظ على العرض؛ لأنَّ هذين الذَّنْبين يمسَّان الأسرة والمجتمع معاً، ويسهمان بتفككهما.

(١) مدخل إلى علم النَّصِّ ومجالات تطبيقه: ٩٦.

(٢) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٤ / ٤٨٣.

(٣) مهاد في لسانيات النَّصِّ: ١٤٨.

وعند تسليط الضوء على الآليات النصّية التي جعلت الحديث المبارك أكثر تماسكاً، وحققت قصديّة أكثر وضوحاً، نجد تلك الآليات كثيرة في سطح النصّ، أبرزها (التوكيد)، فقد تكرر ثلاث مرات في فضاء النصّ، وبأشكالٍ متنوعة (إنّ، الّام في (لتوجد)، و(لا) المكررة مرتين). فضلاً عن التوكيد فإنّ أسلوب الحوار المتمثّل باستفهام الصّحابة وتوضيح الرّسول الكريم لهم والترغيب والترهيب، والتفسير والتّوضيح، كلّ ذلك منح النصّ صفة الاستمراريّة، وأوجد قناة تواصلية بين الملقّي والمتلقّي، كانت كفيلة بإيصال مقاصد الرّسول الكريم إليهم.

إنّ النصّ كيان لغويّ متماسكٌ محكم النّسيج، ومنسجم البنية، يعرض الوحدات اللّغويّة داخل النصّ بسلاسة؛ إذ يبدأ بالترغيب والتّشويق وينتقل ليوضّح معنى آخر وهو التّرهيب والتّحذير، ثمّ يختم النصّ بالتّفسير والتّعليم موضحاً من هو الدّيوث. فعن طريق هذا الانتقال السّلس، والنّسيج المحكم، واستعمال التّوكيد مذ انطلاق النصّ، فضلاً عن النّفي والعطف والتّفسير، أسهم كلّ ذلك بتحقيق التّواصل بين الرّسول ﷺ والمتلقّي، وحثّ المتلقّي على برّ الوالدين وعدم عقوقهما، والحفاظ على العرض. فقد بيّن عن طريق ذلك مقاصد واضحة للنّص تتمثّل بحفظ الأسرة والمجتمع، والابتعاد عن المحارم. فجاءت ألفاظ هذا الحديث مترابطة، متماسكة، منسجمة لفظاً ومشهداً وحواراً، ومن يتأمّل أقوال الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم يُدرك أنّه كثيرًا ما كان يُراعي السّياق، فيُنظّر إلى النصّ نظرةً كليّةً^(١).

٢ - المقاصد غير المباشرة:

عند تأمّل النّصوص النّبويّة على المستويات المختلفة، نجد أنّ النصّ النّبويّ ليس مجرد تراكيب لغويّة فحسب، وإنّما هو نصّ مشحونٌ بقدر كبيرٍ من المعلومات المعرفيّة الجوهريّة، ويحتوي أيضاً على مقاصد مختلفة ذات أبعاد دينيّة، واجتماعيّة، تهدف هذه الأبعاد لتحقيق أهداف تربويّة وأخلاقيّة لتقويم الأمة الإسلاميّة .

(١) الحديث النّبويّ بين النّصيّة اللّغويّة والمصدريّة التّأسيسيّة بحث منشور، نادية توهامي: ١٧٩.

فمن شواهد المقاصد غير المباشرة في حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ، حكمته ﷺ : "أصلُ الدِّينِ الْوَرَعُ، ورأسُهُ الطَّاعَةُ"^(١). نلاحظ أنَّ الحديثَ المبارك تضمَّن مقاصد مباشرة وأخرى غير مباشرة؛ إذ مع كونه قصيراً؛ لكنّه يرسم لنا صورة متكاملة عن الدِّين، عن طريق القصد المباشرة الذي يحمله.

فالحديث المبارك يوضّح لنا أنَّ الورع عماد الدِّين ورأسه، ويتمثّل بالكفّ عن المحرمات التي نهى الله تعالى عنها؛ لأنّه جوهر الدِّين، وأوّل الطّريق إلى العبادات، فالمعنى الظّاهر في سطح النّصّ يقدّم لنا صورةً مختصرةً ومتكاملةً عن جوهر الدِّين الإسلاميّ، وهما (الورع) الأمور الدّاخلية في الدِّين، و(الطّاعة) الأمور الظّاهر في الدِّين^(٢).

ولكنّ عند انعام النّظر في النّصّ، نجد مقاصد خفيّة غير مباشرةٍ يحملها النّصّ، إذ جاء الحديث المبارك بصيغة (جملة خبريّة تقريريّة)، مع كون هذه الصّيغة خبريّة لا تحمل أمراً مباشراً صريحاً؛ لكنها تؤدّي وظيفة توجيهيّة مباشرة؛ إذ تتحوّل هذه الصّيغة إلى آليّة إقناعيّة ضمنيّة تدفع المتلقّي لترويض نفسه وتربيتها على طاعة الله تبارك وتعالى، والخوف منه في الخفاء قبل العلن. فالدِّين ليس سلوكاً ومظاهراً شكلية يمكن رؤيتها، وإنّما هو خشوعٌ لله تبارك وتعالى، وترويضٌ للنفس على الأعمال الصّالحة قبل كلّ شيء.

أمّا استقبال النّصّ من لدن المتلقّي، فإنّ له تأثيراً فعّالاً في وجود تواصل بين طرفي العمليّة التّواصلية؛ إذ يسهم إسهاماً فعّالاً في الكشف عن المقاصد الخفيّة في بنية النّصّ، عن طريق تنشيط ذهن المتلقّي للبحث عن معاني أخرى؛ إذ إنّ النّصّ باعتباره عمليّة تواصل لا ينطوي فقط على شبكة عمل لغويّة؛ بل يكمن وراء هذه الشبكة عوامل إدراكيّة تؤثر في عمليّة استقبال النّصّ لدى المتلقّي^(٣).

(١) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٢ / ٤١٧.

(٢) ينظر: غريب الحديث في بحار الأنوار، حسين الحسيني البيرجندي: ٤ / ١٢٠، وسر الإسراء في شرح

حديث المعراج، الشّيخ عليّ سعادت: ٣ / ٢١.

(٣) علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق: ٤٣.

فمُتَلَقِّي الحديث المبارك يتأثر به تأثيراً كبيراً؛ كونه يحمل إيجازاً بليغاً وتكثيفاً دلاليّاً؛ إذ أنّ الرّسول الكريم اختزل المنظومة الدّينيّة بتركيبين لغويّين، دعا من خلالهما الفرد إلى تفحص دينه، والتّفقّيش عن الأمور الدّينية الشّكليّة والباطنيّة، ويوجّه نفسه إلى ما يرضي الله ورسوله وولي الأمر.

ومن جملة شواهد هذا النوع من المقاصد قوله ﷺ: "عِيَادَةُ الْمَرِيضِ أَعْظَمُ أَجْراً مِنْ اتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ" ^(١)، وقوله ﷺ: "خُطَا عَائِدِ السَّقِيمِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّقِيمِ فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ" ^(٢).

فالحديث الشّريف تضمّن قصداً غيرَ ظاهرةٍ في البنية السّطحيّة للنّص؛ إذ إنّهُ يحمل أبعاداً دلاليّةً مضمرةً في البنية الدّاخلية للنّص، لم يصرّح به الرّسول ﷺ صراحةً بالألفاظ الظّاهرة في سطح النّص؛ إذ إنّ قصد الرّسول ﷺ لم يقتصر على ما هو ظاهرٌ في النّص فحسب، المتمثّل بالحثّ على زيارة المريض؛ وإنّما هنالك مقصدٌ غيرُ ظاهرٍ، وهو الحثُّ على عيادة المريض؛ إذ إنّ عيادته تمثّل تعزيزاً للروابط الاجتماعيّة.

إنّ لعيادة المريض أجراً عظيماً عند الله سبحانه وتعالى؛ على خلاف اتّباع الجنائز. فعظيم الأجر في هذا العمل لم يكن اعتباطيّاً؛ إذ إنّ هذه الزّيارة رسالةً اطمئنان للمريض، فهي تخفّف الألم عن المريض بمجرد رؤيته للعائدين إليه. وفيها بركة ربّانيّة متحقّقة للرّائر الذي يقوم بهذا العمل المبارك. أمّا اتّباع الجنائز، فهو أمرٌ واجبٌ على الإنسان، وقد يستمرّ هذا الأمر لساعاتٍ قليلة، بينما عيادة المريض أمرٌ مستمرٌّ حتّى تحقّق الشّفاء للمريض، فهي تحقّق ترابطاً اجتماعيّاً، وبركةً رُحيّةً من عند الله عزّ وجلّ ^(٣).

إنّ القصد المضمّر الذي نبّه عليه الرّسول الكريم بصورةٍ غيرِ مباشرةٍ، والذي حثّ فيه على بناء مجتمعٍ متماسكٍ يسوده التّراحم والتّواصل، والحثّ لترويض العبد على الحمد والشّكر المتواصلين لله وحده عزّ وجلّ؛ لأنّه واهب الصّحة والعافية وكلّ النّعم.

(١) حكم النّبِيِّ الأعظم: ٣٠٨ / ٧.

(٢) المصدر نفسه: ٣٠٨ / ٧.

(٣) ينظر: الكافي، الشّيخ الكليني باب الفضل في عيادة المريض: ٣ / ١١٩.

على أَنَّ هذا القصد لا يلغي ما لا تباع الجبازة من أكر؛ لكن قصد التفضيل ذلك ليؤكد أهميّة عيادة المريض؛ لما لها من فضل عند الله تبارك وتعالى، فهي محفوفة بالخير والبركة الربانيّة. ففي أهميّة عيادة المريض ذكر أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (٢٢٤هـ) أَنَّ عيادة المريض من نظائر الجهاد^(١).

أمّا استعمال اسم التفضيل (أعظم)، فكان له أثر في إغناء النصّ بالمعنى وترسيخه في ذهن المتلقّي، وإيصال القصد دون تكلف أو إطالة في الكلام، فضلاً عن تصوير مشهد عيادة المريض وكأّنه في رياض النعيم. دفعت هذه الأدوات الشكليّة الموجودة في سطح النصّ المتلقّي إلى الإقبال على هذا العمل الصالح. فالنصّ شحّن بمقاصد خفيّة تحمل رسائل متنوعة ذات أبعاد دينيّة واجتماعيّة. فإنتاج النصّ لم يكن اعتباطيّاً؛ إذ وُظف كلّ جزء في النصّ بقصدٍ وخطّة منظّمة وضعهما الناصّ من أجل تحقيق المقاصد التي تضمّنها النصّ، ومن ثمّ تحقيق أهداف النصّ الكلّيّة^(٢).

ومن الشواهد التي وردت في حكم النبي الأعظم وتتضمّن مقاصد غير مباشرة، حكمته المباركة: "الخلق وعاء الدين"^(٣).

يتضمّن الحديث المبارك مقصداً غير مباشر، مع كونه انّسم بالإيجاز، لكنّه يحمل معاني جوهرية ذات أبعاد دينيّة واجتماعيّة. وهذه هي سمة غالبية على الحديث الشريف؛ إذ يأتي بالكلمات القليلة ليدلّ بها على معاني كثيرة^(٤).

فعن طريق التأمّل يمكن فهم المقصد المضمّر في بنية النصّ وتحليله. فالقصد الذي أراد الرسول الأعظم ﷺ إيصاله للمتلقّي ولفت انتباهه إليه، يتمثّل بكيفية أن يتزيّن الفرد بالأخلاق الحسنة في دينه، فالدين لا ينحسر في العبادات الشكليّة الظاهرة، وإنّما هو سلوكٌ وعملٌ حسنٌ، وجوهر هذا السلوك هو الأخلاق "فإذا كان للعبد ذلك الخلق كان وعاء لدينه من ذلك الخلق يخرج له الدين وهو الخشوع والخشوع وبذل النفس لله وإحتيال أثقال المكروه"^(٥).

(١) ينظر: النّاسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، أبو القاسم بن سلام الهروي: ٢٠٦.

(٢) ينظر: الترابط النصّي في ضوء التحليل اللساني للخطاب: ٨٩.

(٣) حكم النبي الأعظم: ٤ / ٢٩٥.

(٤) ينظر: البلاغة النبوية: ٨٤.

(٥) نوادر الأصول في أحاديث الرسول، الحكيم الترمذي: ٨ / ٤٥.

أَمَّا الأبعاد الاجتماعية التي يتضمنها القصد المضمَر في النص، فتتمثل بالعلاقات والروابط الاجتماعية التي تُبنى على الصدق والأمانة والتّراحم والإخلاص، وأساس ولبّ ذلك كلّهُ هو الأخلاق الحسنة؛ إذ تُعدُّ الأخلاق عصب الحياة الاجتماعية والعمود الذي يعمل على تقوية تلك العلاقات والروابط، ففقدّها يؤدي إلى شلل في الحياة الاجتماعية.

فمن رحم الأخلاق خرج لنا الدّين، فالأخلاق تُعدُّ نقطة انطلاقٍ نحو الآفاق الدّينية؛ إذ إنّ لكلّ شيءٍ سمةً يمتاز بها، فقد امتازت العربيّة بأنّ القرآن نزل بلغتها وخصّ الله هذه اللّغة بهذا الكتاب العظيم. كذلك ميّز الله سبحانه وتعالى الإسلام بأنّه أشرف الأديان فمنحه الله الخلق العظيم وخصّه بالحياء الرّفيع، فأمتاز به عن سائر الأديان الأخرى^(١).

إنّ الوسائل اللّغويّة المتوافرة في سطح النصّ، التي كان لها دورٌ فعّالٌ، تمثلها الاستعارة؛ إذ إنّ استعارة (الوعاء) وتوظيفه داخل بنية النصّ كان لها الأثر البالغ في اختزال الحديث، وشحنه بمعانٍ جوهريّة؛ إذ رسمت هذه الاستعارة صورةً مادّيّةً في ذهن المتلقّي. فالوعاء يحفظ ما بداخله كذلك الخلق؛ إذ هو كالوعاء الذي يحفظ الدّين. فالدين بلا أخلاقٍ تَوَطَّرَ، كالماء بلا دلوٍ يحفظه.

أَمَّا التّناول الدّهني للمتلقّي، فله دورٌ بارزٌ في إبانة المعنى وتوضيح القصد المضمَر في بنية النصّ؛ ممّا جعل المتلقّي عنصراً فعّالاً في العمليّة التّواصلية؛ إذ إنّ "وجود المتلقّي ليس خارجياً فحسب؛ بل هو وجودٌ في وعي المبدع بالدرجة الأولى، وهذه الحقيقة تأتي من معاينة الواقع التّنفيزيّ معاينةً صحيحة، ومن خلالها تأخذ العمليّة التّنظيرية خطوط حركتها الجدليّة بين الطرفين: المبدع والمتلقّي"^(٢).

(١) ينظر: نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، إبراهيم بن عمر البقاعي: ٩٨ / ٨.

(٢) قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني: ٢٢٨.

المبحث الثاني

معيار المقامية

أولاً: مفهوم المقامية:

تُعَدُّ المقامية أو السياق إحدى المعايير التي تحقق للنص صفة النصية، بالتضافر مع معايير أخرى تسهم فيما بينها بإخراج نص متماسك، ليس على مستوى الشكل أو البنية الداخلية فحسب، إنما على مستويات أخرى تتعلق بقصدية النص، وتقبل المتلقي للنص، وتتعلق أيضاً بالمعلومات الجديدة التي يحملها النص في تضاعيفه، أو تناس النص مع نصوص أخرى.

أهتمت مدرسة لندن المدرسة الانكليزي بالمنهج السياقي، وعُرفت هذه المدرسة باهتماماتها بالمعنى، فقد نادت بالنظرية السياقية للمعنى، وركزت على السياق أو الطريقة التي تستعمل فيها المفردة؛ إذ صرح فيرث Firth زعيم هذه المدرسة: "بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة، ويقول أصحاب هذه النظرية في شرح وجهة نظرهم: إن معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وإن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها"^(١).

وضع فيرث Firth شروطاً متعددة يتوقف عليها تحديد المعنى داخل النص، وهي^(٢)

:

- ١- تحليل وتفسير السياق اللغوي للنص صوتياً، صرفياً، ونحوياً، ومعجمياً.
- ٢- بيان شخصية المتكلم (منتج النص)، والمخاطب (متلقي النص)، والظروف المحيطة بالكلام.
- ٣- بيان نوع الوظيفة الكلامية.
- ٤- بيان نوع الأثر والتبعات التي يتركها الكلام.

(١) علم الدلالة، أحمد مختار عمر: ٦٨-٦٩.

(٢) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ١/ ٧٠.

فقد أُكِّدَت شروط فيرث التي ذُكرت أنه لا يمكن أن نفصل المعنى والسَّيَاق؛ بل هما وجهان لشيء واحد؛ إذ إنَّ المعنى متَّصل بالسَّيَاق اتِّصالاً شديداً، ومن ثمَّ لا يمكن الفصل بينهما أو تصوُّر أحدهما دون الآخر^(١).

أُكِّد بوجراند على ضرورة الوقوف على سياق الموقف عند دراسة النصِّ، يقول في ذلك: "ينبغي للنَّصِّ أن يتَّصل بموقف يكون فيه، تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات، والتوقعات، والمعارف، وهذه البيئة الشَّاسعة تسمَّى سياق الموقف"^(٢).

فالسَّيَاق إذاً هو ترابط مجموعة من الوحدات اللُّغويَّة التي تتنظم داخل النَّصِّ، مكوَّنة سلاسل من الجمل المنسجمة انسجماً تاماً. وهذا التَّرابط بين الجمل والكلمات داخل النَّصِّ يُنتج معنىً كلياً للنَّصِّ يُدرك من خلال قراءة النَّصِّ وتناوله كاملاً.

ذكر فندريس Vendryes أنَّ الذي يبرز قيمة الوحدة اللُّغويَّة ويعيِّنها في وجودها ويكشف معناها هو السَّيَاق، يقول في ذلك: إنَّ "الكلمة توجد في كلِّ مرةٍ تُستعمل فيها في جوٍّ يحدِّد معناها تحديداً مؤقتاً، والسَّيَاق هو الذي يفرض قيمةً واحدةً بعينها على الكلمة، بالرَّغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدلَّ عليها"^(٣).

ومن المفيد أن نشير إلى أنَّ التَّعاضِّي عن أثر السَّيَاق في فهم النَّصِّ وتفسيره يؤدِّي إلى عقم في تحليل قصد النَّاصِّ، ويعطي نتائج غير واضحةٍ للمعنى المركزيِّ للنَّصِّ؛ لأنَّ السَّيَاق عنصرٌ فعَّالٌ في تحديد المحور الذي يدور حوله معنى نصٍّ ما، وله دورٌ أيضاً في استمراريَّة النَّصِّ وانسجامه؛ إذ إنَّ الإلمام بالسَّيَاق يعني الإلمام بالمعنى المركزيِّ للنَّصِّ^(٤).

وفيما أرى أنَّ المتلقِّي عندما يتناول النَّصِّ ينظر إليه من جانبين، الأوَّل جزئيٌّ والثَّاني كليٌّ شموليٌّ. ففي نظرته الأوَّلى الجزئيَّة يتناول فيها المفردة مستقلةً ومنعزلةً عن السَّيَاق، فيفهم معناها المعجميَّ بعيداً عن السَّيَاق العامِّ الذي تردُّ فيه. وهذا الجانب

(١) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ١ / ١١٧.

(٢) النَّصِّ والخطاب والإجراء: ٩١.

(٣) اللُّغة، فندريس: ٢٣١.

(٤) ينظر: لسانيات النَّصِّ مدخل إلى انسجام الخطاب: ٥٦.

الجزئي يكون أثناء قراءته للنص، وعن طريق تناوله الأول والتدرجي للمفردات التي يتشكل منها النص، أي يتلقى معنى كل مفردة بمعزل عن الأخرى.

أمّا تناوله للجانب الكلي الشمولي للنص، فإنّه يكون بعد أن يبدأ بفكّ شفرات النصّ تمهيداً لإكمال قراءته للنصّ. وهذه النظرة هي من تحدّد المعنى المركزي للنصّ. وهي من تلبس المفردات معاني جديدة، وتجردها من معاني أخرى؛ لأنّ النصّ مجموعة من المفردات التي تتألف مع بعضها في تشكيل سطح النصّ وتكوين بنية دلالية يحملها النصّ في داخله. وهذا التألف بين المفردات الذي يمثل السياق هو من يحدّد معنى المفردات.

مثال على التناول الجزئي والكلي للسياق، النصّ الآتي: (رأيت عيوناً منتشرة في أرجاء المدينة، وما أن وصلت قريباً من الدار، أخبرني جاري، أنّ هنالك حملة عسكرية. عندها أدركت أنّ ثمة أمراً خطيراً في المدينة). فقارئ النصّ السابق عندما يقرأ عبارة (رأيت عيوناً منتشرة في أرجاء المدينة) يتبادر إلى ذهنه معاني متعددة، منها (عيون الماء، عيون الجيش... الخ)؛ ولكنّ عندما يستطرد بقراءة النصّ، ويفهم النصّ ذهنيّاً، ويحلّل تراكيبه، ويفكّ شفراته، ترتسم له الصورة الكلية للمعنى الذي تحمله المفردات داخل النصّ، ومن ثمّ يفهم معنى النصّ بصورة كلية. فالتناول الكلي للسياق هو من يبين معاني المفردات ويفسّر العلاقات الدلالية فيما بينها.

فقد وضّح ديل هايمز (Dell Hymez) دور السياق في تأويل المعنى المقصود وتفسيره في النصّ، بقوله: "إنّ استعمال صيغة لغوية يحدّد مجموعة من المعاني، وبإمكان المقام أن يساعد على تحديد عدد من المعاني، فعندما نستعمل صيغة في سياق ما فإنّها تستبعد كلّ المعاني الممكنة لذلك السياق، التي لم تشر إليها تلك الصيغة، والسياق بأثره يستبعد كلّ المعاني الممكنة لتلك الصيغة التي لا يحتملها السياق" (١).

(١) تحليل الخطاب، براون، وويل: ٤٧.

ثانياً: الخصائص التي تتعلق بتحديد السياق:

اقترح ديل هايمز Dell Hymes عدداً من الخصائص التي لها علاقة بتحديد السياق، صنّفها على النحو الآتي^(١) :

- ١- المرسل أو الباث (الناص): وهو الكاتب أو المتكلم الذي ينتج النص.
- ٢- المستقبل أو المرسل إليه (متلقي النص): وهو السامع أو القارئ الذي يتلقى النص ويتفاعل معه.
- ٣- الحضور أو المستمعون: يسهم وجود المستمعين في محيط النص الخارجي بتحديد معنى الحدث الكلامي.
- ٤- الموضوع: وهو الرسالة الموجهة للمخاطبين ويمثّل المحور الذي يدور حوله الحديث، أي مدار الحدث الكلامي الذي يتحدث عنه.
- ٥- المقام أو الظرف: وهو السياق أو الظرف الزماني والمكاني للحدث الكلامي الذي أنتج فيه النص؛ إذ إنّ معرفته تسهم في تحديد دلالة الحدث بشكل أدق، وتسهم بأن تكون النتائج أكثر دقة عن طريق معرفته وتحديده. وكذلك الحدث التواصلّي، والعلاقات الفيزيائية التي تحدث بين المتفاعلين من العلامات، والإيماءات، والإشارات، والملامح الجسدية التي تظهر عليهم وغير ذلك.
- ٦- القناة: وتتمثّل هذه الخصيصة بالكيفية أو الوسيلة التي يتمّ التواصل بواسطتها بين الأطراف المشاركة في الحدث الكلامي، وهذه القناة قد تكون مكتوبة أو منطوقة أو إشاريّة.
- ٧- النظام أو الشّفرة: وتتضمّن اللغة أو اللهجة أو الأسلوب اللغويّ المستعمل في النصّ.
- ٨- شكل الرسالة أو الهيئة التي تتخذها: ويتمثّل بشكل الرسالة أو محتواها، هل هذا النصّ المرسل خطبة، حكاية، حوار، عظة، خرافة، قصيدة إلى آخره.

(١) ينظر: تحليل الخطاب، براون، وويل: ٤٧-٤٨ ، لسانيات النصّ، محمّد خطّابي: ٥٣ ، الانسجام النصّي وأدواته بحث منشور، الطيّب الغزاليّ قواوة: ٦٥-٦٦.

٩- المفتاح: ويتضمن الطّابع التّقيمي للنّصّ، هل كانت الرّسالة موعظةً حسنةً أم شرحٍ مثيّرٍ للعواطف أو غير ذلك.

١٠- الغرض: وهو ثمرة العمليّة التّواصلية القائمة، والغرض النّهائيّ الذي يسعى إليه المتخاطبون. ويمثّل ما يقصده المشاركون في الحدث الكلامي، وينبغي أن يكون هذا الغرض نتيجة للحدث التّواصلّي.

إنّ لسانيّ النّصّ يؤكّدون على ضرورة مراعاة البعد التّداوليّ للنّصّ عند دراسة نصّ ما؛ إذ إنّ كلّ نصّ ينتجه الكاتب لا بُدَّ أن يتضمّن رسالةً أو قصداً يسعى إيصاله إلى المتلقّي أو القارئ، وأنّ ذلك النّصّ يتمّ إنتاجه في ظروف معينة تحيط به، فكّلما كان النّصّ ملائماً للسياق والموقف الذي أنتج فيه كان أكثر قبولاً وتأثيراً في المتلقّي؛ إذ تمثّل المقاميّة ركناً أساسيّاً في فاعليّة واتّساق النّصّ، لا سيّما في الأبعاد التّداوليّة، وأنّ مراعاة الطّروف التي أنتج فيها النّصّ تسهم بشكلٍ فعّالٍ في اكتمال نصيّة الخطاب واستقامته^(١).

وسياق الموقف أو المقاميّة هو "مجموع الطّروف الاجتماعيّة أو العلاقات الاجتماعيّة التي يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السّلوک الاجتماعيّ والسّلوک اللّغويّ، وهو المناخ أو الجوّ العامّ الذي يتمّ فيه الحدث الكلامي، فهو يشمل الزّمان والمكان، والمتكلّم والسّامع، والأفعال التي يقومون بها، ومختلف الأشياء والحوادث التي لها صلة بالحدث الكلامي"^(٢).

لذا فإنّ الوقوف على سياق الموقف، والعناصر المرتبطة به (النّاصّ، المتلقّي)، والتعرّف على (الطّروف المحيطة) بالنّصّ اجتماعيّة، سياسيّة...، التي أنجز النّصّ في ضوئها، أمرٌ مهمٌّ عند دراسة نصّ ما؛ لأنّ فهم المواقف والطّروف تسهم في فهم وتحليل النّصوص وتبسيط الصّوّ على جوهر النّصّ^(٣).

(١) ينظر: مدخل إلى علم النّصّ ومجالات تطبيقه: ٩٧-٩٨.

(٢) نظريّة المقام عند العرب في ضوء البراغماتيّة: ٢٠.

(٣) ينظر: نظريّة علم النّصّ: ٢٥.

ولتطبيق ذلك على ما جاء في حَكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ ﷺ ، نقف عند قوله عليه الصلاة والسلام : "إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً وَشَبَّكَ أَصَابِعُهُ"^(١) .

فالمتكلم كما هو معلوم من النص، النبي محمد ﷺ وهو قائد الأمة وصاحب الخطاب الأعلى فيها. والمخاطبون هم الصحابة على اختلافهم من مهاجرين وأنصار، وهم المتلقون الذين وجه إليهم النص؛ إذ لا يمكننا تصوّر نصّ دون المتلقّي، فالمتلقّي ليس مجرد مُستهلك سلبي للنصّ، بل يُعدّ مشاركاً في النصّ"^(٢). والتواصل بين النبي الأعظم والحضور من الصحابة تمّ عن طريق الحديث الشفاهي.

إنّ الحديث لا يقتصر توجيهه إلى الحضور فقط؛ بل يحمل في مضمونه توجيهاً عمومياً إلى المسلمين كافة. والغرض العامّ أو القصد من وراء النصّ هو غرس روح الوحدة والتآزر في نفوسهم، ونبذ الانقسام والتفرقة، ومغادرة العصبية القبلية.

إنّ الظروف الاجتماعية المحيطة بعالم النصّ، التي كان عليها المسلمون بعد هجرة النبي محمد ﷺ تتطلّب شحذ الهمم نحو التآزر والوحدة ضدّ الخطر المحدّق بهم من قريش؛ إذ عمل الرسول الكريم ﷺ على جمع وحدة المسلمين، عن طريق التوجيه والإرشاد إليهم في أحاديثه مع الصحابة، وحثهم على الوحدة على أساس ديني وليس على أساس قبلي عصبى"^(٣) .

فالمجتمع المدنيّ كان حديث النشأة، فكان من الضروريّ وجود موجّه يوجّه هذا المجتمع، الذي يغلب عليه الطابع المدنيّ المتكوّن من قبائل متعدّدة، نحو الوحدة والتّضامن والتّكافل فيما بينهم؛ للسير به نحو مجتمع إسلامي يسوده التعاون والأخوة والوحدة.

فالرسول ﷺ خاطب أصحابه بتراكيب لغويّة سهلة عذبة، لا يشوبها كدر العي. مستعملاً في النصّ التشبيه الحسيّ (تشابك الأصابع)؛ ليرسم صورة ذهنيّة محسوسة تلائم المقام الذي قيل فيه الحديث الشّريف، الذي يتحدّث عن الوحدة والتآزر. فتشبيك

(١) حكم النبي الأعظم: ١ / ٤٢٢.

(٢) علم اللغة النصّي بين النظريّة والتّطبيق: ١ / ١١٠.

(٣) ينظر: الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمدينة المنورة في عهد الرسول محمد ص بحث منشور، د. وفاء

عدنان حميد، زمن محمود شاكر: ١-٢.

الأصابع الذي عمد إليه الرسول ﷺ "إنّما هو لمقصود التّمثيل وتصوير المعنى في اللفظ"^(١)، حتّى يكون المعنى أكثر تأثيراً في المتلقّي؛ وذلك لأنّ "التّمثيل بالحركات الذي ورد في عالم النصّ الخارجيّ أوقع في النّفس من الكلام المجرد"^(٢).

فقد قرّبت هذا الصّورة التّشبيهيّة ذهن المتلقّي نحو بناء مجتمع موحد متآزر. فإذا تهشّمت أو ضعفت لبنة واحدة (المؤمن) من هذا البنيان المرصوص، يعني ضعف هيكلية البناء، ومن ثمّ يداهم الخطر هذا البنيان، دافاً بذلك ناقوس التّفرقة. فالوحدة في المجتمع ضرورة وجوديّة لا بُدَّ منها. إنّ المتلقّي يسهم في تحليل سياق المقام وتفسيره، لأنّه "هو القراءة الثّانية للنّص. ولهذا لم يغفل علماء اللّغة هذا الدور للمتلقّي، فالنّص يُعدّ حواراً قائماً بين قائل النصّ والنّص والمتلقّي"^(٣).

ومن أقواله ﷺ التي راعى فيها المقام قوله ﷺ: "الآن حمي الوطيس"^(٤). فقد قاله ﷺ في غزوة خُنين، حينما أصاب الاضطراب معسكر المسلمين، بعد أن باغتهم جيش العدو على حين غفلة.

فالموقف الذي كان فيه المسلمون يتطلّب تحفيزهم وتشجيعهم لاستمرار القتال وعدم الاستسلام بعد الهجوم المباغت. وبصفته ﷺ قائداً للجيش امتطى بغلته عند احتدام القتال، فكان ثابتاً في ساحة الميدان جنباً إلى جنب مع المقاتلين، وقال حديثه ⑤ الآن حمي الوطيس؛ إذ وجّهه إلى المقاتلين في ساحة القتال.

فقد مثّل هذا الحديث توجيهاً قيادياً، ونداءً تعبويّاً، عند استلال السيوف واحتدام القتال؛ إذ رفع الهمم من خلاله، وشدّ العزم من توجيّهه، مؤكّداً بذلك أنّ المعركة قد بدأت الآن، وأنّها دخلت مرحلة الحسم النهائي.

فالحديث جاء بعبارة قصيرة، مشحونة بالتأثير البلاغي، ومناسبة لسياق الموقف المتمثّل بساحة الحرب؛ إذ لا وقت يكفي للخطب الطّوال، ولا مجال للإطالة في الكلام، فكان للحديث تأثير قويّ في نفوس المقاتلين، فقد أعاد النّقة والثّبات في صفوف

(١) عون المعبود، العظيم آبادي: ٢: ١٨٩.

(٢) منهج التّربية في القرآن والسّنة: ٢٣٥.

(٣) علم اللّغة النّصّي بين النّظريّة والتّطبيق: ١ / ١١٠.

(٤) حكم النّبّي الأعظم: ٦ / ٣٣١.

المسلمين؛ إذ إنَّ "الاهتمام بقول هذه العبارات في مقامها اللَّائِقُ بها إنَّما للوصول إلى ما نسميه بتنفيذ المقال واجتيازه الأطر القولية والسَّمعية إلى التأثير والفعل والتَّغيير" (١) .

ولو قيل هذا الحديث في سياق مقاميٍّ آخر كأن يكون خطبة إرشاد ونصح؛ لفقد كثير من معانيه، وقوَّته البلاغية، ولفقد النَّصِّ حلاوته، ومقبوليته. وهذا ما يؤكِّد أنَّ مقبولة النَّصِّ مرتبطة ارتباطاً وثيقاً في السِّياق المقاميِّ.

ذكر الشَّريف الرُّضي (٤٠٦هـ) - أنَّ هذا الحديث من ضروب الاستعارة والمجاز، معلقاً عليه بقوله: إنَّ "الوطيس في كلامهم حفيرة تحتقر فيوقد فيها النَّار للاشتواء... ولا وطيس هناك على الحقيقة، وإنَّما المراد ما ذكرنا من حرِّ القراع، وشدَّة المصاع، والتَّقاف الأبطال، واختلاط الرجال... وتشبيه الحرب بالنَّار يكون من وجهين: أحدهما: لحرِّ مواقع السيوف، وكرب ملابس الدُّروع، وحمي المعترك... والوجه الآخر: أن يكون إنَّما شبَّهت بالنَّار؛ لأنَّها تأكل رجالها، وتقني أبطالها، كما تأكل النَّار شُعْلها، وتحرق حطبها" (٢) .

وعلى هذا فإنَّ هذا التَّركيب المجازيِّ لم يكن مألوفاً استعماله عند العرب في ساحات الوغى. فالنَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ نقل هذا التَّركيب من صورته الحقيقية المحسوسة (موضع حفرة النَّار) إلى صورةٍ مجازيةٍ (شدَّة الحرب وهيجانها)، راسماً بذلك صورةً مطابقةً بين المعنى الأصليِّ صورة (النَّار)، والمعنى المجازيِّ الذي نُقل إليه (نار الحرب).

ومن جملة شواهد السِّياق المقاميِّ قوله ﷺ: "بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ - وأشار بإصبعه: السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأَجِدُ السَّاعَةَ بَيْنَ كِتَفَيَّ" (٣) .

إنَّ الحديث الشَّريف قيل مع بداية انتشار الإسلام والدَّعوة الإسلامية. فقد كان المسلمون يسأل بعضهم بعضاً عن يوم القيامة، وعلاماته، ووقت حدوثه؛ لأنَّ أمر السَّاعة لم يكن معروفاً عند العرب قبل البعثة، إلى أن جاء الإسلام وبيَّن لهم أمور السَّاعة وأهوالها.

(١) نظرية المقام عند العرب في ضوء البراغماتية: ٢٠٩.

(٢) المجازات النبوية: ٥٩-٦٠.

(٣) حكم النَّبيِّ الأعظم: ٥١٧ / ٢.

ففحوى الخطاب وغرضه العام هو التحذير من غفلة الساعة؛ لأنها أمرٌ آتٍ لا محالة، ولا شك فيه. فالنصّ موجّه للحضور خاصّة وهم (الصّحابة)، ومن خلالهم يوجّه الحديث إلى المسلمين كافّة. وحثّهم على ضرورة الاستعداد لها بالأعمال الصّالحة؛ لأنّ الساعة أقرب ممّا تكون، وأنّ الحياة في طريقها للزّوال.

فالرّسول الكريم قد استعمل في حديثه التّشبيه الحسّي؛ إذ أراد عن طريق هذا التّشبيه أن يبيّن قرب قيام الساعة من مجلسهم الّذي كانوا هم فيه. فقيام الساعة أقرب ممّا يتصوّره أحدهم؛ إذ إنّ المسافة الزّمنيّة الّتي عمد الرّسول ﷺ إلى استعمال التّشبيه الحسّي لتجسيدها، لا تتجاوز المسافة بين السّبابة والإبهام، وهذا التّشبيه هو كناية عن شدّة القرب بين بعثته وقيام الساعة^(١).

وقد أضاف الرّسول ﷺ قوّة تأثّر نفسيّ في النصّ من قوله ﷺ: (أني لأجد الساعة بين كِتْفَيَّ)، وكأنّ الساعة ماثلة عنده، يشعر بقربها منه، ففي ذلك ترهيب قويّ للحاضرين من قرب قيام الساعة. فضلاً على ذلك استعمل التّوكيد بالقسم وحروف التّوكيد، وكلّ ذلك خلق تأثيراً قوياً في المتلقّي، "ولعلّ التأثير الكبير الذي أحدثه النّبي في نفوس مستمعيه مرّده إلى معرفته العميقة لبُنيَتهم النّفسية؛ فلا يأتي كلامه إلّا بما يروق السّامع"^(٢).

إنّ محيط النصّ وسياقه المقاميّ أسهم في فهم النصّ وتحليله بصورة دقيقة، فمن دون "الرّجوع إلى محيط النصّ الحديثي أو سياقه لا يُمكننا فهم النصّ أو إدراك ما فيه من انسجام وترابطٍ دلاليّ؛ والمقام بدوره قادرٌ على استكشاف القيم الاجتماعيّة والثّقافيّة والعادات والأعراف السّائدة في عهد الرّسول"^(٣).

فجاء النصّ متناسقاً ومتآزراً مع المقام الّذي قيل فيه، وهذا التّآزر المتكامل بين المقام والمنجّج والنّصّ والمتلقّي منح النصّ صفة النّصيّة.

(١) ينظر: عمدة القاري: ٢٠ / ٢٩٣.

(٢) نظريّة المقام عند العرب في ضوء البراغماتيّة: ٢٠٣.

(٣) الحديث النّبويّ الشّريف بين النّصيّة اللّغويّة والمصدريّة التّأسيسية بحث منشور، نادية توهامي: ١٧٩.

المبحث الثالث

معيَار المقبولية

مفهوم المقبولية والعوامل التي تخضع لها:

عندما يقوم أي كاتب بإنتاج نصٍّ ما، ولكي يتَّصف ذلك النصُّ بالصفة التفاعلية التَّواصلية، ويلبس رداء النصِّية، فإنَّه يجب أن يتَّصل بين طرفي الاتصال النَّصِّي (منتج النصِّ، ومتلقِّي النصِّ)، اللذان يمثلان طرفي عملية الاتصال والتَّفاعل.

فالنَّاصُّ عندما ينتج النصَّ وفقًا لقصدٍ رام إليه، فلا بُدَّ أن يضع النَّاصُّ في الحسبان أنَّ هناك عناصر لا يمكن الاستغناء عنها، ومنها مقبولة؛ إذ يجب في النصِّ أن يتَّسم بالمقبولية من لدن المتلقِّي؛ لأنَّ هذا العنصر النَّصِّي يتكفَّل بإيضاح علاقة النصِّ بالمتلقِّي، ويسوق المتلقِّي إلى معرفة البناء الفكري والمنطقي للنَّصِّ، ويرسم علاقة تأثير وتفاعل بين النصِّ والمتلقِّي.

ولهذا فإنَّ المقبولية عنصرٌ مهمٌّ وجوهريٌّ في عالم النَّصِّ، يجب تحقيقها في النَّصِّ؛ لأنَّها تعتمد "على التَّفاعل بين مقاصد المنتجين ورغبة المتلقين في المعرفة وصياغة مفاهيم مشتركة"^(١).

والقبول أو المقبولية هي "موقف مستقبل النصِّ إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نصٌّ ذو سبكٍ والتحام. وللقبول مدى من التَّعاضِي في حالات تؤدي فيها المواقف إلى ارتباك، أو حيث لا توجد شركة في الغايات بين المستقبل، والمُنتج"^(٢).

تمثِّل المقبولية الطَّرَف الثاني من طرفي الاتصال النَّصِّي؛ إذ إنَّها تتَّجه صوب المتلقِّي؛ لتحقيق التَّفاعل والتَّواصل، ولتحقيق اكتساب النصِّ صفة النصِّية. فالمتلقِّي "عندما يستنتج فهو يقوم بذلك لعمل سياق من أجل تفسير المعلومات الجديدة، لكي يصنع التماسك، والاستمرارية في النصِّ. وقدرة القارئ على استخراج المعلومات وعمل الاستنتاجات الضرورية يعتمد على مدى اتِّساع وتنوُّع المعلومات المخزونة، المشتمة

(١) نظرية علم النص: ٥٢.

(٢) النص والخطاب والإجراء: ١٠٤.

على معرفة العالم والقصدية والسببية وأعراف المحادثة، ودمجه للمعاني التي يدركها من الخطاب مع المعلومات التي يعرفها بالفعل، فإن القارئ يحدّد السياق الذي يفهم من خلاله أجزاء النص^(١).

فالمقبولية لم تكن منعزلة عن باقي المعايير، ولم تكن عنصراً قائماً بحدّ ذاته، وإنما هي "محصلة أعمال المعايير الأخرى أو متحد بها ومقتضاه، أيضاً أن يشغل معيار القبول بتحديد المعنى المراد من بين المعاني المحتملة على جهة القطع، وعلى سنة اتخاذ القرار الذي يؤدي إلى هذا التحديد"^(٢).

إنّ المقبولية بوصفها معياراً نصّياً يجب أن تخضع لعوامل متعددة تتحكم فيها، تقع في مستوى الإنجاز، وهي^(٣):

١- أن يكون المستوى الثقافي اللغوي متقارباً بين منتج النصّ ومتلقي النصّ؛ لأنّ المتلقي لا يمكن أن يدرك أو يتقبّل كلاماً يفوق قدرة ادراكه.

٢- يسهم السياق أو مقام الحال بدورٍ فعّالٍ في تقبّل النصّ. ففي بعض الأحيان ينفر المتلقي من قبول النصّ لعدم ملائمته المقام الذي قيل فيه. كما أنّ المقدمات التي يقدّمها السياق تسهم في فهم النصّ وتفسيره.

٣- ألاّ يُشحن سطح النصّ وبنيته بالإحياءات، والأفكار، والأمور، التي يصعب فكّ شفراتها من قبل المتلقي. ومن ثمّ يؤدي ذلك إلى غموض النصّ، وعدم تقبله واستيعابه.

٥- أن يتسم النصّ بتسلسل منطقيّ للأحداث، بحيث تكون الأحداث فيه متصلة، يبيّن بعضها الآخر؛ إذ إنّ انقطاع هذا التسلسل يولّد نفوراً من قبل المتلقي، فيعرض عن تقبله.

٦- أن يكون لمنتج النصّ ومتلقيه استعداد نفسيّ؛ لأنّ هذا الاستعداد يُعدّ عاملاً مهماً يسهم في تقبّل بعض النصوص أو رفضها؛ لأنّ الحالة النفسية للمتلقي تؤثر بشكلٍ فعّالٍ في العملية الذهنية لديه.

(١) نظرية علم النصّ: ٥٣-٥٤.

(٢) في اللسانيات العربية المعاصرة دراسات ومثاقفات: ٢٣٤-٢٣٥.

(٣) ينظر: اللسانيات التوليدية: ٣٧، ونظرية علم النصّ: ٥٥-٥٦.

٧- معرفة المتلقي بالمتكلم، أو نوع النص، أو المضمون العام للنص، يسهم بشكل فعال في تقبل النص، وفهمه وتفسيره ببسر دون تكلف.

فالنصوص المقبولة من لدن المتلقي تحقق تفاعلاً واتصالاً كبيراً بين طرفي الاتصال النصي، فينطلق المتلقي عن طريق هذا المعيار ليرسم آفاق فهمه وتصوّراته للنص.

فالمقبولية بوصفها معياراً نصياً يقوم على التفاعل بين النص والمتلقي، نجدها واضحة في حكم النبي الأعظم؛ إذ إنّ الحديث النبوي يُدرك دون حاجز أو صعوبة تحيل في فهمه؛ لأنّه أعلى مراتب البيان؛ ولأنّ الرسول يستعمل لغة واضحة لا يشوبها كدر العي، فضلاً عن استعماله أمثلة حسية ملموسة قريبة إلى ذهن المتلقي، حقق حديثه المبارك مقبولة عالية لدى المتلقين.

إنّ لمقام النبوة تأثيراً فعالاً في مقبولة الحديث الشريف، فالمتلقي يجد الأحاديث النبوية ذات قيمة في مضمونها، يمكن تقبلها في كلّ مكان وزمان؛ لأنّه يدرك تماماً أنّ النص صادر من نبي مرسل من عند الله تعالى^(١).

فالحديث النبوي الشريف له تأثير كبير في نفوس الناس؛ إذ استطاع أن يجعل من كلماته المنتقاة بدقّة متناهية ذات تأثير إبلاغي قل أن تتوافر لشخص غيره. فهو الذي بعثه الله في قوم يقادون من ألسنتهم، ولهم المقامات المشهورة في البيان والفصاحة، ولا بدّ لهم من لسان أفصح من ألسنتهم لينقادوا له ويخضعوا^(٢).

فكلامه ﷺ مع أصحابه، وحديثه مع وفود العرب، وكتبه التي أرسلها إلى العرب على اختلاف لغاتهم، كانت على مستوى عالٍ من الفصاحة؛ إذ فتحت تلك الفصاحة آفاقاً من المقبولة لحديثه ﷺ ونتيجة لهذا المستوى العالي من الفصاحة كان يعجب له أصحابه، ويرونه طبقة في هذا اللسان وطرازاً لا يحسنه إنسان^(٣).

(١) ينظر: نظرية المقام عند العرب في ضوء البراغماتية: ٢٠٣.

(٢) المصدر نفسه: ٢٠٣.

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ٣٠١.

فمع اختلاف العرب في لهجاتهم؛ كان عليه السلام "يخاطبهم فيهم بلحونهم ولا يعدو ألفاظهم وعبارتهم فيما يريد أن يلقيه إليهم، وهي ألفاظ خاصة بهم وبمن يداخلهم ويقاربهم، ولا تجوز في غير أرضهم ولا تسير عنهم فيما يسير من أخبارهم" (١).

فتجارب النبي محمد عليه السلام مع مختلف القبائل "أسعفته بهذه الصور وأمثالها، فهو يمنح من نبع في نفسه لا يغيض، على أنه يكتفي بالإيماء اللامح إلا الإسهاب الفاضح، ليدعو السامعين إلى التفكير، وتلك إحدى مزايا الإيجاز" (٢).

ومن أهم العوامل التي جعلت في حديثه مقبولة عالية، هي أن الأحاديث النبوية قريبة جداً من ثقافة العرب، وحسهم اللغوي الذي يفضل العبارات الموجزة ذات المعاني الكثيرة. وأنها مناسبة للمقام الذي قيلت فيه، وللتجارب الحسية عند العرب. كما تحمل هذه الأحاديث معاني لا تقتصر على زمن محدد. فكل ذلك بلا شك يحقق مقبولة عالية للحديث النبوي في نفوس المتلقين، "ولعل التأثير الكبير الذي أحدثه النبي في نفوس مستمعيه مرده إلى معرفته العميقة لبنيته النفسية؛ فلا يأتي كلامه إلا بما يروق السامع. فكان عليه السلام يخاطب أصحابه في المناسبات بما يناسب مقام كل مجلس، فيتكرر الحديث بصور كل منها يؤدي الغرض في موضعه" (٣).

فقد شكّل هذا الانفتاح اللغوي، والتعامل مع اللغات المختلفة، قبولاً واسعاً لحديثه المبارك عليه الصلاة والسلام من قبل المتلقين؛ لأنه لم يتكلف في حديثه معهم، ولم يقصر حديثه فيهم على لهجته القريشية؛ بل كان حديثه متقارباً لأفكارهم، يفهمه المتلقي دون جهد وعناء؛ لأنه "كان لا يتأثر إلى ذلك بالرؤية، ولا يستعين عليه بالفكر، ولا يجمع بالنظر؛ إنما هو أن يعرض المعنى فإذا لفظه قد لبسه واحتواه وخرج به على استواء، لا فاضلاً ولا مقصراً، كأنما كان يلهم الوضع إلهاماً" (٤)، ولأن لغة العرب لغة الفصاحة والبيان؛ كان لحديثه مقبولة عالية في نفوسهم، فلم ينفروا من حديثه ولم يواجه أحدهم صعوبة في فهم كلامه عليه السلام؛ بل كان ذا حديث فصيح بيّن سلس يدخل

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ٣١٨.

(٢) البلاغة النبوية: ٢٢٧.

(٣) نظرية المقام عند العرب في ضوء البراغماتية: ٢٠٣.

(٤) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ٣١٧.

القلوب، وينشط الأذهان، ويؤدي الرسالة دون جهدٍ أو تكلف. فكلّامه ﷺ مع أصحابه، وحديثه مع وفود العرب، وكتبه التي أرسلها إلى العرب على اختلاف لغاتهم، كانت على مستوى عالٍ من الفصاحة والبيان؛ إذ فتحت تلك الفصاحة آفاقاً من المقبولية لحديثه عليه الصلاة والسلام.

فالأحاديث النبوية كلّها تحتل أعلى مراتب الفصاحة والبيان في لغة العرب. فقد كان ﷺ أفصح العرب لساناً، وأكثرهم بياناً، ينطق الكلام دون تكلفٍ أو تشدق، ويصل بالمعنى إلى ذهن المتلقي بكلّ سلاسة.

فمن ذلك قوله ﷺ: "رَأْسُ الْعَقْلِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ مُدَارَةُ النَّاسِ فِي غَيْرِ تَرْكِ حَقٍّ"^(١)، هذا الحديث وغيره الكثير من الأحاديث التي اشتملت على "المعاني الجمّة، والنكت العديدة، مع نهاية البلاغة، ووقوعه في الفصاحة أحسن موقع"^(٢).

فهذه المقبولية التي تحققت في أحاديثه الشريفة جاءت نتيجة قدرته على "الإفصاح المشرق والعرض البديع؛ إذ أوتي في ذلك لباقة خارقة كانت مصدر نجاحه في أكثر ما تمّ على يديه من إصلاح، وإنك لتقرأ الأثر الباقي من آثاره، ساقه وحي الساعة فنجد به من حسن التأتّي ولطف التصوير ما يجذبك جذباً إلى استعادته دون ملل، حيث ضرب على أوتار قلبك بأجمل الألحان قوّة وروعة وتأثيراً"^(٣).

فضلاً عن ذلك، فإنّ الحديث الشريف تميّز بسمة الإيجاز مع اتّساع معانيه^(٤)، وهذه السمة لها دورٌ بارزٌ في تقبل الحديث؛ لأنّ النفس البشرية بصورةٍ عامّة، تميل إلى الكلام الموجز الذي يؤدي أكبر قدراً من المعاني بأقل عددًا من المباني؛ ولأنّ الإيجاز محبّب لدى لغة العرب، فقد حقّق الحديث النبوي الشريف مقبولية واسعة في نفوسهم.

ومن أمثلة الأحاديث الشريفة التي اتّسمت بالإيجاز، قوله ﷺ: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى"^(٥).

(١) حكم النبي الأعظم: ١ / ١٥١.

(٢) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة: ٧٩.

(٣) البلاغة النبوية: ٢٠١.

(٤) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ٣٠٠.

(٥) حكم النبي الأعظم: ٥ / ١٥٥.

فالحديث الشريف حَقَّقَ مقبولةً على مستوى عالٍ؛ لما فيه من الإيجاز والإيضاح؛ إذ كان "سهل المأخذ، قريب المتناول، موجز العبارة"^(١). وعبارته تحمل في طياتها كثير من المعاني الجوهرية. فالحديث "جمع من المحاسن والإحاطة في بلاغة المعاني وفصاحة الألفاظ ما لا يقدر على وصفه قائلٌ، ولا يستولي على حصر لطائفه مجيبٌ ولا سائل"^(٢).

فالحديث المبارك يقوم على خصائص متعددة تضافرت فيما بينها لتحقيق تفاعلاً وقبولاً عالياً؛ إذ تضمن الحديث المبارك توكيدين بـ(إنّما)، فضلاً عن أسلوب القصر الذي أدّته (إنّما). زد على ذلك الوضوح الشديد للنص، وبعده عن الغموض، فقد جاء بألفاظٍ مألوفة، وتراكيب يسيرة على الحفظ والتلقي، إذ أنتج كلّ ذلك قوّة دلالية رفعت من درجة مقبوليته. فالحديث المبارك مع كونه قصيراً ألا أنّه مشحونٌ بدلالة قوية، جعلته يفتح مجالاً للتطبيق على القيم الدينية والدنيوية.

وهذه المقبولة التي حقّقها الحديث عن طريق الإيجاز، غيرُ محصورةٍ في مدّة زمنية معينة، أو في رقعة مكانية خاصة؛ إذ نجد الحديث متجدّداً باستمرارٍ على مرّ العصور. كما أنّها لم تنحصر على الحضور الصحابة فحسب، بل حقّقت مقبولةً واسعة عند المسلمين عامّة، والأعمال لا تقتصر على العبادة فحسب؛ بل شاملة لكلّ عملٍ يقوم به الإنسان، سواءً كان تاجراً، أم عاملاً أم طالب علم، أم غيرها من الأعمال.

والحديث ينسجم مع التّعاليم والأحكام الدينية؛ إذ تمثّل النّيّة منطلقاً روحياً لكلّ الأعمال. فقد نُقل عن الشافعي (٢٠٤هـ) أنّ هذا الحديث "يدخل في سبعين باباً من الفقه"^(٣). وهذا يدلّ على المكانة الرفيعة للحديث، ومدى مقبوليته العالية. فلم يقتصر على فئة أو حُكمٍ دون آخر. فقد أصبح حُكماً شائعاً في كلّ التّعاملات حتّى يومنا هذا. فهذا التّوسّع جاء نتيجةً لانتساع مقبوليته.

(١) البلاغة النبوية: ٢٥٥.

(٢) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة: ٢٦٠.

(٣) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ابن رجب الحنبلي: ٥٠ / ١.

الفصل الثالث

التناص والإعلامية

المبحث الأول

معيار التناص

أولاً: مفهوم التناص

إن دراسة معيار التناص في حكم النبي الأعظم عليه السلام بوصفه معياراً نصياً؛ هو لفرز مكونات النسيج النصي لحكمه عليه السلام؛ وللبهنة على أن كلامه عليه السلام مستقى من لغة القرآن الكريم، عن طريق الكشف عن المعاني القرآنية والآيات التي وظفها في تضاعيف كلامه عليه السلام؛ ولتسليط الضوء أكثر على عمق بلاغته؛ ولمعرفة عمق الأصالة والتجديد في كلامه؛ إذ إن كلامه عليه السلام يستقيه من مفاهيم القرآن الكريم، ثم يعيد صياغتها بأسلوب جديد، ومعانٍ وسياقات مبتكرة تنسجم بالجدة والإبداع والإيقان.

إن مصطلح (التناص) ومفهومه العام المتعارف عليه في دراسات المحدثين خرج من رحم الدراسات الأدبية واللغوية الغربية الحديثة؛ بيد أننا نجد لهذا المفهوم جذوراً في التراث العربي، فلم يكن العرب غافلين عنه، فقد سجل حضوراً في عمق الدراسات العربية النقدية والبلاغية؛ إذ تجسد مفهوم التناص في رؤية العرب النقدية للغة والأدب؛ وعبر اللغويون العرب عنه بمصطلحات مختلفة، منها السرقات الأدبية، والتلميح، والاقتباس، والمعارضات وغير ذلك من المصطلحات التي تدل على التناص في مفهومه الحديث. فلم تكن نظرة اللغويين العرب مختلفة عن نظرة اللغويين المحدثين في الدراسات اللسانية، فكل النظرتين تشير إلى عدم الاعتماد التام على النصوص السابقة، ومحاكاتها^(١).

فقد أشار أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ) إلى ذلك في مصنفه (الصناعتين) بقوله: "ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم، والصّب على قوالب من سبقهم؛ ولكن عليهم إذا أخذوها أن يكسوها ألفاظاً من عندهم، ويبرزوها في

(١) ينظر: مفهوم التناص بين الأصالة والحداثة، خالد عبد النبي عيدان: مقال منشور على موقع جامعة كربلاء كلية العلوم الإسلامية <https://cois.uokerbala.edu.qi>، ونظرية التناص، المختار حسني: ٢٤٢-٢٤٣.

معارض من تأليفهم، ويوردوها في غير حليتها الأولى، ويزيدوها في حسن تأليفها وجودة تركيبها، وكمال حليتها، ومعرضها؛ فإذا فعلوا ذلك فهم أحقّ بها ممّن سبق إليها؛ ولولا أنّ القائل يؤدي ما سمع لما كان في طاقته أن يقول، وإنّما ينطق الطفل بعد استماعه من البالغين، وقال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: لولا أنّ الكلام يُعادُ لنفد^(١)، ثمّ أضاف أبو هلال العسكري إلى ذلك أنّه قد "أطبق المتقدمون والمتأخرون على تداول المعاني بينهم؛ فليس على أحدٍ فيه عيبٌ إلّا إذا أخذه بلفظه كلّهُ"^(٢). وبهذه الإشارة مهّد أبو هلال العسكري إلى فكرة تداخل النصوص والمعاني وتدويرها بين الشعراء والكتاب؛ ولكن من دون ظهور نظريّة متكاملة تحمل مصطلحاً مستقلاً يعبر عن هذا المفهوم بصورة عامّة.

أمّا في الدّراسات اللّغويّة الغربيّة، فكانت هذه الفكرة أكثر وضوحاً وتنظيراً؛ إذ نشأ مصطلح (التّناص) الذي يعبر عن تلك الفكرة. بعد أن اهتمّ الشّكلائيون الرّوس بهذا العنصر اللّغويّ النّصيّ، وكانوا الأسبق في هذا المضمار؛ بيد أنّ اللّغويّ الرّوسيّ (ميخائيل باختين) كان له الفضل الكبير في التّظهير لهذا العنصر المهمّ، فقد أوّلاه جُلّ اهتمامه في مصنّفه (فلسفة اللّغة)، فقدّم رؤيةً واضحةً له، وأطلق عليه (الحواريّة)، ونبّه إلى عدم دراسة النّصّ بمعزلٍ عن النّصوص الأخرى؛ لأنّ أيّ نصٍّ لا بُدّ أن يتفاعل ويتعلّق مع نصوصٍ أخرى بقصدٍ أو غير قصد^(٣).

ورثت الباحثة اللّغويّة (جوليا كريستيفا) رؤية اللّغويّ ميخائيل باختين وأفادت منها، وطوّرتها، وتوجّبت تلك الرؤية بابتكارها مصطلح (التّناص) (Interextualite)، الذي يقوم على علاقة النّصوص المنتجة مع النّصوص السّابقة. حدّته جوليا بقولها: "هو تفاعل نصّي يحدث داخل نصّ واحد، ويمكّن من التّقاط المقاطع والقوانين، لبنية نصيّة بعينها، باعتبارها مقاطع وقوانين محوّلة من نصوص أخرى"^(٤). ووصفت التّناص بأنّه

(١) الصّناعتين: ١٩٦.

(٢) المصدر نفسه: ١٩٧.

(٣) ينظر: علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق: ٧٤، والنّثر الصّوفيّ دراسة في لسانيّات النّصّ: ١٨٥.

(٤) نظريّة التّناصيّة، مارك دوبيازي، ترجمة الرّحوتيّ عبد الرّحيم: ٣١٠.

"ترحال للنصوص وتداخل نصي، ففي فضاء نصي معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى" (١) .

أقامت (جوليا كريستيفا) باستعمالات إجرائية على مفهوم النص؛ إذ بينت مفهومه العام، وسلطت الضوء من خلاله على تفاعل النصوص مع بعضها، وتوسعت في بيان وإيضاح قابليات النص الإجرائية، عندما تناولت نصوص شعرية وقفت بوساطتها عند أهم عمليات التحوير التي يلجأ النص إليها. وبهذا العمل المبتكر تُعدُّ كريستيفا صاحبة القدر المعلن في التنظير لهذا العنصر اللغوي النصي المهم؛ إذ بلورت مفاهيمه، وشقَّت الطريق أمام الدراسات اللغوية والباحثين لتناول هذا العنصر النصي في النصوص اللغوية (٢) .

أمَّا لسانيو النص، فقد عدّوا هذه المعيار سمة من سمات النصية، وضرورة مهمة لنجاح الاتصال بين طرفي النص (المُلقي والمُتلقي)، ومن ثم فهم النصوص وتحليلها، ومعرفة علاقتها مع النصوص الأخرى. ومفهوم النص عند الباحثين بوجراند ودريسلر "لا يقع في النص نفسه، وإنما في عمليات التواصل الاجتماعي" (٣)، فالنص في رؤيتهما هو "الترباط بين إنتاج نص بعينه أو قبوله، وبين المعارف التي يملكها مشاركو التواصل عن نصوص أخرى" (٤) .

فضلاً عن ذلك، فقد عدّه بوجراند أحد المعايير السبعة التي يقوم عليها النص، وحدّه بقوله: "وهو يتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به، وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بوساطة أم بغير وساطة" (٥) .

فالنص بوصفه معياراً نصياً لا يبحث في التراكمات النصية (الاقتباسات) داخل النص فحسب، سواءً المباشرة أو غير المباشرة؛ بل يوجّه بوصلة البحث نحو دراسة التفاعل والتعلق بين النصوص الغائبة والحاضرة، ودراسة النص بوصفه عنصراً

(١) علم النص، جوليا كريستيفا: ٢١.

(٢) ينظر: النص سبيلاً إلى دراسة النص الشعري وغيره: ١٢٧.

(٣) نظرية علم النص: ١٩٦.

(٤) النص سبيلاً إلى دراسة النص الشعري وغيره: ١٢٨.

(٥) النص والخطاب والإجراء: ١٠٤.

تواصلًا، مما يجعل الوقوف على علاقة التناص داخل دائرة اللغة والثقافة أمرًا مهمًا؛ كون التناص "وسيلة تواصل لا يمكن أن يحصل القصد من أي خطاب لغوي من دونه؛ إذ يكون هناك مرسل بغير متلقٍ متقبل مستوعب مدرك لراميّه، وعلى هذا فإن وجود ميثاق، وقسطاً مشتركاً بينهما من التقاليد الأدبية، ومن المعاني ضروري لنجاح العملية التواصلية"^(١).

وخلاصة ما سطر أن التناص عملية توليد للنصوص، يقوم بها النصّ بالاعتماد على الخزين المعرفي له، والمرجعية الفكرية لديه، محدثاً نقلاً للمعلومات والخبرات من النصوص السابقة إلى النصّ الجديد؛ إذ يمكّننا هذا المعيار المهم من فهم النصوص وتحليلها، ويمكّننا أيضاً من الوقوف على علاقة النصّ بالنصوص الأخرى، عن طريق شدّ انتباه المتلقي إلى نصوص غائبة بالإشارة إليها.

إنّ الألفاظ التي يستعملها النصّ في نصوص معينة هي ذاتها المستعملة في نصوص لناسٍ آخر؛ لأنّ اللغة هي ذاتها، وهي العنصر المشترك بين أفراد البيئة اللغوية. ولكي يصل التناص إلى أبهى صورته، يجب أن يتم استعماله بأسلوب مبدع، حتّى يصبح النصّ أكثر جمالاً وتأثيراً، ويرسم صورةً فنيّةً مميزة، ويخرج بالنصّ من دائرة النقل والاقتباس إلى دائرة الإبداع عن طريق ربط النصّ الحاضر بالتراث الأدبي والثقافي للغة^(٢).

ثانياً: أشكال التناص وأنواعه :

يحدث التناص في النصوص الأدبية بأشكالٍ وكيفياتٍ مختلفة، حدّدها الدكتور محمد عبد المطلب في نمطين أساسيين^(٣):

النمط الأول: يحدث بعفوية دون قصد؛ إذ يكون هناك تسلاً لفكرة أو معنى من نصّ سابق إلى نصّ حديث، دون أن يشعر النصّ بذلك. فهو عندما يكتب نصّاً ما، بلا شكّ أنّه قد تأثر بأفكارٍ وعباراتٍ سبق أن اطلع عليها، وترسّخت في ذهنه، فتظهر في النصّ الجديد دون قصد.

(١) تحليل الخطاب الشعري استراتيجيّة التناص: ١٣٤-١٣٥.

(٢) ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: ٧٥، وأدوات النصّ: ٦٢.

(٣) ينظر: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني: ١٥٣.

النَّمط الثاني: يحدث بوعي النَّاصِّ وقصده؛ إذ يعتمد النَّاصُّ إلى استحضار فكرة، أو عبارة، أو اقتباس، بقصدٍ ووعي تامين يكاد يصل إلى درجة التَّنصيص. فيضمَّنُها في النَّصِّ الجديد، بقصد الإحالة إلى النَّصِّ السَّابق، أو التَّفاعل معه، معزِّزاً بذلك معنى النَّصِّ الجديد.

أمَّا أنواعه، فيقسَّم لسانيو النَّصِّ التَّنَاصُّ على قسمين^(١):

١ - التَّنَاصُّ المباشر:

وهو أن يتضمَّن النَّصِّ الجديد اقتباساً من نصٍّ سابقٍ أو نصوصٍ سابقة، وهو النوع البسيط من أنواع التَّنَاصِّ؛ لأنَّه ينقل هذه الاقتباسات مثلما هي دون تغيير، على أن يكون الاقتباس ملائماً لسياق الموقف الاتِّصاليِّ (الحديث) من جهة، ومناسباً لموضوع النَّصِّ من جهةٍ أخرى. بعد أن يقدِّم توطئة تخدم هذا الاقتباس في النَّصِّ الجديد^(٢).

٢ - التَّنَاصُّ غير المباشر:

وهو أن "يستنبط من النَّصِّ استنباطاً، ويرجع إلى تناسُّ الأفكار أو المقروء النَّقَافِي، أو الذَّاكِرَةُ التَّارِيخِيَّةُ التي تستحضر تناسُّها بروحها أو بمعناها لا بحرفيتها أو لغتها، وتقيم من تلميحات النَّصِّ وإيماءاته وشفراته وترميزاته"^(٣).

وعند تطبيق هذا المعيار النَّصِّيِّ في حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ نجد كثيراً من الأحاديث تتناصُّ مع القرآن الكريم؛ إذ يستمد الرِّسُولُ الكريم أسلوب حديثه من القرآن الكريم، متأثراً ببيان الوحي. فاللُّغَةُ النَّبَوِيَّةُ هي امتدادٌ للغة القرآن الكريم، يستقي الرِّسُولُ ﷺ منها العناصر الجماليَّة والدَّلاليَّة، ثم يعيد توظيفها في كلامه المبارك ﷺ.

إنَّ التَّعاليم الإسلاميَّة والمفاهيم القرآنيَّة بعد أن يتلقَّاها الرِّسُولُ ﷺ من الوحي يعيد ترجمتها وصياغتها بلغةٍ بشريَّة، مضيِّفاً عليها جدَّةً في الأسلوب والمعلومات، جاعلاً إيَّها قريبةً من حياة النَّاس. على أنَّ تلك الجدَّة نابعةٌ من المعنى القرآنيِّ، ممَّا أضفى على كلامه ﷺ جمالاً بيانياً ورونقاً خاصاً وروعة في الأسلوب وقُدسيَّة في المضمون؛ ليخرج لنا الحديث بأبهى صورة لغويَّة وليمثِّل لنا معجزةً بيانيَّة.

(١) ينظر: تحليل الخطاب الشَّعريِّ استراتيجية التَّنَاصِّ: ١٢٤.

(٢) ينظر: علم لغة النَّصِّ النَّظريَّة والتَّطبيق: ٧٩.

(٣) علم لغة النَّصِّ النَّظريَّة والتَّطبيق: ٨٠.

وحتى تسهل عملية دراسة هذا المعيار في حِكمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ تَمَّتْ تجزئته بالنظر إلى أسبقية النصوص الزمنية وفق ما يلي:

أ/ التناص غير المباشر ويشمل :

١- تناص مع الكتب السماوية (التوراة والإنجيل).

٢- تناص مع النص القرآني.

ب/ التناص المباشر :

ويكون معظم هذا الاقتباس مباشراً من النص القرآني

أ/ التناص غير المباشر:

١- تناص غير مباشر مع الكتب السماوية (التوراة والإنجيل):

يُعَدُّ الحديث النبوي الشريف من أهم النصوص الدينية بعد القرآن الكريم في الفكر الإسلامي، وهو النص الأبلغ والأفصح بعد كلام الله عز وجل، فكلامه ﷺ دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوقين؛ لذا يتسم بشراء لغوي يفوق كل ما هو موجود في كلام البشر، ويتسم أيضاً بسمية روحية قادرة على التأثير في المتلقي^(١)، مما جعل الحديث الشريف منفصلاً على كل السياقات النصية السابقة له لا سيما (التوراة والإنجيل).

فقد مثل هذا الانفتاح ترابطاً بين الرسالات السماوية (اليهودية، المسيحية، الإسلامية) التي مصدرها واحد وهو الله سبحانه وتعالى. أن القرآن الكريم وهو آخر الكتب السماوية نزل على النبي محمد ﷺ؛ إذ جاء مصداقاً لما بين يديه من الكتب، فقد عبر النبي محمد ﷺ في حديثه عن القيم الإلهية ذاتها التي دعت إليها الكتب والديانات السماوية السَّماوية، ليعيد ترجمة تلك القيم السماوية مضمناً إياها المفاهيم القرآنية، والتعاليم الإسلامية.

إن هذه الدراسة لا تعني إبعاد الكتب السماوية من دائرة التحريف؛ لأن التحريف في الكتب السماوية السابقة للإسلام بينه القرآن الكريم بصورة واضحة؛ إذ قال تعالى: ﴿مَنْ

الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾^(٢)؛ وإنما جاءت للكشف عن تشابه المعاني

(١) ينظر: البلاغة النبوية: ٢٣٧.

(٢) سورة النساء، آية: ٤٦.

الباب الثالث..... بِنَاءُ النَّصِّ فِي حَكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

والدَّلالات بين النصوص التي هي مدار البحث؛ ولإثبات أن رسالته ﷺ شاملة ومتممة للمفاهيم التي تضمنتها الرسالات السماوية، وأنها كلها من وحي واحد.

فالتناص مع الكتب السماوية الذي نحن بصدده ليس تناصاً بالمفهوم الأدبي المحض للتناص؛ إذ إن ما ورد من تناص في بعض الأحاديث النبوية وبين الكتب السماوية هو من باب الاشتراك في المصدر الإلهي. فالكتب السماوية جميعها مصدرها واحد وهو الله عز وجل، فمع تحريفها، لا غرابة أن يكون هنالك تناصاً بين معانيها.

فمن الأحاديث الشريفة التي احتوت على تناص غير مباشر مع العهد القديم (التوراة)، قوله ﷺ: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَمَدَّ لَهُ فِي عُمُرِهِ وَيُزَادَ فِي رِزْقِهِ فَلْيَبْرِّ وَالِدَيْهِ، وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ"^(١)؛ إذ يتناص الحديث المبارك بالمعنى مع النص التوراتي: "أَكْرِمِ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِيَطُولَ عُمُرُكَ فِي الْأَرْضِ"^(٢).

نلاحظ أن النصين كليهما يشتركان في المعنى المركزي ذاته وهو (برّ الوالدين)، وهذا الاشتراك في المعنى لا يصل إلى مستوى التناص المباشر؛ بل يندرج في دائرة التناص الدلالي الضمني (غير المباشر) القائم على وحدة المرجعية الدينية؛ إذ يستحضر الحديث الشريف المعنى المركزي ذاته الموجود في نص التوراة. فالنصان كلاهما يدور معناه حول برّ الوالدين، وطول العمر، ونماء البركة واستمرارها في حياة الإنسان. وبرّ الوالدين لا يكون إلّا في تحقيق الحب، والشكر، والاحترام، والطاعة لهما^(٣).

فالحديث النبوي يتفاعل مع النص التوراتي الذي يحمل في تضاعيفه بعداً أخلاقياً واجتماعياً؛ ليعيد صياغته بصورة بلاغية تتسم بالدقة، والتوسع في الدلالة، جاعلاً المعنى يتناسب مع القيم والمبادئ الإسلامية القائمة على الرحمة والتعاون الاجتماعي.

إذ إن الحديث المبارك يوسع المعنى المركزي للنص التوراتي، فلم يقتصر على برّ الوالدين فحسب، وإنما قرن برّ الوالدين مع صلة الرحم، وجعل نتيجة هذا الفعل إطالة في العمر ونماء في الرزق. وهذا التوسع في المعنى جعل الدائرة الاجتماعية التي

(١) حكم النبي الأعظم: ٥٢٧ / ٦، وينظر: التّرجيب والتّرهيب: ٣ / ٣١٧.

(٢) العهد القديم، سفر الخروج ٢٠: ١٢.

(٣) ينظر: شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين، شرح حسن السيّد علي القبانجي: ٥٧٥ - ٥٧٧.

يشملها الحديث أوسع وأشمل من النصِّ التَّورَاتِيِّ. فضلاً عن ذلك فإنَّ بلاغة الحديث وما احتوته من شرطِ حَقَرِزِ المتلقِّي للتَّفاعل مع الحديث الشريف.

ومن الشَّواهد التي يتقاطع فيها معنى الحديث الشريف مع النصِّ التَّورَاتِيِّ، قوله ﷺ: "مَنْ شَهِدَ شَهَادَةً زُورٍ عَلَى رَجُلٍ مُسْلِمٍ أَوْ ذِمِّيٍّ أَوْ مَنْ كَانَ مِنَ النَّاسِ، عُلقَ بِلِسَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ مَعَ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ"^(١)، فالحديث الشريف يتقاطع مع النصِّ التَّورَاتِيِّ: "لا تشهّد على غيرك شهادة زور"^(٢).

إنَّ الحديث النَّبَوِيَّ يستدعي المعنى التَّورَاتِيِّ؛ ليعيد توظيفه في سياقٍ دينيٍّ أكثر عمقاً، ودلالةً أكثر اتساعاً. واستدعاء المعنى هذا يبيّن لنا تفاعل الحديث النَّبَوِيَّ وتحاوره مع النصِّ التَّورَاتِيِّ، ومدى انفتاحه على النصوص الأخرى. فهو لا يقتبس مباشرةً من التَّوراة، ولا يكرّر الخطاب السابق له، وإنّما يستحضر الفكرة ذاتها وفق رؤية إسلامية جديدة.

فالنصِّ التَّورَاتِيِّ يدعو إلى تهذيب السلوك الأخلاقي عبر النهي المباشر عن شهادة الزور. بينما الحديث النَّبَوِيَّ يقرن هذا النهي بتحذيرٍ مرتبطٍ بجزاء إلهيٍّ في الآخرة. فجزاء شاهد الزور أن يُعَلَّقَ بلسانه يوم القيامة. فهذه البنية التَّصَوُّرِيَّةُ التي بيّنت العقوبة الإلهية في الآخرة أضافت بعداً إيمانياً في الحديث النَّبَوِيَّ. ورسمت صورةً تحذيريةً من هذا العمل المنحرف.

إنَّ النصِّ التَّورَاتِيِّ ينظر لهذا السلوك المنحرف من منظارٍ دنيويٍّ أخلاقيٍّ فقط، فيحذّر منه على أنّه أثمٌ اجتماعيٍّ. أمّا الحديث النَّبَوِيَّ، فينقل هذه النظرة الدنيوية إلى نظرةٍ أخرويةٍ مرتبطةٍ بجزاء هذا السلوك المتمثل بعذاب الآخرة. كما أنّ الحديث يشمل في خطابه سائر البشر، المسلم وغير المسلم؛ لأنَّ شهادة الزور "أكلٌ لحقوق الناس، ونصرٌ للباطل على الحقّ، لذلك كان من الطَّبيعيّ أن يحاربها الإسلام محاربةً شديدة، وهدفه في ذلك حفظ المجتمع"^(٣) وهو بهذه المحاربة يعكس صور الرّسالة النَّبَوِيَّةِ ويسلّط الضّوء على ما تتضمّنه من أبعادٍ اجتماعيةٍ وإنسانيّةٍ.

(١) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٥٧٠ / ٦ ، وينظر: بحار الأنوار: ١٠٤ / ٣١٠.

(٢) العهد القديم، سفر الخروج ٢٠: ١٦.

(٣) الأعمال المانعة من دخول الجنّة، محسن عقيل: ٢١٦.

ومن شواهد التَّنَاصُّ الَّذِي يَحْمِلُ قَصْدِيَّةً وَاحِدَةً وَمَعْنَى مُشْتَرَكًا بَيْنَ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ وَالنَّصِّ التَّوْرَاتِيِّ، قَوْلُهُ ﷺ: "ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مَّن فِي السَّمَاءِ"^(١)؛ إِذْ يَتَقَاطَعُ مَعْنَى الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ مَعَ مَعْنَى النَّصِّ التَّوْرَاتِيِّ: "وَلَا تَظْلِمِ الْغَرِيبَ وَلَا تُضَافِقْهُ، فَأَنْتُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضٍ مِصْرَ"^(٢).

فَالْحَدِيثُ الشَّرِيفُ يَشْتَرِكُ مَعَ النَّصِّ التَّوْرَاتِيِّ فِي الْقِيَمَةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ نَفْسَهَا، فَالنَّصَّانُ كِلَاهُمَا يَدْعَوَانِ إِلَى التَّرَاحُمِ، وَعَدَمِ ظَلَمِ الْآخَرِينَ، وَالْإِحْسَانِ لِلْغُرَبَاءِ وَالضَّعْفَاءِ؛ لَكِنْ الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ يَعِيدُ هَذَا الْمَعْنَى بِأَسْلُوبٍ جَدِيدٍ، وَصِيَاعَةً بَلِيغَةً مَعَ التَّوَسُّعِ فِي الْمَعْنَى.

فَالنَّصِّ التَّوْرَاتِيِّ يَدْعُو إِلَى التَّعَامُلِ مَعَ الْغُرَبَاءِ بِلُطْفٍ وَإِنْسَانِيَّةٍ، وَيَدْعُو أَيْضًا إِلَى عَدَمِ ظَلَمِ وَمُضَافِقَةِ الْغَرِيبِ. بَيْنَمَا الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ يَسْتَحْضِرُ الْمَعْنَى بَعْدَ أَنْ يَعِيدَ صِيَاعَتَهُ وَفَقًّا لِلرَّوْيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فَيُوسِّعُ نِطَاقَ الرَّحْمَةِ لِتَشْمَلَ كُلَّ الْمَخْلُوقَاتِ. كَمَا أَنَّ الْحَدِيثَ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى مَنَعَ الظَّلْمِ فَحَسْبٍ؛ وَإِنَّمَا يَبْنِي سُلُوكًا إِنْسَانِيًّا تَرَاحُمِيًّا يَتِمَثَّلُ بِصِيَغَةِ الْأَمْرِ (ارْحَمُوا)؛ لِيَسِيرَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ عِنْدَ تَعَامُلِهِ مَعَ الْآخَرِينَ، فَالرَّحْمَةُ "هِيَ أَثَرٌ مِنَ الْجَمَالِ الْإِلَهِيِّ الْبَاقِي فِي طِبَاعِ النَّاسِ يَحْدُوهُمْ إِلَى الْبِرِّ، وَيَهْبُ عَلَيْهِمْ فِي الْأَزْمَاتِ الْخَائِفَةِ رِيحًا بَلِيلَةً تُرْطِبُ الْحَيَاةَ وَتَتَعَشَّى الصَّدُورَ"^(٣).

إِنَّ سِيَاقَ النَّصِّ التَّوْرَاتِيِّ مُرْتَبِطٌ بِسِيَاقِ اجْتِمَاعِيٍّ خَاصٍّ؛ إِذْ كَانَ الْخَطَابُ مُوجَّهًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَطْ، مَذْكَرًا إِيَّاهُمْ بِمَعَانِيهِمُ السَّابِقَةِ الَّتِي مَرَّوْا بِهَا فِي مِصْرَ. أَمَّا الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ، فَكَانَ خُطَابُهُ شَامِلًا؛ إِذْ شَمَلَ بِالرَّحْمَةِ الْمَخْلُوقَاتِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ كُلِّهَا، وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى كَائِنٍ مِنْ دُونِ الْآخَرِ. وَبِهَذَا الشَّمُولِ نَقَلَ الْحَدِيثُ الْمَعْنَى مِنَ الْإِطَارِ الْقَوْمِيِّ (بَنِي إِسْرَائِيلَ)، إِلَى الْإِطَارِ الْإِنْسَانِيِّ (مَنْ فِي الْأَرْضِ عَامَتِهِمْ).

وَمِنْ الْأَحَادِيثِ الَّتِي احْتَوَتْ عَلَى تَنَاصٍّ بِالْمَعْنَى مَعَ النَّصِّ التَّوْرَاتِيِّ مَعَ الْاِخْتِلَافِ فِي الرَّوْيَةِ الدِّينِيَّةِ، قَوْلُهُ ﷺ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُفِ إِذَا وَعَدَ"^(٤)؛ إِذْ

(١) حَكَمُ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٤ / ٤٠٠ ، وَيَنْظُرُ: كَنْزُ الْعَمَالِ: ٣ / ١٦٣ .

(٢) الْعَهْدُ الْقَدِيمُ، سَفَرُ الْخُرُوجِ ٢٢: ٢٠ .

(٣) خُلِقَ الْمُسْلِمُ، مُحَمَّدٌ الْغَزَالِيُّ: ٢٢٠ .

(٤) حَكَمُ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٤ / ٥١٠ ، وَيَنْظُرُ: بَحَارُ الْأَنْوَارِ: ٧٧ / ١٤٩ .

يتناصَّ الحديث تناصًّا غير مباشرٍ مع النصِّ التَّوراتيِّ: "فَأَنْتَبَهُوا لِنَلَّا تَنْسُوا عَهْدَ الرَّبِّ إِلَهُكُمْ الَّذِي قَطَعَهُ مَعَكُمْ" (١) .

يلتقي النصان في القيمة الأخلاقية ذاتها، فكلاهما يؤكِّدان على الوفاء والصدق بالعهد، وعدم نقضه. بيد أنَّ لكلٍّ منهما سياق مختلف، فيتفق النصان في القيمة الأخلاقية، ويختلفان في الرؤية الدينية.

فالنصُّ التَّوراتيُّ يوجِّه تحذيرًا لمجموعة محدَّدة من الناس (بنو إسرائيل)؛ محذِّرًا إيَّاهم من نكث أو نسيان العهد الذي قطعوه على أنفسهم مع الله تبارك وتعالى. أمَّا الحديث النبويُّ، فيقتصر الوفاء بالعهد على مستوى فرديٍّ موجَّه إلى المسلمين جميعهم. ثمَّ يوسِّع المعنى، فلا يقتصر على التحذير من خيانة العهد فحسب، وإنَّما جعل الوفاء بالعهد علامةً على تقوى الفرد ودليلاً للإيمان بالله واليوم الآخر. فنكث "الوعد حرامٌ، والوفاء به واجبٌ، فينبغي للمؤمن أن لا يعد وإذا وعد أن يفى به" (٢) .

إنَّ الحديث المبارك نقل المعنى من التحذير في النصِّ التَّوراتيِّ، إلى بناء رؤية أخلاقية إسلامية تقوم السلوك الإنساني؛ إذ إنَّ الحديث لا يحذر، ولا يرسم عقوبة، وإنَّما يستعمل صيغة الأمر فليف؛ ليحثَّ على الوفاء التابع من الإيمان، جاعلاً هذا الرؤية سلوكًا يسير عليه الإنسان في تعاملاته الدنيوية. فبهذا الانتقال يسمو المعنى من التحذير إلى علاقة إيمانية بين العبد وربِّه.

ومن الشواهد التي احتوت على تناصٍّ ضمنيٍّ (غير مباشرٍ) ودلَّ هذا التناصُّ على معنى واحدٍ مشتركٍ بين الحديث النبويِّ والعهد القديم، قوله ﷺ: "إِيَّاكُمْ وَالرَّشْوَةَ فَإِنَّهَا مَحْضُ الْكُفْرِ، وَلَا يَشْمُ صَاحِبُ الرَّشْوَةِ رِيحَ الْجَنَّةِ" (٣)، فالحديث يتقاطع مع معنى النصِّ التَّوراتيِّ: "لَا تَأْخُذُوا رِشْوَةً؛ لَأَنَّ الرَّشْوَةَ تُعْمِي أَبْصَارَ الْحُكَمَاءِ وَتُخَرِّفُ أَقْوَالَ الصَّادِقِينَ" (٤) .

(١) العهد القديم، سفر التثنية ٤: ٢٣.

(٢) شرح أصول الكافي: ١٠ / ٢٤.

(٣) حكم النبي الأعظم: ٩ / ٥ ، وينظر: بحار الأنوار: ١٠٤ / ٢٧٤.

(٤) العهد القديم، سفر التثنية ١٦: ١٩.

يلتقي الحديث النبوي الشريف والنص التوراتي في المعنى ذاته. فالنصان كلاهما يتضمن مفهوماً أخلاقياً واجتماعياً ودينياً، يتعلق بتحريم أخذ الرشوة؛ لأن الرشوة إذا شاعت في المجتمع تفشى فيه الظلم، وأكل الحقوق، وغلبة الباطل على الحق... والتهرب من الواجب يصبح هو القاعدة... ويعيش الناس حالة من الغيظ والغضب الذي يغلي في الصدور، وتشيع نظرة الحقد والكرهية ضد كل إنسان يشغل منصباً ما، ولا يرضى العمل إلا بالرشوة^(١).

فالنص التوراتي تضمن خطاباً موجهاً إلى القضاة، يحذرهم فيه من الرشوة. مستعملاً صيغة النهي في ذلك التحذير. ثم يوضح لنا النص التوراتي أثر الرشوة، وهي عُمي الأبصار وانحراف أقوال الصادقين. أمّا الحديث المبارك، فيوسع الدلالة السابقة، ويربطها برؤية إسلامية جديدة؛ ترتفع بمفهومها لتصل إلى منزلة الإيمان والعقيدة. جاعلاً الرشوة (كفر صريح)، يحرم مرتكبها من ربح الجنة.

إن الحديث جاء بصيغة تحذيرية مباشرة (إياكم والرشوة)، مما أضفى قوة بلاغية للنص، وتأثيراً عالياً في ذهن المتلقي، ثم يوضح جزاء هذا العمل بعقاب أخروي يتمثل بحرمان أخذ الرشوة من ربح الجنة. والربط بين هذا السلوك والعقاب الأخروي أضفى بُعداً تصويرياً له أثر كبير في المتلقي.

بين الحديث النبوي المبارك أن الرشوة ليست تهديداً للمجتمع فحسب، وإنما هي تهديد للإيمان الداخلي للفرد، عند طريق نقله جريمة الرشوة من جريمة اجتماعية إلى معصية دينية تهدد إيمان الشخص وتحطم جوهره الأخلاقي، ومقاومة هذا التهديد واجب ديني حث عليه الحديث الشريف.

أمّا تناسس الحديث الشريف مع الإنجيل (العهد الجديد)، فنجد شواهد متعددة يتقاطع الحديث النبوي مع معناها. ومن جملة تلك الأحاديث الشريفة التي احتوت على تناسس غير مباشر مع الإنجيل، قوله ﷺ: "لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"^(٢)؛ إذ يتناسس الحديث الشريف مع النص الإنجيلي: "أحب قريبك مثلاً تحب نفسك"^(٣)، تناسساً في المعنى ذاته.

(١) الأعمال المانعة من دخول الجنة، محسن عقيل: ٥٧٤.

(٢) حكم النبي الأعظم: ١ / ٤٠٠ ، وينظر: صحيح مسلم: ١ / ١٤.

(٣) الإنجيل المقدس، متى ٢٢: ٣٩.

فالنَّصَانِ كلاهما يشتركان في المعنى والموضوع ذاته، وهو حبُّ الخير للآخرين كما نحبُّ الخير لأنفسنا. فقد وظَّفَ الرَّسُولُ ﷺ المعنى ذاته؛ إذ أعاد الرَّسُولُ ﷺ بِنَاءَ الفكرة الأخلاقية في سياقٍ مختلفٍ، وصياغةٍ جديدةٍ تتضمَّن أبعادًا اجتماعيةً ودينيةً.

فالنَّصُّ الإنجيليُّ أشار إلى الأخلاق بوصفها واجبًا إنسانيًّا بصورةٍ عامَّة. أمَّا الحديث النَّبويُّ المبارك، فقد وسَّع دلالة الأخلاق إلى بُعْدٍ دينيٍّ وروحيٍّ، عن طريق ربط الأخلاق بالعمق الإيماني؛ إذ إنَّ الإيمان لا يكتمل إلا بحبِّ الخير للآخرين؛ "لأنَّ الحبَّ معناه الأخوة، والإنسانية، والتَّكافل والتَّضامن، والقوَّة، والنَّجاح، وبالحبِّ ستقيم الحياة، ولا معنى لحياةٍ بلا حبٍّ، وأيضًا لا معنى للكراهية إلا الحرب، والشَّقاق، والفشل، والتَّخلف" (١).

فالتَّنَاصُّ بين النَّصِّين يؤكِّد وحدة الرِّسالات السَّماوية وتأكيدُها على القيم والمفاهيم الأخلاقية والإنسانية. فجاء النَّصُّ النَّبويُّ مُؤكِّدًا للمعنى السَّابق ورابطًا إيَّاه بالعمل الدينيِّ والإيماني.

ومن أمثلة التَّنَاصِّ بالمعنى الَّذي يدلُّ على فكرةٍ جوهريةٍ واحدةٍ، قوله ﷺ: "المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ" (٢)، فالحديث يتناصُّ مع النَّصِّ الإنجيليِّ: "مَنْ ثَمَرِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ. أَثْمَرُ الشَّوْكِ عِنْبًا، أَمْ الْعَلِيقُ تِينًا؟" (٣).

فالتَّنَاصُّ واضحٌ وبيِّنٌ بين النَّصِّين لاشتراكهما بالفكرة الجوهرية ذاتها، التي تتطوَّر نحو تحقيق غايةٍ أخلاقيةٍ، تُقاس بوساطتها قيمة الإنسان وإيمانه الحقيقي، فالمعيار الَّذي يقاس منه إيمان الشَّخص وقيمه الإنسانية هو الأخلاق الحسنة، والأعمال الصَّالحة، وحسن التَّعامل مع الآخرين؛ حتَّى يؤمن النَّاس من شرِّه، ويفادوا من خيره.

إنَّ النَّصِّ الإنجيليَّ يرسم صورةً يبيِّن لنا فيها أنَّ المؤمن يعرف من ثمره أي: ما يصدر عنه من أعمال صالحة أو طالحة، فثمرة الإنسان المؤمن أعماله الصَّالحة وهي المقياس لإيمانه المحض؛ إذ نقل النَّصُّ الإنجيليُّ المعنى هذا إلى المتلقِّي بصورةٍ رمزيةٍ ممَّا جعل معنى النَّصِّ أكثر قربًا من ذهن المتلقِّي. أمَّا الحديث النَّبويُّ المبارك،

(١) في ظلال نهج البلاغة، محمَّد جواد مغنية: ٥ / ٢١٤.

(٢) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٢ / ٤٣٤، وينظر: كنز العمال: ١ / ١٤٩.

(٣) الإنجيل المقدَّس، متى ٧: ١٦.

فيستحضر المعنى ذاته؛ ليرسم صورةً مباشرةً للمسلم الصَّالح (سلامة لسانه ويده) أي: حسن ما يصدر منه من فعل أو قول اتَّجاه الآخرين "فسلامتهم من لسانه سلامة أعراضهم، وسلامتهم من يده سلامة دمائهم وأموالهم" ^(١) .

فالحديث الشَّريف يتفاعل مع النصِّ الإنجيليِّ عن طريق استحضار المعنى وتجديده بصورة أكثر وضوحاً، وفقاً للرؤية الإسلامية للسلوك والأخلاق. فقد أكَّد الحديث بتناصه مع النصِّ الإنجيليِّ على توحيد الخطاب الإلهيِّ اتَّجاه القيم الأخلاقية الإنسانية. فالرسالات السماوية تؤكد أنَّ الانتماء إلى الدِّين لا يكون لفظياً؛ وإنَّما عن طريق تهذيب السلوك وحسن التَّعامل.

ومن جملة الأحاديث التي تتناصُّ بالمعنى مع العهد الجديد، قوله ﷺ: "سَيِّدُ الْقَوْمِ خَادِمُهُمْ، وسَاقِيَهُمْ آخِرُهُمْ شُرَباً" ^(٢)؛ إذ يتفاعل الحديث المبارك مع النصِّ الإنجيليِّ التَّالي: "مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ عَظِيماً فِيكُمْ، فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِماً" ^(٣)، تفاعلاً على مستوى المعنى، لا على مستوى الألفاظ.

فقد يرتبط النصَّان بمعنى عامٍّ واحدٍ يدلُّ على أنَّ العظمة والسَّيادة تكون في التَّواضع وخدمة الآخرين، لا بالقوَّة أو التَّسلُّط؛ لأنَّ القيادة في التَّصوُّر الإلهيِّ لا تقوم على القوَّة؛ وإنَّما بالتَّضحية والسَّخاء.

فالحديث الشَّريف يتضمَّن المعنى ذاته الموجود في النصِّ الإنجيليِّ؛ ولكن بأسلوبٍ بلاغيٍّ عالٍ يتَّسم بالإيجاز والجَدَّة. فالخدمة هي المعيار المحض للسيادة، فلا يكون الشخص سيِّداً على قومه إلَّا إذا كان أكثرهم تواضعاً وخدمة لأبناء قومه؛ إذ "هو الَّذي يُفْرَعُ إليه في التَّوَائِبِ فيتحلَّل الأثقال عنهم فلمَّا تحمَّل خادِمهم عنهم الأمور وكفاهم مؤونتهم وقام بأعباء ما لا يطيقونه كان سيدهم بهذا الاعتبار" ^(٤) .

فالنَّصَّان كلاهما يتطابقان دلاليّاً في مفهوم القيادة، فلا تتحقَّق إلَّا بالخدمة والتَّواضع؛ بيد أنَّ الحديث الشَّريف يوسِّع رؤية النصِّ الإنجيليِّ للقيادة ويطوِّرها، من

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٩ / ١٠.

(٢) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٥ / ١٦٩ ، وينظر: كنز العمال: ٦ / ٧١٠.

(٣) الإنجيل المقدَّس، متى ٢٠: ٢٦.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصَّغير: ١٦١ / ٤.

مستوى الفرد (من أراد أن يكون عظيمًا) إلى مستوى الجماعة (سيد القوم). عن طريق جعل التواضع والسَّخاء والإيثار بتقديم الخدمة مظهرًا من مظاهر القيادة في الجماعة.

ومن النَّصِّ غير المباشر الذي يشترك فيه النَّصَّان (الحديث النبوي والنَّصَّ الإنجيلي) بالقصد والمعنى ذاته، قوله ﷺ: "الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ"^(١)؛ إذ يتناصُّ مع النَّصِّ الإنجيلي التالي: "كونوا رُحَمَاءَ كَمَا أَنَّ اللَّهَ ... رَحِيمٌ"^(٢).

فالتَّناصُّ بين النَّصِّين يُعَدُّ من أروع صور التَّناصُّ. فالحديث المبارك والنَّصَّ الإنجيلي كلاهما يجمعهما مبدأ الرَّحمة الإلهية، وكلاهما يتضمَّن الدَّعوة الإلهية في تأكيد قيمة الرَّحمة والتَّراحم بوصفها قيمةً إنسانيةً جوهريةً تتحكم بعلاقات البشر فيما بينهم.

فالسَّيد المسيح يحثُّ أصحابه وأتباعه إلى التَّجَمُّل بصفة الرَّحمة عند التَّعامل مع الآخرين؛ لأنَّها من الصِّفات الدَّالة على الكمال الإنساني. أمَّا الحديث النبوي، فيتفاعل مع النَّصِّ الإنجيلي عن طريق إعادة المعنى ذاته؛ ولكن بصورةٍ أخرى، موسَّعًا فيها مفهوم الرَّحمة، فلا تقتصر الرَّحمة بتجسيدها في العلاقات البشرية (الرَّحمة الأرضية) فحسب؛ وإنَّما هنالك جزاءٌ إلهيٌّ (الرَّحمة السَّماوية)، التي تتمثَّل برحمته سبحانه وتعالى للرَّحَمَاء من عباده؛ لأنَّ "الرَّحمة في أفقها الأعلى وامتدادها المطلق صفة المولى تباركت أَسْمَاؤُهُ"^(٣).

فالتَّراحم في الأرض بعده جزاء من الله عزَّ وجلَّ؛ إذ إنَّ الرَّحمة أمرٌ متبادل بين العباد والخالق، وبين العباد أنفسهم. فالحديث جعل من الرَّحمة قاعدةً سلوكيةً عمليةً ننطلق منها في تعاملنا مع الآخرين.

ومن جملة الشَّواهد في حِكْمه المباركة التي وردت بصيغةٍ موجزةٍ تحمل تناصًُّا بالمعنى غير مباشرٍ، قوله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ عَمَلًا فِيهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ رِيَاءٍ"^(٤)؛ إذ

(١) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَم: ٤ / ٤٠٠ ، وينظر: كنز العمال: ١٦٣ / ٣.

(٢) الإنجيل المقدَّس، لوقا ٦ : ٣٦.

(٣) خلق المسلم، محمَّد الغزالي: ٢١٦.

(٤) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَم: ٤ / ٦٥٦ ، وينظر: بحار الأنوار: ٣٠٤ / ٧٢.

يتناصُّ الحديث مع النصِّ الإنجيلي: "إِيَّاكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا الْخَيْرَ أَمَامَ النَّاسِ لِيُشَاهِدُوكُمْ، وَإِلَّا فَلَا أَجْرَ لَكُمْ عِنْدَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (١) .

يدور النصان حول معنى واحد وهو والتحذير من الرياء، وإخلاص النية في العمل الصالح من غير رياء. فالنص الإنجيلي يقدم رؤية تربوية أخلاقية يحذر فيها من ظاهرة الرياء، ويهدف بوساطتها إلى تهذيب السلوك الإنساني. أمَّا الحديث النبوي، فيعالج هذه الظاهرة من منظور ديني جاعلاً للإخلاص في النية شرطاً لقبول الأعمال الصالحة (٢) .

فالحديث الشريف يتناصُّ مع معنى النصِّ الإنجيلي دون أن يقتبس ألفاظه، عن طريق إعادة المعنى الجوهرية بصيغة مختلفة أكثر دقة وإيجازاً؛ ولكن وفقاً للعقيدة الإسلامية، فيعمق الحديث الفكرة ويكتفها بالمعاني الدينية الإسلامية التي تجعل من النية المحضة لوجه الله تعالى شرطاً جوهرياً لقبول الأعمال الصالحة مهما كانت صغيرة أم كبيرة؛ لأنَّ "العبادة والعمل بدون الإخلاص في النية معطل ومهمل، كجسدٍ لا روح فيه وبذرٍ لا ثمر منه" (٣) .

فالنصُّ الإنجيلي يحذر من القيام بالأعمال الخيرية أمام الناس طلباً للمدح؛ لأنَّ هذا السلوك غير مقبولٍ من الله تعالى. بينما الحديث النبوي المبارك لا يقتصر على التحذير من هذا السلوك السيء فحسب؛ بل يربط التحذير السلوكي بصفاء النية عند القيام بالأعمال الصالحة؛ إذ حوّل الحديث المبدأ من تحذير سلوكي نوه عليه النصُّ الإنجيلي إلى رؤية إيمانية تتعلق بقبول الأعمال الصالحة.

بعد عرض هذه النصوص المتناصّة بين الحديث النبوي والكتب السماوية، وضم بعضها إلى بعض، يتبيّن لنا أنّ التناصّ بين الحديث النبوي والكتب السماوية في معظمه يضمُّ المعاني الأخلاقية والاجتماعية، التي نادى بها جميع الأديان السماوية؛ إذ يؤكّد وحدة القيم الإلهية اتّجاه الإنسانية جمعاء.

وأنّ تفاعل الأحاديث مع نصوص العهد القديم والإنجيل يخرج من دائرة الاقتباس النصّي إلى دائرة تقاطع المعاني؛ ليقدم نصوصاً تتسم بالإبداع، والتجديد، والتوسّع في

(١) الإنجيل المقدس، متى ٦: ١ .

(٢) ينظر: الكافي، الشيخ الكليني: ٢٣٤ / ٨ .

(٣) تفسير القرآن الكريم، صدر الدين محمد الشيرازي ١٠٥٠هـ: ٤ / ٦٢ .

المعاني والدلالات وفق القيم الإسلامية ورؤاها الجديدة. لتبرز لنا العبقريّة اللغويّة للحديث النبويّ المبارك.

٢- تناصّ غير مباشر مع النصّ القرآنيّ:

إنّ اللغة النبويّة تمتاز مزايًا لغويّة جوهريّة متعددة جعلتها في أعلى مراتب البيان والفصاحة بعد القرآن الكريم، فالحديث النبويّ يُعدّ امتدادًا للغة القرآن الكريم تلك اللغة الإعجازيّة المنزلة من الله عزّ وجلّ.

تشكّلت لغة الرسول ﷺ في ظلّ التأثير بلغة الوحي، ممّا أضفى عليها قدسيّةً روحيةً، وقوّةً بلاغيّةً جعلتها تستمد معانيها وألفاظها من القرآن الكريم، فضلًا عن المجازات والكنيات، والتشبيهات، وغيرها من الأساليب البلاغيّة التي استقها الرسول ﷺ من القرآن الكريم؛ ليعيد توظيفها في سياقاتٍ مختلفةٍ تتناسب مع المقام الذي تُقال فيه، محافظةً بذلك على فصاحة وجزالة الألفاظ القرآنيّة. فبهذا التأثير القرآنيّ هدّب الرسول ﷺ المفردات والمعاني تهذيبًا قريبًا من لغة القرآن الكريم، فقد أضاف حديثه المبارك ثروةً لغويّةً أفادت منها العربيّة، عن طريق توظيف المجازات والاستعارات القرآنيّة، والتوسّع في المعاني والدلالات، واستعماله بعض التراكيب التي لم يسبقه إليها أحد^(١).

حظي التناصّ مع النصّ القرآنيّ في حكمه المباركة بالنّصيب الأكبر والمكانة العالية بين صور التناصّ الأخرى؛ إذ تفاعل الحديث النبويّ مع النصّ القرآنيّ تفاعلاً جعل حديثه عليه الصّلاة والسّلام انعكاساً للغة القرآن، وأنّ دراسة هذا التّفاعل وتسليط الضّوء عليه هو للبرهنة على مدى تأثّر الأسلوب النبويّ وتشربّه باللّغة القرآنيّة؛ وللوقوف على المعاني والألفاظ التي استقها الرسول ﷺ من القرآن الكريم وأعاد صياغتها بلغةٍ بشريّةٍ قريبةٍ من ذهن المتلقّي. فنصوص الحديث النبويّ المبارك هي انعكاسٌ لنصوص القرآن الكريم؛ إذ "إنّ كلّ نصٍّ هو عبارةٌ عن لوحةٍ فسيفسائيّةٍ من الاقتباسات. وكلّ نصٍّ هو تشربٌ وتحويلٌ لنصوصٍ أخرى"^(٢).

(١) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة: ٣١٥-٣١٦.

(٢) الخطيئة والتكفير من البنيويّة إلى التّشريحية، عبد الله محمّد الغدامي: ١٥.

فمن شواهد التَّنَاصُّ بين الحديث الشريف والقرآن الكريم، قوله ﷺ : "حاسبوا أنفسكم قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوهَا قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، وَتَجَهَّزُوا لِلْعَرَضِ الْأَكْبَرِ"^(١)؛ إذ يتناصُّ الحديث المبارك مع قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُنْظَرُ نَفْسٍ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٢) .

إنَّ التَّنَاصُّ بين الحديث الشريف والنَّصِّ القرآني تناصُّ بالمعنى (تناصُّ غير مباشر)؛ إذ إنَّ الحديث المبارك يستمد المعنى من القرآن الكريم؛ ليعيد صياغته، وإنتاجه بأسلوب تحفيزي يتضمَّن إرشادًا وموعظةً بصورة تربويَّة.

فالدَّلالة التي يحتويها النَّصُّ القرآني المتمثلة بالنداء القرآني التحذيري (وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) يمتصها النَّصُّ النبوي؛ ليعيد إنتاجها بأسلوب الموعظة النبويَّة؛ راسمًا بوساطتها مفهومًا إيمانيًا تطبيقيًا مستمرًا لمحاسبة النَّفس، عن طريق تحويل هذا النداء إلى توجيه إرشادي تربوي.

فقوله ﷺ : (حاسبوا أنفسكم)، هي تطبيق عملي يرسمه الحديث لقوله تعالى: (وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ)، (ووزنوها قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا) تشير إلى يوم الحساب العظيم. فالتركيبان المتقابلان كلاهما يشتركان في قصديَّة واحدة، ومعنى واحد.

فالآية الكريمة تحثُّ على محاسبة النَّفس، والتفكُّر في الأمور التي يقوم بها الإنسان، أي أنَّ النَّفس يجب أن "تنظر وتفكر ما الذي تقدِّمه من الأفعال ليوم القيامة من طاعةٍ أو معصية"^(٣). وقد وردت (نفس) في سياق الأمر التحذيري نكرة؛ للدلالة على العموم أي (كلِّ نفس) يجب أن تنظر ماذا تقدِّم لغدٍ من أعمال^(٤) .

أمَّا الحديث المبارك يترجم دعوة الآية القرآنيَّة بأسلوب موجزٍ يعمِّق معنى الإصلاح الذاتي ومحاسبة النَّفس، محوِّلًا إيَّاهَا تطبيقًا عمليًا مستمرًا لمفهوم الإصلاح الذاتي.

(١) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٣٨٥ / ٤ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٠ / ٧٣.

(٢) سورة الحشر، آية: ١٨.

(٣) التَّبيان في تفسير القرآن، الشَّيخ الطَّوْسِي: ٥٧١ / ٩.

(٤) ينظر: التَّحرير والتَّنوير: ٢٨ / ٩٩.

ومن الأحاديث النبوية التي تمتصُّ المعنى القرآني، ثم توسَّع الدلالة القرآنية، قوله ﷺ: "زَيْنُ أُمْتِي فِي حُسْنِ السَّمْتِ"^(١)؛ إذ يتناصَّ تناصًّا غير مباشرٍ مع قوله جلَّ وعلا: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾^(٢).

إنَّ الحديث النبويَّ المبارك في هذا الشَّاهد يستمدُّ معناه العامَّ، وفكرته الجوهرية من القرآن الكريم؛ ليعيد الحديث إنتاج المعنى القرآني نفسه؛ ولكن بصياغة جديدة، مع التَّوسُّع في دلالة النصِّ القرآني.

فالآية الكريمة تصف وجوه المؤمنين السَّاجدين التي يظهر عليها نور الإيمان الدَّاخلي، و"الصِّفاء والإشراق الذي يحدث بالوجه من أثر العبادة... لأنَّ العبادة الخالصة لوجهه تعالى تحدث في نفس العابد المخلص طُهرًا وصفاءً، تظهر دلائله على صفحات الوجه تمامًا كما تظهر عليه دلائل الحزن والفرح"^(٣).

أمَّا الحديث الشريف، فيقتبس الفكرة ذاتها؛ ليعيد إنتاجها بتعبيرٍ دلاليٍّ دقيقٍ ومعانٍ مكثَّفة، مع توسُّع المفهوم القرآني؛ ليشمل مظهر المؤمن الخارجيّ، الذي هو انعكاسٌ للإيمان الدَّاخلي له. مترجمًا لنا هذا المفهوم القرآني إلى سلوكٍ اجتماعيٍّ يميِّز الأمة الإسلامية من غيرها.

إنَّ الآية المباركة تصف جزءًا من العبادة (أثر السُّجود) بينما الحديث النبويُّ يوسِّع دلالة النصِّ عن طريق تحويل ذلك الوصف إلى صورةٍ كليَّةٍ تظهر الجمال الإيمانيِّ للأمة الإسلامية. إنَّ النصَّين كليهما قد صرَّحا عن المعنى بأسلوبٍ موجزٍ، وبيننا عن طريقه العلامة التي تُظهر النُّور الإيمانيِّ، ذلك النُّور الذي يكون من الله عزَّ وجلَّ ويخصُّ به عباده المؤمنين وهذه العلامة تتمثَّل بلغةٍ رمزيَّةٍ (السِّماء، السَّمْت) التي تُميِّز العبد المؤمن وتزيِّن أمة رسول الله ﷺ^(٤).

ومن الأحاديث النبوية ما يحمل التَّنَاصُّ فيها تفسيرًا للنصِّ القرآني، نحو قوله ﷺ: "إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثَى. كُلُّ أُمَّةٍ تَتَّبِعُ نَبِيَّهَا، يَقُولُونَ: يَا فُلَانُ، اشْفَعْ، يَا

(١) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٢٩٧ / ٤، وينظر: بحار الأنوار: ٣٤٤ / ٧١.

(٢) سورة الفتح، آية: ٢٩.

(٣) التفسير الكاشف، محمَّد جواد مغنية: ١٠٣ / ٧.

(٤) ينظر: التفسير الكبير تفسير القرآن العظيم، الطبراني: ٦٧ / ٦.

فُلَانُ، اشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَذَلِكَ يَوْمُ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ^(١)،
فَالْحَدِيثُ الْمُبَارَكُ يَتَنَاصُّ مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدُ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا
مَحْمُودًا﴾^(٢).

فَالْتَنَاصُ بَيْنَ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الْمُبَارَكِ وَالْآيَةِ الْقُرْآنِيَّةِ الْكَرِيمَةِ تَنَاصًّا بِالْمَعْنَى، وَإِنْ
تَكَرَّرَتْ بَعْضُ الْأَلْفَاظِ؛ لَكِنَّ النَّصِّينَ يَشْتَرِكَانِ فِي مَعْنَى مُرَكِّزِيٍّ وَاحِدٍ، وَهُوَ بَيَانُ مَقَامِ
الشَّفَاعَةِ (المَقَامِ الْمَحْمُودِ) الَّذِي خَصَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ نَبِيَّهَ مُحَمَّدٌ ﷺ تَشْرِيفًا لَهُ
فِي يَوْمِ الْعَرْضِ الْأَكْبَرِ.

إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يَجْمَلُ الْمَعْنَى بِأَسْلُوبٍ إِبْخَارِيٍّ يَحْمِلُ فِي تَضَاعِيفِهِ بَشَارَةً وَتَشْرِيفًا
لِلرَّسُولِ الْكَرِيمِ، تَتِمُّثَلُ بِالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ الَّذِي وَعَدَهُ اللَّهُ بِهِ؛ وَلَكِنَّ النَّصَّ الْقُرْآنِيَّ لَمْ يَفْصَلْ
تِلْكَ الْبَشَارَةَ أَوْ يَحْدَدَ طَبِيعَةَ الْمَقَامِ الَّذِي بَشَّرَهُ اللَّهُ بِهِ.

بَيْنَمَا الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ يَتَفَاعَلُ مَعَ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ؛ لِيَفْصَلَ ذَلِكَ الْإِجْمَالَ بِأَسْلُوبٍ
وَصَفِيِّ؛ وَلِيَقْدِّمَ تَفْسِيرًا يُوَضِّحُ حَقِيقَةَ تِلْكَ الْبَشَارَةِ الْمَتِمَّةِ بِالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، وَهُوَ مَقَامُ
"يَوْمِهِ ﷺ" يَوْمُ الْقِيَامَةِ لِلشَّفَاعَةِ لِلنَّاسِ لِيُرِيحَهُمْ رَبُّهُمْ مِنْ عَظِيمِ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ شِدَّةِ
ذَلِكَ الْيَوْمِ^(٣). فَالْحَدِيثُ الشَّرِيفُ يُوَضِّحُ لَنَا مَضْمُونِ الْآيَةِ وَطَبِيعَةَ الْمَقَامِ بِأَنَّهُ مَقَامُ
شَفَاعَةٍ يَكُونُ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ فِيهِ شَفِيعًا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٤).

وَمِنْ شَوَاهِدِ التَّنَاصِّ الَّتِي يَوْجِزُ الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ فِيهِ الْعِبَارَةَ الْقُرْآنِيَّةَ، مَعَ الْحِفَافِ عَلَى
الْمَعْنَى الْقُرْآنِيَّةِ، قَوْلُهُ ﷺ: "شَرُّ الْمَاكِلِ أَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ظُلْمًا"^(٥)؛ إِذْ إِنَّ الْحَدِيثَ النَّبَوِيَّ
الْمُبَارَكَ يَتَنَاصُّ مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ
نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾^(٦).

(١) حَكَمُ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٥٤٦ / ٢، وَيَنْظُرُ: كَنْزُ الْعَمَالِ: ٣٩٠ / ١٤.

(٢) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ، آيَةُ: ٧٩.

(٣) جَامِعُ الْبَيَانِ عَنْ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ، الطَّبْرِيِّ: ١٧٩ / ١٥.

(٤) يَنْظُرُ: مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابِهِ، الزَّجَّاجُ: ٢٥٦ / ٣.

(٥) حَكَمُ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٦٢٩ / ٧، وَيَنْظُرُ: كِتَابُ مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيهَ: ٣٧٧ / ٤.

(٦) سُورَةُ النَّسَاءِ، آيَةُ: ١٠.

فالحديث النبوي الشريف يشترك مع الآية الكريمة في وحدة المقصد والموضوع. فكلاهما يتضمن تحذيراً شديداً من التجاوز بغير حق على مال اليتيم؛ إذ وضحت الآية المباركة عقوبة آكل مال اليتيم في الآخرة، وهي النار التي "ستلتهم من أفواههم، وأسماعهم، وأنفهم يوم القيامة، ليعلم أهل الموقف أنهم أكلة أموال اليتامى"^(١).

أمّا الحديث النبوي الشريف، فيمتصّ المعنى القرآني؛ ليعيد صياغته بعبارة مباشرة وموجزة (شرّ المأكّل)؛ لتقبّح هذا الفعل دون الغور في تفاصيل العقوبة الأخرويّة؛ ولتقدّم قاعدةً أخلاقيّةً يوجز من بوساطتها الحديث دلالة النصّ القرآني. فالحديث مارس تحوُّلاً بلاغيّاً نقل فيه التفصيل الذي احتوته الآية القرآنيّة المباركة إلى إيجازٍ كثّف فيه الفكرة مع محافظته على المعنى القرآني.

فالتّناصّ يبيّن لنا أن اللغة النبويّة هي امتدادٌ للغة القرآن الكريم؛ إذ تستعمل اللغة النبويّة المعاني ذاتها لتعيد صياغتها في سياقاتٍ أخرى تهدف إلى إصلاح اجتماعيٍّ أو تربويٍّ.

ومن الأحاديث النبويّة التي تتناصّ مع القرآن الكريم فتحول المعنى القرآني من أسلوبٍ إلى آخر، قوله ﷺ: "لَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ خَانَ بِالْأَمَانَةِ"^(٢)؛ إذ يتناصّ مع قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

يتناصّ الحديث الشريف مع النصّ القرآني تناصّاً غير مباشر. فالتّناصّ يشتركان في التأكيد على صون الأمانة وحفظها، والتّحذير من خيانتها؛ لأنّ خيانة الأمانة سلوكٌ غير أخلاقيٍّ يؤدي إلى مخاطر تؤثر على القيم الدّينيّة والاجتماعيّة. فالأمانة لها شأنٌ عظيمٌ في استقامة أحوال المسلمين، ما ثبتوا عليها وتخلّقوا بها، وهي دليل نزاهة النّفس واعتدال أعمالها"^(٤).

(١) تفسير مجمع البيان، الشّيخ الطّبرسي: ٢٧ / ٣.

(٢) حكم النبيّ الأعظم: ٤ / ٦٥١، وينظر: بحار الأنوار: ١٧٢ / ٧٥.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٧.

(٤) التّحرير والتّنوير: ٧٧ / ٩.

استعمل القرآن الكريم للتحذير من خيانة الأمانة صيغة النهي (لا تخونوا)؛ ليحذّر المسلمين "من العصيان الخفي". بعد أن أمرهم بالطاعة والاستجابة لله ولرسوله^(١)، مشيراً بهذا التحذير إلى أنّ الأمانة لا تقتصر على السلوك الدنيوي فحسب، وإنّما الأمانة قد تكون أمراً مضمراً في قلب الإنسان ترتبط بتكليف إلهي؛ لأنّ "خيانتهم الله ورسوله، كانت بإظهار من أظهر منهم لرسول الله ﷺ والمؤمنين الإيمان في الظاهر والنصيحة، وهو يستسرّ الكفر والغشّ لهم في الباطن"^(٢).

أمّا الحديث المبارك، فيستلهم المعنى القرآني؛ ليعيد صياغته بمفهوم تحذيري موجز، جاعلاً الأمانة الحدّ الفاصل بين المؤمن وغير المؤمن، مركّزاً على الجانب الأخلاقي والاجتماعي عن طريق تحوّل المعنى من النهي إلى التبرؤ من الخائن، وعده خارج منظومة القيم الإيمانية؛ لأنّ الرسول ﷺ جعل الأمانة علامة على الإيمان^(٣).

ومن النصوص النبوية التي تشترك في الوصف والمعنى مع النصّ القرآني، قوله ﷺ: "يَقُومُ أَكْلُ الرَّبَا مِنْ قَبْرِهِ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: لَا حُجَّةَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ"^(٤)؛ إذ يتناصّ مع قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْبِطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^(٥).

إنّ النصّين كليهما يشتركان في المعنى ذاته، الذي يدور حول التحذير من الربا؛ لأنّه يُعدّ من كبائر الذنوب. وكلاهما يشتركان أيضاً في وصف قيام أكل الربا يوم القيامة. وهذا الاشتراك بين النصّين يدلّ على وحدة الخطاب الديني بين النصّين، وهذه الوحدة تعزّز التناصّ بين النصّين.

فالآية القرآنية تصف لنا أكل الربا يوم العرض الأكبر بصورة حسّية، وكأنّه قد مُسّ من الشياطين، إشارة إلى الاضطراب والذلّ الذي يكون عليه، وهذه هي "علامة أكلة

(١) التّحرير والتّوير: ٧٥ / ٩.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمّد بن جرير الطّبري: ٤٨٠ / ١٣.

(٣) ينظر: التّحرير والتّوير: ٧٧ / ٩.

(٤) حكم النّبّي الأعظم: ٦٦٥ / ٤، وينظر: كنز العمال: ٦٥ / ١٦.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٧٥.

الرَّبَا، يعرفون بها يوم القيامة" (١). وهذه الصّورة المذلة تكون "عند قيامهم من قبورهم، فيلحقهم العثار والزّلل والتّخبل على سبيل العقوبة لهم" (٢).

أمّا الحديث المبارك، فيتفاعل مع النصّ القرآنيّ مستحضراً المعنى ذاته؛ ليعيد توظيفه بأسلوبٍ بيانيّ جديد، يصف فيه موقف (أكل الرّبا) يوم الحساب بوصفٍ مخزٍ ومذلٍّ؛ إذ يُكتب على جبينه علامة (لاحجة له عند الله)، تجسّد عقوبته الأخرويّة المذلة.

ومن جملة الأحاديث التي احتوت على تناصٍّ غير مباشرٍ حول المعنى القرآنيّ من التّفصيل إلى التّعميم الموجز، قوله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَدَّ لَكُمْ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا" (٣)؛ إذ يتناصّ مع قوله جلّ وعلا: ﴿وَمَنْ يُعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَعَذِّبْ حُدُودَهُ يَدْخُلْهُ نَامِرًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (٤).

إنّ التّناصّ بين الحديث الشريف والآية الكريمة تناصّاً بالمعنى، فالنّصّان يشتركان في معنى واحد، وهو التّحذير من تعدّي حدود الله، والحثّ على الالتزام بها، وتعدّي الحدود وتجاوزها يكون بتجاوز "فصول طاعته التي جعلها تعالى فاصلةً بينها وبين معصيته" (٥).

إنّ الآية الكريمة تفصّل المعنى القرآنيّ لتبيّن دلالاته؛ إذ تذكر في بدايتها نوع السلوك المُحذّر منه، ثمّ توضّح العقوبة الأخرويّة المرتبطة بهذا السلوك، لتنتقل بعد ذلك لتصف لنا تلك العقوبة بصفة العذاب المهين، موضّحةً عن طريق هذا الوصف أنّ هذه العقوبة ليست جسديّة فحسب، إنّما هي عقوبةٌ معنويّةٌ مذلةٌ. واستعمال هذه الصّفة المذلة لوصف جزاء هذا العمل كان لها الأثر الأكبر في نفوس المتلقين؛ لأنّ "العرب أباة الضّيم، شمّ الأنوف، فقد يحذرون الإهانة أكثر ممّا يحذرون عذاب النّار" (٦).

(١) التفسير الكبير تفسير القرآن العظيم، الطبراني: ١/ ٤٩٣.

(٢) تفسير الشريف المرتضى نفائس التأويل: ٥٥٨.

(٣) حكم النبي الأعظم: ٦/ ٥٥٣، وينظر: الأمالي، الشيخ المفيد: ١٥٩.

(٤) سورة النساء، آية: ١٤.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري: ٨/ ٧١.

(٦) التحرير والتنوير: ٤/ ٥٥.

فالحديث الشريف استحضر ذلك المعنى القرآني، ووظفه في سياقٍ وأسلوبٍ جديدين، وجّه من خلالهما تحذيرًا أخلاقيًا من التّجاوز على حدود الله، بعبارة موجزةٍ وبلغيةٍ، انتقل فيها إلى التّعميم، الذي اختصر من خلاله تفصيل الآية الكريمة، عن طريق استعمال صيغةٍ جامعةٍ موجزةٍ (حدّ لكم حدودًا) شملت كلّ ما نهى الله تعالى عنه، وحثّت على الوقاية من هذا العمل. فقد برّز لنا ذلك الانتقال والإيجاز البعد التّربويّ في الحديث الشريف.

إنّ التّحوّل البلاغيّ من التّفصيل في الآية القرآنيّة إلى التّعميم الموجز مع الحفاظ على المعنى الجوهريّ المتمثّل بالتحذير من معصية الله بتجاوز حدوده. أثبت أنّ اللّغة النّبويّة هي امتدادٌ بلاغيّ وبيانيّ للغة القرآن الكريم.

ومن أمثلة الأحاديث المتناصّة مع القرآن الكريم، ما يوضّح فيه التّناصّ جمال النّصّ القرآنيّ وبيان الحديث النّبويّ، قوله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الْغَيْبَةَ كَمَا حَرَّمَ الْمَالَ وَالْدَّمَ"^(١)؛ إذ يتناصّ الحديث الشريف مع قوله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا يَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾^(٢).

يتّناصّ بين الحديث النّبويّ والنّصّ القرآني تناصًا بالمعنى (غير مباشر)؛ إذ يشترك النّصّان في المعنى ذاته وهو تحريم الغيبة والنّهي عنها، والغيبة "أن يذكر الإنسان من خلفه بسوءٍ وإن كان فيه السّوء"^(٣).

إنّ النّصّ القرآنيّ يقدّم صورةً مجازيّةً بليغةً (أكل لحم الميّت)، تحمل في طياتها معنىً جوهريًا، يدلّ على "أنّ من دعي إلى أكل لحم أخيه فعافته نفسه، فكرهته من جهة طبعه، فإنّه ينبغي إذا دعي إلى عيب أخيه فعافته نفسه من جهة عقله، فينبغي أن يكرهه؛ لأنّ داعي العقل أحقّ بأن يتّبع من داعي الطّبع؛ لأنّ داعي الطّبع أعمى وداعي

(١) حكم النّبويّ الأعظم: ٧٣ / ٥.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٢.

(٣) معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السّريّ بن سهل الزّجاج: ٣٧ / ٥.

العقل بصير^(١). فهذه الصورة المجازية أحدثت صدمة ورهبةً للمتلقّي جعلته يمتنع عن الغيبة، كما يمتنع عن أكل لحم الميت.

أمّا الحديث الشريف، فيستحضر المعنى التشريعي والأخلاقي من النصّ القرآني؛ ليعيد إنتاجه بلغة موجزة ترسخ حرمة الغيبة في نفوس المتلقين، محولاً الصورة المجازية إلى بيان نبويّ تشريعيّ مباشرٍ متمثل بقوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الْغَيْبَةَ)؛ إذ يتّجه الحديث للإيجاز فلا يصف بشاعة هذا السلوك فحسب؛ وإنّما يتّجه لوضعه في دائرة المحرمات مساوياً له بحرمة سفك الدماء، ونهب الأموال. فالتناص بين النصين يرسم صورةً جوهريّةً متكاملةً يوضح فيها جمال النصّ القرآني في استعمال الصورة المجازية،

ب/ التناص المباشر:

إنّ اقتطاع النصوص القرآنية من سياقاتها التي وردت فيها وتوظيفها في بيئة نصيّة أخرى، وسياقاتٍ جديدةٍ، لا يكون ذلك بطريقة عشوائية، وإنّما المبدع هو الذي يوجّه النصّ الحاضر إلى التعلّق والتفاعل مع النصّ القرآني. ممّا يجعل النصّ الحاضر غنياً بالمعاني العميقة المتسعة في دلالاتها؛ لأنّ النصّ القرآنيّ المقتبس يحمل ثراءً لغوياً وثقافياً ضخماً^(٢).

فالرسول ﷺ عندما يوظف النصّ القرآنيّ كان مدركاً أثره في خدمة حديثه الشريف؛ لأنّ النصّ القرآنيّ يجعل الاتّصال مع المتلقّي اتّصلاً مقدّساً زاخراً بمعاني القرآن الكريم، فمن أمثلة ذلك قوله ﷺ: "ما كُنْتُ لألقى الله عزّ وجلّ بدعةٍ لم يحدث إلّاي فيها شيئاً وما أنا من المتكلمين"^(٣). فالحديث النبويّ المبارك يتناصّ تناصّاً مباشراً مع قوله جلّ وعلا: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ﴾^(٤).

إنّ النصّ القرآنيّ ينفي الابتداع والتكلف عن الرسول الكريم؛ لأنّ التكلف هو "ما يشقّ على المرء عمله والتزامه لكونه يجرّجه أو يشقّ عليه ... فالتكلف هو الذي

(١) التّبيان في تفسير القرآن، الشّيخ الطّوسي: ٣٥٠ / ٩.

(٢) ينظر: الخطيئة والتّكفير من البنيويّة إلى التّشريحية، عبد الله محمّد الغدامي: ١٥.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ١١٩ / ٥، وينظر: التّوحيد، الشّيخ الصّدوق: ٣٤٢.

(٤) سورة ص، آية: ٨٦.

يتطلب ما ليس له أو يدعي علم ما لا يعلمه. فالمعنى هنا: ما أنا بمدَّع النبوة باطلاً من غير أن يوحى إليّ" (١) .

استعمل الرسول الكريم ﷺ في حديثه التركيب القرآني ذاته، مع بقاء الدلالة القرآنية؛ إذ أضفى الاستعمال النبوي للنص القرآني قدسيّة على الحديث الشريف عن طريق إسناد الحديث إلى مرجعية إلهية، وهذه القدسيّة تُشعر المتلقّي بروح الوحي في النصّ النبويّ.

كما أضاف النصّ النبويّ المبارك مفهوماً عملياً للمعنى القرآني عن طريق الربط بين نفي التكلّف عن الرسول ﷺ ونفي ابتداء الرسول للأمور الدنيّة. فضلاً عن ذلك فإنّ الاقتباس القرآني أدّى وظيفة توكيدية للحديث الشريف، فقد أكّد صدق الموقف النبويّ عند نفيه الابتداء والتكلّف. ممّا منح النصّ النبويّ الشريف قوّة بلاغيّة تنبع من روح القرآن الكريم.

إنّ التناصّ يعكس الصورة الانسجامية بين الحديث النبويّ والنصّ القرآني على المستوى اللغويّ والأسلوبيّ، فانسجام النصّ القرآني داخل البنية التركيبية للحديث الشريف يؤكّد لنا مدى تأثر اللغة النبوية بلغة القرآن الكريم.

ومن الأحاديث التي اقتبست نصوصاً قرآنية مباشرة، وحافظت على المعنى القرآنيّ، قوله ﷺ: "يَا أَبَا ذَرٍّ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يُوحِ إِلَيَّ أَنْ أَجْمَعَ الْمَالَ، وَلَكِنْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنْ فَسَبِّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ" (٢)، نلاحظ في الحديث المبارك أنّه يتناصّ تناصّاً قرآنياً مباشراً؛ إذ اقتبس الرسول الكريم ﷺ في الجزء الأخير من حديثه نصّ الآيتين الكريمتين: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (٣)، فقد اشترك النصّان في الحثّ على الاستمرار بالعبادة والطاعة لله عزّ وجلّ، والتسبيح له وحده، وترك الترف الدنيويّ، وجمع المال، وغيرها من الملذات التي تُشغل العبد عن ذكر الله، فالنصّ القرآنيّ يخاطب النبيّ الأعظم ﷺ

(١) التحرير والتنوير: ٢٣ / ١٩٦.

(٢) حكم النبيّ الأعظم: ٧ / ٦٠٢ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧ / ٧٤.

(٣) سورة الحجر، آية: ٩٨-٩٩.

أن يتوجّه بالشكر والصلاة والتّناء لله وحده، وأن يستمر بالعبادة والطّاعة إلى أن يأتيه الموت^(١).

أمّا الحديث الشريف، فيستحضر معنى وقصديّة النصّ القرآني؛ ليؤكد على جوهر العبادة وترك التّرف الدنيوي. حاملاً بذلك سلوكاً أخلاقياً وتربوياً واجتماعياً يدعو فيه إلى التقوى والورع والزهد في الدنيا.

زد على ما تقدّم أنّ حضور النصّ القرآني بوضوح من دون تغيير، وانسجامة داخل الخطاب النبوي، يعكس لنا تأثر الخطاب النبوي بلغة القرآن الكريم على مستوى التراكيب والدلالة والإيقاع.

ومن جملة الأحاديث التي تضمّنت تناصّاً مباشراً مع القرآن الكريم، قوله ﷺ: "إِنَّ الرِّزْقَ لَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، عَلَى عَدَدِ قَطْرِ الْمَطَرِ، إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قَدَّرَ لَهَا. وَلَكِنَّ اللَّهَ فَضُولٌ. فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ"^(٢)، فالحديث المبارك يتناصّ مع قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(٣).

إنّ التناصّ بين النصّين تناصّ مباشر يتطابق فيه اللفظ والمعنى في آنٍ واحد. فالحديث المبارك يستعير العبارة القرآنيّة: (وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ)؛ ليعيد توظيفها في سياقٍ جديدٍ محافظاً فيه على المعنى القرآني ذاته، الذي يدور حول الإيمان المطلق بتقدير الله عزّ وجلّ للأرزاق، والحثّ على الاعتماد على الرزّاق سبحانه وتعالى والتّوسّل به لطلب العون والرزق، وعدم التّطلّع للآخرين بالتّمني والحسد^(٤).

إنّ الحديث المبارك يغرس في نفوس المتلقين عمق الإيمان بقضاء الله وقدره، والقناعة بما قسمه الله، مستعملاً صورة حسّية يشبّه فيها الرزق بنزول المطر في قوله ﷺ: (الرِّزْقُ لَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، عَلَى عَدَدِ قَطْرِ الْمَطَرِ)، فقد حوّلت هذه

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري: ١٤ / ٩٩ ، ومعاني القرآن، النّحاس: ٤٧ / ٤.

(٢) حكم النبي الأعظم: ٥ / ٣٦٩ ، وينظر: بحار الأنوار: ٩٣ / ٢٨٨.

(٣) سورة النساء، آية: ٣٢.

(٤) ينظر: غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي: ٢ / ١٤ ، ومعاني القرآن، النّحاس: ٧٣ / ٢ ،

ومختصر مجمع البيان، الشّيخ الطبرسي: ١ / ٢٩٥.

الصَّوْرَةُ الْحَسِّيَّةُ الدَّلَالَةُ الْقُرْآنِيَّةُ الْمَجْرَدَةُ إِلَى دَلَالَةٍ مُحَسَّسَةٍ تَتَّسِمُ بِالْحَرَكَةِ وَالْإِيْحَاءِ، رَسَخَتْ الْمَعْنَى فِي ذَهْنِ الْمُتَلَقِّي.

زِدْ عَلَى مَا تَقَدَّمَ أَنَّ التَّدَاخُلَ النَّصِّيَّ مَعَ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ مَنَحَ الْحَدِيثَ الْمُبَارَكَ قُوَّةً بَلَاغِيَّةً تَكْشِفُ لَنَا عَمَقَ تَأَثُّرِ اللُّغَةِ النَّبَوِيَّةِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. وَأَضْفَى بُعْدًا مَعْنَوِيًّا، فَقَدْ مَنَحَ النَّصَّ النَّبَوِيَّ تَصْدِيقًا لِحَدِيثِهِ بِوَصْفِهِ امْتِدَادًا لَخُطَابِ الْوَحْيِ.

وَمِنَ النَّصُوصِ النَّبَوِيَّةِ الَّتِي تَضَمَّنَتْ اقْتِبَاسًا قُرْآنِيًّا مُبَاشَرًا، حَوَّلَتْ فِيهِ الْخُطَابَ مِنْ عَامٍّ إِلَى فَرْدِيٍّ مَعَ الْحِفَاطِ عَلَى الْمَعْنَى الْقُرْآنِيَّةِ، قَوْلُهُ ﷺ: "يَا عَلِيُّ، لَا تَخْلِفْ بِاللَّهِ كَاذِبًا وَلَا صَادِقًا مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ، وَلَا تَجْعَلِ اللَّهَ عُرْضَةً لِمِثْلِكَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْحَمُ وَلَا يَرَعَى مَنْ خَلَفَ بِاسْمِهِ كَاذِبًا"^(١)؛ إِذْ اسْتَعَارَ الْحَدِيثُ النَّبَوِيَّ الْعِبَارَةَ الْقُرْآنِيَّةَ مِنَ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢).

إِنَّ النَّصِّينَ كِلَيْهِمَا يَشْتَرِكَانِ فِي الْفِكْرَةِ ذَاتَهَا مَعَ اخْتِلَافِ الْمَقَامِ وَالْمَخَاطَبِ، وَهِيَ الدَّعْوَةُ إِلَى حِفْظِ اسْمِ اللَّهِ وَصُونِهِ مِنَ الْحَلْفِ الْبَاطِلِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الْحَلْفِ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ.

إِنَّ الْحَدِيثَ الْمُبَارَكَ يَعِيدُ إِنتَاجَ الْمَعْنَى الْقُرْآنِيَّةِ فِي سِيَاقٍ جَدِيدٍ يَتَضَمَّنُ أَبْعَادًا تَرْبَوِيَّةً وَأَخْلَاقِيَّةً، عَنْ طَرِيقِ تَحْوِيلِ الْمَعْنَى الْعَامِّ فِي النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ إِلَى تَوْجِيهِ فَرْدِيٍّ؛ إِذْ يَتَوَجَّهُ الرَّسُولُ ﷺ بِالنَّصِيحِ وَالْإِرْشَادِ وَالتَّزْكِيَةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ إِلَى الْإِمَامِ عَلِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَام) مُؤَكِّدًا عَلَى الْمَعْنَى الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي يَحْتُ عَلَى تَجَنُّبِ الْحَلْفِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَيَحَذِّرُ مِنَ التَّهَانُونَ مَعَ اسْمِ اللَّهِ الْعَظِيمِ.

فَالْحَدِيثُ الشَّرِيفُ يَسْتَدْعِي النَّصَّ الْقُرْآنِيَّ بِوَصْفِهِ مَرْجِعِيَّةً تَشْرِيعِيَّةً إِلَهِيَّةً مُؤَكِّدًا بِذَلِكَ الْاسْتِدْعَاءَ الْمَعْنَى الْقُرْآنِيَّةَ ذَاتَهُ، ثُمَّ يَوْسَعُ لَنَا الدَّلَالَةَ الْقُرْآنِيَّةَ عَنْ طَرِيقِ النَّهْيِ عَنِ الْحَلْفِ بِاللَّهِ فِي حَالِ الصَّدَقِ مَعَ اشْتِرَاطِ عَدَمِ وُجُودِ ضَرُورَةٍ لِلْحَلْفِ، فَهَذَا التَّوَسُّعُ الدَّلَالِيُّ يَبَيِّنُ لَنَا قُوَّةَ اللُّغَةِ النَّبَوِيَّةِ وَقُدْرَتَهَا عَلَى تَوْظِيفِ النَّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ دَاخِلَ سِيَاقَاتٍ جَدِيدَةٍ تَتَضَمَّنُ أَبْعَادًا تَرْبَوِيَّةً وَأَخْلَاقِيَّةً.

(١) حَكَمُ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٤ / ٦٤١، وَيَنْظُرُ: بَحَارُ الْأَنْوَارِ: ٦٧ / ٦٧.

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ، آيَةُ: ٢٢٤.

ومن النصوص النبوية المتناصّة مع القرآن الكريم، التي اتسمت بالإيجاز والتفسير للنصّ القرآني، قوله ﷺ: "لَنْ يَغْلِبَ عُسْرُ يُسْرَيْنِ، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا"^(١)؛ إذ يُعَدُّ التناصُّ في الحديث تناصًا مباشرًا محضًا مع قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(٢).

فالحديث المبارك يقتبس النصّ القرآني حرفيًا من سورة الشرح، مع تقديم عبارة تفسيرية في بداية الحديث (لَنْ يَغْلِبَ عُسْرُ يُسْرَيْنِ)، أسهمت هذه العبارة في إبانة المعنى الخفي للآية الكريمة، وفسرته بأسلوب نبويٍّ من دون أن يعرّض أو يؤسّس لمعنى جديد، والمعنى "أَنَّ نِعْمَ اللَّهُ تَعَالَى، وَهِيَ الْيُسْرُ أَكْثَرُ مِنَ الشَّدَائِدِ، وَهِيَ الْعُسْرُ"^(٣).

إنّ هذا الاقتباس النصّي يؤكّد المعنى القرآنيّ بأسلوبٍ يفسّر الوعد الإلهي الذي يبيّن أنّ كلّ شدةٍ وعسرٍ معهما فرجٌ ويسرٌ من الله تبارك وتعالى. وأنّ العسر الواحد يرافقه يسران لغلبته؛ "لأنّه حمل العسر في الآيتين على أنّه واحد لكونها بالآلف واللام، واليسر منكر في تشية الفائدة، والثاني غير الأول، والعسر صعوبة الأمر وشدته، واليسر سهولته"^(٤). وهذا الصّورة الإعجازيّة رسمت طمأنينةً وسكينةً في نفس متلقّي النصّ.

(١) حكم النبي الأعظم: ٣ / ٥٩٦ ، وينظر: كنز العمال: ٢ / ١٤.

(٢) سورة الشرح، آية: ٥-٦.

(٣) إعراب القرآن، النحاس: ٥ / ١٥٧.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ١٠ / ٣٧٣.

المبحث الثاني

معيار الإعلامية

أولاً: مفهوم الإعلامية:

تُعَدُّ الإعلامية إحدى المعايير السبعة التي نادى بها بوجراند ودريسلر للحكم على النص بصفة النصية أو اللانصية؛ إذ يسهم هذا المعيار في فهم وتحليل النصوص، ومعرفة مدى التوقع أو عدم التوقع عن طريق العناصر المتاحة في النص. وكذلك معرفة الطريقة التي تنتظم بها المعلومات والأفكار داخل النص، والطريقة التي يتم بها عرض تلك المعلومات والأفكار، واستخدامها لإثارة انتباه المتلقي وإمتاعه فكرياً، عن طريق شدّ ذهنه للنص.

حدّها بوجراند بقوله: "العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم Uncertainty في الحكم على الوقائع النصية، أو الوقائع في عالم نصي Textual في مقابلة البدائل الممكنة. فالإعلامية تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل، وعند الاختيار الفعلي لبديل من خارج الاحتمال. ومع ذلك نجد لكل نص إعلامية صغرى على الأقل تقوم وقائعها في مقابل عدم الوقائع"^(١).

إنّ الإعلامية داخل النص تتعلق بشكل كبير بالمعلومات التي يقدمها النص في بنية النص، فتكون متاحة أمام المتلقي، فإن كانت هذه المعلومات والأفكار يتوقعها المتلقي داخل النص كان النص أقلّ إعلامية، ومن ثمّ يقلّ اهتمام المتلقي بالنص. وعلى العكس من هذا فإن كان المتلقي أقلّ توقّعاً لهذه المعلومات والأفكار المتاحة في بنية النص كان أكثر إعلامية، ومن ثمّ يزداد اهتمام المستقبل بالنص^(٢).

فالإعلامية إذاً هي تنشيط لذهن المتلقي، وإبعاد له عن الملل والرتابة، عن طريق شحن النص بالمعلومات التي تتصف بجدة الأفكار والقيمة المعرفية؛ لأن استمرار النص بتكرار المعلومات التي سبق أن اطلع عليها المتلقي، وبثها مجدداً في بنية

(١) النص والخطاب والإجراء: ١٠٥.

(٢) ينظر: الدلالة والنحو: ٢٣١.

النص، يؤدي إلى فقدان النص كفاءته الإعلامية، ومن ثم يفقد ميزة التواصل التي تعد العصب الرئيس الذي يحرك العلاقة بين الملقى والمتلقي.

إن وضوح النص يؤدي دوراً مهماً في الإعلامية؛ إذ يعدّ مقياساً مهماً في تحديد درجة الإعلامية في النص، فكلما ارتفع الوضوح في النص قلت إعلاميته، وعلى العكس من ذلك فإن السير بالنص نحو الغموض اليسير يرفع من إعلامية النص.

إن لكل نص نصيباً من الإعلامية، تمنحه القوة والقدرة الكافية لتأثير في المتلقي. وتعمل الإعلامية على إبراز قيمة النص فمهما يكن نصيب الشكل والمحتوى من التوقع، فإنه لا مندوحة عن وجود بعض الوقائع المتغيرة التي يتعدّر التنبؤ بها بحذافيرها. ومن المحتمل أن يؤدي ضعف الإعلامية بوجه خاص إلى الارتباك، وإلى الملل، بل إلى رفض النص في بعض الأحيان^(١).

ترتبط الإعلامية ارتباطاً وثيقاً بالمعايير السابقة من اتساق وانسجام؛ إذ إن الإعلامية كمعيار نصي تتوقف على تضافر هذه المعايير جميعها، فإذا تمّ إتقان المعايير النصية السابقة، وتضافرت في إخراج نص متماسك، تبرز الإعلامية النص بشكل يجذب انتباه المتلقي، ومن ثم يحظى النص بمقبولية عالية من لدنه؛ لأنّ مقبولية النص تتوقف على ما يحمله النص من إعلامية^(٢).

ثانياً: مستويات الإعلامية:

أما مستويات الإعلامية التي ركّز عليها لسانيو النص، فهي على ثلاثة مستويات:

١ - إعلامية الدرجة الأولى (المنخفضة):

عندما تكون المعلومات والأفكار التي يتضمنها النص، معروفة وواضحة ومتوقعة من لدن المتلقي، عندها تنخفض الكفاءة الإعلامية للنص، فتصبح المعلومات التي يرغب الناص بإيصالها أقلّ تأثيراً وإمتاعاً للمتلقي، وهذا يحدث عندما يلجأ الناص إلى الابتذال، والأمور البديهية، فينقاد النص نتيجة لذلك إلى الرتابة والملل، ومن ثمّ يمكن أن يؤدي ذلك إلى فقدان أهمية النص، وعدم تقبله^(٣).

(١) مدخل إلى علم لغة النص: ٣٣.

(٢) ينظر: مدخل إلى علم لغة النص: ١٨٥، ونظرية علم النص: ٧٠.

(٣) ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصي: ٩٤، والنص والخطاب والإجراء: ٢٥٣.

ومثال هذه الإعلامية قولنا: (تشرق الشمس من الشرق) نجد أنّ الكفاءة الإعلامية في النص منخفضة؛ كونه تضمن معلومة عامة، ومعروفة من قبل المتلقي؛ إذ إنها لم تحدث تأثيراً أو دهشة في ذهن المتلقي؛ لأنه أمرٌ طبيعيٌّ وواضحٌ ومتوقعٌ. ومن المفيد أن نشير إليه أنّ تكرار المعلومات ذاتها داخل بنية النص يؤدي إلى النفور من النص؛ لأنه يخفض درجة الإعلامية في النص. على أنّ التكرار الذي هدفه توكيد مضمون ما في سطح النص أو إيضاحه، لا يُعدُّ خلافاً في كفاءة النص الإعلامية.

٢ - إعلامية الدرجة الثانية (المتوسطة):

عبّر بوجراند عن هذا الضرب من الإعلامية بأنها المحتوى غير المحتمل في التركيب المحتمل أو المحتوى المحتمل في التركيب غير المحتمل^(١). أي عندما يتضمن النص معلومات وأفكار تمتاز بالجدة وغير متوقعة من لدن المتلقي. وقد تتسم هذه المعلومات بدرجة من الغموض يستطيع معها المتلقي فكّ شفرات النص؛ على أنّ المبالغة المفرطة في غموض النص قد تؤدي إلى الإضراب عن النص وعدم تقبله. وهذه الإعلامية تتطلب من متلقي النص جهداً ذهنياً لتنشيط الأفكار، ومن ثمّ اختيار البدائل المناسبة لتضيف إمتاعاً فكرياً للمتلقي عن طريق النص، ولعلّ وجود عناصر واردة من هذه الدرجة الثانية هو المستوى العادي للاتصال بطريق النص حتى يمكن عندئذ إعلاء مرتبة العناصر الواردة من الدرجة الدنيا كما يمكن خفض مرتبة العناصر الواردة من الدرجة العليا^(٢). ويظهر هذا الضرب من الإعلامية في النصوص الأدبية الشعرية والنثرية، على أنّ نصوص هذا الضرب تكون الجدة فيها متوسطة، وكفيلة بإثارة المتلقي وإمتاع ذهنه.

٣ - إعلامية الدرجة الثالثة (المرتفعة) :

حدّها بوجراند بقوله : "المحتوى غير المحتمل في التركيب غير المحتمل فمن شأنه أن يكون صعب الصياغة مثيراً للجدل الحاد"^(٣).

(١) النص والخطاب والإجراء: ٢٤.

(٢) المصدر نفسه: ٢٥.

(٣) النص والخطاب والإجراء: ٢٤.

وهذا الضرب من الإعلامية محوَجٌّ إلى فضل تأمل من المتلقي؛ لأنَّ النصوص التي تتضمن إعلاميةً مرتفعةً تحتاج إلى انتباهٍ وتركيزٍ أكثر لفكِّ شفرات النص؛ لأنَّ الوقائع التي يتضمنها النص تكون خارج إطار الاحتمالات.

فالإعلامية المرتفعة كفيلاً بتنشيط ذهن المتلقي وإمتاعه فكرياً؛ إذ "إنَّ معالجة الوقائع ذات الإعلامية المرتفعة تتطلب بذل جهد أكثر من الحالة الأخرى، بيد أنها أكثر إمتاعاً منها، وينبغي أن يلتزم المرء جانب الحيطة والحذر؛ كيلا تنوء قدرة المستقبلين على معالجة المعلومات بالعبء إلى حدِّ تعريض الاتصال للخطر"^(١).

ويفهم ممَّا سَطَّر أنَّ هذا المعيار النصِّي، يهتم بشكلٍ كبيرٍ بالجدة في المعلومات داخل النص، والقيمة المعرفية غير المألوفة التي يقدمها النص للمتلقي، وعلى قدر زيادة الإعلامية في النص يكون اهتمام المتلقي بالنص، فالنَّاصُّ يتطلَّب منه محاولة جادة لكسر توقُّع متلقي النص، وإضافة الجدة في العناصر، وصبغ هذه الجدة بشيءٍ من الغموض الذي لا يعرض الاتصال إلى الانهيار. والإعلامية كمعيار نصِّي تختلف من شخصٍ لآخر تبعاً لعملية الاستقبال الذهني التي يقوم بها المتلقي عند تناوله النص^(٢).

ومن المفيد أن نشير إليه أنَّ للإيجاز دوراً بارزاً ومهماً لرفع الكفاءة الإعلامية في نصٍّ ما^(٣)؛ لأنَّ الإيجاز في مفهومه العام تأدية المعاني الكثير بألفاظٍ قليل^(٤)؛ إذ يُحمِّل الإيجاز النصَّ كثيراً من المعاني، يحسن الوقوف عندها، والتأمل في مضمونها. وسمة الإيجاز هذه هي السمة الغالبة على الأحاديث النبوية الشريفة التي هي مدار بحثنا.

فضلاً عن ذلك فإنَّ الأحاديث النبوية تتسم بالأساليب البلاغية من تشبيهٍ ومجازٍ وغير ذلك من الأساليب التي لها دورٌ في رفع الكفاءة الإعلامية للأحاديث النبوية.

إنَّ اللغة النبوية المتمثلة بأحاديثه الشريفة وحكمه البليغة، خيرٌ مثالٍ تتجسَّد فيه أبعاد الإعلامية؛ لأنَّ كلامه ﷺ اتسم بالجدة وعدم التوقع. ولا ننسى أنَّ معجزة النبي محمَّد

(١) مدخل إلى علم لغة النص: ٣٣.

(٢) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ٦٨، ينظر: مدخل إلى علم لغة النص: ٣٣.

(٣) ينظر: مهاد في لسانيات النص: ١٤٣.

(٤) ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة: ٥٤٦.

عليه الصّلاة والسّلام معجزةً بيانيّةً كلاميّةً محضةً، قد أعجزت فصحاء العرب من مقاومتها بقرائحهم الفدّة، ومن الطّبعي أن تشكّل الأحاديث النّبويّة بأفكارها ومعانيها تجديداً عمّا هو مألوفٌ عند العرب، وهذه الجدّة في الأفكار والمعلومات شكّلت نوعاً من الإعلاميّة في النّصوص.

وعند مطالعة حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ ﷺ نجد في الحكم الشّريفة مستويات الإعلاميّة الثلاثة. منها ما يحمل معنى ظاهراً، غير محوَجٍ إلى التّأويل والتّفسير؛ لأنّه نصٌّ يسهل توقّع مضمونه، ومعرفة معناه بشكلٍ يسير، وبذلك تكون الإعلاميّة في الحديث الشّريف من الدّرجة الأولى.

ومنه قوله ﷺ : "إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَاماً فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنْ نَسِيَ فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ" (١).

نلاحظ في الحديث المبارك أنّه تضمّن إعلاميّة من الدّرجة الأولى (منخفضة)؛ إذ إنّ متلقّي الحديث الشّريف يمكنه فكّ شفرات النّصّ عند قراءته دون جهدٍ أو عناء؛ لأنّ المضمون الذي يحمله النّصّ متوقّع وواضح للجميع، وتتّسم وقائع النّصّ بإمكانية الحدوث والتّوقّع؛ إذ إنّّه لا يحتوي على جدّة في المعلومات أو غموض يتطلّب التأمّل. فالنّصّ لا يتطلّب عمليات ذهنيّة، أو وقفةً لتأمّل مضمونه؛ إذ يفهمه النّاس بالدّرجة نفسها على اختلاف مستوياتهم النّقافيّة، وخلفياتهم العلميّة. فقول (بسم الله) عند الأكل معلومة واضحة ومعروفة من لدن المتلقّي.

فضلاً عن ذلك فإنّ النّصّ يخلو من الصّور البلاغيّة كالتشبيه أو المجاز وغيرها من الصّور التي ترفع الإعلاميّة في النّصّ. فقد جاءت تراكيب النّصّ واضحة ومباشرة، تخلو من تقديم معلومة جديدة، سوى أنّها ترسخ في ذهن المتلقّي هذا السلوك الدّيني وهو قول (بسم الله) عند بدء الطّعام.

ومن شواهد الإعلاميّة المنخفضة في حِكْمِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ، قوله ﷺ : "تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ" (٢)

(١) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٣٥٢ / ٧ ، وينظر: سنن الترمذي: ٦١٣ / ٣.

(٢) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٤٥٩ / ٤ ، وينظر: كنز العمال: ٤١٠ / ٣.

فالحديث الشريف ذو إعلامية منخفضة؛ لأنَّ الفكرة التي يتضمنها النصّ ويقدمها للمتلقّي سيرة ومألوفاً من لدنه، فلم تكن هنالك جدّة في المعلومات التي يقدمها النصّ. أمّا تركيب النصّ، فلم يكن النصّ معقداً. بل جاء تركيباً واضحاً، يوجّه معلومة أخلاقية واضحة ومباشرة.

فعن طريق الإعلامية المنخفضة قدّم لنا النصّ مفهوماً مبسطاً عن الأعمال الصالحة وهو أنّ الأعمال الصالحة التي يقوم بها المسلم، لا تنحصر على التصدّق بالأموال أو قيام الصلاة فحسب؛ بل هنالك تصرفات صغيرة يقوم بها المسلم في حياته اليومية كالابتسام في وجه أخيه المسلم؛ إذ إنّه يؤجر عليها كغيرها من الأعمال الصالحة. فمع كون الحديث المبارك يوسّع دلالة ومفهوم الصدقة، لكن الفكرة التي يتضمنها لم تكن غريبة أو تحتاج إلى تفسير أو تأمل؛ بل كانت مفهومة وواضحة. فهذا الارتفاع في الوضوح قدّم لنا إعلامية منخفضة^(١).

ومن الأحاديث المباركة ما تكون إعلاميته من الدرجة الثانية (متوسطة)، أي تكون الجدة والتوقع في المعلومات التي يقدمها النصّ متوسطة، وكافية لإثارة ذهن المتلقّي، وشدّ انتباه للنصّ أكثر. ومن شواهد هذا المستوى، قوله ﷺ: "إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعِزِّمْ فِي الدُّعَاءِ، وَلَا يَقُلْ: اللَّهُمَّ، إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا مُسْتَكْرِ لَهُ"^(٢).

نلاحظ أنّ الحديث المبارك يتضمن إعلامية من الدرجة الثانية (المتوسطة)؛ إذ يحتوي على معلومة وفكرة لم تكن مألوفاً عند المتلقّي، تمثّلت بطرح أسلوب جديد في الدعاء. أي أنّ هنالك جدّة في الفكرة والمعلومات التي يطرحها النصّ.

فالحديث الشريف يقوم سلوك المسلم عند الدعاء؛ إذ يحثّه على أن يكون دعائه قائماً على الثقة بالله تعالى، والتوكّل عليه، والإيمان بقدرته عزّ وجلّ، والابتعاد عن الدعاء الذي يكون فيه ضعف وارتخاء في طلب الحاجة.

إنّ "عزم المسألة (الشّدّة في طلبها) والحزم من غير ضعف في الطلب ولا تعليق على مشيئة ونحوها وقيل هو حسن الظن بالله تعالى في الإجابة ومعنى الحديث

(١) ينظر: خلق المسلم، محمّد الغزالي: ٨.

(٢) حكم النبي الأعظم: ٥ / ٣٦٩، وينظر: صحيح مسلم: ٤ / ٢٠٦٣.

استحباب العزم في الطلب وكراهة التعليق على المشيئة قال العلماء: سبب كراهته إنّه لا يتحقّق استعمال المشيئة إلّا في حقّ من يتوجّه عليه الاكراه والله تعالى منزّه عن ذلك وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث فإنّه لا مستكره له^(١).

فإعلاميّة النصّ ارتفعت؛ لأنّ النصّ يتطلّب من المتلقّي بذل جهدٍ ذهنيٍّ لتأمّل مغزى الكلام، والوقوف على معناه؛ إذ جاء الحديث بفكرةٍ جديدةٍ في أدب الدّعاء مع الله عزّ وجلّ، وتقويم سلوك المسلم عند الدّعاء وطلب الحاجة. وكسر النمط المعروف في الدّعاء. وهذه الجدّة، وكسر المتوقّع رفعت مستوى الإعلاميّة في النصّ.

ومما ورد في حكم النبيّ من شواهد ذات إعلاميّة متوسطة، قوله ﷺ: "وَجَدْتُ الْحَسَنَةَ نُورًا فِي الْقَلْبِ، وَزَيْنًا فِي الْوَجْهِ، وَقُوَّةً فِي الْعَمَلِ. وَوَجَدْتُ الْخَطِيئَةَ سَوَادًا فِي الْقَلْبِ، وَوَهْنًا فِي الْعَمَلِ، وَشَيْنًا فِي الْوَجْهِ"^(٢).

نلاحظ أنّ إعلاميّة الحديث هي من الدّرجة المتوسطة (الثّانية). فقد خرج الحديث عن المألوف وكسر النمط المتوقّع، عن طريق جمعه بين السلوك الباطن للإنسان المتمثّل بالحسنة و الخطيئة، وبين الأثر الذي يتركه ذلك السلوك المتمثّل بالنور والسّواد.

وهذا الخروج عن المألوف والجدّة في المعلومات رفع مستوى الإعلاميّة داخل النصّ. كما أنّ رفع الإعلاميّة لم يقتصر على المعلومات الجديد فحسب؛ بل أنّ التّركيب البيانيّ وتنوّعه أسهم في رفع درجة الإعلاميّة.

وكلّ ذلك خلق دهشةً عند المتلقّي، وإمتاعاً لذهنه، عن طريق حثّه على تأمّل النصّ وما يحتويه من معنى يدور حول السلوك الظّاهر والسلوك الباطن وعلاقتهما بالأخلاق.

ومن الأحاديث النبويّة الشّريفة ما يكون فيها مستوى الإعلاميّة من الدّرجة الثّالثة، وهذه الدّرجة غالباً ما تظهر في النّصوص التي تتسم بكثافة الأساليب البلاغيّة من إيجاز، وتشبيه، ومجاز، أو وجود عنصر المفاجأة في النصّ، وغير ذلك من السّمات التي ترفع إعلاميّة النصّ. ومن شواهد هذا المستوى قوله ﷺ: "إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتَيْنٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرَفْقٍ، وَلَا تُكْرَهُوا عِبَادَةَ اللَّهِ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ، فَتَكُونُوا كَالرَّاكِبِ الْمُنْبِتِّ الَّذِي لَا سَفَرًا قَطَعَ وَلَا ظَهراً أَبْقَى"^(٣).

(١) شرح صحيح مسلم، النووي: ١٧ / ٧.

(٢) حكم النبيّ الأعظم: ٣٨٧ / ٤، وينظر: كنز العمال: ١١٠ / ١٦.

(٣) حكم النبيّ الأعظم: ٢٤٢ / ٤، وينظر: الكافي: ٨٦ / ٢.

فالحديث المبارك يقع ضمن المستوى الثالث من مستويات الإعلامية؛ إذ تضمّن صورةً غيرَ مألوفةٍ، تربط بين الرّفق بالدين ومنهج الدين، وقرن ذلك الرّبط بالتّشبيه كالزّركب المُنبت، فهذه استعارةٌ عالية البلاغة. فالمُنبت "هو الَّذِي يَغْدُو السَّير، ويكْدُ الظَّهر، منقطعاً من رفقه، و منفرداً عن صاحبه، فتَحَسَّرُ مطيَّته، ولا يقطع شقَّته، وهذا من أحسن التّمثيلات، وأوقع التّشبيهات"^(١). فهذا التّشبيه البليغ منح النّصّ جدّةً مبتكرةً عن طريق الجمع بين الجانب الدّيني والجانب الحسيّ الملموس.

ووصف الدّين بالمتانة مجازٌ "والمراد أنّه صعبُ الظَّهر، شديدُ الأسر، مأخوذٌ من متن الإنسان: وهو ما اشتدّ من لحم منكبيه. وإنّما وصفه ﷺ بذلك لمشقة القيام بشرائطه، والأداء لوظائفه"^(٢). فالمجاز الَّذِي ورد في النّصّ أسهم في رفع مستوى الإعلامية؛ لأنّه يُعَدّ من جملة السّمات الّتي ترفع إعلاميّة النّصوص؛ إذ "يمكن للمجازات الأصيلة أن تكون عناصراً من المرتبة الثالثة"^(٣).

إنّ فهم الصّورة الحسيّة وعلاقتها بالإيغال بالدين، تتطلّب جهداً ذهنيّاً من المتلقّي لفهم الحديث وتأويل معناه. فالإيغال هو "السّير السّريع... والإمعان في السّير"^(٤)، ولكن معرض الحديث ليس عن السّير وإنّما الدّين. فهذه المفارقة بين المعنى الحرفيّ، والمعنى المجازيّ في الحديث تحفّز ذهن المتلقّي لتأمّل الحديث، وفكّ شفراته، والوقوف على معناه، "ومن هنا يُظهر المجاز الأصليّ مفارقة قابلة للحلّ بين المعلومات الّتي في النّصّ المعروف والمعلومات المختزنة في وقتٍ سابق. ولا توجد حاجة إلى تعبير حرفيّ معين يصل إلى نفس النّتيجة الّتي يصل إليها المجاز"^(٥).

إنّ عنصر المفاجأة يسهم في رفع إعلاميّة النّصّ عن طريق طرح معلوماتٍ وأفكارٍ داخل بنية النّصّ، لم يكن لأحدٍ قد عرضها من قبل، وهذا يمثّل إمتاعاً للمتلقّي عن طريق تنشيط ذهنه وشدّه إلى النّصّ^(٦).

(١) المجازات النّبويّة: ٢٤٤.

(٢) المصدر نفسه: ٢٤٤.

(٣) النّصّ والخطاب والإجراء: ٢٥٨.

(٤) لسان العرب: ١٥ / ٣٥٢ (وغل).

(٥) النّصّ والخطاب والإجراء: ٢٥٩.

(٦) ينظر: النّثر الصّوفيّ دراسة في لسانيّات النّصّ: ٢٢٨.

فمثال على ذلك، قوله ﷺ: "النَّاسُ مَعَادِنُ؛ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا"^(١). يقع هذا الحديث ضمن مستوى الإعلامية الثالث الإعلامية المرتفعة. وهذا الحديث من جملة الأحاديث التي لم يسبق إليها الرسول الأعظم^(٢).

قدّم النصّ جدّةً في المعنى، فالناس داخل المجتمع ليسوا على قيمة واحدة، فهم مختلفون تماماً كاختلاف قيمة المعادن. وتمثّلت هذه الجدّة بالطرح الجديد عن طبيعة الإنسان، وتمثّلت جدّةً في المفاهيم الاجتماعية والفكر الإنساني في زمن الرسول ﷺ. ممّا منح النصّ عمقاً ذا مستوى عالٍ من المعرفة، قادراً على تغيير مفهوم اجتماعياً سائداً داخل المجتمع العربي آنذاك، القائم على العصبية القبلية. فالتفاضل يكون بالعلم والتّقّه بالدين لا بالحسب والنسب.

رمز الرسول الكريم ﷺ إلى حسن الخلق بالمعدن الثمين، وهذا الترميز نقلةً بلاغيةً مبتكرةً، شكّلت مفاجأةً للمتلقّي، وعدم توقّع، وأسهمت في رفع إعلامية النصّ. وهذا الترميز تحقّق عن طريق الاستعارة؛ إذ شبّه الرسول ﷺ "النَّاسَ بِالْمَعَادِنِ" التي تكون في قرارات الأرض، فلا يحكم على ظواهرها حتّى يستخرج دفائناتها... فيكون منها اللّجين والنّصار، ويكون منها النّقط والقار، فكذلك النَّاسُ لا يجب أن يحكم على مجالهم... حتّى يخبروا ويعرفوا... فيخرج البحث جواهرهم، ويمحص الامتحان مخابريهم، فيتبيّن حينئذٍ كرم النحائز، وطيب الغرائز، وتكشف منهم الطرائق، ولئيم الخلائق"^(٣).

فكثافة هذه المعاني، مع قصر الحديث، واستعماله الرمز، وإمتاع ذهن المتلقّي، منحت النصّ مستوى عالٍ من الإعلامية. كانت كفيّلة بإثارة ذهن المتلقّي وإمتاعه بالمعلومات والأفكار الجديدة.

ومن جملة الأحاديث التي احتوت على إعلامية عالية، قوله ﷺ: "الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ"^(٤).

(١) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ١ / ١٢٩ ، وينظر: صحيح البخاري: ٣ / ١٢٣٨.

(٢) ينظر: الشّفا بتعريف حقوق المصطفى: ١٢١-١٢٣.

(٣) المجازات النبوية: ١٣٦.

(٤) حكم النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ: ٣ / ٣٢٨ ، وينظر: من لا يحضره الفقيه: ٤ / ٣٦٣.

يقع الحديث ضمن مستوى الإعلامية العالية؛ إذ قدّم معلومة لم يكن المتلقّي قد اطلع عليها مسبقاً، فقد شبّه الدّنيا للمؤمن بالسّجن، وهذه استعارة، فالمؤمن في الدّنيا "قَصْرٌ فيها خطوه عن اللّذات، وكبح لجامه عن الشّهوات، وحصر نفسه عن التّسرّع إلى ما تدعو إليه الدّواعي المخزية... وكان... خائفاً خوف الجاني المرعوب، والطّريد المطلوب" (١) .

وتشبيه الدّنيا بالجنّة للكافر من باب المجاز أيضاً. فالكافر "من حيث استوعب فيها شهواته، واستفرغ لذاته، وقضى فيها الأوطار، وتعبّل المسار، واستهواه عاجل حطامها، وريق جمامها، فنسي العاقبة، واستهان بالمغبّة، فكان ميّت الأحياء، كما كان المؤمن حيّ الأموات" (٢) .

فقد شكّلت هذه المعلومات الجديدة دهشةً في ذهن المتلقّي، وإمتاعاً له. وجاءت على عكس ما هو متوقّع. فصوّرت الدّنيا سجناً للمؤمن الصّالح، وجنّةً مُترفةً للكافر الطّالح.

هذا ظاهر الحديث، وأمّا باطنه، فإنّه يمثّل دلالة مغايرة لما هو ظاهر، فالدّنيا مع اتّساعها إلّا أنّها سجن مؤقت للمؤمن مقارنة بدار النّعيم الّتي هي بانتظاره، لا حدود لها، ولا يخرج منها أبداً. كذلك هي جنّة مؤقتة مع الكافر وإن كانت جنّة؛ لكنها مؤقتة مقارنة بما ينتظره من عذاب سرمدٍ (٣). فقد أسهم هذا التّحوّل الدّلاليّ برفع إعلاميّة النصّ. فضلاً عن المقابلة سجن المؤمن، جنّة الكافر الّتي أسهمت أيضاً برفع مستوى الإعلاميّة، محقّقة اقتصاداً لغويّاً في سطح النصّ.

ومن الأحاديث المباركة الّتي تضمّنت إعلاميّة من المستوى الثالث، قوله ﷺ: "لا تكونوا ممّن خدعته العاجلة، وغرته الأُمّنيّة، فاستهوته الخدعة، فركن إلى دار سوءٍ سريّة الزّوال، وشيكة الإنقار. إنّهُ لم يبقَ مِن دُنياكم هذه في جنبٍ ما مضى إلّا كإناخةٍ راكبٍ، أو صرّ حالبٍ، فعَلامٌ تَعْرُجونَ، وماذا تَنْتَظِرونَ" (٤) .

(١) المجازات النّبويّة: ٧١-٧٢.

(٢) المصدر نفسه: ٧٢ .

(٣) ينظر: الكوكب الوهاج والروض البهاج: ٢٦ / ٣٢٧-٣٢٨.

(٤) حكم النّبّي الأعظم: ٣ / ٣٣٣ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧ / ١٨٣.

فالحديث يقع ضمن المستوى الثالث من الإعلامية الإعلامية العالية، فهو يقدم أفكاراً جوهريةً جديدةً، وهذه الأفكار لم تقع ضمن دائرة توقعات المتلقي؛ لذا أسهمت هذه الأفكار والمعلومات في رفع إعلامية النص.

كما أن النص يقدم تشبيهات تتسم بالجدة والابتكار، أسهمت برفع إعلاميته، وهي (دار سريعة الزوال، استهوته الخدعة، إناخة راكب صرّ حالب)، فقد "شبهه وُضوح الأمر في الآخرة وتحقيق الحال فيها، بشيء كان مُعطى فكُشف قناعه، فظهر حاله، وبأن أمره، واتضحت حقيقته"^(١). فهذا التشبيه الحي الذي استدعاه الرسول ﷺ من رحم البيئة العربية، كان له أثرٌ بصريٌّ في المتلقي، ومثّل ابتكاراً بلاغياً، أسهم إسهاماً فعالاً في رفع إعلامية النص.

إنّ هذه التراكيب التشبيهية المبتكرة جعلت المعاني كثيفةً في النص، وشدّت ذهن المتلقي للتفاعل مع النص عن طريق تأمل المعنى المضمّر وراء هذا التشبيه، فالمعنى المحوري للنص يدور حول "ذم انبساط الأمل ونسيان الأجل"^(٢)، عن طريق تنبيه المسلم من غرور الدنيا، وسرعة زوالها.

بعد عرض شواهد من حُكم النبي الأعظم ﷺ يتضح لنا أنّ معيار الإعلامية عنصرٌ أساسيٌّ وفعالٌ في بناء النصوص؛ لأنها تدلّ على قيمة النص من حيث احتوائه على عنصر الجدة والابتكار وعدم التوقع. فالإعلامية هي من توجه الناص نحو استعمال تراكيب ومعاني تتسم بالجدة والابتكار؛ كي يشدّ عن طريق الجدة والابتكار ذهن المتلقي للنص، بالتضافر مع المعايير السابقة الاتساق، الانسجام، المقامية...؛ إذ تتضافر هذه العناصر فيما بينها لإيضاح المعنى الحقيقي الذي يروم الناص إيصاله عن طريق النص، عبر كسر توقعات المتلقي وجعل المألوف غريباً، ممّا يؤدي ذلك إلى رفع إعلامية النص ودرجة الإبداع، ويخرج بالنص من عالم الألفة إلى عالم الدهشة^(٣).

(١) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة: ١٥٦.

(٢) الفتوحات المكية، ابن عربي: ٥٤٣/٤.

(٣) ينظر: النثر الصوفي دراسة في لسانيات النص: ٢٢٩.

الخاتمة



الخاتمة ونتائج البحث

الحمدُ لله الَّذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصَّلاة والسَّلام على نبينا الأمين وعلى آله وصحبه المنتجبين ومن اتَّبَعهم إلى يوم الدِّين.

بعد رحلةٍ طويلةٍ في رحاب اللِّغة النَّبويَّة وحِكمه المباركة، لزم الأمر أن أوجز أبرز النتائج التي توصَّلت إليها الدِّراسة، وأهمُّها:

١. إنَّ لغة الرِّسول (ﷺ) مثَّلت اللِّغة العُلا في الكلام بعد كلام الله عزَّ وجلَّ، فقد جاءت على بناءٍ مُحكمٍ ومتجانسٍ، تتآلف فيه الأفكار مع الألفاظ، وتتجانس فيه المعاني مع الإيقاع.

٢. أثبتت الدِّراسة أنَّ اللِّغة النَّبويَّة هي انعكاسٌ للغة القرآن الكريم؛ إذ يقتبس الرِّسول المعاني القرآنيَّة؛ ليعيد إنتاجها بأساليب جديدة تتَّسم بالجَدَّة والإيجاز، محافظاً على المعنى القرآنيِّ ذاته، وعلى جزالة اللَّفظة القرآنيَّة وفصاحتها.

٣. أثبتت الدِّراسة أنَّ لغة الرِّسول (ﷺ) اتَّسمت بالفصاحة والبلاغة والإيجاز، والدِّقة في التَّعبير، وجَدَّة المعاني والتراكيب وأصالتها.

٤. توصَّلت الدِّراسة إلى أنَّ اللِّغة النَّبويَّة تحمل ثراءً لغويًّا قلَّ نظيره في كلام البشر، وما هذا إلَّا نتاج تأثره بلغة القرآن الكريم.

٥. بيَّنت الدِّراسة أنَّ الألفاظ التي يستعملها الرِّسول (ﷺ) هي ألفاظٌ عذبةٌ، سهلةٌ لطيفةٌ، تخلو من التَّكلف، مساويةٌ للمعنى، ملائمةٌ لمقام الحال، تصل السَّامع من دون كدرٍ أو عي.

٦. بيَّنت الدِّراسة أنَّ انسجام النَّصوص القرآنيَّة داخل الحديث الشريف يكشف لنا عمق بلاغته، ومقدرته اللُّغويَّة على توظيف النَّصِّ القرآنيِّ في تضاعيف حديثه.

٧. بيَّنت الدِّراسة أنَّ الوسائل النَّصِّيَّة التي استعملها الرِّسول (ﷺ) أسهمت إسهاماً كبيراً في تماسك النَّصوص وانسجامها؛ إذ حقَّقت تلك الوسائل استمراريَّةً للنَّصوص، وقبولاً لدى المتلقِّي.

٨. كشفت الدّراسة عن المعاني والدّلالات المشتركة بين الحديث النبويّ الشريف والكتب السماويّة (التّوراة والإنجيل)، وبَيّنت أنّ اشتراك المعاني وتقاطعها هو من باب الاشتراك بالمصدر الإلهيّ نفسه، على أنّ هذه المعاني تخرج من دائرة الاقتباس النّصّي المباشر إلى دائرة التّناسّ الدّلاليّ الضّمّنيّ (تقاطع المعاني).
٩. بيّنت الدّراسة أنّ استعمال الرّسول المعاني المجازيّة، والتّشبيهات المبتكرة، والأفكار البليغة، أسهم برفع إعلاميّة النّصوص، ومثّل هذا الاستعمال امتاعاً لأذهان المتلقّين.
١٠. كشفت الدّراسة عن المعاني والدّلالات التي حملتها أبنية الأفعال المجردة والمزيدة الواردة في تضاعيف حديثه (ﷺ).
١١. استعمل الرّسول (ﷺ) أبنية الأسماء المجردة والمزيدة، وكان استعماله لتلك الأبنية لا يخرج عمّا اشتهر استعماله على لسان العرب.
١٢. استعمل الرّسول (ﷺ) المشتقات جميعها استعمالاً رائعاً ملائماً للسياق الذي يتحدّث عنه، وهذا يُنبئ عن المقدرة اللّغويّة البارعة للرّسول ﷺ.
١٣. بيّنت الدّراسة أنّ الرّسول (ﷺ) قد استعمل أنماطاً وتراكيب متوّعة من الجمل الخبريّة والطلبيّة في حديثه المبارك.
١٤. كشفت الدّراسة أنّ الرّسول (ﷺ) قد استعمل عباراتٍ قسميّة، ارتبطت بأسلوبه اللّغويّ، فلم تستعمل هذه العبارات قبله ولا بعده (ﷺ)؛ إذ مثّلت تلك العبارات ميزةً لغويّةً في حديثه (ﷺ).
١٥. بيّنت الدّراسة أنّ ما قعده النّحويّون من قواعد نحويّة، وما ذكره النّقّاد اللّغويّون من تصويبات لغويّة جاءت في أغلبها موافقةً لما ورد في كلام الرّسول الكريم ﷺ.
١٦. أثبتت الدّراسة أنّ أسلوب الشّروط في الحديث النبويّ الشريف مثّل أسلوباً لغويّاً بارزاً، استعمله الرّسول (ﷺ) لتوجيه تعاليم الدّين الإسلاميّ وأهدافه.
١٧. سجّل أسلوب التّوكيد في الحديث النبويّ الشريف حضوراً بارزاً، فقد تنوّعت أدواته ووسائله بتنوّع الجمل التي استعمل فيها.

١٨. كشفت الدراسة أنَّ النهي الموجَّه إلى الجماعة هو الغالب على أنماط النهي في الحديث النبوي الشريف؛ إذ إنَّ الغاية منه التَّعميم.
١٩. بيَّنت الدراسة إلى أنَّ أسلوب التَّمني والتَّرجي والإغراء والتَّحريض أقلُّ الأساليب الطَّليَّة حضورًا في الحديث النبوي الشريف.

وآخرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ



ثبت المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أولاً: الكتب المطبوعة:
- أبحاث صرفيّة، خديجة زبار الحمداني، ط١، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- أبنية الصّرف في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي، ط١، مكتبة النهضة، بغداد، ١٣٨٥م-١٩٦٥.
- الإِتقان في علوم القرآن، عبد الرّحمن بن أبي بكر جلال الدّين السيوطي (٩١١هـ)، تح محمّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
- الإحالة في نحو النّصّ، أحمد عفيفي، كتاب الكتروني، www.kotobarabia.com
- أدب الكاتب، أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوري (٢٧٦هـ)، تح عليّ ناعور، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- أدوات النّصّ، محمّد تحريشي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- ارتشاف الضّرب من لسان العرب، محمّد بن يوسف الشّهير بأبي حيّان الأندلسي (٧٤٥هـ)، تح رجب عثمان محمّد مراجعة رمضان عبد التّواب، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- إرشاد القلوب، الحسن بن محمّد الدّيلمّي من علماء القرن الثّامن الهجري، ط٢، دار الشّريف الرّضي، إيران، ١٤١٣هـ - ١٣٧٤ش.
- أساس البلاغة، أبو القاسم جارالله محمود بن عمر بن أحمد الزّمخشري (٥٣٨هـ)، تح محمّد باسل عيون السّود، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- الأساليب الإنشائيّة في النّحو العربي، عبد السّلام محمّد هارون، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- أساليب الطّلب عند النّحويّين والبلاغيّين، قيس إسماعيل الأوسي، دار الحكمة، بغداد، ١٩٨٨م.

- استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط ١، دار الكتاب الجديد، بيروت- لبنان، ٢٠٠٤م.
- أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (٤٧١هـ)، تد محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت.
- أسرار العربية، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (٥٧٧هـ)، تد محمد بهجت البيطار، المجمع العلمي العربي بدمشق، دمشق، د.ت.
- إشكاليات النص دراسة لسانية نصية، جمعان عبدالكريم، ط ١، الدار البيضاء، بيروت، ٢٠٠٩م.
- إصلاح المنطق، أبو يوسف يعقوب بن إسحق السكيت (٢٤٤هـ)، تد عبد السلام محمد هارون و أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ١٩٥٦م.
- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، محمد الشاوش، ط ١، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب (النحو - الفقه - البلاغة)، تمام حسان، عالم الكتب العلمية، القاهرة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي (٣١٦هـ)، تد عبد الحسين الفتلي، ط ٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ط ٩، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- الأعمال المانعة من دخول الجنة، محسن عقيل، ط ١، دار المحجة البيضاء، ٢٠٠٦م.
- الأمالي، أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد الموسوي المعروف بالشريف المرتضى (٤٣٦هـ)، تد السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، ط ١، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧م.
- الأمالي، أبو عبدالله محمد بن محمد النعمان بن عبد السلام العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد (٤١٣هـ)، تد علي أكبر الغفاري وحسين الأستاذ ولي، ط ٢، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- الإنجيل المقدس، الترجمة العربية المشتركة من اللغة الأصلية، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، بيروت-لبنان، ١٩٩٧م.

- الإنصاف في مسائل الخلاف بين التَّحَوِّيِّين البصريِّين والكوفيِّين، أبو البركات عبد الرحمن بن محمَّد بن أبي سعيد الأنباري (٥٧٧هـ)، تد محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد، ط١، المكتبة العصريَّة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- أوزان الأفعال ومعانيها، هاشم طه شلاش، مطبعة الآداب، النِّجف الأشرف، ١٩٧١م.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمَّد عبد الله جمال الدِّين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري (٧٦١هـ)، تد محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد، المكتبة العصريَّة، بيروت، د.ت.
- الإيضاح في علوم البلاغة، محمَّد بن عبد الرّحمن بن عمر المعروف بالخطيب القزويني (٧٣٩هـ)، تد محمَّد عبد المنعم خفاجي، ط٦، دار الكتاب اللِّبْناني، بيروت لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- الإيقاع في شعر الحداثة، محمَّد سالم، ط١، دار العلم والإيمان للنَّشر والتَّوزيع، كفر الشَّيخ-مصر، ٢٠٠٨م.
- بحار الأنوار، العلَّامة أبو عبد الله محمَّد بن باقر المجلسي (١١١١هـ)، تد يحيى العابدي، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- البحر المحيط في التفسير، محمَّد بن يوسف الشَّهير بأبي حَيَّان الأندلسي (٧٤٥هـ)، تد جميل صدقي محمَّد، ط١، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٤٢٠هـ.
- البديع بين البلاغة العربيَّة واللِّسانيَّات النَّصِّيَّة، جميل عبد المجيد، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، ١٩٩٨م.
- البديع تأصيل وتجديد، منير سلطان، منشأة المعارف، الإسكندريَّة- مصر، ١٩٨٦م.
- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدِّين محمَّد بن عبد الله الزَّركشي (٧٩٤هـ)، تد محمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربيَّة، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
- بشارة المصطفى لشيعه المرتضى، محمَّد بن أبي القاسم الطُّبري (٥٢٥هـ)، تد جواد القيومي الأصفهاني، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، قم- إيران، ١٤٢٠هـ.
- البلاغة العربيَّة أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن جنَّكة الميداني، ط١، دار القلم، بيروت- لبنان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

- البلاغة في السّنة النبويّة دراسة تحليليّة في الحديث النبويّ، عزّة محمّد جدّوع، ط ١، مكتبة الرّشيد، المملكة العربيّة السّعوديّة- الرّياض، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- البلاغة النبويّة، محمّد رجب البيوميّ، ط ٢، الدّار المصريّة اللّبنانيّة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- البلد الأمين والدّرع الحصين، الشّيخ إبراهيم بن عليّ بن حسن الكفعميّ (٩٠٥هـ)، مكتبة الصّدوق، طهران- إيران، ١٣٨٣هـ.
- بناء الجملة العربيّة، محمّد حماسة عبد اللّطيف، دار غريب للطّباعة والنّشر، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- البناء اللّغويّ للشعر العربيّ الأصمعيّات نموذجًا، عصام كاظم الغالبيّ، ط ١، دار الرّضوان للنّشر والتّوزيع، عمان- الأردن، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.
- بيان إعجاز القرآن، أبو سليمان حمد بن محمّد بن إبراهيم بن الخطاب المعروف بالخطابيّ (٣٨٨هـ)، تح محمّد زغلول سلام ومحمّد خلف الله، ط ٣، دار المعارف، مصر، ١٩٧٦م.
- بيان السّعادة في مقامات العبادة، سلطان محمّد الجنازديّ (سلطان عليّ شاه) (١٣٢٧هـ)، ط ٢، مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت- لبنان، ١٤٠٨هـ.
- البيان المحمّديّ، مصطفى الشّكعة، الدّار المصريّة اللّبنانيّة، د.ت.
- البيان النبويّ سمات ونصوص، عدنان زرزور، ط ٤، دار الفاتح، ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م.
- البيان والتّبيين، أبو عمر بن بحر بن محبوب المشهور بالجاحظ (٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان، ١٤٢٣هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الحسينيّ الرّبيديّ، تح جماعة من المختصّين، المجلس الوطنيّ للثقافة والآداب، الكويت، ٢٠٠١م.
- تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن عليّ بن ثابت المعروف بالخطيب البغداديّ (٤٦٣هـ)، تح مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- التّبصرة والتّذكرة، أبو محمّد عبد الله بن عليّ بن إسحاق الصّيمريّ (من نحاة القرن الرّابع)، تح فتحي أحمد مصطفى عليّ الدّين، ط ١، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

- التّبيان في تفسير القرآن، شيخ الطائفة أبو جعفر محمّد بن الحسن الطّوسي (٤٦٠هـ)، تح أحمد حبيب قيصر العاملي، ط١، دار إحياء التّراث العربي، مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩هـ.
- تحف العقول عن آل الرّسول، ابن شعبة الحراني من علماء القرن الرابع، تح علي أكبر غفاري، ط٢، مؤسسة النّشر الإسلامي، قم - إيران، ١٤٠٤هـ - ١٣٦٣ش.
- تحليل الخطاب، براون و يول، ترجمة منير التّريكي ومحمّد لطفي الزليطي، النّشر العلمي والمطابع في جامعة الملك سعود، الرياض - المملكة العربيّة السعوديّة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- تحليل الخطاب الشّعري (استراتيجية التّناص)، محمّد مفتاح، ط٣، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، ١٩٩٢م.
- تحليل النّص دراسة الرّوابط النّصيّة في ضوء علم اللّغة النّصّي، محمود عكاشة، ط١، مكتبة الرّشيد، ب.د، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
- تذكرة الكاتب، أسعد خليل داغر، دار المقتطف، مصر، ١٩٢٣م.
- التّذييل والتّكميل في شرح كتاب التّسهيل، محمّد بن يوسف الشّهير بأبي حيّان الأندلسي (٧٤٥هـ)، تح حسن هندايي، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- التّرباط النّصّي في ضوء التّحليل اللّساني للخطاب، خليل ياسر البطاشي، ط١، دار جرير للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- التّراكيب اللّغويّة في العربيّة دراسة وصفيّة تطبيقيّة، هادي نهر، مطبعة الإرشاد، بغداد - العراق، ١٩٨٧م.
- التّرهيب والترهيب من الحديث الشّريف، عبد العظيم المنذري (٦٥٦هـ)، تح مصطفى محمّد عماره، دار الفكر للطباعة والنّشر، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، جمال الدّين محمّد بن عبد الله ابن مالك الأندلسي (٦٧٢هـ)، تح محمّد عبد القادر عطا وطارق فتحي السيّد، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- تصريف الأسماء والأفعال، فخر الدّين قباوة، ط٢، مكتبة المعارف، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- التصوير الفنّي في الحديث النبوي الشريف، محمد لطفي الصبّاح، ط ١، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- التطبيق الصرفي، عبده الراجحي، ط ١، مكتبة المعارف، الرياض- المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- التطريز الصوتي لسطح النص، منال بنت إبراهيم الحلوة، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، الرياض، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- تطور دراسة الجملة العربية بين النحويين والأصوليين، صالح الظالم، ط ٣، مطبعة النجف الأشرف، النجف الأشرف- العراق، ١٤٢٩هـ.
- التطور النحوي للغة العربية، رمضان عبد الثواب، ط ٢، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- تفسير التحرير والتتوير، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، ط ١، مؤسسة الدار العربي، بيروت- لبنان، ١٤٢٠هـ.
- تفسير الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (٦٠٦هـ)، ط ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤٢٠هـ.
- تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي (٣٢٠هـ)، تح السّيد هاشم الرّسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران- إيران، د.ت.
- تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي (٣٥٢هـ)، تح محمد الكاظم، ط ١، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد، طهران- إيران، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- تفسير القرآن الكريم، صدر الدين محمد الشّيرازي (صدر المتألهين) (١٠٥٠هـ)، تح خواجوي محمد، ط ٢، مطبعة بيدار، قم- إيران، ١٣٦١هـ.
- التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، ط ٣، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ١٩٨١م.
- التفسير الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠هـ)، ط ١، دار الكتاب الثقافي، أريد- الأردن، ٢٠٠٨م.
- تفسير مجمع البيان، أبو علي الفضل بن الحسن الشّرخ الطبرسي (٥٤٨هـ)، تح لجنة من العلماء، ط ١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

- التكملة، أبو عليّ الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ (٣٧٧هـ)، تح كاظم بحر المرجان، ط٢، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- التلخيص في علوم البلاغة، محمّد بن عبد الرّحمن بن عمر المعروف بالخطيب القزوينيّ (٧٣٩هـ)، تح عبد الرّحمن البرقوقيّ، ط٢، دار الفكر العربيّ، ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م.
- تنبيه الخواطر ونزهة النّواظر، ورام بن أبي فراس المالكيّ الأشتريّ (٦٠٥هـ)، ط٢، دار الكتب الإسلاميّة، إيران، ١٣٦٨ش.
- تهذيب اللّغة، أبو منصور محمّد بن أحمد بن الأزهريّ (٣٧٠هـ)، تح مجد معوض مرعب، ط١، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت.
- التّوحيد، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القميّ المعروف بالشّيخ الصدوق (٣٨١هـ)، تح السّيد هاشم الحسينيّ الطّهرانيّ، مؤسسة النشر الإسلاميّ، قم- إيران، د.ت.
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمّد بدر الدّين حسن بن قاسم المراديّ المعروف بابن أم قاسم (٧٤٩هـ)، تح عبد الرّحمن عليّ سليمان، ط١، دار الفكر العربيّ، القاهرة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- التّوقيف على مهمّات التّعاريف، عبد الرّؤوف محمّد تاج العارفين المناوي (١٠٣١هـ)، تح جلال الأسيوطيّ، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ٢٠١١م.
- تيسير المطالب في أمالي أبي طالب، أبو طالب يحيى بن الحسين الهارونيّ (٤٢٤هـ)، ط١، مؤسسة زيد بن عليّ الثّقافيّة، صنعاء- اليمن، د.ت.
- جامع أحاديث الشّيعه، السّيد البروجرديّ (١٣٨٣هـ)، دار الأولياء، بيروت- لبنان، ١٣٩٩هـ.
- جامع الأخبار (معارج اليقين في أصول الدّين)، الشّيخ محمّد الشّعيريّ السّبزواريّ من علماء القرن السّابع الهجريّ، تح علاء آل جعفر، ط١، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التّراث، قم- إيران، ١٤١٠هـ - ١٩٩٣م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمّد بن جرير الطّبريّ (٣١٠هـ)، تح صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- جامع الدّروس العربيّة، الشّيخ مصطفى الغلايينيّ، ط٢٨، منشورات المكتبة العصريّة، صيدا- بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، أبو الفرج عبد الرحمن أحمد البغدادي الشَّهير بابن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ)، تد عبده علي كوشك، ط١، دار البشائر الإسلامية، بيروت- لبنان، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
- الجمل، لأبي بكر عبد القاهر عبد الرحمن الجرجاني (٤٧١هـ)، تد علي حيدر، مكتبة مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
- الجملة الإسمية، علي أبو المكارم، ط١، مؤسسة المختار، القاهرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- الجملة العربية تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، ط٢، دار الفكر، عمان- الأردن، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.
- الجملة العربية مكوناتها، أنواعها، تحليلها، محمد إبراهيم عبادة، ط٢، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠١م.
- الجملة العربية نشأة وتطوراً وإعراباً، فتحي عبد الفتاح الدجني، ط٢، فتحي عبد الفتاح الدجني، ط٢، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٧م.
- الجملة الفعلية، علي أبو المكارم، ط١، مؤسسة المختار، القاهرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- الجمل في النحو، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الرجاجي (٣٤٠هـ)، تد علي توفيق الحمد، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٣٢١هـ)، رمزي منير بعلبكي، ط١، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ١٩٨٧م.
- جموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية، عبد المنعم سيد عبد العال، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت.
- الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي (٧٤٩هـ)، تد فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، مؤسسة هنداي، ٢٠١٩م.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (٨٧٥هـ)، تد علي محمد معوض وعبد الفتاح أبو سنّة، وعادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤١٨هـ.

- حاشية الصَّبَّان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن عليّ الصَّبَّان (ت ١٢٠٦هـ)، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.
- الحدود في النحو، عليّ بن عيسى بن عليّ بن عبد الله، أبو الحسن الرّمانيّ، (٣٨٤هـ)، تد إبراهيم السّامرائي، دار الفكر، عمان - الأردن، د.ت.
- الحديث النبويّ مصطلحه-بلاغته-كتبه، محمد الصّباغ، ط٤، المكتب الإسلاميّ، بيروت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.
- حكم النّبيّ الأعظم، محمد الرّيشهريّ، ط١، دار الحديث، قم - إيران، ١٤٢٩ هـ.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الاصبهانيّ (٤٣٠هـ)، ط١، دار أم القرى، القاهرة - مصر، د.ت.
- الخصال، أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القميّ المعروف بالشّرخ الصدوق (٣٨١هـ)، تد عليّ أكبر الغفاريّ، مؤسسة النّشر الإسلاميّ، قم - إيران، ١٣٦٢ هـ - ١٤٠٣ ش.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنيّ (٣٩٢هـ)، تد محمد عليّ النّجار، ط٤، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، د.ت.
- الخصائص البلاغيّة للبيان النبويّ، محمد أبو العلا الحمزاويّ، مكتبة الرّشيد، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م.
- الخطيئة والتّكفير من البنيويّة إلى التّشريحيّة، عبد الله الغداميّ، ط٤، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٨٨م.
- خلق المسلم، محمد الغزاليّ، ط١٦، دار القلم، دمشق، ١٤٢٢ هـ.
- دراسات لغويّة تطبيقيّة في العلاقة بين البنية والدّلالة، سعيد حسن بحيريّ، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥م.
- الدّراسات اللّغويّة عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، محمد حسن آل ياسين، ط١، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.
- دراسة الصّوت اللّغويّ، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.
- الدّر المنثور في التّفسير بالمأثور، عبد الرّحمن بن أبي بكر جلال الدّين السيّوطيّ (٩١١هـ)، دار المعرفة للطباعة والنّشر، بيروت - لبنان، د.ت.

- دروس التصريف، محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- الدرر الواقية، رضي الدين علي بن موسى بن جعفر المعروف بالسيد ابن طاووس (٦٦٤هـ)، تد مؤسسة آل البيت (ع)، ط١، دار مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، قم- إيران، ١٤١٤ هـ.
- الدلالة والنحو، صلاح الدين صالح حسنين، ط١، مكتبة الآداب، د.ت.
- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن الجرجاني (٤٧١هـ)، تد محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٤ م.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقي (٧٠٢هـ)، أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، ١٩٧٥ م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (١٢٧٠هـ)، تد علي عبد الباري عطية، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- رياض الصالحين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، تد ماهر ياسين الفحل، ط١، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تد شعيب الأرناؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- سرّ الإسراء في شرح حديث المعراج، علي سعادت پرو، ط١، دار إحياء التراث، طهران، ١٣٨٥ ش.
- سرّ صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ)، تد حسن هندائي، ط٢، دار القلم، دمشق، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجه (٢٧٣هـ)، تد محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، د.ت.
- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٨٩هـ)، تد شعيب الأرناؤوط، ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ)، تد عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

- سيد المرسلين، الشَّيخ جعفر السَّبحانيّ، مؤسسة النُّشر الإسلاميّ، ط٤، قم - إيران، ١٤٢٩هـ.
- سير أعلام النُّبلاء، أبو عبد الله محمّد بن عثمان بن قايماز الذَّهبيّ (٧٤٨هـ)، تح شعيب الأرناؤوط وحسين الأسد، ط٩، مؤسسة الرِّسالة، بيروت - لبنان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- شذا العرف في فنِّ الصَّرف، أحمد بن محمّد بن أحمد الحملاويّ، دار الكيان، د.ت.
- شرح ابن عقيل على ألفيّة مالك، عبد الله بن عبد الرحمن العقيليّ الهمدانيّ المصريّ (٧٦٩هـ)، تح محمّد محيي الدين عبد الحميد، دار الطَّلّاع، القاهرة، ٢٠٠٩م.
- شرح الأشمونيّ على ألفيّة ابن مالك، عليّ بن محمّد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدّين الأشمونيّ (٩٠٠هـ)، تح محمّد محيي الدّين عبد الحميد، ط١، دار الكتاب العربيّ، بيروت - لبنان، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.
- شرح أصول الكافي، موليّ محمّد صالح المازندرانيّ (١٠٨١هـ)، تح السيّد عليّ عاشور مع تعليقات الميرزا أبو الحسن الشَّعرانيّ، ط١، دار إحياء التّراث العربيّ للطباعة والنّشر، بيروت - لبنان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- شرح الأنموذج في النّحو، جار الله الرّمخسريّ (٥٣٨هـ)، تح حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ت.
- شرح التَّسهيل، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، جمال الدّين محمّد بن عبد الله ابن مالك الأندلسيّ (٦٧٢هـ)، تح محمّد عبد القادر عطا و طارق فتحي السيّد، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- شرح التّصريح على التّوضيح، الشَّيخ خالد بن عبد الله الأزهرّيّ (٩٠٥هـ)، تح محمّد باسل عيون السّود، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- شرح تصريف العزّيّ، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التّفتازانيّ (٧٩١هـ)، تح محمّد جاسم المحمّد، ط١، دار المنهاج، جدّة - المملكة العربيّة السّعوديّة، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

- شرح جمل الزّجّاجيّ، أبو الحسن عليّ بن مؤمن بن محمّد بن عليّ ابن عصفور الإشبيليّ (٦٦٩هـ)، تدفّواز الشّعار و إمّيل بديع يعقوب، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- شرح الحدود في النّحو، عبدالله بن أحمد الفاكهّي النّحويّ (٩٧٢هـ)، تد المتولي رمضان أحمد الدميّريّ، ط٢، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- شرح رسالة الحقوق، الإمام زين العابدين (عليه السّلام)، تد حسن السيّد عليّ القبانجيّ، ط٢، مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنّشر، ١٤٠٦هـ.
- شرح الرّضيّ على الكافيّة، رضي الدّين محمّد بن الحسن الأسّتريّاذيّ (٦٨٦هـ)، تد يوسف حسن عمر، ط٢، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ١٩٩٦م.
- شرح شافيّة ابن الحاجب، رضي الدّين محمّد بن الحسن الأسّتريّاذيّ (٦٨٦هـ)، تد محمّد محيي الدّين عبد الحميد، ومحمّد الرّفزاف، ومحمّد نور الحسن، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- شرح شذور الدّهب في معرفة كلام العرب، أبو محمّد عبدالله بن يوسف المعروف بابن هشام النّحويّ الأنصاريّ (٧٦١هـ)، تد محمّد أبو فضل عاشور، ط١، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت- لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- شرح صحيح البخاريّ، أبو الحسن عليّ بن خلف بن عبد الملك المعروف بابن بطّال (ت ٤٤٩هـ)، تد ابو تميم ياسر بن إبراهيم، ط٢، مكتبة الرّشيد، السّعوديّة، الرّياض، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- شرح صحيح البخاريّ، أبو القاسم إسماعيل بن محمّد الشّافعيّ (٥٣٥هـ)، تد عبد الرحيم بن محمد العزاويّ، ط١، دار أسفار، الكويت، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م.
- شرح صحيح مسلم، أبو زكريا محيي الدّين يحيى بن شرف النّوويّ (٦٧٦هـ)، تد مجموعة من المختصّين، دار الكتاب العربيّ، بيروت- لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- شرح قطر النّدى وبلّ الصّدى، أبو محمّد عبدالله بن يوسف المعروف بابن هشام النّحويّ الأنصاريّ (٧٦١هـ)، تد محمّد محيي الدّين عبد الحميد، ط٧، مطبعة السّعادة، القاهرة، مصر، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م.

- شرح المفصل، مؤلف الدين يعيش بن علي بن يعيش (٦٤٣هـ)، تعليق مشيخة الأزهر، إدارة المطبعة المنيرية، القاهرة، د.ت.
- شرح المقدمة الجزولية الكبير، أبو علي عمر بن محمد بن عمر الأزدي الشلوبين (٦٥٤هـ)، تد تركي بن سهوب نزال العتبي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- شرح الملوكي في التصريف، مؤلف الدين يعيش بن علي بن يعيش (٦٤٣هـ)، تد فخر الدين قباوة، ط١، المكتبة العربية بجلب، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (٦٥٦هـ)، تد محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- شرح نهج البلاغة، عباس علي الموسوي، ط١، دار المحجة البيضاء، ١٣٧٦هـ.
- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البهقي (٤٥٨هـ)، تد محمد سعيد زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢١هـ.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، العلامة القاضي أبي الفضل عياض بن موسى الحيصبي المعروف بالقاضي عياض (٥٤٤هـ)، تد عبده علي كوشك، ط٣، دار الفيحاء، بيروت، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م.
- الصاحب في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي (٣٩٥هـ)، تد عمر فاروق الطباع، ط١، مكتبة المعارف، بيروت- لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- الصّاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣هـ)، تد أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ١٩٩٠م.
- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (٢٥٦هـ)، تد مصطفى ديب البغا، ط٥، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)، تد محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
- الصّرف الحديث في بيان القرآن والحديث، أحمد أمين الشيرازي، ط١، مكتب الإعلام الإسلامي، قم- إيران، ١٤١٠هـ.

- الصّرف العربيّ أحكام ومعانٍ، محمّد فاضل السّامرائيّ، ط ١، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.
- الصّرف الكافي، أيمن أمين عبد الغني، ط ٥، دار التّوقيّة للتراث، القاهرة، د.ت.
- الصّرف الواضح، عبد الجبار علوان النّائلة، جامعة بغداد، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- الصّرف الوافي دراسات وصفية تطبيقية، هادي نهر، ط ١، عالم الكتب الحديث، أربد- الأردن، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
- الصّرف، حاتم صالح الضامن، منشورات كلّية الدّراسات الإسلاميّة والعربيّة، دبي، د.ت.
- الصّناعتين (الشّعر والنّثر)، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكريّ (٣٩٥ هـ)، تحدّ عليّ محمّد البجاويّ ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، بيروت - لبنان، ١٤١٩ هـ.
- الضّياء في تصريف الأسماء، مصطفى أحمد النّحاس، ط ٣، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م.
- عبقرية محمّد، عبّاس محمود العقّاد، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.
- علم البديع، عبد العزيز عتيق، دار النّهضة العربيّة، بيروت، لبنان، د.ت.
- علم البديع دراسة تاريخيّة وفنّيّة لأصول البلاغة ومسائل البديع، بسيوني عبد الفتاح فيّود، ط ٢، مؤسسة المختار للنشر والتّوزيع، مصر، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- علم البيان، عبد العزيز عتيق، دار النّهضة العربيّة، بيروت، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ط ٥، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٨ م.
- علم الصّرف الصّوتيّ، عبد القادر عبد الجليل، دار أزمنة، ١٩٩٨ م.
- علم اللّغة بين التّراث والمناهج الحديثة، محمود فهمي حجازيّ، الهيئة المصريّة العامّة للتأليف والنّشر، القاهرة، ١٩٧٠ م.
- علم لغة النّصّ المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيريّ، ط ١، دار نوبار، القاهرة، ١٩٩٧ م.

- علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق، عزة شبل، ط٢، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- علم اللّغة النّصّي بين النّظريّة والتّطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، ط١، دار قباء، القاهرة، ١٤٣١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- علم النّصّ، جوليا كريستيفا، ترجمة فريد الزّاهي، ط١، دار توبقال، الدّار البيضاء - المغرب، ١٩٩١ م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاريّ، بدر الدّين أبي محمّد محمود بن أحمد العينيّ (٨٥٥ هـ)، تد عبدالله محمود محمّد عمر، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- العهد القديم، ترجمة مجموعة من العلماء الكتّابيّين واللاهوتيّين، دار الكتاب المقدّس في الشّرق الأوسط، لبنان، ١٩٩٦ م.
- عوالي اللّئاليّ، محمّد بن عليّ بن إبراهيم الشّيبانيّ البكريّ الأحسائيّ المعروف بابن أبي جمهور الإحسائيّ (٩١٠ هـ)، تد آقا مجتبی العراقيّ، ط١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- عون المعبود، العظيم آباديّ (١٣٢٩ هـ)، ط٢، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ.
- عيون أخبار الرّضا، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القميّ المعروف بالشّيخ الصّدوق (٣٨١ هـ)، تد الشّيخ حسين الأعلميّ، دار مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام الهرويّ (٢٢٤ هـ)، تح محمّد عبد المعيد خان، ط٤، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٣٨٤ هـ.
- غريب الحديث في بحار الأنوار، حسين الحسينيّ البيرجنديّ، ط١، وزارة الثّقافة والإرشاد الإسلاميّ، طهران - إيران، ١٣٧٩ هـ.
- الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الرّمخشريّ جار الله (٥٣٨ هـ)، تد عليّ محمّد البجاويّ ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعرفة، لبنان، د.ت.
- فتح الباري، أحمد بن عليّ بن حجر العسقلانيّ (٨٥٢ هـ)، تد محب الدّين الخطيب، ط١، دار المعرفة للطباعة والنّشر، بيروت - لبنان، د.ت.

- فتح المنعم شرح صحيح مسلم، موسى شاهين لاشين، ط١، دار الشروق، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- الفتوحات المكيّة، محيي الدّين بن عربيّ (٦٣٨هـ)، تح نوّاف الجراح، ط٢، دار صادر، بيروت- لبنان، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- فرائد السّمطين في فضائل المرتضى والبتول والسّبطين والأئمة من ذريتهم (ع)، ابراهيم بن سعد الدّين الشّافعيّ (٧٣٠هـ)، ط١، مؤسسة المحمود، بيروت- لبنان، ١٤٠٠هـ.
- الفروق اللّغويّة، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكريّ (٣٩٥هـ)، تح محمّد إبراهيم سليم، دار العلم والثّقافة للنّشر والتّوزيع، القاهرة - مصر، د.ت.
- الفعل زمنه وأبنيته، إبراهيم السّامرائيّ، ط٣، مؤسسة الرّسالة، بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- في التّحليل اللّغويّ منهج وصفيّ تحليليّ، خليل أحمد عمايره، ط١، مكتبة المنار، الرّزقاء- الأردن، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- في التّركيب اللّغويّ الشّعر العراقيّ المعاصر دراسة...لغويّة في شعر السيّاب ونازك والبياتيّ، مالك يوسف المطلبيّ، منشورات وزارة الثّقافة والإعلام، العراق، ١٩٨١م.
- فيض القدير شرح الجامع الصّغير، محمّد عبد الرّؤوف بن تاج العارفين المناوي (١٠٣١هـ)، تح أحمد عبد السلام، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ١٩٩٤م.
- في ظلال نهج البلاغة (محاولة لفهم جديد) محمّد جواد مغنّية، وثق أصوله سامي الغريّ، ط١، مؤسسة دار الكتاب الإسلاميّ، ٢٠٠٥م.
- في اللّسانيّات العربيّة المعاصرة دراسات ومثاقفات، سعد عبد العزيز مصلوح، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- في اللّسانيّات ونحو النّصّ، إبراهيم محمود خليل، ط٢، دار المسيرة، عمان- الأردن، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- في ميزان الجديد، محمّد مندور، ط١، مؤسسات عليّ بن عبد الله، تونس، ١٩٨٨م.
- في النحو العربيّ قواعد وتطبيق، مهديّ المخزوميّ، ط٢، دار الرّائد العربيّ، بيروت- لبنان، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

- في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، ط٢، دار الزائد العربي، بيروت- لبنان، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، د. محمد عبد المطلب، ط١، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ١٩٩٥م.
- الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (٣٢٩هـ)، تد علي أكبر الغفاري، ط٥، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٣ش.
- الكافية في علم النحو، أبو عمرو جمال الدين عثمان بن أبي بكر ابن الحاجب (٦٤٦هـ)، تد مجموعة من المختصين، ط٢، مكتبة البشري، كراتشي- باكستان، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ)، تد محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه (١٨٠هـ)، تد عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- كتاب الأزهريّة في علم الحروف، علي بن محمد النحوي الهروي (٤١٥هـ)، تد عبد المعين الملوحي، ط٢، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة بدمشق، دمشق، ١٩٨١م.
- كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق التأويل، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليميني (٧٤٩هـ)، تد محمد عبد السلام شاهين، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- كتاب الطهارة، أبو القاسم الخوئي، ط٢، مؤسسة آل البيت (ع) للطباعة والنشر، قم- إيران، د.ت.
- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (١٧٠هـ)، تد مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت.
- كتاب اللّامات، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزّجاجي (٣٣٧هـ)، تد مازن المبارك، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- كتاب معاني الحروف، أبو الحسن علي بن عيسى الرّماني (٣٨٤هـ)، تد عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط٢، دار الشّروق، جدّة، المملكة العربيّة السّعوديّة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الرّمخشري (٥٣٨هـ)، تد الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ عليّ محمّد معوض، وفتح عبد الرحمن أحمد حجازي، ط ١، مكتبة العبيكان، الرياض ١٩٩٨م.
- كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن محمّد البغداديّ (٥٩٧هـ)، تد عليّ حسين البواب، ط ١، دار الوطن، الرياض - المملكة العربيّة السعوديّة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- كنز العمال، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذليّ المعروف بالمتقي الهنديّ (٩٧٥هـ)، تد بكري حيانيّ والشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- كنز الفوائد، أبو الفتح محمّد بن عليّ بن عثمان الكراكيّ (٤٤٩هـ)، تد عبد الله نعمة، ط ١، دار الذخائر، قم- إيران، ١٤١٠هـ.
- الكواكب الدراريّ في شرح صحيح البخاريّ، شمس الدّين محمد بن يوسف الكرمانيّ (٧٨٦هـ)، ط ٢، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت- لبنان، ١٣٠١هـ - ١٩٨١م.
- الكوكب الوهاج والرّوض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مجد الأمين بن عبد الله الأرمي الشافعيّ، تد لجنة من العلماء برئاسة البرفسور: هاشم محمّد عليّ مهديّ، ط ١، دار المنهاج، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- لسان العرب، محمّد بن مكرم بن عليّ، أبو الفضل، جمال الدّين ابن منظور الأنصاريّ الإفريقيّ (٧١١هـ)، تد أمين عبد الوهاب ومحمّد صادق العبيديّ، ط ٣، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- لسانيّات الاختلاف، محمّد فكريّ الجزّار، الهيئة العامّة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٥م.
- لسانيّات التّوليد، مصطفى غلفان، ط ١، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- لسانيّات النّصّ (مدخل إلى انسجام الخطاب)، محمّد الخطابيّ، ط ١، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت- لبنان، ١٩٩١م.
- لسانيّات النّصّ نحو منهج لتحليل الخطاب الشّعريّ، أحمد مداس، ط ٢، عالم الكتب الحديث إربد- الأردن، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

- لسانيات النّصّ النّظريّة والتّطبيق مقامات الهمذانيّ أنموذجاً، ليندة قيّاس، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة-مصر، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- لسانيات النّصّ والخطاب الشعريّ دراسة في شعر محمّد الماغوط، نعيمة سعدية، دار الفارس العربيّ، ٢٠١٥م.
- اللّغة، فندريس. ترجمة عبد الحميد الدواخيّ و محمّد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت.
- اللّغة العربيّة معناها ومبناها، تمام حسّان، دار الثّقافة، الدّار البيضاء - المغرب، ١٩٩٤م.
- اللّغة والحضارة، إبراهيم السّامرائيّ، ط١، المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر، بيروت - لبنان، ١٩٧٧م.
- اللّمع في العربيّة، أبو الفتح عثمان بن جنيّ (٣٩٢هـ)، تح سميح أبو مغلي، دار مجدلاويّ، ١٩٨٨م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدّين بن الأثير، نصر الله بن محمد (٦٣٧هـ)، تح أحمد الحوفيّ وبديويّ طبانة، دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة، د.ت.
- المجازات النّبويّة، محمّد بن حسين الشّريف الرّضي (٤٠٦هـ)، تح مهديّ هوشمند، ومهمديّ إمام وكريم أكبري، ط١، دار الحديث، ١٤٢٢هـ.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التّيميّ البصريّ (٢٠٩هـ)، تح محمّد فؤاد سزكين، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
- المجنتى، أبو بكر محمّد بن الحسن بن دريد (٣٢١هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف النّظاميّة، حيدر آباد، ١٣٤٢هـ.
- مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبليّ، أبو الفرج عبد الرّحمن أحمد البغداديّ الشّهير بابن رجب الحنبليّ (٧٩٥هـ)، تح أبو مصعب طلعت بن فؤاد الحلوانيّ، ط٢، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، الفيض الكاشانيّ (١٠٩١هـ)، تح عليّ أكبر الغفاريّ، ط٢، دار الكتب الإسلاميّة، قم - إيران، د.ت.
- المحيط في أصوات العربيّة ونحوها وصرفها، محمّد الأنطاكيّ، ط٢، مكتبة دار الشّرق، بيروت - لبنان، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- مختصر الصّرف، عبد الهادي الفضليّ، دار القلم، بيروت - لبنان، د.ت.

- مختصر مجمع البيان، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٤٨هـ)، تحقيق جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، ط٣، مؤسسة النشر الإسلامي، قم- إيران، ١٤١٣هـ.
- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسّي (٤٥٨هـ)، خليل إبراهيم جفال، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- مدخل إلى دراسة الجملة العربية، محمود أحمد نحلة، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- مدخل إلى علم لغة النصّ، روبرت دي بوجراند و ولفغانغ دريسلر، ترجمة إلهام أبو غزالة، ط١، مطبعة دار الفكر، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- مدخل إلى علم اللغة النصّي، فولفجانج هاينه من وديتر فيهفجير، ترجمة فالح بن شبيب العجمي، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٩هـ.
- مدخل إلى علم النصّ مشكلات بناء النصّ، زتسيسلاف واورزنيال، ترجمة سعيد حسن بحيري، ط١، مؤسسة المختار، مصر، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، الدار العربية للعلوم ناشرون، د.ت.
- مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، مجموعة من الكتاب الغربيين، ترجمة رضوان ظاظا، مراجعة المنصف الشفونوي، عالم المعرفة، ١٩٩٧م.
- مرآة العقول في شرح أخبار الرسول، العلامة أبو عبد الله محمد بن باقر المجلسي (١١١١هـ)، تد رَسولي محلاتي هاشم، ط٢، دار الكتب الإسلامية، طهران- إيران، ١٤٠٤هـ.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تد فؤاد علي منصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- المساعدة على تسهيل الفوائد، بهاء الدين ابن عقيل (٧٦٩هـ)، تد محمد كامل بركات، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ)، تد مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

- مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي (١٣٢٠هـ)، تد مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، ط١، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- المستقصى في علم التصريف، عبد اللطيف محمد الخطيب، ط١، دار العروبة، الكويت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى التميمي، أبو يعلى الموصلي (٣٠٧هـ)، تد حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، د.ت.
- مسند أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، تد شعيب الأرنؤوط وأخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- مسند الشاميين، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (٣٦٠هـ)، تد حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي (٧٧٠هـ)، تد عبد العظيم الشناوي، ط٢، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- المصنّف، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (٢٣٥هـ)، تد سعيد اللحام، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- معاني الأبنية في العربية، فاضل صالح السامرائي، ط٢، دار عمار، عمان، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- معاني القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس (٣٣٨هـ)، تد محمد علي الصابوني، ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ.
- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الدليمي الفراء (٢٠٧هـ)، تد محمد علي النجار وأحمد يوسف النجاتي وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط١، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، د.ت.
- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن السهل الزجاج (٣١١هـ)، تد عبد الجليل عبده شلبي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، ط١، دار الفكر، عمان - الأردن، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

- معايير تحليل الأسلوب، ميكائيل ريفاتير، ترجمة حميد الحمداني، ط١، دار النّجاح الجديد، الدّار البيضاء، ١٩٩٣م.
- معجم الأفعال المتعدّية بحرف، موسى بن محمّد الأحمديّ، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.
- المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطّبرانيّ (٣٦٠هـ)، تد أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمّد وأبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسينيّ، دار الحرمين، القاهرة- مصر، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.
- معجم التّعريفات، عليّ بن محمّد السيّد الشّريف الجرجانيّ (٨١٦هـ)، تد محمّد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، د.ت.
- معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابيّ (٣٥٠هـ)، تد أحمد مختار عمر، مراجعة إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.
- معجم الصّواب اللّغويّ، أحمد مختار عمر، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللّخميّ الشّاميّ أبو القاسم الطّبرانيّ (٣٦٠هـ)، تد حمديّ عبد المجيد السّلفيّ، ط٢، دار إحياء التّراث العربيّ، د.ت.
- معجم المصطلحات النّحويّة والصّرفيّة، محمّد سمير نجيب اللّبيّ، ط١، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.
- المعجم المفصّل في علم الصّرف، راجي الأسمر، مراجعة إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.
- المعجم الوسيط، تأليف نخبة من اللّغويّين بمجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، مجمع اللّغة العربيّة، القاهرة، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م.
- معدن الجواهر، أبو الفتح محمّد بن عليّ بن عثمان الكراچكيّ (٤٤٩هـ)، تد السيّد أحمد الحسينيّ، ط٢، إيران، ١٣٩٤ هـ.
- المغني الجديد في علم الصّرف، محمّد حنير حلوانيّ، دار الشّرق العربيّ، بيروت- لبنان، د.ت.
- المغني في تصريف الأفعال، محمّد عبد الخالق عزيمة، ط٢، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أبو محمد جمال الدين ابن هشام الأنصاري (٧٦١هـ)،
تد محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتب العصريّة، صيدا- بيروت، ١٤١١ هـ -
١٩٩١ م.
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي (٦٢٦هـ)، تد أكرم
عثمان يوسف، ط١، مطبعة دار الرسالة، بغداد، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- المفتاح في الصرف، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (٤٧١هـ)،
تد عليّ توفيق الحمد، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- مفردات ألفاظ القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد بن فضل المشهور بالرّاغب
الأصفهاني (٤٢٥هـ)، تد صفوان عدنان داووديّ، ط٤، دار القلم، دمشق، ١٤٣٠ هـ -
٢٠٠٩ م.
- المفصل في صنعة الإعراب، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الرّمخشريّ (٥٣٨هـ)،
تد عليّ بو ملحم، ط١، مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٣ م.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبيّ
(٦٥٦هـ)، تد محيي الدين ديب وأحمد محمد السيد ويوسف عليّ بديوي ومحمود إبراهيم
بزال، ط١، دار ابن كثير، بيروت، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- المقاييس البلاغيّة عند الجاحظ في البيان والتبيين، فوزي السيّد عبد ربه، مكتبة الأنجلو
المصريّة، القاهرة، ٢٠٠٥ م.
- مقاييس اللّغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرّازيّ اللّغويّ (٣٩٥هـ)، تد عبد
السّلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- المقتصد في شرح الإيضاح، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجانيّ
(٤٧١هـ)، تد كاظم بحر المرجان، دار الرّشيد، العراق، ١٩٨٢ م.
- المقتضب، أبو العبّاس محمد بن يزيد المبرّد (٢٨٥هـ)، تد محمد عبد الخالق عزيمة،
عالم الكتب، بيروت، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- المقرّب، علي بن مؤمن بن محمد الأشبيليّ المعروف بابن عصفور (٦٦٩هـ)، تد أحمد
عبد الستار الجوّاريّ وعبدالله الجوّاريّ، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.
- مكارم الأخلاق، أبو عليّ الفضل بن الحسن الشّيش الطّبرسيّ (٥٤٨هـ)، ط٦، منشورات
الشّريف الرّضي، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.
- الممتع الكبير في تصريف، عليّ بن مؤمن بن محمد الأشبيليّ المعروف بابن
عصفور (٦٦٩هـ)، تد فخر الدّين قباوة، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان،
١٩٩٦ م.

- مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة، نعمة رحيم العزاوي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ٢٠٠١م.
- من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر، مصر، ٢٠٠٥م.
- منحة الباري بشرح صحيح البخاري، أبو يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري (٩٢٦هـ)، تد سليمان بن دريع العازمي، ط١، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- المنصف، أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ)، تد إبراهيم مصطفى و عبدالله الأمين، ط١، دار إحياء التراث القديم، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
- من لا يحضره الفقيه، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (٣٨١هـ)، تد علي أكبر الغفاري، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران، د.ت.
- منهج التربية في القرآن والسنة، عمر أحمد عمر، ط١، دار المعرفة، دمشق - سوريا، ١٤١٦هـ.
- مهاد في اللسانيات، خالد حوير الشمس، ط١، مؤسسة دار الصادق الثقافية، بابل - العراق، ٢٠٢٤م.
- مهج الدعوات ومنهج العبادات، رضي الدين علي بن موسى بن جعفر المعروف بالسيد ابن طاووس (٦٦٤هـ)، كتابخانه سنائي، إيران، د.ت.
- المهدب في علم التصريف، صلاح مهدي الفرطوسي وهاشم طه شلاش، ط١، مطابع بيروت الحديثة، بيروت، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أحمد بن محمد القسطلاني (٩٢٣هـ)، تد مأمون بن محيي الدين الجنان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (٢٢٤هـ)، تد محمد بن صالح المديفر، ط٢، مكتبة الرشيد، الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- نتائج الفكر في النحو، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله السهيلي (٥٨١هـ)، تد عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

- النثر الصوفي دراسة في لسانيات النص، خالد حوير الشمس، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، ٢٠٢٠م.
- النحو العربي، إبراهيم بركات، ط١، دار النشر للجامعات، مصر، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- النحو العربي نقد وبناء، إبراهيم السامرائي، دار الصادق، بيروت - لبنان، د.ت.
- النحو المصفي، محمد عيد، ط١، مكتبة الشباب، ١٩٧١م.
- نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، ط١، مكتب زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م.
- نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية، عثمان أبو زنيد، ط١، عالم الكتب الجديد، الأردن، ١٤٣١هـ - ٢٠٠٤م.
- النحو الوافي، عباس حسن، ط٣، دار المعارف، د.ت.
- نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً، الأزهر الزناد، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، ١٩٩٣م.
- النص والخطاب، شتيفان هابشايد، ترجمة موفق جواد المصلح، دار المأمون للترجمة، بغداد، ٢٠١٣م.
- النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، محمد عبد الباسط عيد، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٣٠هـ - ٢٠١٩م.
- النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة تمام حسان، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.
- النص والسياق، فان دايك، ترجمة عبد القادر قنيني، دارأفريقيا الشرق، الدار البيضاء - المغرب، ٢٠٠٠م.
- نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، حسام أحمد فرج، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- نظرية المقام عند العرب في ضوء البراغماتية، منال محمد هاشم، ط١، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، ٢٠٠١م.
- نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، حسين خمري، ط١، الدار العربية للعلوم، بيروت، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥هـ)، تح عبد الرزاق غالب مهدي، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٧هـ.

- نفائس التأويل، أبو القاسم عليّ بن الحسين بن موسى بن محمد الموسوي المعروف بالشّريف المرتضى (٤٣٦هـ)، تحـ موسوي ومجتبى أحمد، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان - بيروت، ١٤٣١هـ.
- النّكت في إعجاز القرآن، أبو الحسن عليّ بن عيسى الرّمانيّ (٣٨٤هـ)، تحـ محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، ط٣، دار المعارف، مصر، ١٩٧٦م.
- النّكت والعيون، أبو الحسن عليّ بن محمد بن محمد بن حبيب البصريّ البغداديّ الشّهير بالماورديّ (٤٥٠هـ)، تحـ السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، د.ت.
- النّهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدّين أبو السّعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشّيبانيّ الجزريّ ابن الأثير (٦٠٦هـ)، تحـ طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطّناحيّ، المكتبة العلميّة، بيروت - لبنان، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- نوارد الأصول في أحاديث الرّسول، أبو عبد الله محمد بن عليّ بن الحسن المعروف بالحكيم التّرمذيّ (٣٢٠هـ)، تحـ عبد الرّحمن عميرة، دار الجيل، بيروت - لبنان، د.ت.
- نور الأنوار في شرح الصّحيفة السّجاديّة، السيّد نعمة الله الجزائريّ (١١١٢هـ)، ط١، دار آسيانا، قم - إيران، د.ت.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدّين السيوطيّ (٩١١هـ)، تحـ محمد عبد السّلام هارون وعبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرّسالة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- وحي الرّسالة، أحمد حسن الرّيات، ط٥، مكتبة نهضة مصر، مصر، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

ثانيًا: الرسائل والأطاريح:

- الاتّساق والانسجام في روايات كتاب التّوحيد للشّيخ الصّدوق (٣٨١هـ)، زينب حمديّ محمد الجزائريّ، رسالة ماجستير، بإشراف أ.د ليث قابل الوائليّ، كلّية التّربيّة للعلوم الإنسانيّة، جامعة كربلاء، ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م.
- آليات التّماسك النّصّيّ في إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة لمصطفى صادق الرّافعيّ أنموذجًا، منور عائشة، أطروحة دكتوراه، بإشراف أ.د فريحيّ مليكة، كلّية الأدب العربيّ، جامعة مستغانم، الجمهوريّة الجزائريّة، ١٤٤٢هـ ٢٠٢٠م.

- بناء الجملة العربيّة في ديوان النابغة الذبيانيّ، عبد الجليل عبد الحسين العانيّ، بإشراف أ.د. محمود فهمي حجازي، رسالة ماجستير، كليّة الآداب، جامعة القاهرة، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- بناء الجملة في السيرة النبويّة لابن هشام، عبد الغني شوقي موسى الأدبيّ، أطروحة دكتوراه، بإشراف أ.د. طارق عبد عون الجنابيّ، كليّة اللّغات، جامعة صنعاء، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- الجملة الخبريّة في مجموعات الشّعر العربيّ القديم (المفضليّات والأصمعيّات)، مجهد جيجان عبد الدّليميّ، أطروحة دكتوراه، بإشراف أ.د. محمود عليّ مكّي، كليّة الآداب، جامعة القاهرة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- الخطاب السّياسيّ في القرآن الكريم دراسة في ضوء علم اللّغة النّصّيّ، عدنان ناصر عبود، رسالة ماجستير، بإشراف أ.د. عليّ حسن الدّلفيّ، كليّة التّربيّة للعلوم الإنسانيّة، جامعة واسط، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.
- الرّسائل والوصايا في نهج البلاغة (دراسة في ضوء علم لغة النّصّ)، ورود سعدون عبد، أطروحة دكتوراه، بإشراف أ.د. تراث حاكم الزّياديّ، كليّة الآداب، جامعة القادسيّة، ٢٠١٦م.
- السّبك والحبك في جزء المجادلة، باقر محيسن فرج، رسالة ماجستير، بإشراف أ.د. محمود عبد حمد اللاميّ، كليّة التّربيّة للعلوم الإنسانيّة، جامعة المثنى، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م.
- المصادر والمشتقّات في معجم لسان العرب (دراسة صرفيّة دلاليّة)، خديجة زبار عنيزان، أطروحة دكتوراه، بإشراف أ.د. هاشم طه شلاش، كليّة التّربيّة ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٥م.
- المعايير النّصّيّة في خطب نهج البلاغة، محمّد عزيز رهيّف العقابيّ، رسالة ماجستير، بإشراف أ.د. سعد محمّد عليّ التّميميّ، كليّة التّربيّة الجامعة المستنصريّة، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

ثالثاً: البحوث المنشورة:

- أثر التكرار في التماسك النصي مقارنة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات د. خالد المنيف، منال بنت إبراهيم الحلوة، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد الثامن، رجب ١٤٣٣ هـ - مايو ٢٠١٢ م.
- انتقاء الترادف في أسماء الله الحسنى بين الدلالة المعجمية والدلالة الصرفية، أحمد مختار عمر، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة - كلية دار العلوم العدد ٢٠، ١٩٩٦ م.
- الانسجام النصي وأدواته، الطيب الغزالي قواوة، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر - بسكرة - الجزائر، العدد الثامن، ٢٠١٢ م.
- التناص سبيلاً إلى دراسة النص الشعري وغيره، شربل داغر، مجلة فصول، مصر، العدد الأول، ١٩٩٧ م.
- الثنائية القصديّة بين التراث العربي والدراسات الغربية، مريم أقرين، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد الرابع والعشرون، ١٣٩٥ هـ - ٢٠١٧ م.
- الجملة الشرطية مبناها ومعناها قراءة في التراث النحوي، محمد أبو العزّ عبده، مجلة تراثيات، القاهرة، العدد الثامن عشر، ٢٠١٥ م.
- الحديث النبوي الشريف بين النصّية اللغوية والمصدريّة التأسيسية، نادية توهامي، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، مجلد ٢١، عدد ٢، ٢٠٢٢ م.
- الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمدينة المنورة في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، زمن محمود شاكر، وفاء عدنان حميد، مجلة ديالى للبحوث الإنسانية، العدد الثالث والنسعون، ٢٠٢٢ م.
- في مفهوم النصّ ومعايير نصّية القرآن الكريم دراسة نظرية، بشرى حمدي البستاني، وسن عبد الغني المختار، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، المجلد ١١، العدد ١، ٢٠١١ م.
- المصاحبة اللفظية ودورها في تماسك النصّ مقارنة نصّية في مقالات د. خالد المنيف، نوال بنت إبراهيم بن محمد الحلوة، مجلة الدراسات اللغوية، المجلد الرابع عشر - العدد الثالث - رجب ١٤٣٣ هـ - أغسطس ٢٠١٢ م.
- معالم البيان في الحديث النبوي، عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، مجلة العلوم العربية، المملكة العربية السعودية، العدد السابع عشر، شوال ١٤٣١ هـ.

- من لسانيات الجملة إلى علم النصّ، بشير إبرير، مجلّة التّواصل، الجمهوريّة الجزائريّة، عدد ١٤، ٢٠٠٥م.
- منير الجوادين، مجلّة تصدر عن العتبة الكاظميّة المقدّسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، العدد ١٥١، السنة السادسة عشر، شعبان - رمضان ١٤٤٣هـ.
- نحو أجروميّة للنصّ الشعريّ (دراسة في قصيدة جاهليّة)، سعد مصلوح، مجلّة فصول، مصر، مجلّد ١٠، العدد (١، ٢)، ١٩٩١م.
- نظريّة التّناسّ، المختار حسني، مجلّة علامات في النّقد، السّعوديّة، العدد ٣٤، ديسمبر ١٩٩٩م.
- نظريّة التّناسّية، مارك دوبيازي، ترجمة الرّحوتيّ عبد الرّحيم، مجلة علامات في النّقد، جزء ٢١، المجلد ٦، المملكة العربيّة السّعوديّة، ١٩٩٦م.

رابعاً: المواقع الإلكترونيّة:

- حديث نت، موقع تابع لمؤسسة دار الحديث الثقافيّة، <https://hadith.net>
- شبكة الفكر، <http://alfeker.ne>
- الشيعة، موقع علمي ثقافيّ وعقائديّ، <https://ar.al-shia.or>
- كوديرست، <https://www.goodreads.co>
- مركز الإسلام الأصيل للثقافة والإعلام، <https://islamasil.com>
- مفهوم التّناسّ بين الأصالة والحداثة، خالد عبد النّبيّ عيدان، موقع جامعة كربلاء كليّة العلوم الإسلاميّة <https://cois.uokerbala.edu.qi>
- مكتبة النّرجس، <https://www.narjeslibrary.com>
- موسوعة الإمامة والولاية (إمامة بيديا)، <https://ar.imamatpedia.com>
- الموسوعة الحرّة (ويكيبيديا)، <https://ar.wikipedia.org>
- الموقع الإلكترونيّ لمكتب السيّد عليّ الخامنئيّ قدس سرّه، <https://arabic.khamenei.ir>
- الموقع الإلكترونيّ لمكتب الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازي، <https://www.makaremshirazi.net>

Abstract

"This study, entitled 'Linguistic Structure in the Governance of the Greatest Prophet by Muhammad Rayshahr,' focuses on the prophetic language of the Prophet Muhammad (PBUH). The objective of this study is to identify the prominent stylistic and rhetorical features of the Prophet's language, as well as the key vocabulary used, as it represents the pinnacle of human speech, second only to the Holy Quran and surpassing all other human speech.

The study also aims to highlight the significant meanings shared between the Noble Hadith and the heavenly scriptures, in addition to understanding the structure of the Prophet's speech and the extent to which the recipients are influenced by this structure."

"The study is divided into an introduction and three chapters. The introduction covers the stylistic and rhetorical features of the Prophet Muhammad's Hadiths, along with a brief biography of the author. The first chapter focuses on word formation in the Prophet's speech, examining the structures of both triliteral and augmented verbs, as well as all noun structures. The second chapter examines sentence structure in the Prophet's traditions, analyzing both declarative and interrogative sentence structures. The third chapter presents a textual analysis of the Prophet's hadiths based on Robert de Beaugrande's textual standards. The most prominent finding indicates that the language of the Prophet Muhammad reflects the language of the Holy Quran. The Prophet incorporates Quranic meanings and reproduces them in a human language accessible to the recipients, demonstrating a highly structured linguistic form where meaning and wording perfectly harmonize".

**Republic of Iraq
Ministry of Higher Education
And Scientific Research
Wasit University
College of Education For Humanities
Department of Arabic Language**



**The linguistic structure in the book "The General
Wisdom of the Prophet" by Muhammad al-Rishahri**

Thesis submitted by the student

Muhammad Ali Kamil Faza' al-Zubaidi

**To the Council of the College of Education for Human
Sciences, University of Wasit**

**It is part of the requirements for obtaining a Master's
degree in Arabic Language and Literature**

Under the supervision of Professor

Prof. Dr. Jassim Fareeh Daikh Al-Turabi

Prof. Dr. Suad Badie Mutair.

1448 A.H

2026 A.D